حسن صبرا



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



الطبعة الأولى: كانون الثاني 1433 هـ - 2012 م
الطبعة الثانية: شباط 1433 هـ - 2012 م

ردمك 978-614-01-0337-5

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: (+961-1) 785107 - 785108 - 786233
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: (+961-1) 786230 - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف (+961-1) 785107
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف (+961-1) 786233



إهـداء

إلى التاريخ الممتد عبر ثلاثة مواعيد:

الموعد الأول في 1969/9/1 عندما عدت إلى منزل الأهل ليخبرني شقيقي علي أن ثورة حصلت في ليبيا وأنها ناصرية، قام بها ضباط أحرار، فصرخت حينها: يا الله لقد اقتربت الحرب مع إسرائيل!!

الموعد الثاني في 1985/5/12 حين عقدت آخر لقاء مع معمر القذافي في خيمته في باب العزيزية. استمر ساعة ونصف الساعة، قلت فيه للعقيد ما لم يقله مالك في الخمر... ثم خرجت حياً، وكلما رويت للمقربين وقائع هذا اللقاء هتفوا... حمداً لله على السلامة...

وإلا كنت ستلحق بالإمام موسى الصدر ورفيقيه...

الموعد الثالث في 2011/2/17 حين تناقلت الأنباء أخبار ثورة الشعب الليبي ضد معمر القذافي نفسه وأولاده وكتائبه ومرتزقته.

اثنان وأربعون عاماً كنت في أولها في الواحد والعشرين من العمر، وفي الموعد الثاني كنت في السابعة والثلاثين، أما في الموعد الثالث فإني أشرف على الثالثة والستين ومعمر القذافي لم يخرج إلا بعد أن قتل عشرات الآلاف من شعب ليبيا، مهدداً بأنه تسلم ليبيا وفيها 3 ملايين وها هي ليبيا تضم 6 ملايين نسمة، والفضل له كما يزعم بهذا الرقم المضاعف... لكأنه يريد القول... كما تسلمتكم أستطيع أن أعيدكم... وقد حاول ولم يقصّر... لولا أن التاريخ لا يقف عند أحد... لذا أهديه هذا الكتاب.

المحتويات

مُقـدِمـَـة

لا يحتاج هذا الكتاب إلى مقدمة، إلا ما كنا نقرأه أمام دور السينما التي تعرض أي فيلم يحتوي على مشاهد رعب أو وحشية. تحذير لذوي القلوب المريضة من الدخول حتى لا تكون مشاهدتهم لها سبباً في اضطرابات ليست لمصلحة صحتهم. وقد خطر ببالي لحظة أن أكتب المقدمة بعبارة واحدة هي صدق أو لا تصدق... وهذا ما دفع في خاطري عبارة أخرى كمقدمة تقول: هذا الكتاب يجمع في وقائعه ما هو مضحك وما هو مبك، ما هو ساخر وما هو جدي وهكذا يمكن اعتبار هذا الكتاب جامع الشرائط.

لكن هذا الكتاب هو مجموعة وقائع، وهي كلمة مشتقة من كلمة وقع، واسمها واقع أي أنها حصلت، وفيها شهود مثلما فيها ضحايا، ومجرمون، وكلهم بشر، وهذا ما يجعلها تختلف عن أفلام السينما، ولو أن بطلها وهو معمر القذافي لا يمكن تصديق شخصيته إلا أنها من صنع الخيال... ولعل معمر القذافي هو أول من اعتمد كلمة خياله تعريباً لكلمة سينما، والخيالة مشتقة من الخيال... وقصص معمر القذافي أغرب من الخيال.

عذراً ليس للكتاب من مقدمة إلا هذه... وبعد قراءته ستجدون أن الكاتب كان على حق عندما اختصر المقدمة قناعة وصدقاً.



الفصل الأول

قصة ثورة 17 فبراير

- شهادة المفجر فتحي تربل
- الأديب المسماري
- 15 وليس 17
- المرأة الليبية في الثورة
- ثورة؟ أم دعوة للإصلاح؟ أم
- رواية د. محمد المفتي
- بني غازي تضم كل ليبيا
- ثورة طرابلس
- الثوار يمحون اسم العظيم عن لائحة النهر الصناعي



قصة ثورة 17 فبراير

لو أنك سألت أي ليبي مهموم بشؤون وشجون وطنه، متى بدأت الثورة ضد معمر القذافي، لما تردد في القول: أنها بدأت منذ 30 أو 40 سنة، هي عمر القهر الذي مارسه معمر علينا، وكنا يجب أن نثور لوقفه عند حده وقتها.

فكل ما جرى بعد ذلك في ليبيا هو مفتاح ثورة شعبية شاملة، على مستوى القهر والقمع لكل فئات ومناطق الشعب الليبي وطيلة 40 سنة.

ومع هذا السبب المباشر لأي أمر ويكاد يكون في كل يوم سبب مباشر، لاندلاع الثورة الشاملة. وأن تكون بني غازي هي السبب والساحة والميدان والشعلة... فهذا أمر بديهي لمن يعرف ليبيا ومعاناتها مع هذا الطاغية، ولمن يعرف كراهيته الشديدة لهذه المدينة، ولمن يعرف المحاولات التي اندلعت ضده منها، سواء بثورات شعبية أو بمحاولات اغتيال، أو بخروج عليه في أشكال عصيان هنا واقتحام لمؤسسات هناك.

كان القذافي يرد دائماً بمزيد من القهر والقمع، وليست عملية إسقاط طائرة بني غازي المدنية على خطورتها وفكرتها الجهنمية، وليست جرائم حقن الأطفال بالإيدز إلاّ جزأين من نماذج صارخة مرعبة.

كانت الحرب سجالاً بين معمر وبني غازي وأهلها، ولعل المفارقة التي تسجل لوطنية هذه المدينة وأهلها أن بداية ثورة الخلاص الوطني جاءت جزءاً من تداعيات جريمة القذافي ضد نزلاء سجن أبو سليم في طرابلس، وفيه قتل 1270 إنساناً من كل أنحاء ليبيا (راجع وقائع هذه الجريمة في مكان آخر من هذا الكتاب).

حاول القذافي شراء سكوت أولياء الذين سقطوا في هذه الجريمة وكانت بني غازي له بالمرصاد. فكثير من أبناء هذه المدينة الثائرة رفضوا الحصول على ديّة تعويضاً لأبنائهم المظلومين الذين قتلتهم عصابات عبد الله السنوسي عديل معمر، وأحدهم صرخ في وجه أعضاء اللجنة التي جاءت تعرض عليه المال تعويضاً: أنا ابني أهم من أي أميركي دفعتم لأهله 10 ملايين دولار تعويضاً عن قتله في جريمة إسقاط طائرة الـ«بان أميركان» فوق لوكوربي، صرخ الحاج الليبي: ابني لا تقدرون حتى دفع ثمن دمه... لن أرضى عن حياته كنوز الدنيا ولو كان 100 مليون دولار.

أكثر أهالي المعتقلين لم يصدقوا أن أولادهم قتلوا في هذا السجن، فتمت عام 2007 إقامة دعوى قضائية للبحث عن مصير المفقودين، من سجناء أبو سليم وأوكلت القضية للمحامي عبد القادر غوقة (هو أول متحدث إعلامي باسم المجلس الانتقالي الوطني الليبي الذي تأسس بعد انطلاق ثورة 17 فبراير 2011).

شهادة المفجر فتحي تربل

لكن الذي ساهم بتأسيس رابطة شهداء سجن أبو سليم والمتحدث الرسمي باسمها أمام المنظمات الحقوقية والإعلام الخارجي هو المحامي فتحي تربل.

وفتحي تربل من مواليد بني غازي 1972، انتسب إلى كلية القانون وتخرج محامياً بعد سنوات طويلة من الانقطاع، نتيجة لقضائه فترات متقطعة في سجون الطاغية، فقد اعتقل تربل خمس مرات خلال الفترة من 1991 حتى 1998.

ولنترك المحامي تربل يتحدث عن انفجار ثورة الشعب الليبي ومقدماتها المباشرة كما رواها في حديث مع جريدة «رؤية» الليبية التي صدرت بعد الثورة، في عددها تاريخ 3/ 6/ 2011.

«كنت أحد المؤسسين لرابطة شهداء سجن أبو سليم، والمتحدث الرسمي باسمها أمام المنظمات الحقوقية والإعلام الخارجي. بدأ الأهالي بالتواجد بشكل مكثف، ولكن كان ذلك داخل أروقة محكمة شمال بني غازي. إلى أنْ جاء يوم 8/ 6/ 2008 قرر الأهالي الاعتصام خارج المحكمة، وبدأ الاعتصام بشكل منظم وأحياناً في مسيرات. بدأتُ رحلة الكفاح ضدَّ النظام بعد إقامة دعوى قضائية ضد الدولة، للكشف عن مصير هؤلاء المفقودين والاعتصام كل يوم سبت. وبدأت معها رحلة المضايقات الأمنية لهذه الاعتصامات وأنا شخصياً تعرضت للمضايقات. حيث عملت حوالى خمسة أجهزة أمنية، على تطويق ومحاصرة أهالي الضحايا أثناء الاعتصام. حاولت هذه الأجهزة رصد الناس التي كانت تتعاطف وتقف مع أهالي الضحايا، حيث يتم استدعاؤها والتحقيق معها وحتى تهديدها بالقتل. هذا إلى جانب الانفراد ببعض الأسر وممارسة الضغوط عليهم. بتقديم الإغراءات - وإنْ لم يكن بشكل مباشر -، حيث قامت بعض الأجهزة الأمنية بالحديث مع شيوخ قبائلهم، ومحاولة إقناعهم بقبول الدِّية المعروضة. وفي المقابل سيتم حلَ أيِّ مشكلة لديهم، فالبعض تمّ إغراؤه بإرسال أبنائه للدراسة بالخارج أو توفير

سكن أو مرتّب أو فرص عمل. ولكن تمّ رفض هذه الدّية من أغلبية أسر الضحايا. بعد بدء الحركات الاحتجاجية بدأ التضييق علينا، واستدعاء شقيقي الأكبر وبعض أقاربي وشيوخ القبيلة التي أنتمي لها، وتخييري بين السكوت عنْ هذه القضية وأخذ المال أو النفي خارج بني غازي. وبعد يوم 20/ 08/ 2009 وفي أول سبت بعد هذا التاريخ قلتُ إنّا لن نبارك ولن نعترف بسيف الإسلام كمنسق عام للقيادات الشعبية، حتى تكون قضية أبو سليم أولى اهتماماته. بعد ذلك تم استدعائي في طرابلس من قبل سيف الإسلام، وكان النقاش يدور حول مواضيع عدة، استغليت الفرصة، وتحدثت عن الانتهاكات التي حصلت في السجون السياسية، وتكلمت عن تجربتي أنا في السجن وحالات القتل العمد التي كانت تحصل أمامي وقضايا إنسانية أخرى. شيئاً فشيئاً بدأت هذه الحركات الاحتجاجية تكسب تعاطف الرأي العام في الخارج، وأصبحت تنظم وقفات احتجاجية في أوروبا وأميركا. قام عبد اللّه السنوسي مدير الاستخبارات العسكرية بمحاولةٍ لضرب هذه الاحتجاجات وتشويش الصورة أمام الإعلام الخارجي، بتكوين رابطة (كي لا ننسى) وهم مجموعة من الذين قُتِل آباؤهم وإخوانهم في مواجهات مع مجموعات مسلحة في فترة منتصف التسعينات. وكل يوم سبت نعتصم فيه نجد أعضاء من هذه الرابطة أمامنا، ومعهم لافتات وصور من أرشيف الأمن الداخلي تصور وجوه وأجساد ذويهم المقتولين في المواجهات. ويرددون جمُلاً معيّنة ضد أهالي ضحايا سجن أبو سليم تصفهم بأهالي الزنادقة، أيضاً هم مزودون بالأعلام الخضراء وصور القذافي. وكانوا لا يتوانون عن استفزازنا للاشتباك معنا، حتى تأتي قوة مكافحة الشغب فيكون هناك مبرر لاعتقالنا. في يوم 17/ 04/ 2010 قام المدعو مفتاح عقيلة البدري بملاحقتنا من مكان إلى مكان حاملاً صورة والده، وبدأ يتلفظ بألفاظ فيها نوع من التحرش بالأهالي وكنّا نحاول المحافظة على سلمية احتجاجاتنا، فكنّا نعمل على تجاهله وتغيير مكاننا حتى لا نشتبك معه ونعطي مبرراً لاعتقالنا. فتقدم مسرعاً نحوي شاهراً سلاحاً أبيض (ساطور) وضربني مما أدى إلى نزيف برأسي وكان المخطط بأن يقوم بقتلي وتنتهي باعتبارها قضية جنائية، وعند توجهنا لمركز الشرطة لتقديم البلاغ، فوجئنا بأنه قد قُدّم بلاغ ضدنا معدّ سلفاً قبل وقوع الحادثة.

بعد ثورتي تونس ومصر بدأ الخناق يزداد على نظام القذافي، قام بفتح قناة للحوار بين أفراد من أهالي الضحايا - باستثنائي شخصياً - وبين عبد اللّه السنوسي، حيثُ قام

بإعطاء بعض المزايا ليصرف أهالي الضحايا وعدم إعطاء مبرر لتواجدنا مع الشارع يوم 17 فبراير.

في يوم 15/ 02/ 2011 تم اعتقالي عند الساعة 3:30 بعد الظهر، جاءني للبيت حوالى 20 شخصاً من الأمن الداخلي وكان على رأسهم حسين الشرع. أخذوني لمقر الأمن الداخلي في بوهديمة ومن ثم لمديرية الأمن العام عند الساعة التاسعة ليلاً. عند نزولي كان المكان مطوقاً برجال الأمن المدججين بالسلاح. فطلب مني أحد الواقفين القدوم إليه - ولم أكن أعرفه - حيث عرف بنفسه وقال أنا عبد اللّٰه السنوسي، أول كلمة قالها لي إلى أين تريد توصيل هذا الموضوع؟ فأخبرته: «أريد توصيله للقضاء وأن أعرف من قتل أبناءنا؟». وهكذا استمر هذا الجدال معه لمدة ساعتين. واختزل خطابه بتهديد عنيف لي ولأهلي. بعد سماعي لهتاف الأهالي أمام المديرية طلبتُ منه الخروج لتهدئتهم ولكنه رفض ذلك على أساس أني لست بطلاً، تم إطلاق سراحي منْ قبل عبداللّٰه السنوسي بناءً على اتفاقية أو معاهدة وهي: «استمرار الهدوء مقابل إيجاد تسوية لنا». وفي اليوم التالي التحم الأهالي ممن كانوا معتصمين أمام مديرية الأمن مع الثوار وأصدروا هتافات «الشعب يريد إسقاط النظام». في هذا اليوم كان عليّ الذهاب لطرابلس لمقابلة القذافي، ولكن أحد الزملاء تلقى اتصالاً من السنوسي وأخبره أنّ لا اتفاق بيننا، وبينكم وبيننا الحرب، كان ذلك ما حررني من المعاهدة. لأني خشيت من خرقها ويلقى عليّ اللوم من الأهالي، فخرجت لساحة المحكمة وأعلنت «الاعتصام الاعتصام حتى يسقط النظام». ومنذ ذلك الوقت ونحن أمام المحكمة أي في ساحة التحرير تعبيراً عن تحرير بني غازي وانطلاق ثورة إسقاط الطاغية».

الأديب المسماري

وكي تكتمل رواية بداية الثورة، نتابع ما حدث في الشارع بعد اعتقال المحامي تربل وهذه نسمعها على لسان الأديب الليبي المعروف المسماري (صاحب مطبوعة عراجين وهي عرجون النخل، قرط النخل).

يوم 15/ 2/ 2011 اتصل المسماري بمحطة «الجزيرة»، يروي لها ما يحصل في الشارع البني غازي، وفي لحظة الحديث الهاتفي مع الذي كان يشرح أن السلطات وعدت بإطلاق تربل ونحن الآن نتحرك سلمياً بالسيوف والعصي، صرخ المسماري من الألم

قائلاً أنهم يضربوننا الآن.

شاهد الملايين هذه الواقعة مباشرة وكان لها أثر فاق التصور لقد كان المسماري هو المسمار الأول في نعش النظام، ويجب أن نعترف أن هناك آلاف المسامير كانت تدق في هذا النعش خلال عقود عديدة، لكن مسمار المسماري على محطة «الجزيرة» كان له وقع آخر فقد دخل هذا المسمار كل وسائل الإعلام ليساهم في كشف حقيقة الثورة الشعبية الشاملة في ليبيا ضد الطاغية.

كان المسماري يعالج من إصابته بأيدي الأمن الليبي، وكانت زوجه التي حدثها البعض عن مواجهته عبر «الجزيرة» تسأله عن أحواله وهو يطمئنها بأنه في حالة طيبة. والطريف في الأمر أن الأمن الليبي سأل مسؤول الثقافة في السلطة الليبية نوري الحميدي عن وضع وانتماء المسماري فكان رأيه أن هذا الرجل (المسماري) هو رجل كحولي، أي يشرب الكحول ولا يمكن أن يشارك في تحريك ضد النظام خاصة إذا كان ذا طابع إسلامي نسبة لتحرك أهالي الذين سقطوا في سجن أبو سليم من الإسلاميين.

15 وليس 17

خرجت التظاهرات في بني غازي ليلاً بعد تطورات الوضع نهاراً أمام المحكمة وفي الشوارع، هتف المتظاهرون:

تـــوضي تـــوضي يـــا بـــني غـــازي   جـــاك الـــيـــوم الـــلي فـــيـــه تـــراجـــي

أي انهضي يا بني غازي وقد جاءك اليوم الذي تنتظرينه أو ترجينه.

كانت أجهزة الأمن قد جهزت نفسها لمواجهة الثورة يوم 17/ 2/ 2011 وهذا اليوم هو ذكرى التظاهرات التي اقتحم فيها أهالٍ من بني غازي القنصلية الإيطالية عام 2006 وأحرقوها احتجاجاً على مواقف صدرت في إيطاليا اعتبرت مهينة للإسلام وللرسول محمد عليه الصلاة والسلام. في 17/ 2/ 2006 خرجت تظاهرات من مساجد بني غازي متجهة نحو القنصلية الإيطالية فدخلوها وأحرقوا علم إيطاليا، تصدى لهم الأمن الليبي وأطلق عليهم النار فقتل عدداً منهم قيل إنه (10)، لم يتوقف المتظاهرون عند القنصلية بل أحرقوا عدداً من مؤسسات الدولة كمقرات اللجان الشعبية لكنهم تجنبوا الاقتراب من معسكر الفضيل الشهير خوفاً من شراسة عناصره، فاوضهم وزير الداخلية يومها

عبد الفتاح يونس (قتل على أيدي مجموعة مسلحة يوم الأربعاء في 28/ 7/ 2011) من خلال شيوخ القبائل فتم تسليم عدد من الشباب فاعتقلهم لفترة ثم أطلق سراحهم، ودفع تعويضات لأهالي القتلى والجرحى.

لكن الثورة انفجرت يوم 15/ 2، وبسبب اعتقال تربل وضرب المسماري. وتابعت الجماهير التحرك يوم 16/ 2 وكانت مفاجأة للأمن والنظام الذي كان جهز مرتزقته لمقاتلة الناس يوم 17.

المفاجأة الثانية التي واجهها نظام القذافي أن يوم 17/ 2 كان يوم خميس، وأجهزته ربطت بين تحرك الجماهير المصرية بعد صلوات الجمع التي تلت يوم 25/ 1/ 2011 ضد نظام حسني مبارك. وإمكانية تحرك الجماهير الليبية اعتباراً من الجمعة في 18/ 2/ 2011، وقد تواصلت التظاهرات في بني غازي وكل المنطقة الشرقية في ليبيا. (ووصلت إلى طرابلس بعد ذلك) أيام 15-16-17-18 حتى تحولت إلى ثورة شاملة طردت أجهزة النظام وقواته بقيادة ابن القذافي الساعدي الذي قيل أن عبد الله السنوسي قاد مجموعة عسكرية توجهت نحو معسكر الفضيل حيث كان الساعدي يقاتل ضد الناس ويطلق عليهم القذائف والرصاص وأنقذه وحمله إلى طرابلس.

المرأة الليبية في الثورة

وكما في ثورات سابقة في بني غازي شاركت المرأة الليبية في ثورة 15 فبراير/ شباط 2011 بنوعية وأعداد مميزة.

خرجت أستاذة الجامعة دكتور أمال عبيدي ابنة ضابط حر في الجيش الليبي في التظاهرات الأولى.

وخرجت السيدة دغيلي والشاعرة خديجة بسيكري وهي صحافية ورئيسة تحرير مجلة البيت، والمحامية الشابة سلوى بو قعيقيص.

سارت سيدات بني غازي وفتياتها الثانويات، والجميع بين سافرات ومحجبات اندفعن وسط التظاهرات يهتفن كما الجميع «الشعب يريد إسقاط النظام».

ونضال الفتاة الليبية ضد نظام معمر لم يبدأ في ثورة فبراير 2011، بل إنه بدأ باكراً، ومنذ دشن العقيد سلسلة إعدامات ضد طلاب ليبيا وبني غازي تحديداً... الذين قادوا تظاهرات 1976، وما تلاها من إعدامات عام 1977 (راجع شرحاً كافياً لما حصل في

جريمة 7 أبريل 1977 في مكان آخر من هذا الكتاب).

تقول السيدة جميلة خلاق (ابنة شقيقة وزير خارجية ليبيا الذي قضى في حادث إسقاط إسرائيل طائرته المدنية فوق سيناء عام 72 صالح بو يصير) في حديث مع مجلة «الليبي» نصف الشهرية، التي صدرت بعد الثورة الشعبية 2011 تاريخ 14 حزيران/ يونيو.

إن أول تمرد لها ضد نظام معمر، بدأ حين كانت في ثانوية بني غازي بالكتابات على الجدران وفي دورات المياه، أما في المرحلة الجامعية ففي كلية الاقتصاد وبعد صدور قرار نقل الكلية إلى طبرق واعتراضها مع زميلات لها منهن صوفيا بو دجاجة وسارة الشافعي... وتجاهل الاعتراض وبعد فشل النقل بدأ التحرك داخل الجامعة معتبرات أن فشل النقل هو مضر لنا.

كانت ثمانينات القرن الماضي هي أسوأ مرحلة من مراحل هذا النظام الفاسد، وقد كانت تسمع عن عمليات إعدام في معسكرات لضباط شرفاء ثائرين فشلت محاولاتهم ضده.

بدأ توزيع المناشير ضد النظام مع صوفيا وسارة دون أن يعرف أحدٌ حتى أهالينا، وكانت تشمل الجامعة كلها، وكنا نكتب على الجدران عبارات تجعل زبانية النظام يجنون من معلنيها مثل: أين الحرية يا كلب الصحراء؟ رداً على اللقب الذي كان يحمله فارس الصحراء. وأين الديمقراطية يا عفن؟ وقمت بصناعة سجادة أمام المدرج مكتوب عليها اسم معمر القذافي، وأغنية علم كنت أسمعها من أمي. (سيطر عليهم عفن أرجال العلم يا نوريرتي).

كان أمن القذافي في الجامعة يظن أن وراء توزيع المناشير والكتابة على الجدران واختيار العبارات، وتمزيق اللافتات التي كان الأمن يرفعها لدعمه، تنظيم قوي. ولم يتمكن من معرفتنا إلى أن أخطأنا بتمزيق اللافتات وكانت مراقبة من الأمن فتم اعتقالنا. واحتجزنا ثلاثة أشهر و16 يوماً وضربنا بشدة بسبب كلمة عفن التي وصفنا فيها القذافي.

ثورة؟ أم دعوة للإصلاح... أم

قبل أن نتحدث عن وقائع لا بد من توضيح أمر مرتبط بحركة الجماهير، وقدرتها على شق الطريق نحو تحقيق ما يعتمل في نفوسها من تراكمات الظلم والاستبداد الذي عاشت في ظله عقوداً حتى لو كان ظاهر أو دوافع تحركها لا ينبئ بكم من القهر الذي

يدفعها لأن تتحول واندفاعها ومتاجرها إلى فيضان يقتلع أمام سيله المعوقات سواء كانت جبلاً أو نظاماً أو سداً أو معمراً.

يخطئ من يظن أن ثورة الشعب الليبي بدأت يوم 17 فبراير أو 15 منه، ويخطئ أكثر من يعتقد أن الناس خرجت يوم 15 أو 17 لإسقاط القذافي أو إسقاط النظام.

رواية د. محمد المفتي

يقول دكتور محمد المفتي في مجلة «بلا حدود» التي تصدر نصف شهرية بعد الثورة في ليبيا، في عددها الثاني (17/ 6/ 2011).

روى لي الأستاذ حكيم والطيار زكريا بو نخيلة أنهما توجها يوم 17 فبراير للمحكمة، فوجدا 40 محامياً يقفون على سلم المحكمة رافعين لافتات تطالب بالدستور والعدالة الاجتماعية والحرية.... في وقت كان فيه الناس في شارع عمرو بن العاص يشتبكون مع رجال الأمن وهم يهتفون «الشعب يريد إسقاط النظام».

وحكى لي عبد العزيز مطاوع، أنه جاء للمحكمة عندما كان المحامون مجتمعين مع القذافي في طرابلس يوم 15 فبراير وأن العقيد أعطاهم موافقة على أن يعتصموا. كانت مطالب الشعب إسقاط النظام لكن المحامين كانوا يرددون لا... لا، الشعب يريد إصلاح النظام... وتطور الأمور جعل عبد الله السنوسي يتصل ببعض المحامين محتجاً بأن هذا لم يكن اتفاقنا.

ويقول حكيم - حسب رواية دكتور المفتي - إنه التقى بأحد المحامين الذي كان يرتدي ثوبه الأسود وكان متجهاً لمقابلة الساعدي القذافي في فندق تيبستي يوم 18/ 2/ 2011 وسأله ماذا تريدون؟ فردّ عليه الشعب يريد إسقاط النظام فقال المحامي مندهشاً: من جدّك! أي عن جد؟

ومع هذا كانت الثورة الافتراضية كامنة في نفوس الشباب، حاضرة عبر صفحات التواصل الاجتماعي، كانت غضباً مستقراً كماء يغلي منذ سنوات في مرجلٍ ضخم قابل للانفجار ناراً... عجلت ثورتا تونس ومصر وخلع زين العابدين بن علي وحسني مبارك بالخطى، خاصة وقد استشعر الشباب أن القذافي أظهر خوفاً غير مسبوق وهو يؤنب الشعب التونسي على ثورته ضد الطاغية زين العابدين.

لم يكن الشباب دون قيادة، فكل من كان أمام شاشة التواصل كان يرى أن هناك

من يقوده في التجاوب معه في دعوته للتحرك دون حواجز أو عقبات لا في الداخل ولا في الخارج، فالأداة أمامه شاشة التواصل تجعله ملكاً عليها وهو قائدها في الوقت نفسه.

دعوة للتحرك الميداني بل دعوات قابلها إطلاق الرصاص من جانب أجهزة الأمن... إذن هناك ما يستدعي إطلاق النار... إنه الخوف مضافاً إلى خوف قائدهم... وكل ما يحصل في ليبيا يستدعي استثمار هذا الخوف إلى الحد الأقصى...

رصاص في الشارع ضد متظاهرين... دفع الآلاف للنزول والتوجه إلى المحكمة شمال بني غازي حيث يجتمع محامون ونساء للمطالبة بإطلاق سراح المحامي فتحي تربل... تفاعل الجميع وصهرت النار التي واجهوها بصدورهم العارية وزغاريد النساء وإصرار الشباب وعزيمة الرجال فكرتهم السياسية لتنتج ائتلاف 17 فبراير ليقوم بدور تاريخي بين الشباب والمحامين لإدارة الصراع في لحظاته المباشرة الأولى... إلى أن تشكلت المجالس المحلية في كافة المدن التي كانت تتحرر تباعاً، لإدارة شؤون المدن والبلدات تحت إشراف الائتلاف... وصولاً إلى تشكيل المجلس الوطني الانتقالي كسلطة سياسية في 2/ 3/ 2011 وهو تتويج لخيارات الناس في مدنها وقدمت للمجلس أجيالها وشبابها ليقودوا المرحلة الانتقالية الأصعب في كل ثورات العالم من ميدان عمر المختار إلى ميدان جمال عبد الناصر مروراً بشارع عمرو بن العاص إلى ميدان الشجرة قرب البحيرة. اقتحم المتظاهرون مراكز السلطة والتسلط، بصدور الشباب العارية وقبضات النساء - وصراخهن، فسقط الشهداء أمام كل مؤسسة كان رجال القذافي يطلقون النار فيها على الجموع الثائرة حتى سقطت جميعها أمام إصرار وعناد وإيمان الثائرين.

صور معمر القذافي الكبيرة المنتشرة في كل مكان، المثابة الثورية، مركز دراسات الكتاب الأخضر، المثابة العالمية، مركز هدى بن عامر التي يكرهها أهالي بني غازي خاصة الذين شاهدوها تشد أقدام المشنوقين من شباب جامعاتها.

كانت محكمة بني غازي عنوان التحرك الدائم ضد القذافي وأبناؤها يذكرون وقفات عبد الحفيظ غوقة ومفتاح قويدير وفتحي تربل... وبعد نجاح الثورة تحولت جدرانها إلى مسرح عرضت على جنباته صور الذين قتلهم القذافي رجالاً وشباباً وأطفالاً ونساء، مدنيين وعسكريين، مثقفين وعمالاً...

بني غازي تضم كل ليبيا

ولكي نكون منصفين فإن بني غازي لا تضم فقط أبناءها فهي عدا عن كونها العاصمة الثانية التي تستقطب بمؤسساتها المختلفة أبناء المنطقة الشرقية، فإنها أيضاً مقر سكن وعمل وذكريات أبناء ليبيا كلها من طرابلس ومصراته وسبها والكفره والزاوية - وكل مكان في ليبيا أرسل تعبيراً عنه إلى هذه المدينة فشارك الجميع في ثورتها الباسلة.

كان حجم المشاركة الشعبية في الثورة كبيراً إلى درجة أعجزت أجهزة الأمن الليبية عن مواجهتها، رغم كثافتها في هذه المنطقة، ففتح العقيد سجون المنطقة كلها وأخرج مجرميها، وأصحاب السوابق ووزع عليهم السلاح، ومنح كل واحد منهم مبلغ 5 آلاف دينار كي يقتل من استطاع من المتظاهرين ويمنع تقدمهم نحو أي مؤسسة للنظام.

أحد رجال القذافي في الحلقة الأولى معه في المنطقة الشرقية عمر إشكال، تحرك في اللحظة الأولى وجمع فاعليات السلطة وطلب من كل مسؤول مؤتمر شعبي 50 عنصراً ليندسوا بين المتظاهرين، ووزعهم على سيارات لتدوس الناس وتسعى إلى تفريقهم.

كانت التوصيات قد وصلت إلى جماعات العقيد في بني غازي ثم في طرابلس، أن ادخلوا بين المتظاهرين، واهتفوا معهم ضد المؤتمرات الشعبية، وهذا الأمين أو ذاك، أما إذا وصل الهتاف ضد العقيد فلا ترحموا أحداً اقتلوا بالسكاكين، بالخناجر لإلزام الناس على التفرق.

كانت المعركة الكبرى هي يوم 20/ 2/ 2011 وهي معركة معسكر الفضيل، وهو داخل مدينة بني غازي، ويحمل اسم أبو عمر الفضيل أحد المجاهدين مع قائد ثورة ليبيا الأهم عمر المختار.

في هذا المعسكر مبانٍ عديدة للسكن والحرس والإقامات المدنية، والاستراحات، وعقد المؤتمرات، وكان القذافي وعائلته يسكن في إحدى استراحاته عندما يزور بني غازي.

كان المعسكر محصناً من جميع النواحي، وكان من فيه يحكم بني غازي والمنطقة الشرقية درنة والبيضا التي كانت سبقت بني غازي بالثورة وأرسلت إليها مساعدات مباشرة لنجدتها، مما كان له أثر مهم في تحرير المدينة من قوات القذافي في بني غازي.

كان إسقاط معسكر الفضيل هو بوابة تحرير بني غازي وكانت حراساته العالية تكشف جزءاً كبيراً من شوارع بني غازي فكان لا بد من اقتحامه بالسلاح. وقد توفر منه الكثير عند الشباب الثائر بعد أن جاءتهم النجدة من طبرق ودرنة والبيضا، وبعد أن سقطت مقرات القذافي داخل بني غازي بما فيها من أسلحة.

أدى الإسلاميون الذين كانوا في جماعات مختلفة ضد أجهزة القذافي طيلة عقدين من الزمان أدواراً بطولية في تحرير بني غازي وقد سقط منهم العشرات، حتى تمكن شباب بني غازي الأحرار من السيطرة على الفضيل... كانت الأغلبية التي نزلت إلى الشوارع لتقود الثورة هي من الشباب الوطني المستقل الذي لم يكن ينتمي إلى أي جهة حزبية سواء كانت دينية أو غيرها، علماً بأن الحياة السياسية في ليبيا كانت حكراً على مؤتمرات وجماعات العقيد ولجانه وأسمائه الغريبة.

عندما احتل شباب بني غازي معسكر الفضيل وجد داخلها عشرات القتلى مكبلين مربوطي الأيدي إلى الخلف. يقول شباب من بني غازي أنهم اكتشفوا داخل المعسكر نفقين، الأول طوله نحو 5 كلم يوصل إلى البحر، والثاني يوصل إلى عمارات الـ700.

ويقولون إن عدداً من أفراد الكتيبة خلعوا ملابسهم العسكرية واندسوا بين المتظاهرين وبعضهم اعتبره القذافي من الخلايا النائمة التي كان يوقظها بين الحين والآخر لتنفيذ عمليات ضد الثوار أو محاولات اغتيال أو تفجير سيارات مفخخة مثلما حصل أمام فندق تيبستي (مرتان خلال شهر واحد) وهؤلاء استند إليهم عندما أعلن قبل زحفه العسكري على بني غازي الذي أوقفه القرار 1973 الصادر عن مجلس الأمن أنه سيحركهم للانقضاض على الثوار.

وبسبب وعي الثوار وانضمام عناصر أمنية لهم وانضمام وزير الداخلية اللواء عبد الفتاح يونس، وكان سابقاً آمر قوات الصاعقة للثورة تم كشف أعداد كبيرة من مقاتلي القذافي في بني غازي.

والجدير ذكره أن القذافي كان تحدث عن أن الثوار أسروا يونس مطالباً بإطلاق سراحه متحدثاً عن إخلاصه وأخلاقه وثوريته، قبل أن يخرج اللواء عبد الفتاح للإعلام ليؤكد انضمامه للثورة على القذافي وراح الليبيون يرددون الأغنية التي قدمها مطرب ليبيا الأول محمد حسن وتقول كلماتها:

يا قائد ثورتنا على دربك طوالي

يا مخلي رايتنا مرفوعة في العالي

فأصبحت بعد الثورة:

يا قائد ثورتنا على قبرك طوالي

يا مخلي رايتنا ما يقبلها والي

يا موزع ثروتنا على تشاد ومالي

ووجهك على شكلك مثل الجيبالي (الحذاء)

ردد الثوار هذه الأهزوجة وهم في حالة نشوة غير مسبوقة، مستذكرين حديث الساعدي ابن القذافي الإذاعي وهو يعدهم إذا هدأت الثورة أن يجعل بني غازي جنة خلال ثلاثة أو أربعة أشهر، والبعض كان عندما استمع إلى حديث الولد من إذاعة المدينة يتساءل هل ما زال هذا الولد في مدينتنا، وهل هو فعلاً في مبنى الإذاعة، أو في إحدى زوايا معسكر الفضيل، أو هو هارب إلى فندق أوزو، أم أنه يتحدث من إحدى سيارات الموكب الذي جاء به عبد الله السنوسي لينقذ ابن زعيمه وضم 1500 مقاتل.

ثورة طرابلس

وهل يمكن أن نغفل دور طرابلس في الثورة؟

نزلت تظاهرات الناس في شوارع طرابلس ضد الطاغية وأبنائه نزول الصاعقة على معمر ومن حوله، وكان قد عاد لتوه من استعراض ليلي ركب فيه سيارة مكشوفة يحيي مرتزقة ليظهر نفسه قائداً للثورة الشعبية... ضده!!

كانوا بالعشرات يهتفون في شارع الجمهورية في العاصمة «بالروح بالدم نفديك يا بني غازي» وكان خبر قتل أمن القذافي لأربعة متظاهرين في العاصمة الثانية قد وصل الطرابلسيين.

كان مرتزقة القذافي بالآلاف في الشوارع فأطلق بعضهم النار على التظاهرة الصغيرة. فسقط 15 بين قتيل وجريح، أي أن ربع التظاهرة أصيب في أول مواجهة، وليس في الأمر غرابة فجنود القذافي وأولاده كانوا أكثر عدداً من أعمدة الكهرباء وشجر

الجوانب وعمارات الشوارع.

وكان مرتزقة العقيد يقودون سيارات (station) بسرعة جنونية، يظهرون السلاح من نوافذها ويدوسون قهراً كل من يقابلهم في الشارع، في غوط الشعال، الدريبي قرقارش، قورجي ويشتمون من يرونه على ندرة الظهور.

كان تهديد الفتيات علناً وبالكلام البذيء والإشارات الفاضحة... وعصابات المرتزقة تقتحم البيوت لتعتقل المئات في كل أحياء طرابلس، والناس على إصرارها بالخروج.

كانت المواجهة في الأيام الأولى حرب إبادة، خرج المصلون من جامع مراد في تاجوراء، وساروا نحو 25 كيلومتراً وكلما قطعوا مسافة تزايدت أعدادُ المتظاهرين إلى أن وصلوا إلى منطقة عرادة - والشرطة العسكرية خلفهم - من السرايا الحمرا خرج عليهم القذافي صارخاً إلى الأمام إلى الأمام... فخرجت إلى الجموع مجموعات قناصة العقيد لتطلق النار على الجموع وقد بلغوا الـ20 ألف متظاهر، فسقط أكثر من مئة قتيل... رفض أمن القذافي تسليم جثث القتلى لأهاليهم بل حملهم إلى ثلاجات وكدسهم فوق بعضهم، كان ينوي شراً فجاءه شر آخر، كان يريد معاقبة الأهالي كيف يسمحوا لأولادهم بالنزول إلى الشارع ضده، فلما طال انتظاره لمجيء الصابرين، كانت طائرات النيتو قد بدأت عملها بعد نحو شهر... فإذا به يخرج جثث الشباب الذين قتلهم ليعرضهم كأنهم ضحايا قصف طائرات الأطلسي.

في 20 فبراير خرج الأهالي في تظاهرات في شارعي النصر والجمهورية وفي مناطق فشلوم والمنصورة وقرقارش... وشاركهم شباب النجدة الذين خلعوا ملابسهم الرسمية وانضموا إلى التظاهرة الأهلية، وكان القذافي يعد كميناً جديداً لأهل طرابلس... حيث سرب جماعته خبر هروبه إلى فنزويلا للجوء عند صديقه هوغو تشافيز، فخرجت طرابلس عن بكرة أبيها إلى الساحة الخضراء للاحتفال بسقوط الطاغية، ولم يبقَ أثر على وجوده إلا وطالته يد التدمير انتقاماً وتشفياً من هذا المستبد المجنون، فتم تدمير لوحة الوثيقة الخضراء وإعلان سلطة الشعب، والمنصة التي يستعرض فيها العقيد قوته أمام العالم، ولم يبقَ في طرابلس صورة للعقيد بكل ملابسه وألوانها وأشكالها إلا ومزقت.

وفي غمرة الاحتفال بالنصر... خرج مرتزقة العقيد: قناصة، جنود، آليات، مضادات للطائرات. أطلق حاملوها كل ما يملكون من ذخائر فحصدوا 800 نفس بشرية ليبية،

وأصيب الآلاف.

كان قناصة القذافي متمترسين أمام بوابات العمارات وكل من كان يقترب من أي منها للهرب يتلقى الرصاص في رأسه وصدره وبطنه... ومن يهرب في اتجاه آخر يواجه المصير نفسه... حتى أن بعض المتظاهرين رمى نفسه في البحر عله ينجو.

كان معمر القذافي طاغية، فكانت الكراهية في نفسه أشد طغياناً، على كل ليبيا وشعبها المظلوم... ولم تنجُ مدينة أو بلدة أو قرية أو إنسان في ليبيا من هذه الكراهية، وهو كان يجرها ويرغمها على شرب مائه المالحة، ويغرقها في جوفه المدلهم، ويتلاعب بمصيرها عبر موجه المتلاطم، ولا تأمن سفينة صيد عبوره ولا ركاب أو سابحون أو ناظرون.

من طرابلس بدأ ثم بدأ الكراهية ضد بني غازي ثم نشر كراهيته في سرت هارباً إليها في جوف الأمن وجلاوزته.

في طرابلس أظهر الحقد على الرسول العربي الأكرم، وفي جامع مولاي محمد عام 1978، امتدح علمانية كمال أتاتورك، ونبذ السنّة النبوية، وطرح الكتاب الأخضر بديلاً لها.

عرف العقيد أن أهل طرابلس المؤمنين لن يرضوا بهذا التجديف، وهو يضمر لهم الشر جبالاً... تفجرت بتسوية مسجد سيدي حمودة بالأرض، وهو على أحد أطراف ميدان الشهداء، وهذا المسجد قيمة وطنية ومعنوية وتاريخية بالنسبة للطرابلسيين بل لكل الليبيين.

بعض الليبيين وصفوا تسوية هذا المسجد بالأرض... بأنه يساوي نقل ضريح عمر المختار في بني غازي من مكانه... كما هدم التحفة المعمارية الموروثة عن عهد الطليان المعتمدة كمجلس للوزراء في طرابلس.

في الساحة الخضراء التي أقيمت على أحزان هدم الجمال ليحل القبح وربثاً سفاحاً لها، أطلق معمر القذافي كراهيته للناس، صادر أملاكها، أذل نفوس رجالها، وأطلق العنان لمرتزقته بهتك أعراض النساء، ثم هدر كرامات الشباب وجرهم إلى احتفالاته ليهتفوا للقائد المفكر الملهم المتأله المتصابي المتراهق.

لم تنج ناحية في ليبيا من عدوانية معمر ونفسيته المريضة، ولن تمحو غياهب السنين ذكرى دماره لوطن وشعب ونفوس وتاريخ وحواضر...

ألا تؤشر كل هذه الموبقات إلى حتمية الثورة مهما كانت تضحياتها... لقد فعلها الليبيون وأزاحوا جبلاً عن صدورهم، أزاحوا الطاغية.

الثوار يمحون اسم العظيم عن لائحة النهر الصناعي

شطبت الجماهير الليبية الثائرة في شوارع بني غازي كلمة العظيم في كل لوحة جدار أو لائحة أو إشارة تحمل اسم النهر الصناعي، تعبيراً عن غضبها واستهزائها من هذه الصفة التي باتت في قاموس القذافي مرادفة لأعماله في كل مجال، فما هو هذا المشروع؟

اعتاد الإعلام الليبي إطلاق اسم مهندس مشروع النهر الصناعي العظيم، الأخ القائد معمر القذافي، منذ بداية عمل هذا المشروع عام 1984، لكنه منذ عدة سنوات توقف عن استخدام هذا الوصف ولم يعد اسم القذافي يرد في أي صلة مع هذا المشروع.

وقد فسر كثيرون هذا الإلغاء بأنه محاولة من العقيد لتجنب تحمل نتائج نضوب مياه هذا النهر، في وقت قريب، رغم أن القذافي كان يعلم قبل بدء المشروع أن الحد الأدنى لاستمرار استخراج المياه هو 50 عاماً قادمة.

اعتمد معمر القذافي شركة كورية جنوبية لإقامة هذا المشروع، في وقت يعرف فيه العالم كله أن كوريا الجنوبية تنفذ سياسات الولايات المتحدة الأميركية بنسبة 100٪ وأن مسؤوليها من رئيس الجمهورية حتى آخر موظف هم أصدقاء مخلصون لأميركا في وقت كان فيه الاتحاد السوفياتي حامياً لهذا النظام ويساعده عسكرياً واقتصادياً وأمنياً.

المشروع الليبي الذي تنفذه كوريا الجنوبية يعتمد على إمداد المياه عبر أنبوب واحد بينما كان الاتحاد السوفياتي عرض تمديدات من مكان النهر إلى كل المدن والنواحي الليبية عبر 3 أنابيب.

وهناك نظريتان حول جدوى هذا النهر الذي قيل أن تكاليفه لن تزيد عن 16 مليار دولار للمشروع بأكمله وها قد انتهت المرحلة الثانية منه حتى الآن، وبقيت المرحلة الثالثة وزادت تكلفته عن 27 مليار دولار.

النظرية الأولى تقول إن هذا النهر سيجف نهائياً بعد خمسين سنة من تاريخ عام 1990 أي عام 2040، حيث أن هذا النهر ليس نهراً جارياً وينابيع متفجرة ليتم تغذيتها من مصادر مختلفة كما الأنهر الضخمة المستمرة عبر التاريخ، إنما هو بحيرة محصورة في

باطن الأرض يتم تغذيتها بمياه الأمطار فقط وليست لديه مصادر أخرى.

ويستدلون على ذلك بأن عدداً كبيراً من الواحات حوله التي تأخذ اسمها أو صفتها من توفر المياه فيها تنضب مياهها سنة بعد سنة. وأنه في الوقت الذي كان فيه الحفر لأقل من متر للحصول على المياه بات يحتاج الآن الحفر إلى 14 أو 15 متراً للحصول على هذه المياه مما يدل أن عمليات نقل المياه عبر النهر إلى أنحاء ليبيا تسحب من مياه هذه الواحات.

النظرية الثانية تؤكد أن هذا النهر سيستمر بالتدفق لمدة 200 سنة وأن هناك نهرين: نهر صغير يجري الآن استغلاله ونهر كبير لم يتم استغلاله بعد وهما متصلان ببعضهما وعندما ينضب الأول يتم الاستعانة بالآخر.

ومع هذا فإن إعلام القذافي يصر على أن هذا المشروع هو أهم من مشروع السد العالي في مصر.

الفصل الثاني

شهادات حية عن شخصية معمر القذافي الشاذة وجرائمه

- الهوني وواقعة استقبال تيتو
- الزوي وواقعة استقبال الملك الحسن الثاني
- الفقيه وواقعة لقاء القذافي وبودغورني
- في فضيحة محاولة اغتيال محمد المقريف
- فضيحة محاولة اغتيال البكوش
- دعوة لطرد الشعب الليبي من أرضه
- إسقاط طائرة مدنية ليبية فوق طرابلس
- تشبيه
- قهر جماهير كرة القدم في طرابلس
- حديقة حيوانات المفكر معمر القذافي
- تصفية محمود نافع
- معمر يبيع النفط للمافيات
- حرس حافظ الأسد ينقذ معمر من محاولة اغتيال
- سيدة من درنة
- مأساة أحمد الزبير السنوسي

- جريمة قتل د. علي بن عروس
- توريط رسام الكاريكاتير محمد الزواوي
- عزل منشئ التاريخ الليبي الشيخ طاهر الزواوي
- مأساة عائلة التومي
- قصة سليمان شعيب مع القذافي
- محاولتان لقتل القذافي
- عبد الحفيظ وعبد القادر غوقة في مواجهات مع معمر
- إسقاط البان أميركان فوق لوكوربي
- الفارس الخامس
- القذافي يصفي الساحة الوطنية
- قصة عام 1980
- حردان التكريتي في طرابلس ناصحاً
- معمر القذافي يحقن أطفال بني غازي بالإيدز
- خطف منصور الكيخيا
- لا نجومية

شهادات حية
عن شخصية معمر القذافي الشاذة

الهوني وواقعة استقبال تيتو

شهادة من شريكه في ثورة الفاتح الرائد عبد المنعم الهوني وقد رافقه منذ نجاح الثورة في 1/ 9/ 1969 حتى تخليه عن النظام ولجوئه إلى مصر عام 1975.

يقول الهوني إنه عام 1970 جاء الرئيس جوزيف بروز تيتو في زيارة رسمية إلى ليبيا، وتيتو كان واحداً من أبرز قيادات العالم الثالث مع جمال عبد الناصر، وجواهر لال نهرو أبلغنا مندوبو القيادة في المطار أن طائرة تيتو وصلت إلى محيط طرابلس من البحر، وأنها أخذت إذناً بالهبوط بعد أن رافقتها الطائرات العسكرية الليبية، وكان علينا أن نتحرك نحو المطار، لكن القذافي تلكأ في التحرك دون أي مبرر... فقط كان يجلس ولا يتحدث، يسرح أحياناً، ثم يلتفت إلينا واحداً بعد الآخر حتى أتانا اتصال يقول فيه مندوب القيادة في المطار الرسمي، أن وقود طائرة تيتو يكاد ينفد بعد أن طلبنا منها أن تجول حول طرابلس عدة مرات، ولم يعد ممكناً ألا تهبط وعلينا أن نكون في المطار لاستقبال الرئيس اليوغسلافي.

يتابع الهوني انتزعنا القذافي من كرسيه بالقوة وأصعدناه بالسيارة ومشى موكبنا نحو المطار تسبقنا الدراجات النارية، وطول الطريق من مقر القيادة إلى المطار كانت سيارة العقيد تسير بالتواء مثير ومحيّر، وكنا نتساءل عن سبب سير عربة القذافي بهذه الطريقة، إلى أن فوجئنا بسيارة شحن ضخمة تحمل أكواماً من الحجارة ووجدنا دراجات الموكب التي ترافق سيارة العقيد تهرب بعد أن اخترقتها سيارة العقيد، تصطدم ثلاثة منها بالشاحنة الضخمة، ثم يشتعل جانب منها فيقتل ثلاثة دراجين وننهمك نحن في إطفاء الحريق ومحاولة إنقاذ المساكين دون جدوى. في اليوم التالي، قررت أن أترك هذا المجنون وأن أعود إلى مدينتي جنزور لأبتعد عن هذه الحالة الشاذة، لكن صديقيّ محمد المقريف (رحمه الله) والخويلدي الحميدي جاءاني وعملا على إقناعي بالعودة إلى طرابلس لأمارس دوري كما كان، قائلين لي نحن بأمسّ الحاجة لنكون سوية معه حتى لا نتركه يتصرف بهذه السلوكيات الغريبة. فأقنعاني بالعودة حتى نبقى معاً.

الزوي وواقعة استقبال الملك الحسن الثاني

ويروي أمين مؤتمر الشعب العام في جماهيرية القذافي، أي رئيس الجمهورية في بلاد العالم الأخرى، أن العقيد معمر القذافي دعا الملك المغربي الحسن الثاني بمناسبة احتفالات ليبيا بذكرى الفاتح من سبتمبر العشرين (1989) وأن الحسن الثاني جاء إلى ليبيا بحراً في باخرة كبيرة جمع فيها معظم أركان الدولة المغربية، وحتى نجليه مولاي محمد (الملك محمد السادس الآن) ومولاي رشيد، حتى أن كثيراً من المغاربة انتقدوا الملك على هذا الحشد الذي جمعه معه للذهاب إلى ليبيا ومع افتراض حصول أي مكروه لباخرة الملك ووفده الكبير فإن هذا كان سيترك فراغاً كبيراً في المغرب يصعب ملؤه. وكان تبرير هذه الرحلة بهذه الضخامة أن الملك كان يريد تعزيز علاقته مع القذافي ليتراجع هذا الأخير عن دعم البوليساريو التي ترهق المغرب في حرب ضروس تستنزف جزءاً كبيراً من ميزانية المغرب. وصلت باخرة الملك تقله ووفده إلى ميناء طرابلس، وكان من المفترض أن يتوجه القذافي إلى الباخرة لاستقبال ضيفه الكبير أو على الأقل أن ينتظره عند المرفأ.

رست باخرة الملك المغربي في المرفأ الليبي، في انتظار مجيء معمر والأخير غائب وسفير ليبيا في المغرب محمد أبو القاسم الزوي كان في الباخرة لمرافقة الملك المغربي يجامل الملك ويحادثه ويبرر له التأخير بأن القائد في مطار قريب يستقبل عدداً من الرؤساء والملوك القادمين من كل بلاد العالم للمشاركة في احتفالات الفاتح، مضى نحو ساعتين والملك ينتظر وصول معمر القذافي حتى جاء الأخير بعد طول انتظار وتعمّد أن يصعد الباخرة وحوله حشد كبير من جماعاته وكلهم من الأمن الليبي وما أن تعانق الملك والعقيد حتى امتلأ المكان بجماعة الأمن الليبي الذين أحدثوا جلبة وضجة، ضاع فيها الملك المغربي وسط الزحام، وتلقى مولاي محمد (الملك محمد السادس) لكمة على بطنه وسط الزحام واضطر وزير الداخلية المغربي إدريس البصري المرافق للملك ووزير آخر معه إلى حمل مسدسيهما والبحث عن الحسن الثاني بين جموع الليبيين.

الفقيه وواقعة لقاء القذافي وبودغورني

ويروي الأديب الليبي د. أحمد إبراهيم الفقيه هذه الواقعة التي سمعها من القذافي مباشرة، فيقول:

خلال وجود القذافي ووفد معه في موسكو للقاء المسؤولين السوفيات. التقى مع رئيس الدولة السوفياتية يومها نيقولاي بودغورني، ومع أن السلطة الفعلية في الاتحاد السوفياتي كانت عند الأمين العام للحزب الشيوعي السوفياتي، لا عند رئيس الوزراء ولا عند رئيس الدولة، فإن العقيد حرص على لقاء بودغورني وكجزء من ترتيبات الزيارة.

خلال جلسة العمل بين الوفدين الليبي والسوفياتي، استأذن العقيد أن يدخن سيجاراً... على غير عادته لأن القذافي لا يدخن. وإن كان ينفث أحياناً لفافة تبغ أو أكثر كل عدة أيام أو أسابيع. أذن بودغورني للعقيد ومن معه أن يدخنوا، قائلاً إنه توقف عن التدخين منذ فترة بأمر من الأطباء... لكنه يتشوق دائماً لرائحة التبغ المشتعل ويتلذذ بذلك.

يروي القذافي أنه تناول سيجاراً كوبياً غالي الثمن وأشعل طرفه، وبات بعد كل مرة يسحب فيها نفساً من سيجاره الكوبي يتعمد أن ينفث دخانه في وجه بودغورني. حتى بات كل الحضور منتبهين إلى أن القذافي كان يتعمد ذلك ويتلذذ في إيذاء بودغورني والسخرية منه.

لكأن القذافي يقول لمن معه أنه يستطيع أن يهين رئيس أكبر دولة في العالم... دون أن يشعر بأي إحراج أو أن يعمل حساباً لأحد.

في فضيحة محاولة اغتيال محمد المقريف

محاولة اغتيال رئيس جبهة الإنقاذ الليبية د. محمد المقريّف وهو معارض للقذافي، هذه فضيحة الفضائح.

إذ إن مجموعة من اللجان الثورية والاستخبارات الليبية توجهت إلى القاهرة، ومنذ دخولها إلى الأراضي المصرية صورتها الاستخبارات وزرعت بين أفرادها عميلاً مزدوجاً، وكانت الاستخبارات تسجل بالصوت والصورة كل ما يدور في غرفهم، في الفندق الذي نزلوا فيه، كما تمكنوا من دخول غرفهم واستبدال الرصاص الحي في مسدساتهم برصاص صوت «فشنك».

هذه المجموعة هاجمت مقر الجبهة حيث كان المقريّف يعقد اجتماعاً وكانت الاستخبارات قد أعلمته بكل ما سيجري وطمأنته إلى أن كل الأمور تحت السيطرة. وهكذا دخلت هذه المجموعة فهاجمت الحرس وأطلقت عليهم «الرصاص» ثم اقتحمت

مكان اجتماع المقريّف وأطلقت الرصاص عليه.

وبعدها ألقت القوى الأمنية القبض على هذه المجموعة. الجدير ذكره أن كل أحاديث هذه المجموعة موجودة كوثائق لدى الاستخبارات في مصر، والمضحك أنهم كانوا يسخرون من الاستخبارات المصرية وبأنهم دخلوا البلاد واستقروا فيها لأيام ولم تكتشف الاستخبارات وجودهم، وهم لا يدرون أن كل تحركاتهم مرصودة منها وكل جلساتهم مصورة منذ دخولهم وإلى حين خروجهم ومعهم مسدساتهم «الفشنك».

فضيحة محاولة اغتيال البكوش

قرر معمر القذافي اغتيال رئيس وزراء ليبيا السابق عبد الحميد البكوش، الذي كان لجأ إلى مصر فكلف مجموعة أجنبية من المرتزقة (ألمان) لاغتياله لكن هذه المجموعة اتصلت بالاستخبارات المصرية وأطلعتهم على مهمتها في مصر فطلبت منهم الاستخبارات الاستمرار بالعملية. بعد أن وعدهم القذافي بأنه سيسلمهم 2 مليون دولار عند انتهاء العملية بنجاح في مالطا. فنسقوا مع الاستخبارات المصرية التي أمنت لهم رسم سيناريو اغتيال البكوش، فالتقطت الصور للبكوش وهو مرمي على الأرض والدماء على صدره، وأخذت هذه المجموعة الصور وسلمتها للقذافي وقبضت المال، وتبلغت الأجهزة المصرية أنها استلمت المال من القذافي وكانت هذه إشارة كي يعقد وزير الداخلية المصري، مؤتمراً صحفياً وكان إلى جانبه عبد الحميد البكوش نفسه وتم الإعلان عما حدث منذ دخول المجموعة المكلفة بالاغتيال لحين مغادرتها مصر وتسلمها للأموال في مالطا. كانت مهزلة والمهزلة الأكبر كانت في أن أجهزة الإعلام الليبية واللجان الثورية كانت أعلنت تصفيتها لكلب من الكلاب الضالة. لكن بعد كشف الفضيحة رد معمر القذافي بسيناريو مفبرك آخر، هو أن الناطقين باسم اللجان الثورية طلبوا من القائد (القذافي) أن يسمح لهم باغتيال البكوش لكنه رفض، إلا أن هذه اللجان أحبت أن تقوم بهذه التمثيلية التي انطلت على الاستخبارات المصرية، وصدقوا أننا نريد أن نغتال البكوش!!!

يريدها حمراء

في إحدى خطبه، وبعد أن شعر معمر القذافي بأن جمهور الحضور لا يتجاوب معه في مواقفه التي يعلنها، رغم التحريض الذي يستخدمه، ورغم أن المدعوين يتم

تحتهم دائماً في مثل هذه اللقاءات بتلقينهم الشعارات التي يرفعونها، والهتافات التي يرددونها أمام القائد. فإن القذافي راح يصرخ في الناس: أنتم بلداء، لا تهتمون بالثورة، لأنها جاءتكم على طبق من ذهب، كانت ثورتنا بيضاء لم يرق فيه دم، ولو كانت ثورتنا ثورة ترنسا ملطخة بالدماء لحافظتم عليها، وتمسكتم بها وتحولتم إلى ثوريين حقيقيين.

كان يمنن الناس بأن الثورة جاءت بيضاء، وهذا أمر لم يعجبه، وهو يريدها حمراء ملطخة بالدماء... فقد كانت الدماء تستهويه، وكان يسعد كلما جاءه خبر تصفية معارض ليبي، أو شاهد صورته وهو مضرج بدمائه.

دعوة لطرد الشعب الليبي من أرضه

ليس هناك مَن لا يتذكر أن معمر القذافي هدّد الليبيين بأنه سيطردهم إلى الصحراء ليعيشوا فيها ليستحقوا العيش وسط الذئاب والأفاعي والعقارب لأنهم كسالى، وأنهم سيجلبون المصريين والتوانسة يعملون في أرضهم التي يستحقون العيش فيها.

كان معمر يجد نفسه أكبر من ليبيا والليبيين، وأنه كثير عليهم وأنه خلق كي يحكم العالم، ولم يكن حقده مقتصراً على الشعب الليبي، فهو مارسه ضد المصريين الذين تعددت مرات طرد الآلاف منهم من ليبيا وهم القادمون للعمل والإعمار، والتدريس والمعرفة، وكذلك فعل مع أبناء تونس، أما أحقر ما فعله ضد شعب عربي فهو طرده للآلاف من أبناء فلسطين بعد توقيع ياسر عرفات اتفاقية أوسلو مع العدو الصهيوني في 13/9/1993 أرسلهم نساء وأطفالاً ورجالاً إلى الحدود المصرية، وتركهم عالقين في الصحراء، ليمر عليهم صيف قائظ بثعابينه وعقاربه، وشتاء بارد قارس صحراوي لم يتركهم دون الأمراض والموت صقيعاً.

إسقاط طائرة مدنية ليبية فوق طرابلس

على أحد جدران المثابة الثورية في بني غازي، وهي أحد مقرات اللجان التي تشرف عليها الاستخبارات التابعة للقذافي، التي كانت تحكم بني غازي بالحديد والنار كتب الجمهور الليبي الثائر ضد القذافي بعد أن أحرق الثوار المقر عبارة (من جرائم الطاغية تفجير الطائرة الليبية في 22/12/1992-157 شهيداً) وهو تاريخ تفجير طائرة لوكربي الشهيرة.

ولم يعد في ليبيا من لم يعرف أن معمر القذافي أمر بنسف طائرة مدنية تحمل 157 إنساناً بين ركاب ومضيفين وملاحين - كانت في طريقها من مطار بني غازي إلى مدينة طرابلس العاصمة.

لماذا؟

لأن القذافي أراد أن يتهم الغرب بأنه هو الذي نسف هذه الطائرة، رداً على تأكد الغرب سياسياً وإعلامياً وأمنياً بأن الاستخبارات الليبية هي التي فجرت طائرة الـ «بان أميركان» فوق بلدة لوكوربي الاسكتلندية التي قتل فيها 270 إنساناً من مختلف الجنسيات ومعظمهم من الأميركان فضلاً عن مزارعين وسكان في البلدة الاسكتلندية.

من أجل محاولة إبعاد التهمة عن جماعته، ومن أجل زعم المقايضة بين نسف طائرة مدنية هنا وأخرى هناك فجر القذافي الطائرة المدنية الليبية ليقتل 157 إنساناً بريئاً.

القذافي أمر بتفجير الطائرة والذي أعد الخطة هو عديله عبد الله السنوسي (الاثنان مع ابن القذافي سيف الإسلام مطلوبون للمحكمة الجنائية الدولية لاتهامهم بارتكاب جرائم ضد الإنسانية في ليبيا).

السنوسي هو الذي جاء بعبد الباسط المقرحي وهو ضابط في جهاز استخبارات السنوسي كي يضع المحفظة التي تحمل المتفجرات في الطائرة الأميركية، انتقاماً لما يعرف بالغارة الأميركية على ليبيا في نيسان/ أبريل 1986.

وعلى ذمة شهود ليبيين كما نقل عنهم رواة ثقات فإن عبد الله السنوسي وموسى كوسى كانا في مطار بني غازي قبل إقلاع الطائرة المدنية المنكوبة، واطّلعا على أسماء الركاب وراقبا الصاعدين إلى الطائرة ليتأكدا أن أحداً من معارفهما أو أصدقائهما أو أقربائهما لن يكون بين الركاب ليبعداه.

وعندما اكتشفا أن عائلة قريب من أحد زبانيتهم علي مرسي الشاعري بين الركاب منعوها من السفر، وقيل إن وزيراً في ليبيا هو إبراهيم بكار طلب من ابنه السفر من بني غازي إلى طرابلس براً دون ركوب الطائرة بعد أن أبلغه السنوسي أن هذه الرحلة محفوفة بالمخاطر، ففهم خطورة الأمر وأبعد ابنه عن السفر جواً.

فيما بعد قتل بكار في حادث سيارة كان يقودها وداهمتها شاحنة حطمت سيارة الوزير السابق.

وحرص السنوسي وكوسى على تغيير طاقم الطائرة بعد أن تبين أن بينهم من كان

متعاوناً معهم وبعضهم أقرباء لجماعاتهم... وفي سماء طرابلس انفجرت الطائرة المدنية الليبية بأيدي الاستخبارات الليبية.

تنبيه

- أعطيت الرحلة من بني غازي إلى طرابلس الرقم 103 وهو الرقم نفسه لطائرة بان أميركان التي أسقطت فوق لوكوربي.
- الاستخبارات الليبية التي وضعت محفظة محملة بالمتفجرات على متن الطائرة المدنية الليبية تنفجر بركابها، خشيت إذا انفجرت في غير توقيتها أو في مطار طرابلس أن تصيب جماعاتها في المطار، فقررت أن تلجأ إلى أسلوب آخر وهي أن يتم تفجير الطائرة من الجو بواسطة طائرة عسكرية ليبية.
- لقد تم تبديل طاقم الطائرة الأصلي كله، وقد تبين أن صهر وزير الخارجية يومها علي عبد السلام التريكي وهو من جماعة القذافي هو قائد الطائرة، فقادها مكانه الطيار علي الفقيه وقد قتل ضمن مَن سقط في الطائرة المنكوبة.
- زعم القذافي بعد إسقاط الطائرة أنها سقطت بسبب انعدام قطع غيار فيها، إثر الحصار الغربي الذي منع استيراد القطع ضمن الممنوعات الواسعة.

في توكيد بأن بذرة الشر والعنف كانت قوية في نفس وعقل وسلوك القذافي باكراً جداً، يقول زميله في مجلس قيادة الثورة الرائد عبد المنعم الهوني أن القذافي طلب منه كوزير للداخلية أن يتخلص من صحافي لبناني كتب في بيروت مقالاً انتقد فيه معمر بقسوة، وقال القذافي للهوني يجب أن نتخلص من هذا الصحافي مثلما تخلص عبد الناصر من كامل مروة.

استهولت الأمر - يقول الهوني - وقال إن هذا الأمر سيجعل ليبيا الثورة تخسر لبنان، الذي يحبك وأنت شاهدت كيف زحف اللبنانيون إلى مطار بيروت الدولي عام 1970 لاستقبالك، وكيف صفقوا لك، فلا تخسر هذا الشعب العظيم الذي يحبك بلحظة غضب.

ظننت أن مرور الأيام سينسي العقيد هذا الأمر بعد أن يتراجع غضبه، لكن معمر انتهز فرصة وجود فصائل فلسطينية وأحزاب لبنانية في طرابلس ليطلب منها أن تخلصه من هذا الصحافي وبعض أعضاء هذا الوفد المشترك عرج على الهوني ليبلغه طلب

العقيد... فثار الهوني وقال لهم أبداً... هذا إنسان، وليس حشرة أو دابة يتم التخلص منها.

لقد أقنعته بالهدنة، وأننا يمكن أن نقرص أذن الصحافي دون أن نؤذيه.

بعد أيام انفجرت سيارة الصحافي في بيروت وهو لم يكن بداخلها، فغضب القذافي وكان يريد أن يسمع أنه قتل...

يقول الهوني كان الحقد المرضي مسيطراً على معمر باكراً وبالمناسبة يقول الهوني: إنه سأل مدير مكتب جمال عبد الناصر سامي شرف إن كانت الاستخبارات المصرية وراء قتل رئيس تحرير وصاحب جريدة «الحياة» الصحافي كامل مروة، فنفى ذلك وقال أقسم بالله أن مصر لم تكن على علم بهذه الجريمة، لا الأمن ولا السفارة ولا أي مسؤول مصري، وكل ما في الأمر وفق تحقيقاتنا التي أجريناها أن إبراهيم قليلات، وكان يحب جمال عبد الناصر كثيراً كلف جماعته للتخلص من مروة لأنه حسب رأي إبراهيم كان عدواً لعبد الناصر وكان يشتمه في جريدته ويتناول سياسته بالنقد الشديد.

قمع جماهير كرة القدم في طرابلس

1988، في ملعب 11 يونيو في طرابلس احتشد آلاف الليبيين من مشجعي كرة القدم ينتظرون مباراة فريقهم القومي مع الفريق الجزائري الوطني لتصفيات كأس العالم عام 1990.

تبلّغ الجمهور المتحمس أن القذافي أمر بإلغاء المباراة والانسحاب لمصلحة الفريق الجزائري.

لم تصدق الجماهير أول الأمر، وازداد التوافد على الملعب المكتظ، وازداد التوتر العصبي بين الحضور، وكلما لاح خيال من مخرج اللاعبين ومدخلهم هتفت الناس، دون جدوى فلم يحضر أو ينزل لاعب إلى المستطيل الأخضر.

نزل شابان أرض الملعب وتبادلا القذف بزجاجة ماء فارغة حتى أدخلها أحدهما المرمى فهتفت الجماهير فرحى، وتطورت الفرحة إلى صراخ لا إله إلا اللّٰه والقذافي عدو الله... حطم الجمهور الكراسي ونزلوا الملعب ليصبح ساحتهم، حاول بعضهم إشعال النار في النجيل دون جدوى لأنه مصنوع من عشب صناعي يصعب تفاعله مع نار عادية.

هجموا إلى منصة الشرف حطموا زجاجها، اقتلعوا المقاعد الخشبية، أضرموا النار في كل ما يمكن إشعاله ازداد الهياج واندفعت الجموع خارجاً نحو المدينة، قابلتهم

عناصر الأمن كل منهم يركع على رجل واحدة في حركة استعداد لإطلاق النار، الذي انهمر غزيراً، سقط البعض وتفرّق آخرون نحو الساحة الخضراء عن طريق قورجي ومنهم من توجه إلى حي قدّح المجاور للملعب.

كان الجنود يطلقون النار على أجساد المتظاهرين الغاضبين وهؤلاء يردون بإلقاء ما توفر بين أيديهم من حجارة وركام. فسقط بين 10 و20 قتيلاً أشهرهم أمهر سباحي ليبيا واسمه جلول ومعه أحد أفراد عائلته.

في الساحة الخضراء زادت غزارة الرصاص الحي على الناس فتفرقوا في كل اتجاه.

لم ينشر أحد خبراً عن هذه المجزرة... وحده معمر القذافي خرج ليقول: إن الشعب الذي يثور على نفسه يستحق القتل، وأمر بإلغاء الدوري الليبي لسنوات.

حديقة حيوانات المفكر معمر القذافي

تبدأ هذه الغرائب بقراءة العبارة التالية:

افتتح المفكر معمر القذافي حديقة حيوانات غابة النصر في طرابلس وهي عبارة كتبت فوق لوحة رخامية عند مدخل هذه الحديقة الطرابلسية.

كان معمر القذافي ينذر الليبيين دوماً بالموت، مردداً في خطبه أن كل هذه الحدائق والملاهي والعمارات والمشاريع والجسور زائلة لأن قطار الموت سيأتيكم... وكان يقصد بذلك إسرائيل.

لذا زرع شواطئ الساحل الليبي كله بالألغام تحت عنوان تحصين الشواطئ الليبية من الأعداء، والهم الأكبر الذي يواجه العهد الجديد في ليبيا هو إزالة هذه الألغام بالملايين على طول مئات الكيلومترات.

وقيل إن ابن عم العقيد سيد قذاف الدم يحتفظ بخرائط هذه الألغام، ويؤكد هذه المعلومة الأديب الليبي أحمد إبراهيم الفقيه وأنه طلب من سيد هذا الأمر فأكد له أنها محفوظة.

وبمناسبة الحديث عن الغرائب وسيد، فإن هذا الأخير كان مدمناً شرساً على الكحول، (وعندما يشرب سيد يتحول إلى إنسان شرس قليل الأدب يصرخ ويضرب)، وهو يشربها منذ لحظة مغادرته سرير النوم صباحاً، وأن القذافي كان يعرف عادة سيد السيئة هذه، وقد تعمد أن يعينه سفيراً فوق العادة في مصر في عهد حسني مبارك. لكي

يتسلى بحوادث تروى عند زيارة سيد للرئيس المصري. منتظراً أن يشكو مبارك سلوك سيد فيضحك القذافي.

وعندما جاء سيد قذاف الدم إلى القاهرة. وكان عليه تقديم أوراق اعتماده إلى وزير الخارجية يومها دكتور عمرو موسى، حاول مرافقوه أن يأتوه باكراً قبل أن يشرب الكحول، لكنهم وجدوه قد شرب حتى التعتعة قبل حضورهم صباحاً.

توجهوا إلى وزارة الخارجية وسيد قذاف الدم يصرخ ويضحك ويضرب في السيارة الدبلوماسية، وعندما دخلوا الخارجية وجدوا عمرو موسى يعقد اجتماعاً طارئاً، ويبدو أنه كان أبلغ عن سلوك سيد قذاف الدم. فخرج من الاجتماع وتوجه نحو سيد وتسلم منه أوراق الاعتماد ثم هرول عائداً إلى الاجتماع المزعوم قبل أن ينتبه سيد إلى ما جرى.

يعيش سيد شقيق أحمد حالياً مقعداً، إثر إصابة قدميه في انفجار سيارة حديثة كان يجربها في معسكر كان يشرف عليه ولم يعرف إن كان هو المقصود أم أحد قادة المعسكر من الضباط الكبار.

تصفية محمود نافع

أنت محمود عبد السلام نافع؟

نعم.

هيا معنا؟

يأخذ الأمن الليبي المحامي الشهير من منزله إلى السجن، ليبقى فيه نحو سنة ونصف... لا يكلمه أحد، ولا يسمع إجابة من أحد إذا تكلم.

وبعد ذلك يسمع سؤالاً ثانياً: أنت محمود عبد السلام نافع؟ فيجيب نعم.

هيا معانا.

يعود نافع إلى منزله... ثم يغادر إلى لندن حيث زوجه بريطانية فيعمل لتأمين معيشته بترجمة قوانين العمل والاستثمار في ليبيا إلى الإنجليزية كي يفهمها الإنجليز بعد أن أمر القذافي بمنع اعتماد لغة إلا العربية.

يجمع نافع مبلغاً من المال ويقرر أن يهاجر إلى أستراليا، لشراء مزرعة صغيرة يمضي فيها بقية حياته بالاتفاق مع زوجه...

ولأنه كان ينفذ بعض الترجمات للدولة الليبية فقد عاد إلى طرابلس ليقبض

مستحقاته من بلده، فلما حصل عليها وغادر إلى لندن ليجهز نفسه للذهاب إلى بريطانيا
قُتل في العاصمة لندن.
وما هي التهمة؟
إنه أثناء عمله كمحام اهتم بترتيب أمور اليهود الليبيين الذين غادروا ليبيا، واعتماد
المسائل القانونية التي تضمن حقوق الليبيين الذين سكنوا عقارات اليهود المهاجرين
بأمر القذافي نفسه.
شهرت أجهزة أمن وإعلام القذافي بالرجل، وكان قرار اللجان الثورية بقتله، باعتباره
من الكلاب الضالة!!
وكان زميل نافع في تولي هذه القضايا أيضاً عبد المجيد القعود وهو من جماعة العقيد،
تمت ترقيته وأصبح وزيراً ويشرف على مؤسسات اجتماعية واقتصادية كبيرة في البلاد.
قيل لأن نافع كان من البعثيين العراقيين المعروفين في ليبيا... قبل الثورة.
المحامي التهامي، هو أحد الذين تم تكليفهم من قبل الدولة الليبية، بالدفاع عن
الملك إدريس السنوسي أثناء محاكمته بتهمة الفساد.
قام التهامي بدوره على خير ما يرام كمحامٍ لأن مهمة الرجل القانونية والمهنية أن
يدافع عن موكله، علماً بأن القذافي هو الذي سمّاه للدفاع عن الملك.
بعد المحكمة... اختفى التهامي... فلما التقاه زملاء له بعد سنوات سألوه... أين
كنت مختفياً... فقال: وراء الشمس ثم روى حكايته والابتعاد عن الجميع.

معمر يبيع النفط للمافيات

كان معمر القذافي يبيع النفط خارج اتفاقية منظمة الأوبك، بواسطة مافيات عالمية
تسيطر على مساحة واسعة من تجارة النفط، وكانت هذه العصابات تدفع أثمان النفط
التي تقدأ، وكان العقيد يحتفظ بالمال الذي تحمله هذه المافيات بالحاويات (مستوعبات
- كونتينرز) في أماكن مختلفة من المناطق التي كان يثق بأهلها ويجند شباباً منهم في
حراساته الأمنية وأجهزته القمعية.
وعندما اندلعت الثورة وبدأ الحصار يضيق على نظام العقيد، تبين أن كل مصاريفه
التي يحتاجها ويشتري بها المرتزقة يتم دفع مستحقاتها بالدولارات أو اليورو لأنه بات
يفتقد الدنانير الليبية.

وكان القذافي أنشأ في الثمانينات شركة برئاسة منصور أبو النيران تعمل خارج إطار مؤسسة النفط الرسمية، ووفر لها العقيد حقول نفط وميناء، وأنابيب تمتد من الحقول إلى الميناء.

استمر عمل منصور أبو النيران عقدين من الزمان، وفي منتصف العقد الأول من القرن 21، تولى سيف الإسلام إدارة شؤون النفط، وفق أقوال وزير الصناعة الذي انشق عن العقيد مع بداية الثورة فتحي شنوان.

كانت ميزانية مؤسسة واحدة في ليبيا صورة عن طريقة وأسلوب صرف مستحقاتها في قضية المؤسسات.

100 مليون دولار كانت ميزانية شركة النقل البحري وفق أقوال مدير شؤونها المالية والإدارية عمر المعمراني، لم يكن يصل منها إلى الإدارة سوى مليون دولار فقط تدفع رواتب للموظفين، وكان باقي المبلغ يحول إلى خزائن القذافي وأبنائه.

ولم تكن الرواتب تصل صافية إلى جيوب الموظفين، وقد أحصى الليبيون ضرائب لا تحصى تسرق من رواتبهم حاجاتهم الأساسية.

فعند قبض كل موظف ليبي لراتبه يجد أن ديناراً يحسم للجهاد، وآخر يحسم للنهر الصناعي، و15 ديناراً قفص دجاج (في سنوات الحصار فرض القذافي على الليبيين تربية الدجاج كي يوفروا غذاءهم منه من اللحم والبيض).. 200 دينار يحسم من كل موظف ليبي قادر على حمل السلاح ثمناً له.. على أن تظل قطعة السلاح وديعة عند الدولة ضريبة دعم الإسعاف.

دينار ضريبة لم يكتب حولها أي صفة.

حرس حافظ الأسد ينقذ معمر من محاولة اغتيال

ربما كانت مجزرة جامعة قار يونس في بني غازي التي ارتكبها القذافي في هذه المدينة، أبرز مدخل للحديث عن عداء هذا الحاكم لهذا القسم المهم من الشعب الذي يحكمه بالحديد والنار وتحديداً إن كان حقده شاغل كل مواطن ليبي طيلة عقود من تسلطه.

محاولات عدة جرت بعدها في هذه المدينة (راجع وقائع هذه المجزرة في مكان آخر) ضد معمر القذافي، أبرزها محاولة الشاب اقتحام المنصة التي جلس إليها مع ضيوفه ومنهم الرئيس السوري حافظ الأسد في إحدى المناسبات.

سبق حركة الشاب المسلم هتافاته الله أكبر وبيده خنجر يريد أن يطعن فيه صدر القذافي وهو يقترب منه بسرعة، لكن حرس الأسد كانوا الأسرع في إطلاق النار على الشاب فخرقت الرصاصات جسده وتركته صريعاً قبل أن يلمس أي أذى في جسد القذافي.

لم تكن هذه أولى المحاولات في بني غازي، ولم تكن وحدها كافية كي يظهر القذافي حقده عليها، وقبل أن يفجره في عز سطوته في قضية حقن 450 طفلاً من بني غازي بالإيدز وتلفيق التهمة إلى 5 ممرضات بلغاريات وطبيب فلسطيني. وإن كانت آخرتها في الثورة الشعبية الجارفة في 17 فبراير ودائماً انطلاقاً من هذه المدينة الباسلة. (فضيحة حقن أطفال بني غازي بالإيدز في مكان آخر من هذا الكتاب). وعندما عرضت السلطات الليبية على أهالي المعتقلين الذين قتلتهم في سجن طرابلس المركزي عام 1996 دفع تعويضات مالية تصل إلى 100 ألف دولار عن كل قتيل (مجزرة سجن أبو سليم في مكان آخر من هذا الكتاب) رفض أهالي القتلى في بني غازي رفضاً قاطعاً قبول أي تعويض عن قتل أبنائهم، ونصبوا خيماً في طول بني غازي وعرضها، وأمام كل دار سقط منه قتيل على يد السلطات الليبية، رفعوا لافتات كتب فوقها اسم القتيل وسنه مع صورة كبيرة له كتب تحتها اسمه وتاريخ اختفائه دون اعتراف بمقتله.

هذه الواقعة حدثت عام 1996 وقد نجا منها فقط السجناء الذين ظلوا داخل زنازينهم يرفضون الخروج منها إلى الباحة حيث قتل كل من كان في الباحة الرئيسية للسجن وعددهم 1270 سجين ليبي بعضهم أصحاب رأي وسجناء عاديين وسياسيين ينتمون إلى مختلف التيارات السياسية.

وكان ضمن الناجين حفيد السفير والوزير الليبي السابق عبد القادر غوقة الذي أمضى في السجن 17 عاماً لاتهامه بأقوال تظهر اعتراضه على السياسة الليبية.

وقد دخل شقيقه الأصغر السجن منذ عدة سنوات بسبب ضبطه يخاطب موقعاً للقاعدة يعرض فيه الذهاب إلى العراق للقتال ضد الاحتلال الأميركي.

ونحن لا نبالغ في استمرار الحديث عن هذا المناضل، إذا ذكرنا أن ابنه نقيب المحامين في بني غازي عبد الحفيظ غوقة هو الناطق الرسمي باسم المجلس الوطني الانتقالي الذي أعلن ثوار ليبيا إنشاءه في طريقهم لإسقاط نظام القذافي كما أن حفيدين لغوقة انخرطا في قتال كتائب القذافي في أجدابيا ورأس لانوف.

سيدة من درنة

إنها سيدة من درنة... أرملة، اعتقلت أجهزة أمن القذافي ابنها، دون ذنب يذكر، فقط لمجرد الشبهة أو حتى دون عناء الشبهة، إذ يكفي أن يقرر جهاز أمني أن يظهر الإرعاب حتى يطلق لعناصره العنان لإخافة الناس.

توجهت الأرملة إلى زوج معمر القذافي صفية فركاش تروي لها مأساتها، فطلبت صفية من المرأة انتظار مجيء القائد.

وما أن وصل معمر القذافي إلى دار صفية حتى ارتمت المرأة المسكينة بين يديه وركعت حتى كادت تقبل قدميه. وهي تذرف الدموع وتولول بصوت منخفض طالبة الرأفة بابنها وإطلاقه.

سألها القذافي بنبرة عالية: كم ولداً عندك؟ فلما أجابته بأن لديها أربعة أولاد... ردَّ القذافي: يا حرمة ربِّي الأولاد الثلاثة كويس... وانسي الرابع. ثم أمر بإخراجها من داره.

لم تيأس أم الصبي، فذهبت إلى منزل عديله رجل الاستخبارات المرعب عبد اللّٰه السنوسي لشرح قصتها لأخت زوج العقيد، فطلبت منها انتظار بعلها عبد اللّٰه السنوسي، فلما عاد إلى منزله شرحت له من جديد قصة ابنها، فقال لها هذه مسألة خارجة عن إرادتي، لأنها عند القائد... ومن حسن حظك أنه قادم للغداء عندي، وعند مجيئه اشرحي له قصتك.

جاء العقيد ليستمع ثانية إلى مأساتها... وبعدها نظر إلى عديله ضاحكاً: افرجوا عنه يا عبد الله.

مأساة أحمد الزبير السنوسي

هو الآن عضو المجلس الانتقالي الليبي، وقبل ذلك كانت صفته المعروفة أنه صاحب أطول مدة سجن في العالم فقد دخل سجن القذافي عام 1970، ولم يخرج منه إلا عام 2002.

كان ضمن أوائل البعثات العسكرية التي أرسلها الملك إدريس السنوسي إلى العراق للحصول على رتبة وخبرة عسكرية من البلد الذي كان أول من أنشأ جيشاً حديثاً في البلاد العربية.

والسنوسي ينحدر من أسرة عريقة كبيرة، وكانت عمته زوجاً للملك إدريس السنوسي، ومع هذا فقد تم نفيه من البلاد وإخراجه من الجيش الليبي، إثر جريمة قتل ذهب ضحيتها مدير الديوان الملكي، وكان القاتل هو أحد أبناء الأسرة السنوسية.

عاد السنوسي إلى العراق منخرطاً في الجيش العراقي من جديد، ويرتقي أحد المراتب العالية فيه. ولم يعد إلى بلاده إلا بعد العام 1968، وقبل الثورة بسنة ولم يرغب بالعودة إلى الحياة العسكرية فعمل في التجارة وعندما قامت الثورة عام 1969 ألقي القبض عليه بسبب حساسية العقيد (ورفاقه) من الأسرة السنوسية، رغم أن الرجل كان مضطهداً في العهد البائد.

تحدث العقيد عن مؤامرة ضد الثورة، فاعتقل من ضمن المئات السنوسي وشقيقه راشد.

أمضى راشد 10 سنوات في السجن ثم خرج، أما أحمد السنوسي فبسبب عسكريته أمضى في السجن 32 سنة وقد حُكم عليه بالإعدام.

سجن أحمد الزبير السنوسي في زنزانة انفرادية، وكان ينتظر الإعدام في أي لحظة وكان كلما فتح باب زنزانته يقرأ الفاتحة وآيات من صغار السور حيث كان يظن نفسه متوجهاً إلى الإعدام...

لم يبلغه أحد أن حكم الإعدام خفض إلى 30 سنة، ولم يكن يسمح لأحد بأن يزوره، ولم يكن يرى أحداً، حتى سجانوه ما كانوا يكلمونه، وكان يقاوم الاحساس بالدعوة اليومية إلى الإعدام وفي أي لحظة بالسجود الطويل في زنزانته، وقد استعاد من تاريخ أسرته، الطقوس الصوفية التي تنحدر منها العائلة الكبيرة.

إنها سجدة استمرت 32 سنة، حتى فتح باب الزنزانة فظن أنه الإعدام، لكنه أخذ إلى إدارة السجن ليقول له كبير السجانين براءة... وكان هذا عام 2002 فخرج إلى الحرية وجلس في بني غازي، وعندما اندلعت ثورة 17 فبراير كان من أوائل قادتها...

جريمة قتل د. علي بن عروس

شاب ليبي كان يدرس الذرّة في الولايات المتحدة الأميركية، أنهى دراسته وعاد مع زوجه الأميركية وأولادهما إلى بلده حيث تسلّم عملاً في مركز البحوث العلمية في تاجوراء وسكن في بلدة مزدة.

بعد سنة من ممارسته عمله، تم إلقاء القبض عليه من قبل أجهزة الأمن الليبية، وكانت التهمة جاهزة:

لقد تعرّف علي خلال دراسته على عدد من الطلاب الليبيين الذين كانوا يدرسون

على حساب الدولة الليبية، فلما قطعت عنهم المساعدات بسبب انتقاداتهم للعقيد وتصرفاته تحولوا إلى المعارضة، وطلبوا من زميلهم علي أن ينضم إليهم فرفض، متفرغاً للدراسة ثم الزواج من أميركية وعاد إلى وطنه ليعمل ويبعد عن كل ما يشغله عن عمله.

أجهزة الأمن الليبية التي أحصت حركة المعارضة الليبية في الخارج اعتبرت أن د. علي كان جزءاً منها وعاد إلى طرابلس ليعمل ضد النظام، ولم يكن هذا صحيحاً بالمرة، فهو لو كان يريد المعارضة وهو يعرف أنها مستحيلة من الداخل لفضل أن يظل خارجاً في بلد زوجه أميركا حيث فرص العمل والحياة أفضل مئات المرات عنها في بلده.

حُكم على د. علي بن عروس بـ14 سنة سجناً... ودون أي مقدمات أخذ من زنزانته إلى المشنقة إلى رؤوس الطبل عند أولاد يوسف وعقدوا له مؤتمراً شعبياً وخطب الخطباء بأن هذا الرجل خائن يستحق الشنق.

رد أعضاء في المؤتمر الشعبي، بأن هذا الرجل هو وحيد أبويه، وإذا أصابه مكروه فإن والديه سيموتان قهراً وكمداً، ثم أعلنوا رفضهم تنفيذ حكم الإعدام، طالبين من أجهزة الأمن أن يكون تنفيذ هذا الأمر بعيداً عن دورهم.

فلما نقل رجال الأمن د. علي بعيداً، حذّرهم الأهالي بأن أولاد عمه صعدوا إلى رؤوس الجبال لينتقموا من الذين سيقتلونه...

بعد عدة أيام وُجد الذين تحدثوا بهذا التحذير قتلى، وتم شنق علي دون أي فرصة جديدة للدفاع عن نفسه.

توريط رسام الكاريكاتير محمد الزواوي

يعتبره الليبيون من أشهر رسامي الكاريكاتير العرب، قتل ابنه في سجن القذافي، بعد أن اعتقل بتهمة تكوين خلايا عمل إسلامي (سابق لتأسيس تنظيم القاعدة).

لم يتراجع نجل الزواوي عن معتقده رغم تدخل عضو مجلس قيادة الثورة الخويلدي الحميدي معه ومحاورته، في محاولة للبحث له عن مخرج، فقتل تحت التعذيب، كما قتل صهر الزواوي أيضاً.

كان محمد الزواوي يقيم معرضاً فنياً في تونس، مقيماً في فندق هيلتون - تونس ضمن فعاليات التبادل الثقافي بين ليبيا وهذا البلد الأخضر في عهد د. محمد مزالي.

خلال وجوده في تونس كان الزواوي يلتقي سفير ليبيا في تونس جمعة الفزاني،

رئيس حرس معمر القذافي عز الدين الهنشيري (يرد اسمه في مكان آخر في الكتاب حول أعمال العقيد الأمنية).

في أحد هذه اللقاءات سلمه الاثنان حقيبة ليحملها إلى الفندق، فأخذها الرسام بحسن نية رغم شعوره بثقل وزنها، وتوجه إلى فندق هيلتون وقبل أن يدخل غرفته قرر أن يعيد الحقيبة إلى صاحبيها، وما أن شاهداه داخلاً عليهما في السفارة حتى أظهرا دهشة تسلما الحقيبة وهما يلومانه بل ويكادان يشتمانه.

عاد الزواوي إلى مقر إقامته، وجلس برهة في ردهة الفندق، ليتقدم منه رجل تونسي مخاطباً إياه بكل أدب: حضرتك الفنان الليبي المعروف محمد الزواوي؟ فلما أجابه بنعم، طلب منه الرجل مصاحبته لدقيقة خارج الفندق ليحدثه في أمر هام، وما أن خرج حتى دفعه إلى مقعد سيارة خلفي كانت تنتظرهما على باب الفندق، وقبل أن ينطق بحرف واحد والدهشة صادرت الكلام من فمه، وضع مَن في جانبه في السيارة عصبة سوداء على عينيه، وساروا به مسافة غير طويلة، حتى وصلوا إلى مكان سار فيه هائماً وسط مرافقيه ليجد نفسه في مكتب وقد رفعت العصبة عن عينيه، وأمامه رجل عرَّف نفسه بأنه مسؤول استخبارات تونسي، أمر له بالقهوة وناوله لفافة تبغ، وبادره السؤال بلطف شديد: أستاذ محمد أين هي المحفظة التي كانت معك ودخلت بها فندق هيلتون، ولمن سلمتها؟

يقول الزواوي راوياً هذه الواقعة أنه ارتكب غلطة شديدة بنفيه ساعتها وجود أي محفظة معه متسائلاً بسذاجة أمام رجل الاستخبارات التونسي: أي محفظة؟

لم يدرك الزواوي مع مَن كان يتعامل ولم يكن يعرف شيئاً من أساليب الاستخبارات فبعد أن بادره الرجل ثانية بأن عليه أن يدلّه على مكان المحفظة، وهو ينفي وجودها، والرجل يتكلم بحسم بأن هذه المحفظة تحمل متفجرات ويمكن أن يسبب انفجارها كارثة في تونس. والزواوي ينفي، هجم رجل الأمن نحوه وضربه ضربة قاسية موجعة رمته أرضاً، وأمر رجاله بحمله خارجاً ليتوجه إلى السجن ليمضي فيه سنوات.

ماذا حملت المحفظة؟؟

يقول رئيس وزراء تونس الراحل محمد مزالي في مذكراته إن المحفظة كانت مخصصة لتفجير اجتماع مجلس وزراء الخارجية العرب في تونس.

عزل منشئ التاريخ الليبي الشيخ طاهر الزاوي

هو من أبطال معركة الهاني، وشاهد على بناء أول جمهورية ليبية وهو أحد أبطالها. منشئ التاريخ الليبي كتب ما لم يسبقه إليه أحد عن معجم البلدان معجم اللغة العربية. كان مقاتلاً فارساً في معارك الهاني والشط والهنشير وبو مليانة، مشهود له بركوبه الحصان أثناء القتال مدافعاً عن وطنه لم ينزل عنه إلا كي يستريح أو ليأكل.

أسس الجمهورية الطرابلسية الأولى في مدينة أم سلاقة سنة 1918 بعد غزو إيطاليا لليبيا بسبع سنوات 1911، واستمرت جمهوريته 4 سنوات وأجهضها تسلم الفاشيست للسلطة في إيطاليا حيث هجموا على الجمهورية وألغوها عام 1922.

نزح الشيخ طاهر إلى مصر ليتابع دراسته في الأزهر الشريف، فكان أول من ألف كتباً في التاريخ الحديث عن ليبيا، وعن جهاد الأبطال... وأبرزهم عمر المختار...

كان الشيخ طاهر عالماً جليلاً، معارضاً للملك إدريس السنوسي وعندما بلغ من العمر عتيًا حنَّ إلى وطنه، فجاءه العفو الملكي فعاد إلى ليبيا قبل الثورة بأشهر قليلة.

قامت ثورة الفاتح في 1/ 9/ 1969، فاتصل به أعضاء مجلس قيادة الثورة، لإعادته إلى مكانته التي يستحقها في الحاضر الليبي. وأعطوه منزلاً ومضيفة وراتباً يليق به، وطلبوا تأييده، ساعين للحصول على مباركته للثورة فأيدها... ثم أصبح مفتياً للديار الليبية وله مقر في دار الإفتاء.

لكنه كان أول من اختلف مع معمر القذافي بعد تأميمه ممتلكات الليبيين، فخطب عبر الإذاعة في شهر رمضان كما اعتاد في الأشهر السابقة حيث كانت الناس تستمع إلى فتاويه، مقدِّرة مكانته وتاريخه وسمعته وتديّنه.

أفتى الشيخ طاهر بحرمة اغتصاب أملاك الناس باسم التأميم، معتبراً الأمر مخالفاً للشريعة الإسلامية، وكان خطابه مباشراً وعبر البث الحي دون أي تسجيل للثقة الكاملة التي كانت فيه، خاصة وأن البساطة كانت تقود سلوكيات العقيد ومجلس قيادة الثورة، فلم يكن أحد ليظن أن تأتي من جانب الشيخ طاهر أية مشكلة.

استوعب العقيد مشكلة الشيخ طاهر، وهو يومها لم يكن يجرؤ أن يمدّ إلى الشيخ الجليل يد السوء... روجع الشيخ بكلامه علّه يتراجع عن فتواه فلم يقبل أي تهاون.

وفي رمضان التالي لم تعد الناس تستمع إلى كلمات وفتاوى وتوجهات الشيخ طاهر، بعد أن ألغي برنامجه، وانزوى أبو ليبيا الثقافي والمعرفي والجهادي، بالدار وحكم السن بعد أن بلغ الـ90 من عمره حتى توفاه الله عام 1980.

رفض القذافي نشر أي نعي له في أي وسيلة إعلامية، ولم يذكر اسمه في أي نعي أو عزاء أو مسجد، والوحيد الذي علم بوفاته من خارج أسرته هو صديقه الشيخ علي المصراتي، الذي علم من ابن الشيخ طاهر، فأعلم بعض أصدقائه بالأمر ليقوموا بواجب العزاء...

مأساة عائلة التومي

إنها رواية عائلة بشير التومي وأولاده الثلاثة يوسف، وصلاح وعادل... في طرابلس.

مات والدهم وتولّت الوالدة تربيتهم، وكأولاد متحمسين رفضوا الالتزام بالتجنيد الإجباري الذي فرضه القذافي على طلاب المدارس الإعدادية الثانوية، فقد كان بعض المدربين الساديين يمارسون مرضهم على الطلاب الشباب، فتحولت مادة التدريب إلى ساعات عذاب لا ينجو منها أحد.

هرب أولاد التومي من هذا الواقع المرعب ولأنهم أيتام هربوا أيضاً من دارهم وتسكعوا في شوارع المدينة، وشكّل هربهم الدائم مأساتهم التي فضحت عناصر التعذيب وشكله وإرهابه في نظام القذافي.

في إحدى جولات دوريات الأمن اعتقل يوسف وكان الأكبر، حيث اتهم بأنه يتناول المخدرات أو الحشيش أو يفتعل مشاكل في الشارع وكان هذا الأمر ظالماً له، لأن والدته التي انصرفت إلى تربيتهم كانت عاجزة عن توفير المال كي تعطيه لأولادها وبالتالي فكيف يمكن لأحدهم أن يشتري المخدرات.

المهم بعد فترة اعتقال جاءه أحد رجال الأمن كي يعرض عليه إخراجه من السجن مقابل أن يعمل مع الاستخبارات الليبية لتنفيذ عمليات في الخارج ضد أعداء القائد والثورة. قالوا له ستذهب إلى حيث نكلفك بقتل معارض ليبي ثم تعود إلى حريتك. لم يكن بيد يوسف أي إمكانية للاعتراض فوافق كي يخرج من السجن لينفذ أمر رجل الأمن الليبي.

تم تدريب يوسف على تجهيز المتفجرات التي سيستخدمها لقتل الهدف المقصود، وبعد استكمال التدريب أرسل إلى أثيوبيا حيث يروي السفير الليبي السابق في أديس أبابا خليفة بازيليا (توفي) ما الذي حصل فيقول إن يوسف وعدداً من رفاقه كانوا يجهزون عبوة ناسفة في أحد الفنادق، فانفجرت بين أيديهم وقتلوا جميعاً عام 1985.

كان هدف العملية الانتقال من أثيوبيا إلى الخرطوم لزرع عبوة ناسفة في الخرطوم في حي شعبي لبث الرعب في نفوس الناس علّها تقلبهم ضد نظام جعفر نميري الذي دخل القذافي في حالة عداء شرسة ضده دفعته لتدبير عمليات عديدة ضده، أبرزها في صيف 1976 حيث كان الهدف غزو الخرطوم من قبل جماعات محسوبة على ليبيا لإسقاط نميري.

شقيقا يوسف صلاح وعادل كان نصيبهما مختلفاً، فقد اعتقل الشقيقان وأرسلا إلى مستوعبات في طرابلس أعدّت لسجن مصابين بالإيدز، ومعتقلين وغيرهم، هنا تبدأ المأساة.

فقد عمد ساديو القذافي إلى تعذيب المعتقلين بضربهم بآلات حادة كانت تجرح أجسادهم فتسيل الدماء منها، وكانت هذه الآلات تصيب أجساد معتقلين مصابين بمرض الإيدز، فتختلط دماء المصابين بدماء الأصحاء وتنتج عن هذا إصابة الشقيقين بالإيدز، توفي صلاح التومي ليلحق بشقيقه، ثم أصيب أخيه عادل ليموت بعد فترة... وخسرت عائلة التومي ثلاثة أولاد لحقوا بوالدهم تاركين والدة مسكينة صابرة مظلومة.

قصة سليمان شعيب مع القذافي

يقول الرائد عبد المنعم الهوني، إن العقيد معمر القذافي كلّمه كي يأخذ سكرتير مجلس قيادة الثورة للشؤون العسكرية والأمن عنده سليمان شعيب في الأمن، وأن يسلمه وظيفة عند بوابة الوزارة يحصي الداخلين والخارجين، في تعمد إهانته وهو كان عقيداً في الجيش كان يتسلم تقارير الاستخبارات والجيش ليعرضها على قيادة الثورة.

سلم شعيب نفسه للهوني بعد تبلغه أمر نقله، ليسأله الهوني عن سبب إبعاده، فروى التالي قائلاً: جئت إلى مكتب المجلس بعد ظهر يوم خميس حيث بدأت عطلة عمل في الإدارة، ليستمع إلى ضحكات نساء من غرفة القائد (معمر)، فسأل سكرتير العقيد (اللواء) أحمد المقصبي عن سر هذه الضحكات، ومن هنّ هؤلاء النسوة، فردّ المقصبي:

هذا ليس من شأنك.

تشاجر شعيب مع المقصبي وضربه، فخرج العقيد من مكتبه ليجد سكرتيره يشكو شعيب، فشرح شعيب المسألة، فرد القذافي... صحيح هذا ليس من شغلك.

ردّ شعيب سيدي القائد... أنت لست ملك نفسك أنت ملك الشعب الليبي، ولا يجوز التباسط مع النسوة.

يقول الهوني إنه سأل معمر في اليوم التالي عن حقيقة الرواية، وإنها إذا كانت حقيقية فهي ليست لصالح معمر ومكانته.

فردّ معمر أن المسألة أكبر من هذا، فقد عاد شعيب إلى منزله يوماً، وشاهد زوجه تشاهد برنامجاً يعرض خطاباً للعقيد عبر المرئية الليبية، ناهراً زوجه القريبة من زوج القذافي صفية فركاش قائلاً: يكفي تخريباً هنا وهناك وأقفل الجهاز.

يقول معمر إن زوج سليمان نقلت هذه الواقعة لزوجه قريبتها صفية، والأخيرة نقلت ما حصل إلى العقيد، فوجدها فرصة للتخلص من شعيب ورقابته.

خطة لقتل القذافي ستقتل معه الأسد ومبارك

رتب رئيس سابق للجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا. دكتور محمد المقريف أكثر من محاولة لقتل معمر القذافي كادت إحداها لو نجحت أن تسبب عاصفة موت عربية بقتل ثلاثة رؤساء دفعة واحدة.

يقول عنه معمر القذافي إن هذا الرجل بيني وبينه الرصاص، لأنه حاول أن يقتلني.

ويروي القذافي كيف حاول المقريف قتله فيقول: إن المقريف هو من جماعة حزب التحرير الإسلامي الذي ينتشر في عدد من البلاد العربية والإسلامية، ويدعو لإقامة الخلافة الإسلامية، وقد جنّد عدداً من جماعته وأرسلهم إلى القاهرة لشراء السلاح من سوق السلاح المصري الخاضع للرقابة الأمنية المصرية إلى حد كبير. وأن الأجهزة المصرية راقبت عدداً من الليبيين أتوا إلى مصر اشتروا الأسلحة وكانوا ينقلونها إلى ليبيا وقد ظنت السلطات المصرية أول الأمر أن هؤلاء يهرّبون السلاح إلى مصر للقيام بعمليات إرهابية ضد الدولة، فتم رصدهم. ولكن هؤلاء كانوا بنية نسف القاعدة العسكرية في طبرق التي تحمل اسم جمال عبد الناصر أثناء اجتماع قمة بين القذافي وحافظ الأسد وحسني مبارك. [كانت الخطة أن ينسفوا قاعة الاجتماع في القاعدة ليقتلوا القذافي أساساً ومن

معه لكن السلطات المصرية ضبطت الخطة واعتقلت المتآمرين ونجا القذافي والرئيسان المصري والسوري الراحل].

الخطة الثانية لقتل القذافي

أرسل دكتور محمد المقريف مجموعة من الليبيين المدربين على السلاح لاقتحام ثكنة العزيزية التي يقيم فيها معمر القذافي وسط حراسة شديدة من أقاربه وأبناء عمومته وقبيلته في طرابلس، جاء هؤلاء من تونس وأخذوا سيارة أجرة أوصلتهم إلى طرابلس وكل سائقي سيارات الأجرة على الحدود بين تونس وليبيا وكذلك بين مصر وليبيا هم من المتعاونين مع أجهزة الأمن.

الليبيون الثلاثة الذين جاؤوا بسيارة الأجرة ووصلوا إلى طرابلس طلبوا من سائق الأجرة أن يوصلهم إلى عنوان معين في طرابلس وعندما سألوا عن صاحب العنوان وجدوا أنه في عنوان آخر، غادر إلى مصراته وهي مدينة تبعد عن طرابلس 220 كلم فاعتذر السائق بأنه لن يستطيع أن يذهب هذه الرحلة الطويلة فتوسلوا إليه أن يوصلهم ودفعوا له مبلغاً إضافياً مغرياً، فوافق وأوصلهم إلى مصراته وعاد سريعاً ليخبر أجهزة الأمن بمكانهم وهكذا كانت أجهزة الأمن متربصة بأن شيئاً سيحصل من هؤلاء. وما أن وصلوا إلى طرابلس مدججين بالسلاح مع آخرين كان ينتظرونهم ودخلوا إلى ثكنة العزيزية وهم يطلقون النيران حتى قابلتهم القوات الليبية بمواجهة شاملة قتل معظمهم وهرب الباقي إلى مبنى قريب من الثكنة فحاصرته القوات الليبية ثم أرغمت سكانه جميعاً على الخروج منه وأحاطت المبنى بزنار من المتفجرات وفجرته فدمر على من فيه.

عبد الحفيظ وعبد القادر غوقة في مواجهات مع معمر

هو نقيب المحامين في ليبيا الذين يبلغ تعدادهم حوالى 5600 محامٍ قبل بدء ثورة 17 فبراير/ شباط 2011 وتوليه شؤون الناطق باسم المجلس الوطني الانتقالي، وهو كان يتولى في ليبيا الدفاع عن حقوق الليبيين المسجونين دون أي تهمة، ويريد إخضاعهم للمحاكمة لتبيان أسباب الاعتقال وإطلاق سراح من لا يثبت عليه أي تهمة. وهو سعى للدفاع عن معتقلي الرأي في السجون الليبية مما دفع وزير الداخلية الليبي، للاتصال

والده ليكف عن هذه المسؤولية. لكن عبد القادر قال: «إن ابني يبلغ من العمر 50 عاماً ولو حاولت ردعه فهو لن يرد عليّ».

عبد الحفيظ وابنة القذافي عائشة والمحاماة

أرسل وزير العدل الليبي إلى نقيب المحامين عبد الحفيظ عبد القادر غوقة يطلب إليه تسجيل عائشة معمر القذافي في نقابة المحامين الليبيين، فكتب غوقة إلى الوزير أن على عائشة أن تتدرب لمدة سنتين في مكتب محامٍ لكي يمكن تسجيلها، فاتصل به الوزير: ألا تريد أيضاً شهادة حسن سلوك حتى تسجلها؟

بعد ذلك اتصل مدير مكتب عائشة القذافي بعبد الحفيظ غوقة ليقول له إن د. عائشة تشكره على موقفه.

كان نقيب المحامين في ليبيا عبد الحفيظ غوقة اتفق مع والده عبد القادر بأن يكون قدوة في تداول المسؤولية بالاكتفاء بموقعه كنقيب لدورة واحدة.

وقبل انتهاء دورة غوقة بسنة واحدة قررت وزارة العدل (محمد مصراتي) إلغاء شرعية مجلس النقابة وإعادة الانتخابات، فرفضت النقابة هذا الأمر لأنها نقابة مستقلة وليست تابعة لأي وزارة، والجمعية العمومية وحدها هي التي تقرر من يكون نقيباً ومن ينتخب مجلس النقابة، فأفشل موقف غوقة والنقابة قرار وزارة العدل (فيما بعد زجّ بالمصراتي بالسجن في ليبيا).

حضر غوقة على رأس وفد من نقابة ليبيا مؤتمر اتحاد المحامين العرب في السودان، فتمسك الاتحاد العربي بنقابة المحامين في ليبيا كما اختارتها جمعيتها العمومية.

عند عودته إلى ليبيا وفي إحدى جلسات مؤتمر الشعب العام في طرابلس، تحدث معمر القذافي متهماً نقابة المحامين الليبية أنها ذهبت إلى الخرطوم لتشتكي ليبيا أمام اتحاد المحامين العرب.

النقيب غوقة طلب حق الكلام ليرد على القذافي شارحاً الموقف بأن وزارة العدل أرادت إدخال أساتذة الجامعات وحقوقيين في النقابة، لإعادة الانتخابات لتصبح النقابة جزءاً من الحكومة وليست مستقلة.

القذافي تساءل من الذي اتخذ هذا القرار غير المنطقي. أبداً نحن نريد أن تبقى النقابة مستقلة في محاولة لتجاوز الأزمة... إلى حين آخر.

أنصار الثورة

وكانت السلطات الليبية حاولت تشكيل ما يسمى هيئة أنصار الثورة لدعم معمر القذافي وطلبت من عبد القادر غوقة أن يرأس هذه الهيئة وان يلقي كلمتها في حفل تظمته السلطات الليبية.

لكن غوقة رفض هذا الأمر قائلاً إنه لا يتعاطى أي شيء سياسي وإنه لا يوافق على هذا الأسلوب لأن فيه الكثير من النفاق الذي لم يعتده وهو يعتقد أن القذافي نفسه لا يوافق عليه.

فتحي الجهيمي

فتحي الجهيمي (صهر عبد القادر غوقة) سجين سياسي في ليبيا لعدة مرات، أولها حين وقف في مؤتمر شعبي عام لليبيين في مصر وأعلن أن الحل في ليبيا هو قيام انتخابات حرة ووضع دستور جديد وتخلي معمر القذافي وأولاده عن السلطة وإخراجهم من ليبيا.

أحمد قذاف الدم طلب من غوقة أن يجمعه بعد المؤتمر بالجهيمي ليقدم له وعداً بأن أحداً لن يتعرض له وإذا أراد العودة إلى ليبيا فإن هناك سيارة إسعاف جاهزة لحمله وزوجه المريضة التي كانت تعالج في القاهرة إلى بني غازي وبالفعل عاد الجهيمي إلى ليبيا.

وفي مؤتمر ثانٍ لمؤتمر الشعب العام في ليبيا أعاد الجهيمي تكرار الأمر نفسه دون أن يتعرض له أحد.

بعدها جاءه ضابطان من رجال الأمن ليطلبا منه أن يأمر بما يريد لتحقيقه، فإذا بالجهيمي يعلن في مؤتمر شعبي عام أن القذافي أرسل من يرشيه، فأقيمت دعوى ضده لأنه يهين قائد الثورة معمر القذافي الذي لم يرسل الضابطين بل إن رجلي الأمن جاءا من نفسيهما حسب زعم السلطة.

القذافي ولي الفقيه

حكم على الجهيمي بالسجن 7 سنوات، وفق قانون في ليبيا يمنع التعرض للقذافي، لأنه مرجع كل شيء في البلاد ومرجع القوانين والقرارات الحكومية وقرارات مؤتمر الشعب العام أي أن القذافي يملك وفق القانون تعطيل أي قرار يصدر عن أي جهة في ليبيا.

بعد خروجه من السجن، أجرت قناة «الحرة» الأميركية حواراً مع الجهيمي بث على الهواء هاجم فيه القذافي بالطريقة نفسها وامتدح جورج بوش، فحُكم عليه بالسجن مرة أخرى.

طلبت الاستخبارات الليبية من غوقة أن يتدخل لدى صهره لثنيه عن مواقفه فأبلغهم أن الجهيمي مريض نفسياً بالعظمة وأن الحل هو أن تعطوه خمسين ألف دولار للعلاج في الخارج، وأن الأفضل أن يعارضكم الجهيمي من الخارج بدل أن يصبح واحداً من عشرات (الخمسون يصبحون واحداً وخمسين) ولا تأثير له في الخارج بينما تأثيره يكون كبيراً في الداخل.

إسقاط البان أميركان فوق لوكوربي

1- طرف الخيط

في التحقيق الذي أجرته مجموعات النخبة من المحققين الغربيين (من أميركا وبريطانيا ودول أخرى) كشف هؤلاء وجود قطعة قماش لبدلة راكب من ركاب الطائرة الأميركية المنكوبة، وعليها اسم الخياط الذي خاطها، وكان إنجليزياً، فحملت إليه وسئل عن صاحبها، فبحث في أوراقه ليكتشف أن هذه القطعة لبدلة حيكت من قماش معين، وأن صاحب البدلة هو موظف ليبي في شركة الطيران العربية الليبية في لندن. وأنه خاط البدلة عنده وكان معه زميل آخر في الشركة نفسها خاط بدلة أخرى.

كان هذا طرف الخيط للوصول إلى الموظفين الليبيين ليتبين بعد التحقيق في الشركة الليبية أن الموظفين لم يسافرا في الطائرة نفسها، وأنهما شحنا محفظتيهما (وربما أكثر من اثنتين) وغادرا إلى ليبيا.

وإذا كانت سلطات مطارات العالم لجأت بعدها إلى إلزام كل راكب يلغي سفره بعد إجراءات المغادرة، أن يأخذ محفظته وأمتعته إذا كانت على متن الطائرة، وبتأجيل إقلاع الطائرة إلى أن يكتمل عدد الركاب أو إنزال حقائبهم من الطائرة قبل الإقلاع حتى لا تتكرر جريمة لوكوربي أو ما شابهها. فإن طرف الخيط هذا أدى إلى كشف اسم الموظفين الليبيين فإذا هما رجلا الاستخبارات اللذان كلفهما عبد الله السنوسي بحمل المحافظ المليئة بالمتفجرات عبد الباسط المقرحي والأمين فهيمة. حيث حكم على الأول بعد المحاكمة بالسجن مدى الحياة (أفرج عنه عام 2009 بزعم أنه يعاني من سرطان وتبين

أن الإفراج عنه تم بصفقة بريطانية - ليبية تضمنت حصول بريطانيا على امتيازات مالية ونفطية واقتصادية).

أما فهيمة فأطلق سراحه بعد انتهاء المحاكمة لعدم كفاية الأدلة.

2 - كيف عرف الغرب بدور ليبيا في لوكوربي

تتحدث المعارضة الليبية أن عنصراً في الأمن الليبي يدعى عبد المجيد جعاكة هو الذي نشر سر ودور الأمن الليبي في تفجير طائرة البان أميركان فوق لوكوربي، وقد اعتمدت شهادة جعاكة السرية بثقة لأنه قدم ما يثبت أنه كان يعمل في جهاز موسى كوسى وكان موظفاً في مكتب الخطوط الليبية في فاليتا عاصمة مالطة.

كان الأمن يثق بجعاكة... لكنه لم يكن يسمح له بالسفر خارج ليبيا، لكن الرجل استغل إجازة عيد الأضحى ولبس ثوبه الليبي التقليدي ليقوم بزيارات معروفة خلال الأعياد، للأقارب والأهل. وتوجه براً في سيارة عادية نحو تونس، وفيها زار القنصل الأميركي وقدم له ما يملكه من معلومات حصل عليها من خلال قربه من موسى كوسى شريك عبد الله السنوسي في كل أعمال استخبارات ليبيا الخارجية، وكانت جريمة لوكوربي ضمن هذه العمليات، وأن المجرمين تحركوا من مالطة لتنفيذ عمليتهم الإرهابية.

حمل الأميركان جعاكة إلى الولايات المتحدة، وقد اعتبروه شاهد ملك، فأسكنوه في قاعدة عسكرية أميركية لحمايته، وإن كان في لاهاي تراجع عن إفادته، لكن المعلومات التي قدمها هي التي أوصلت المحققين إلى حتمية ضلوع الاستخبارات الليبية في هذه العملية. وكشف اسم الرجلين الليبيين اللذين وضعا المتفجرات في الطائرة وهما عبد الباسط المقرحي والأمين فهيمة...

3- كمين أميركي أسقط القذافي

أمام إنكار القذافي وإعلامه وجود الاسمين في أجهزة أمنه، تحدثت أميركا أن النظام الليبي قتل عبد الباسط المقرحي وفهيمة... فاندفع القذافي علناً ونشر صورهما فنجحت أميركا في الحصول على ما تريد، بعد أن سهل الحصول على توكيدات بأنهما القاتلان.

تحركت جهات عربية صديقة لأميركا لنجدة القذافي في محاولة لتسوية الوضع بين الاثنين، وأدى رئيس مجلس الأمن الوطني السعودي الذي كان سفيراً في واشنطن

الأمير بندر بن سلطان دوراً مهماً في هذه المسألة منذ البداية، حتى نجح في تسليم الليبيين المطلوبين ودفعت ليبيا أموالاً ضخمة كجزء من صفقة تسلم منها أهالي الضحايا الـ 270 مبلغ 2.7 مليار دولار بمعدل 10 ملايين دولار عن كل ضحية.

وفي معلومات حصلنا عليها من أحد كبار الشخصيات العربية المقربين من القذافي أن الأخير اعترف له بأن تسوية هذه الجريمة كلفته 10 مليارات دولار ثمن تعويضات ومحاولات شراء ذمم وضمائر بعض الشهود في اسكتلندا وفي إنجلترا وفي كل مكان.

وبوساطة من الأمير بندر جاء أمين عام الأمم المتحدة كوفي عنان إلى ليبيا لمقابلة العقيد قبل تسليم الليبيين لإيجاد وسيلة تخفف عن القذافي أي اتهام بأنه وراء هذه العملية شخصياً.

لكن معمر تعمد إهانة عنان، فما أن وصل المسؤول الدولي إلى طرابلس حتى قيل له إن العقيد في سرت ويجب أن تذهب إليه فيها وحدك ودون أي حضور إعلامي.

وافق عنان على التوجه إلى سرت وهو قادم من سفر جوي طويل، فحملوه في موكب بري دون الإعلام الذي جاء معه من أميركا وأوروبا، ووصل إلى سرت ليلاً ولم يكن العقيد في سرت، حيث قيل لعنان إن القائد في قلب الصحراء في منطقة اسمها الصمت، فتحامل الرجل العجوز على نفسه وتابع الرحلة في الموكب البري في سيارات تعمد الأمن الليبي بناء على تعليمات العقيد أن تكون متهالكة.

تحدث كوفي عنان مع معمر القذافي وهو في الساعات الأولى من الصباح منهك القوى مشوش الذهن، وصمم المرافقون على إعادته إلى طرابلس في الفجر نفسه دون نوم أو راحة.

في طرابلس وبعد قسط قليل من الراحة خرج أمين الأمم المتحدة ليتحدث بإيجابية كبيرة عن اللقاء مع القائد قائلاً إن هذا الرجل عظيم وقد مررت بتجربة عظيمة في قلب الصحراء مع هذا القائد الصوفي، وهو رجل صادق ينفذ كل وعوده، وهو رجل الأمانة والروحانيات.

تحدث عنان عن خبرة في عقلية وتفكير العقيد، مستنداً إلى طلب أميركي مباشر منه ليخرج بأكبر قدر من الإيجابية مع الرجل... مستدرجاً إياه بالكلام اللطيف وبالمديح التي يستهويه الرجل حتى العبادة، كي يحصل منه على ما يريد.

الفارس الخامس

في ختام مقدمة كتاب رواية الفارس الخامس للكاتبين دومنيك لابيير ولاري كولينز الصادر عن دار الآداب في بيروت 1983. يورد الكاتبان أن صحافيين من مجلة شتيرن الألمانية أجريا مقابلة مع العقيد معمر القذافي في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني 1980 جاء فيها ما يلي:

شترن: هل قرأتم سيدي الرئيس كتاباً يتحدث عن ليبيا ويحمل عنوان الفارس الخامس..؟

القذافي: لا.

شترن: ومع ذلك فأنتم شخصياً البطل الرئيس في هذا الكتاب الذي يصوركم وكأنكم تكلفون شباباً فلسطينيين بوضع قنبلة هيدروجينية في نيويورك لإجبار الأميركيين على إرغام إسرائيل على إعادة الأراضي العربية المحتلة للفلسطينيين.

ابتسم القذافي قائلاً: إنها فكرة ممتازة.

شترن: فكرة فقط؟

فأخذ الرئيس الليبي يضحك بانطلاق... ثم يقول: على كل حال... إذا تحققت هذه الفكرة يوماً... فأنتم الذين ستكونون مسؤولين عنها، لأنكم تكونون أنتم الذين وضعتموها في رأسي!!

القذافي يصفي الساحة الوطنية

اعتماداً على ما تكدست لديه من صلاحيات باسم قيادة العمل الثوري وسلطة الدولة، بدأ معمر القذافي مرحلة، إن لم تكن هي الأقسى والأشرس في التصفية مع خصومه... فقد كانت من المقدمات الضرورية في نظره للوصول إلى أن تصبح ليبيا كلها بشعبها ومقدراتها الضخمة، عجينة بين يديه يشكلها وفق ما يريد، ولديه كل الحق في التشكيل، ليقدم صورة جمالية عن بلد البحر والماء والصحراء والخضرة والنفط والتشكيل الاجتماعي المتنوع والأصالة العربية والجهاد غير المسبوق في التاريخ.

كان معمر القذافي مشوهاً من داخله وفي شكله وفي استعراضاته وفي عقله حتى تجمعت كل صفات السقوط النفسي، سواء باسم جنون العظمة (البارانويا) أو المرض العقلي والنفسي (السايكوباتيك).

شرع معمر القذافي أولاً في تصفية الساحة الوطنية من الذين سبقوه في العمل الوطني وكانوا أعلاماً معروفة قبله...

ونحن نختار الثلاثي الوطني المعروف قبل الثورة كي نلقي الضوء قليلاً على تحول القذافي السريع من الانفتاح الذي بدأه على كل القوى السياسية قبل الثورة، إلى التأله والتفرد وتسليم الأبناء كل شأن من شؤون بلد كان القذافي يتباهى بأنه تسلمه وعدد سكانه 3 ملايين وهو بعد 42 سنة أصبح 6 ملايين!!

الثلاثي المقصود بهم المحامي عامر محمد الدغيّث، علي أبو زقّية، وعبد اللّه شرف الدين.

قتل عامر الدغيْث

كان المحامي عامر الدغيّث من عائلة معروفة في طرابلس العاصمة، وكان بعثياً ومن قيادات حزب البعث في ليبيا، سجن في العهد الملكي بسبب أفكاره وآرائه المكتوبة، وعندما قامت الثورة عام 1969 عرض عليه معمر القذافي أن يتعاون معهم وان يتسلم منصباً في إحدى الوزارات فرفض عامر المهمة، قائلاً إنه لا يريد المشاركة في حكم العسكر... وإذا ما أصبح الحكم مدنياً فإنه سيجد مكانه فيه.

وما أن أطلق القذافي ثورته الثقافية حتى كان عامر الدغيّث ضمن أوائل المعتقلين. وكانت التهمة هي الأسخف وهي أنه يحمل الكحول في سيارته... والجميع يعرف أن الدغيّث كان الوحيد بين أصحابه الأقرب الذي لا يشرب الخمر ولا يحمل زجاجاتها..

كان الهدف هو ترويع المثقفين والوطنيين، كي يستمع الجميع إلى كلمة القذافي الواضحة: «أنا سيدكم».

لم يكن هناك ما يهدد حكمه، ومجلس قيادة الثورة، والجميع ملتفون حوله، متماسكون... لكنه كان يريد إخافة المثقفين وإخضاعهم وترويعهم لإثبات وجوده.

أطلق سراح عامر الدغيّث بعد فترة تعذيب وإهانات كأن القذافي أراد إيصال الرسالة له كما يتوهم العقيد ويعتقد.

(فيما بعد قتل رجال العقيد المحامي عامر محمد الدغيّث عام 1980 ضمن انتقال حسب تحوّل القذافي من مرحلة التهديد إلى مرحلة الإجرام الفعلي الذي بدأ عام 1980... ولهذا التاريخ توصيف لا بد من الوقوف عنده لاحقاً).

محاولة قتل عبد الله شرف الدين

عبد الله شرف الدين، وكان أيضاً من قيادات حزب البعث في ليبيا، وعمل رئيساً لتحرير جريدة «الوحدة»، التي تحول اسمها بعد ذلك إلى «الأيام».

وكان عبد الله شرف الدين أيضاً محامياً، فطلب منه القذافي أن يأخذ موقفاً من رئيس وزراء ليبيا السابق المحامي عبد الحميد البكوش المعارض (لجأ البكوش إلى مصر وأرسل العقيد مجموعة لقتله وفشلت).

شرف الدين ردَّ على القذافي بأنه عضو في مجلس نقابة المحامين وأن هناك أعضاء لا يريدون اتخاذ موقف ضده وهو لا يستطيع أن يضغط على المجلس لاتخاذ موقف ضد البكوش، وأكمل شرف الدين قوله للعقيد: أنتم قادرون أن تفعلوا ما تريدون، ونحن لن نصدر موقفاً لا معه... ولا ضده.

وبالفعل لم يصدر مجلس نقابة المحامين موقفاً لا مع البكوش ولا ضده، فنادى القذافي شرف الدين ثانية، فذهب عبد الله وصديقه وزميله عبد المجيد الميت، ليدعم موقفه مع العقيد، فلما تبلغ القذافي منهما موقف نقابة المحامين نهض بعصبية، فوقفا ومدا أيديهما لتحيته فرفض مد يده، فانسحبا وهما متأكدان بأن الرجل سيضمر الشر لهما.

وبعد مقتل الدغيِّث شعر عبد الله شرف الدين بأن القذافي لن يتركه، فصمّم على مغادرة ليبيا بأسرع وقت ممكن.

لكنه وقبل هربه تعرض عبد الله شرف الدين لمحاولة اعتداء من قبل عصابات القذافي التي بدأت تتشكل بداية من رجال الأمن، التي حاولت قتله لكن حراس المزارع والمنازل قرب منزل شرف الدين وعمال البناء في ورش قربه سارعوا لنجدته، فهرب المعتدون ونجا المحامي المحايد.

طلب شرف الدين موعداً من القذافي ليقول له أنا معكم، فلماذا محاولة قتلي وإذا كان عليّ ملاحظة فحاكمني أو استدعني. فقال العقيد هؤلاء جماعة خارجون عن القانون وسأحاسبهم... وانتهى الأمر عند هذا الحد.

بعد كل هذا لم يكن أمام عبد الله شرف الدين إلا الهرب، فرتّب الأمر مع الرجل الثالث في المجموعة علي أبو زقّية.

هرب عبد الله شرف الدين إلى مصر بعد حصوله على تأشيرة دخول إليها بحجة

العلاج، بينما هرب علي أبو زقّية إلى الجزائر، ومنها توجه إلى أميركا ليعيش فيها... ويرحل منها.

مأساة علي أبو زقّية

علي أبو زقّية، وهو رجل مثقف من طرابلس عاش في مصر وتزوج من شاعرة مصرية معروفة هي السيدة كوثر نجم، وكان لها حضور أدبي في بلدها، وعاد إلى بلده في الخمسينات متأثراً بالمد اليساري التقدمي والقومي الذي ساد في ليبيا قبل الثورة.

كان علي أبو زقّية ناطقاً باسم اليسار في نظر كثيرين في ليبيا، وهو قصاص وصاحب مساهمات أدبية وروائية، تعرض بسبب كتاباته ومواقفه السياسية لملاحقات من القذافي وأجهزته، وقيل إنه كان شيوعياً وحاول تنظيم حزب شيوعي في ليبيا، لكن المناخ الشعبي لم يساعده على ذلك.

قصة عام 1980

قيل كثيراً إن معمر القذافي عندما قام بالثورة في 1/ 9/ 1969، وعين البعثي العراقي سعد الدين أبو شويرب رئيساً للأركان، (مرة أخرى يستلهم معمر القذافي تجربة جمال عبد الناصر حينما قاد ثورة 23 يوليو وهو ضابط صغير السن فعين اللواء محمد نجيب الذي كان شخصية معروفة ومحبوبة في الجيش كبير السن ليس له أي توجه أو شخصية سياسية رئيساً لمجموعة الضباط الأحرار التي قادت الثورة عام 52 كواجهة ليس إلا، هكذا اختار القذافي أبو شويرب الضابط المحبوب في الجيش الذي كان مطروداً من الخدمة العسكرية بسبب آرائه السياسية كواجهة لثورة الفاتح ليس إلا) استقبل وفداً بعثياً أرسله النظام البعثي الذي كان تسلم السلطة في العراق (في 17- 30/ 7/ 1968). وإن هذا الوفد البعثي قدّم للقذافي نصيحة اعتبرها هديته إليه، وهذه النصيحة هي أن على القذافي التخلص من كل من يعترض على حكمه بالقتل، سواء كان المعترض قال كلمة أو كتب ولو أطلق نكتة، أو شكّل تنظيماً أو حرّض على السلطة الجديدة.

وقيل يومها إن القذافي وأعضاء مجلس قيادة الثورة شكروا الوفد العراقي الأمني على نصيحته.

غير أن هذا لم يمنع القذافي بالتدرج في التخلص من خصومه، خطوة إثر خطوة،

وفق مراحل كان لكل منها عنوان ودرجة في القسوة حتى القتل والسحل والمجازر الجماعية.

حردان التكريتي في طرابلس ناصحاً

مع بداية الثورة لم يستمع لنصائح الوفد الأمني العراقي برئاسة وزير الدفاع العراقي حردان التكريتي الذي أوصى القذافي أن يدخل كل معارضيه السجون حتى ينسوا أسماءهم، (يتندر بعض الليبيين أن الوفد العراقي جاء بطائرتين فتساءل الليبيون لماذا الطائرتان ألا تكفي طائرة واحدة فجاءت النكتة بأن الطائرة الأولى لنقل الوفد الأمني العراقي الذي حمل النصيحة للقذافي أما الطائرة الثانية فتحمل الحبال لسحل معارضي القذافي تطبيقاً لهذه النصيحة) وعندما كان يقرأ في تقارير الأمن عن اعتراضات على توجهاته أو ما تصفه أجهزة الأمن بخروج عن الثورة، وكان يحاول الرد عليها بالاعتقالات، ثم بالسعي لمحاكمات عسكرية ليصفي ويعدم. كان يستمع إلى نصائح أخرى أبرزها من صديقه القديم أول رئيس وزراء لليبيا بعد الثورة محمود المغربي وزملائه في مجلس قيادة الثورة، بعدم قتل أحد وكان في نيته تصفية أعضاء في الحكم الملكي السابق.

يقول محمود المغربي لزملاء له: لقد جلسنا مع العقيد وعدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة ليلة كاملة كي نقنعه بألاّ يقتل أحداً قائلين له: إن جمال عبد الناصر مثلك ورمزنا الأعلى لم يقتل أحداً، بل أرسل الملك فاروق إلى المنفى دون إراقة نقطة دم واحدة في الثورة.

فقد كان في نية معمر القذافي أن يحيل أركان الحكم الملكي السابق إلى المحاكمة العسكرية أو محكمة أمن الدولة وكانت بقيادة الرائد بشير الهوادي، لتصدر أحكاماً بالإعدام ضدهم. علماً بأن معظم أركان هذا العهد جاء إلى القذافي مبايعاً مؤيداً ومنهم ولي العهد الأمير حسن الرضا ورؤساء حكومات ورؤساء مجالس نواب ووزراء ومحافظون... كلهم من العهد السابق.

وإذا كنا أوردنا أن القذافي بعد العام 1980 هو غيره قبل هذا التاريخ، وأعطينا اغتياله للمحامي عامر الدغيّث نموذجاً بعد العام 1980 كما قتل المحامي البعثي أيضاً محمد حمي في بني غازي (عمل مستشاراً قانونياً في القصر الملكي لفترة بسيطة ولمهمة محددة) فإننا نقف أمام هذا التاريخ لنشير إلى أن القذافي أطلق في هذا العام مشروعه

لاضطهاد أنفاس الشعب الليبي في الداخل وفي الخارج عبر ما أسماه هو اللجان الثورية.

ما بعد العام 1980

حتى ذلك العام كان معمر القذافي يتصرف كأي حاكم ديكتاتوري عربي (أو أجنبي) في بلاده يقتل ويسجن وينفي ويغضب ويعاقب ويبعد، ولم يصل بعد إلى ما بات يرتكبه من مجازر وإرهاب وإرسال عصاباته لقتل أي معارض خارج بلده لمجرد كلمة قالها.

في ذلك التاريخ 1980 كانت ثورة إيران ضد الشاه قد أكملت عامها الأول، وكان المدعي الثوري الإيراني الشيخ صادق خلخالي قد بدأ حملة تصفية شاملة ضد كل من تريد الثورة الجديدة التخلص منه، سواء كان من عهد الشاه أو من المعارضين، أو مجرد المشككين بالكلام لمسار الحكم الجديد باسم الإسلام.

كان صادق خلخالي يتباهى بأحكام الإعدام التي يصدرها، وتنفذها سلطاته الأمنية بحق المعارضين، حتى تم قتل الآلاف من شباب وكهول ونساء وأطفال إيران في السنة الأولى من عمر الثورة التي جاءت باسم الإسلام العادل للتخلص من النظام الظالم الذي كان في إيران.

استلهم القذافي تجربة خلخالي في إيران ليطبقها في ليبيا وعلى نطاق واسع بدءاً من العام 1980 وما بعدها.

لماذا في ذلك العام وما بعده؟

كان الوطن العربي كله مشغولاً بمشاكل لا حصر لها بدأت في تصاعد الحرب الأهلية في لبنان التي استمرت منذ 1975 حتى 1989، في إعلان اتفاق الطائف، قبل أن تدخل في منعطف أخطر بعد قتل الرئيس رفيق الحريري وسيطرة حزب الله على السلطة في لبنان عام 2005.

- وشغلت حرب لبنان في سنواتها الأولى دولاً عدة سواء منها ما شارك في الحرب بالتمويل والاغتيال والقتل والسجن كما النظام السوري. أو منها من شارك في التمويل والدعم السياسي لأطراف من المتصارعين كما أنظمة ليبيا والعراق والجزائر. أو من سعى لحل سلمي للمسألة اللبنانية لإنهاء الحرب من أبناء الوطن الواحد، ولمنع تدخل الآخرين في شؤون لبنان كما المملكة العربية السعودية والكويت ودولة الإمارات ومصر (التي اكتفى حاكمها أنور السادات يومها برفع

شعار «ارفعوا أيديكم عن لبنان» ثم أدار ظهره نهائياً لما يحصل فيه).

2- عام 1977 ذهب أنور السادات إلى القدس فنشأت عزلة شديدة حول مصر فأدارت ظهرها لكل العرب، ثم بدأت عام 1980 المواجهات المسلحة داخل سوريا بين السلطة وجماعة الإخوان المسلمين فانشغلت دمشق بهمها الداخلي فضلاً عن سيطرتها على لبنان.

وفي العام 1980 بدأت الحرب العراقية - الإيرانية والتي استمرت حتى العام 1988، واستقطبت اهتمام وهموم وتمويل وإعلام دول الخليج العربي كلها، فضلاً عن اهتمام مصر ومساعدتها للعراق في تلك الحرب الطويلة.

3- ثم غزا الجيش العراقي الكويت عام 1990 ولم يخرج منها إلاّ بحرب ضروس استدعى تأليف أميركا تحالفاً مع 30 دولة بينها سوريا ومصر خارج دول الخليج العربي لإخراج الجيش العراقي من الكويت.

4- سقط نظام خصم القذافي الأهم في المنطقة وهو جعفر نميري في السودان (1985). وجاء إلى السلطة حلفاء القذافي المدنيون قبل أن يخلعهم حليف عسكري للقذافي شريكه في كثير من عمليات الإجرام عمر حسن البشير، وما زال رغم إسلاميته الظاهرة وعداء القذافي للإسلاميين حليفاً داعماً بعد مزاعم العداء لأميركا، خضوع الاثنين لمحاكمة المحكمة الجنائية الدولية عبر مدعيها العام لويس مارينو أوكامبو.

5- وكان النفط الليبي العالي الجودة، القريب من سطح الأرض والقريب في تصديره إلى أوروبا الغربية (يومها) أكثر إغراءات القذافي للغرب أهمية كي يغرق قادته رؤوسهم في سواده وأنوفهم في روائحه، كي يبتعدوا عن سؤال القذافي عن أي جريمة قتل يرتكبها ضد معارضيه في الداخل، وتحديداً في الخارج، وشهدت شوارع المدن الإيطالية والفرنسية والبريطانية والألمانية واليونانية المئات من عمليات القتل التي كان القذافي يصدر أوامرها لتقتل عصاباته الأمنية المعارضين والمسالمين الليبيين في المدن، ثم لتعود لتقديم إنجازاتها ليفرح بها العقيد ويبشر بها مؤتمراته الشعبية معلناً خلاصه من الكلاب الضالة!!!

وفي آخر الكتاب ملحق بقسم كبير من جرائم القتل ومحاولات القتل التي أمر بها معمر القذافي ونفذتها عصاباته وأجهزته الأمنية، باسم ما يسمى باللجان الثورية

وهذه اللائحة مأخوذة من كتاب محمد يوسف المقريف من جرائم اللجان الثورية في ليبيا ومن المسؤول عنها، عن مركز الدراسات الليبية أكسفورد.

والمقريف هو واحد من أبرز المعارضين المبكرين لنظام معمر القذافي في ليبيا.

كان عام 1980 بداية تحول القذافي إلى مجرم حرب حقيقي، مجرم ضد الليبيين بالدرجة الأولى.

معمر القذافي يحقن أطفال بني غازي بالإيدز

سألنا ليبيين كثيرين، من خصوم وأصدقاء معمر القذافي القدامى، لماذا يكره هذا الحاكم بني غازي تحديداً ونحن نعلم أنه يكره شعب ليبيا كله.

كانت إجابة الجميع واحدة، لأن بني غازي كانت عصّية عليه، ثارت ضده، حاول البعض اغتياله فيها وعندما قامت الثورة الأخيرة ضده وكانت القاضية على نظامه وإرهابه، وتبين أن الاثنين كانا على حق.

فمن حق بني غازي أن تثور على القذافي، وما كان لشخص مثل القذافي أن يسكت على بني غازي، بما واجهته به عبر عقود.

ونحن لا نستبق الأمور كي نقول إن طائرات الميراج الفرنسية التي انطلقت بعد صدور قرار مجلس الأمن الدولي العام 1973 القاضي بفرض حظر جوي فوق ليبيا. أنقذت بني غازي من مجزرة ربما لم يكن التاريخ ليشهد مثيلاً لها.

طائرات الميراج الفرنسية التي قصفت قافلة عسكرية من دبابات ومدفعية وشاحنات وجنود القذافي التي كانت على بعد كيلومترات من بني غازي، أوقفت زحف قوات العقيد على المدينة الثائرة وقد تجمع فيها نحو مليون ليبي ثائر على النظام، كانوا مهددين بمصير الآلاف الذين قتلتهم قوات العقيد وكتائب أبنائه في كل أرجاء ليبيا.

حملت ثورة بني غازي اسم ثورة 17 فبراير تيمناً باسم الثورة التي انطلقت في مثل هذا التاريخ قبل عدة سنوات.

ولكي لا نسترسل في تفاصيل ثورة فبراير/ شباط 2011 على القذافي، وتفاصيل محاولات الاغتيال ضده في هذه المدينة العظيمة ندخل مباشرة إلى أحد أبرز مظاهر انتقام معمر القذافي من مدينة بني غازي وأهلها عبر أغرب وأحقر ما يمكن تخيله من أفكار سوداء خرج بها هذا الحاكم لينفذ فيها أغرب قضية قام بها حاكم في هذا التاريخ،

إنها قضية حقن 450 طفلاً ليبياً بمرض نقص المناعة المعروف باسم الإيدز أو السيدا عام 1999.

إيدز فكري

أول إشارة إلى هذه القضية المخيفة جاءت من أهالي الأطفال مباشرة، وعبر لقاء بعضهم مع العقيد نفسه. ذهبوا إليه ليبلغوه ويشكوا إليه إصابة أولاد لهم ومئات غيرهم بالإيدز في مستشفى بني غازي الحكومي طالبين منه برجاء أن يوافق على إرسال الأولاد المصابين إلى الخارج للعلاج.

الأمر الطبيعي في هذه الحالة كان أن يبدي القذافي دهشته من هذه المأساة، وأن يطلب تحقيقاً فورياً مع إدارة المستشفى ومع الأطباء ومع الممرضين ومع الاداريين ومع وزير الصحة أو أمينها أو مع أعضاء الأمانة العامة الشعبية، بالكارثة الإنسانية التي تصيب وأصابت رجال المستقبل، وأن يأمر بعلاج الأطفال بالخارج على حساب الدولة، وأن يأمر بتعويض أهالي الأطفال المتوفين.

لكن معمر القذافي فاجأ أهالي أطفال بني غازي برد غريب أذهلهم، وأشعرهم كم هو الرجل ضالع في هذه الكارثة... بل ويعتبرها انتقاماً منهم! قال القذافي ساخراً شامتاً مهدداً:

عندما كان الإيدز الفكري سائداً في مدينتكم، ومحاولات الاغتيال تتم عندكم ضدي، وضد الثورة، لم تأتوني لتعلنوا وقوفكم معي... الآن تأتوني لعلاج أولادكم... هيا عودوا إلى مدينتكم وعالجوا الإيدز الفكري الذي يسود في عقول أهلها. طرد معمر القذافي وفد الأهالي وهم في حالة ذهول لم يطرده ويعيدهم إلى الحقيقة سوى رعبهم الحقيقي من انتقام القذافي منهم أيضاً... طالما انتقم من أولادهم بهذه الطريقة الغريبة.

لكن أهالي الأطفال المحقونين بالإيدز في بني غازي، بين أبناء مدينتهم، هم غيرهم في طرابلس تحت سلطة معمر القذافي. فبدأوا تحركاً جدياً، يحمل كل مشاعر الغضب والإصرار على معرفة الحقيقة فاغتنموا فرصة عقد اجتماع للجنة الشعبية العامة للصحة (وزارة الصحة)، فتوجه جمع من الأهالي إلى مكان الاجتماع في طرابلس ورفعوا لافتات يطالبون فيها بالتحقيق بما حصل لأولادهم، وطلبوا لقاء أمين اللجنة الشعبية (أي الوزير)

ويعرضوا له مأساتهم بأولادهم.

كان وزير الصحة الليبي خبيراً إدارياً في منظمة الصحة العالمية. وكانت له آراء مختصة أعجبت العقيد فكلّفه بهذه المهمة (توزيره).

وما أن استمع الوزير لشروحات الأهالي عن وضع أولادهم، حتى أمر بتشكيل لجنة تحقيق للوصول إلى الحقيقة وهو ما لم يفعله العقيد.

خرج الوزير يقول نريد أن نعرف كيف ارتكبت هذه الجريمة، معلناً أنه لن يرضى الاستمرار في منصبه إلى أن يكشف للناس كيف حصل ما حصل. وصلت تصريحات الوزير إلى أهالي بني غازي فسارع أبناء المدينة إلى المستشفيات لفحص أولادهم وهم في حالة ذعر، فتحولت القضية إلى قضية رأي عام، وبدأ الأطباء بالفحوصات الشاملة بتشجيع من وزير الصحة والهلال الأحمر لكل الأطفال فإذا بعدد المصابين هو 450 طفلاً.

سلطات القذافي زعمت أنها تجري تحقيقات، وتم بالفعل سجن عدد من الممرضات البلغاريات، زعمت أجهزة القذافي أنهن هن اللاتي أعطين حقن الإيدز للأطفال كجزء من مؤامرة صهيونية - أميركية - إمبريالية عالمية؟!

لكن القذافي وجد مخرجاً للكارثة التي سببها لأهالي الأطفال، وله شخصياً، في أزمة أخرى كان تورط فيها وبدأ يدفع ثمنها غالياً بالحصار المضروب على ليبيا منذ كارثة تفجير طائرة البان أميركان فوق لوكوربي في اسكتلندا عام 1988.

فقد اتهمت أجهزة القذافي الإعلامية الغرب من خلال تلفيق تهمة حقن الأطفال بالإيدز لممرضات بلغاريات ومعهن طبيب فلسطيني... ولسان حاله يقول: وإذا أردتم أن أطلق سراحهن فعليكم يا أوروبا التي تحاصرنا، يا أميركا التي تحاربني، يا عرب يا ساكتين أن تفعلوا ما يلي:

1- أن تدفعوا لليبيا تعويضات قدرها بـ6 مليارات دولار، علماً أن القذافي دفع التعويضات لمنكوبي الطائرة الأميركية 2.7 مليار دولار، (وقد سمعت من مسؤول عربي كبير أن القذافي أبلغه أن تكاليف التعويضات وصلت إلى نحو 10 مليار دولار).

2- إطلاق سراح المحكوم الليبي في تفجير هذه الطائرة عبد الباسط المقرحي (تسليمه من قبل ليبيا كان اعترافاً رسمياً بأنها ارتكبت هذه الجريمة).

3- بناء مستشفى لنقص المناعة في ليبيا، ومعالجة الأطفال مجاناً في أوروبا (وهي إشارة إلى أن هذا البلد النفطي الذي يبلغ دخله السنوي يومها 40 مليار دولار، العام 2010 بلغ الدخل السنوي 80 مليار دولار) عاجز عن بناء مستشفى من هذا النوع رغم إمكاناته المالية الضخمة.

أطلق النظام الليبي حملة واسعة للحصول على التضامن العربي معه في هذه القضية المزعومة... التي سرعان ما سيتراجع النظام عنها كما سنرى.

وزير الخارجية الليبية يومها عبد الرحمان شلقم طلب من الدول العربية أن تتضامن مع ليبيا كما تضامنت أوروبا مع بلغاريا، وطلب أيضاً من الدول العربية قطع علاقاتها مع بلغاريا (شلقم كان مندوب ليبيا في الأمم المتحدة عندما اندلعت الثورة وأعلن انضمامه إليها، وكان لكلمته المؤثرة عن أوضاع بلاده التي تعاني حرب إبادة يشنها ضدها معمر القذافي أبلغ الأثر في أعضاء مجلس الأمن... الذي كان يدرس يومها إمكانية حماية الشعب الليبي... وتوصل فيما بعد إلى قرار بفرض حظر جوي فوق ليبيا لإيقاف المجازر التي يرتكبها القذافي وأولاده ضد الشعب المسكين).

ومعمر القذافي قال في القمة العربية في الجزائر للرؤساء والملوك والأمراء العرب، أنه أبلغ رؤساء الدول الغربية الذين زاروه والذين هاتفوه بهدف إطلاق سراح الممرضات البلغاريات الخمس (والطبيب الذي يحمل الجنسية البلغارية) إنه إذا لم تعالجوا هذه المسألة، فإن أهالي الأطفال سيتحولون إلى أسامة بن لادن، ليصبحوا أعضاء في القاعدة.

كان واضحاً أن القذافي وهو ينتقم من أبناء بني غازي، يريد عقد صفقة مع الغرب بعد محاصرة بلاده بسبب تفجير الطائرة الأميركية.

اعتقلت الممرضات البلغاريات:

1- سينجانا ديمتروفا

2- فاليا جيرفينياشكا

3- كريستيانا فالجيفا

4- فالنتينا سيروبولو

5- ناسيا نينوفا

والطبيب الفلسطيني أشرف حجوج عام 1999، وحكم عليهم بالإعدام مرتين الأولى عام 2004.

علماً بأن العدوى بالإيدز انتشرت في المستشفى الحكومي في بني غازي قبل بدء وصول أي من المتهمين المظلومين إلى المستشفى، بل إن الطبيب الفلسطيني المسكين جاء إلى ليبيا للتدريب في أحد مستشفياتها (وهو خريج جامعة في بلغاريا)، وكانت الإصابة بالمئات وهو لا يعرف شيئاً عنها.

تحدث بعض أهالي بني غازي أن أحداً منهم لم يرَ أياً من الممرضات والطبيب الفلسطيني، عندما كانوا يصطحبون أولادهم إلى المستشفى هذا.

بل إن بعضهم تحدث عن أنه كان يجيء بولده إلى المستشفى للعلاج من حالة زكام حادة، فإذا بوجوه قاسية في المستشفى تواجههم، وتلزمهم بالخروج من غرفة الفحص الطبي لإعطاء أولادهم حقناً.

كان يبدأ ظهور المرض (الإيدز) بعدها على أولادهم وقد نتج عن هذه الحقن إصابة 450 طفلاً، توفي منهم خمسون طفلاً وقد شرح بعضهم فيما بعد أن هؤلاء الذين حقنوا أولادهم لم يشاهدوا بعد ذلك في المستشفى ولم يكونوا أطباء أو ممرضين أو حتى مساعدين وقد سألوا عنهم بعد ذلك وجاءت إجابات العاملين في المستشفى أنهم ليسوا عاملين معهم وأنهم ترددوا لفترة معينة ثم اختفوا بعد ذلك. بعض الأهالي تحدث عن رفضه إعطاء الحقن لأولادهم لأنهم حسب ما يفهمون لا يستحق وجع أو ألم في الرأس أو في الأسنان أن يحقن الطفل بحقنة توجع، وقد لا تشفي، وقد فرح هؤلاء بعد ذلك بأن رفض إخضاع أولادهم للحقن، أنقذهم من هذا المرض اللعين ومؤامرة معمر القذافي ضد أولادهم شباب المستقبل.

وبدأت قضية الممرضات والطبيب تكبر في الغرب شيئاً فشيئاً. فمكتشف جرثومة الإيدز د. لوك مونتييه قال إن مسؤولية الإصابة بهذا المرض تعود للإهمال والتلوث... فاتحاً الباب لتبرئة الممرضات والطبيب وكثرت التساؤلات:

إذا كان المستشفى ملوثاً بالإيدز، فلماذا لم يصب إلا الأطفال، وبعض الأطفال لم يكونوا نزلاء في المستشفى بل إن بعضهم جاء به أهله لإجراء فحوصات طبية فحسب؟

وكلما أثيرت التساؤلات، كان القذافي يتوقع حصاداً سياسياً بفك حصاره الشامل. أصدر حكماً ثانياً بالإعدام على الممرضات والطبيب ثم خففه إلى المؤبد، وكلما

كان يصدر حكماً بالإعدام كانت سلطاته الأمنية تُخرج طلاب المدارس والجامعات إلى الشوارع كي يتظاهروا ويهتفوا له ويندوا بأميركا والحصار، وليحتفلوا بهذا الإنجاز الوطني الكبير لوطنهم!

إيدز في طرابلس

لم تكن قضية حقن أطفال بني غازي بالإيدز، هي الأولى في سياسة القذافي تجاه شعب المنطقة الشرقية، وما ترسخ في أذهان الناس والإعلام بأن الجريمة طالت فقط أطفال هذه المدينة الباسلة، وما يجب توضيحه بأن مستشفى الأطفال في هذه المدينة كان يستقبل أطفالاً مرضى من كل المناطق الغربية منها، مثل سلوق (مدينة أبو المجاهدين الليبيين ضد الاستعمار الإيطالي عمر المختار)، وقمينس وغيرها من الداخل الليبي أو المدن أو القرى الغربية من بني غازي... وهذا يعني أن عدد المصابين يمكن أن يكون تجاوز الـ450 طفلاً، كما أن الذين قتلوا يمكن أن يكون تجاوز عددهم الـ50 طفلاً.

موسم القطاف

ولأن الغرب يفكر في بطنه فقط، مؤجلاً فكره الإنساني والتزامه الأخلاقي إلى مراحل لاحقة، فقد تداعى إلى عقد الصفقة خلف الأخرى مع حاكم بلد النفط والغاز الذي كان يستدرج العروض واحدة بعد الأخرى.

وكلها تصب في مصلحته في تشجيع غريب على القهر والعهر بسفك الدماء وإزهاق الأرواح، يقوم به هذا الحاكم تحت سمع وبصر العالم.

المقرحي مقابل الممرضات... حسناً، لكن أعطنا بعض الوضع للإخراج.

بالمقابل كان القذافي حريصاً على أن يبقى في السلطة من خلال ابنه الأكبر من زوجه صفية فركاش... سيف الإسلام وكان بدأ يقدمه للعالم كأنه الوجه المسالم الحضاري المتمدن المؤمن بالديمقراطية، وحقوق الإنسان فصدّره لحل هذه الأزمة.

ومع أن سيف الإسلام بدأ أول الرقص حنجلة كما يقال أي أعلن: اطلقوا سراح المقراحي مقابل حرية الممرضات والطبيب، إلا أنه في النهاية اعترف بأن المسألة كلها تلفيق بتلفيق.

كان ذهن معمر القذافي ذاهباً إلى أن تصعيد نجم ابنه في الغرب، مع قبوله هناك

سيفتح له المجال لإطلاق سراح المقراحي... مقابل إطلاق الممرضات ولو تأخر التنفيذ قليلاً... وهذا ما حصل.

بدأ سيف الإسلام مطالعته في الأمر اعترافاً منه بأن الممرضات والطبيب تعرضوا للتعذيب والضرب بالكهرباء والتهديد باستهداف أسرهم حتى يعترفوا اعترافات قاهرة.

قال سيف الإسلام علناً: إن الشرطة الليبية تلاعبت بملف القضية، وأن التحقيق لم يتم بطريقة مهنية.

وتمهيداً لإطلاق سراح الممرضات الخمس والطبيب قال سيف الإسلام إن القضاء الليبي نزيه، وأن حقوق الإنسان في ليبيا أفضل مما هي في أميركا.

صحيح أن العالم كله كان يضحك عندما يقرأ أو يسمع هذه التصريحات، إلا أنه كان يريد أن يأكل العنب ولا يريد أن يقتل الناطور، فكانت النتيجة أن سيف الإسلام بعد هذه المقدمات حدّد شروطه لإطلاق سراح المظلومين... وهي صورة أخرى عن شروط والده.

1- تطبيع العلاقات الليبية- الأوروبية.

2- تخفيف قيود السفر إلى بلاده ومن بلاده إلى أوروبا.

3- وصول المنتجات الليبية وتصدير الأسماك إلى أوروبا.

4- بيع السلاح إلى ليبيا.

5- شراء النفط الليبي كأولوية في أوروبا.

وحتى يبيع هذه الشروط ويجعل الغرب يقبلها أعلن أن أهالي الأطفال أعلنوا تنازلهم عن دعاويهم القضائية ضد الممرضات والطبيب.

زارت زوج رئيس جمهورية فرنسا السابقة سيسيليا ساركوزي ليبيا مرتين لتوكيد اقتراب الصفقة، وفيما بعد عقد الصفقة زار ساركوزي نفسه ليبيا لشكر القذافي ولقطف ثمارها. ففي الصفقة بيع سلاح، وشراء نفط وتطبيع علاقات وكلها أمور رأى ساركوزي أن بلاده أولى بها، خاصة وأنه كان معنياً بالقضية من الأساس، لأن ليبيا متهمة أيضاً بأنها أسقطت طائرة فرنسية مدنية فوق النيجر بعد أن ظنّ معمر أن معارضه الأبرز محمد المقريف هو أحد ركابها ولم يكن كذلك وكانت طرابلس دفعت لكل مواطن قتل في هذه الطائرة مليون دولار ثم فتح الملف من جديد إثر شيوع خبر دفع 10 ملايين لكل قتيل في طائرة الـ «بان أميركان»، بطلب زيادة التعويض إلى ما يقل عن 3 ملايين دولار

لكل قتيل في الطائرة الفرنسية.

أعلن رئيس الوزراء الليبي البغدادي علي المحمودي تفاصيل المفاوضات مع الاتحاد الأوروبي لإطلاق الممرضات والطبيب، مقدماً شكره لقطر وتشيكيا لدورهما في دفع التعويضات من خلال الصندوق الليبي.

فرنسا وعدت بتجهيز مستشفى بني غازي، وتدريب طاقمه لمدة 5 سنوات، وتدريب 50 طبيباً ليبياً في مختلف الاختصاصات، وتم دفع مليون دولار لعائلة كل طفل مصاب.

وقد ترددت أنباء بأن ليبيا هي التي دفعت كل هذه التعويضات، لكن قيل في الإعلام إن قطر هي التي تبرعت بهذه المبالغ، حتى لا يظهر أن ليبيا هي المسؤولة عن القضية كلها، والدليل أنها هي التي دفعت التعويضات.

ومع أن اسم إسرائيل لم يأتِ ذكره في أي مرحلة من مراحل المفاوضات، إلا أن رئيس الاستخبارات البلغارية قال إن إسرائيل كان لديها دور في إطلاق سراح الممرضات البلغاريات.

ومع أن سيف الإسلام القذافي أعلن أن ليبيا حققت انتصاراً عالمياً في هذه القضية، معترفاً بأن لها قضاياها مع الغرب، وتريد أن تستفيد بها عبر هذه القضية.

إلا أن القضية سرعان ما بدأت تأخذ بعد حلها والتعويضات وتطبيع العلاقات منحى قضائياً لن يسر نظام القذافي... أو ما تبقى منه حتى الآن.

فالممرضات البلغاريات الخمس أعلن أنهن تقدمن بدعاوى ضد معمر القذافي شخصياً أمام محكمة صوفيا في بلدهن.

والطبيب الفلسطيني أشرف حجوج بدأ إجراءات دعاوى قضائية أمام محاكم في باريس ومحكمة العدل الدولية في لاهاي.

أما وبعد اعتراف وزير العدل الليبي الذي انضم إلى ثوار ليبيا بعد ثورتهم في 17/2/2011، مصطفى عبد الجليل بأن نظام القذافي مذنب في هذه القضية، فيمكن للقضاء الدولي أن يحمّل القذافي المسؤولية الكاملة في هذه الجريمة المتعددة المصابين.

وكم كان لافتاً للأمر أن أول وزير انشق عن القذافي والتحق بالثورة وأصبح رئيساً للمجلس الانتقالي الوطني هو وزير العدل الليبي مصطفى عبد الجليل.

بعد كل هذه التفاصيل تظل الأسئلة فارضة نفسها حول كيف ولماذا حصلت هذه الجريمة الفظيعة في حق أطفال (450) وأمهات (20)، وربما أكثر ممن لم يتقدم أهاليهم

بالإبلاغ عن وفاة أي من أطفالهم أو أمهاتهم.

يقول البعض حتى لو افترضنا جدلاً أن الفاعل الحقيقي هو مجموعة الممرضات البلغاريات والطبيب الفلسطيني بالفعل؟؟... فإذا كانوا هم الفاعلين فالسؤال الذي سيطرح نفسه بإلحاح هنا هو لماذا؟؟... لماذا فعلوا ذلك؟؟... ولحساب مَن فعلوا ذلك؟؟...

هناك - في هذه الحالة - عدة احتمالات وتفسيرات تتردد:

- أن جهاز استخبارات النظام - وبتوجيهات من العقيد القذافي - ومن وراء ألف ستار - هو من قام بالاتصال - بشكل غير مباشر - وعن طريق وسيط - بهذه المجموعة «الممرضات البلغاريات والطبيب الفلسطيني» وقاموا بتوريطهم في هذا العمل الإجرامي مقابل مبالغ مالية مغرية وذلك بهدف الانتقام من أهالي بني غازي والتشفي فيهم أو من أجل اصطناع (كارثة إنسانية) يحاول من خلالها القذافي كسب عطف العالم لفك الحصار (المعنوي والمادي) الذي كان مضروباً على نظامه!!... وكما في ملف التحقيق فإن هذا الوسيط هو ذلك (الأجنبي المجهول؟) الذي اتفق معهم على العملية ثم اختفى فجأة..!!
- أن جهاز استخبارات العدو الصهيوني (الموساد) هو من قام بتنفيذ هذه الجريمة.. وهو من أرسل الوسيط الأجنبي لعقد الصفقة مع مجموعة الممرضات البلغاريات وقد ذكر النظام هذا الأمر في بداية ظهور الجريمة ثم أعرض عن هذا الاتهام ولم يعد يتطرق إليه!! إلا أن القذافي عاد في لقاء إعلامي في محطة «الجزيرة» محاولاً تشتيت التحقيق وجهات الاتهام - تماماً كما فعل في كارثة الطائرة المدنية المنكوبة من بني غازي إلى طرابلس!

وذكر أن هذه الجريمة قد تكون وراءها استخبارات أجنبية دون أن يسمي (الموساد) بالاسم!!... والسؤال هنا: لماذا تختار الموساد أطفال الليبيين بالذات ولماذا بني غازي على وجه التحديد؟؟ وهل عدد سكان ليبيا مما يثير قلق الكيان الصهيوني إلى هذه الدرجة كي يقوموا بهكذا جريمة!

- أن شركة دولية غربية، تريد إجراء بعض التجارب على مرض الإيدز فاختارت ليبيا بسبب الفوضى الإدارية وهي بالتالي من أرسل ذاك الوسيط الأجنبي لعقد الصفقة مع مجموعة الممرضات البلغاريات لتنفذ تجاربها في أطفال الليبيين!!...

والسؤال هنا والذي يطرح نفسه بقوة من هي هذه الشركة؟ ولماذا اختارت ليبيا بالذات

وها هي أفريقيا تعجّ بالفوضى وبأعلى درجة من الفساد وأعلى نسبة إصابة بمرض الإيدز في العالم.

- أن الجريمة إنما وقعت بسبب الإهمال وعدم توفر نظام صحي وإداري سليم وقوي في المستشفيات الليبية عموماً وفي المستشفى الذي وقعت فيه الحادثة بوجه خاص!... وهذا ما نفاه التحقيق أصلاً وهو ما لا يمكن قبوله عقلاً فكل الأدلة والحيثيات تشير بشكل حازم أن الحادثة، وبهذا العدد الهائل الرهيب، إنما هي عمل إجرامي مدبر ولا يمكن أن تكون بحال من الأحوال قد وقعت خطأ أو سهواً أو بسبب الإهمال!

من سيرة العقيد الذاتية ومساره نعود إلى الاستنتاج الأول وهو أن معمر كان يكره بني غازي وأهلها، وهو دبر هذه الجريمة تعبيراً عن سلوك وحقد وقرار حاسم في طريقة الانتقام من شعب بأكمله عن طريق قتل أطفاله ونسائه ورجاله.

خطف منصور الكيخيا

يعتقد ليبيون قابلناهم لاستيضاح مأساة خطف وزير خارجية ليبيا الأسبق دكتور منصور الكيخيا، أن الاستخبارات المصرية ساهمت مع الاستخبارات الليبية في خطف هذا الرجل الدمث الأخلاق الذي نذر نفسه للعمل الديمقراطي من أجل خلاص ليبيا.

ويقول بعضهم، إن القذافي أراد أن يخطف الكيخيا ليحصل منه على معلومات معينة ثم يتم التخلص منه.

كان الكيخيا أثناء وجوده في الأمم المتحدة بحكم منصبه الرسمي، يلتقي مسؤولين أميركيين، وعندما تخلّى عن هذا المنصب كان شبك علاقات واسعة مع معارضين ليبيين ونجح في عقد مؤتمر يجمعهم في واشنطن بتسهيل من مسؤولين أميركيين تحت عنوان ماذا بعد القذافي؟

كان معمر القذافي يعتمد على جواسيس كثر خاصة من المنظمات الفلسطينية التي نجحت في اختراق المجموعات الليبية المعارضة. كما في التعامل مع مختلف أجهزة الاستخبارات العالمية، لتقديم معلومات عن كل من وما يريده، خاصة عن المعارضين الليبيين في الخارج، لكنه وبعد سلسلة هزائم وعمليات ترحيل للمنظمات الفلسطينية من بيروت وتقييدهم في تونس واليمن فقد مصدراً مهماً للمعلومات.

شكل عقد مؤتمر ماذا بعد القذافي؟ في واشنطن ودور منصور الكيخيا في عقده حالة قلق في نفس القذافي، وهو المهووس بأمنه الشخصي. وبعد أن فقد مصادر معلوماته الواسعة فقد قرّر أن يخطف الكيخيا ليعرف منه خطة المستقبل للتخلص من نظامه ومنه شخصياً.

ولو كان القذافي يريد قتل الكيخيا في القاهرة أو غيرها لمجرد أنه خصمه لكان الأمر سهلاً جداً خاصة وأن الرجل بحكم عضويته في المنظمة العربية لحقوق الإنسان ومقرها في القاهرة، كان كثير الترداد على أرض الكنانة، وكان يمكن تصفيته بوسائل عديدة، عند إقامته في فنادقها، بواسطة اقتحام غرفته مثلاً، قتله، أو دسّ السم في طعامه أو تدبير حادث سير في الشارع، أو أي من أساليب الاستخبارات البريئة مظهراً للتخلص من أي كان لكن هدف العقيد لم يكن قتل الكيخيا قبل أن يستمع منه إلى الخطة التي أقرّت في مؤتمر واشنطن لمرحلة ما بعد القذافي.

يؤكد معارضون ليبيون أن تعاوناً وثيقاً كان يربط استخبارات ليبيا خاصة بشخصي عبد الله السنوسي وموسى كوسى ببعض مسؤولي الاستخبارات المصرية... وخاصة عبد السلام محجوب، ثم عمر سليمان وبرعاية من حسني مبارك نفسه، وأن الاثنين ترددا كثيراً على القاهرة قبل خطف الكيخيا، وكانا يلتقيان دائماً مع محجوب وبمعرفة الرئيس حسني مبارك.

لماذا خطفه مصر؟

معارضون ليبيون يرجحون أن عملية خطف الكيخيا وضعت خطتها في أثناء أحد هذه اللقاءات وأنه تم استدراجه من فندق «سفير» في منطقة الدقي في الجيزة حيث كان ينزل، إلى عشاء في منزل سفير ليبيا في مصر إبراهيم البشاري (قتل في حادث سيارة) ومنه أركب في سيارة دبلوماسية ليبية، وجرى تخديره داخلها، ثم انطلقت ضمن موكب رسمي ليبي بمؤازرة سيارة استخبارات مصرية رافقته إلى الحدود الليبية - المصرية، وأمنت دخوله الأراضي الليبية، وأن الاستخبارات الليبية حققت مع الكيخيا وحصلت أو لم تحصل على المعلومات التي تريدها منه، ثم جرت تصفيته بعدها.

ويختم معارضون ليبيون مقيمون في القاهرة أن محجوب حصل على ترقية بعد هذه العملية، وخرج إلى التقاعد ليصبح محافظاً للإسماعيلية، وبعدها محافظاً للإسكندرية وأحبه الناس فيها حتى أسموه عبد السلام المحبوب، قبل أن يصبح وزيراً للتنمية المحلية

إثر خدمته في الإسكندرية لمدة 10 سنوات، وقد رشّح نفسه لانتخابات مجلس الشعب المصري عن إحدى دوائر الإسكندرية، وكان خصمه فيها أحد قادة الإخوان المسلمين صبحي صالح، وتفوق المحجوب بعشر مرات أضعاف أصوات صالح، قبل حل مجلس الشعب إثر ثورة 25 يناير، ليصبح صالح هذا عضواً في لجنة تعديل الدستور برئاسة طارق البشري... ومحجوب ينتظر مصيره.

ويقول وزير خارجية ليبيا الأسبق عبد الرحمان شلقم في حديث مع جريدة «الحياة» بعد انشقاقه عن القذافي إثر الثورة إن رئيس استخبارات مصر نائب الرئيس عمر سليمان كان رجل ليبيا في مصر وإن له دوراً في إخفاء الكيخيا.

معلومات شلقم

يقول وزير خارجية ليبيا الأسبق عبد الرحمان شلقم أن منصور الكيخيا تم خطفه من دار السفير الليبي في القاهرة إبراهيم البشاري الذي كان اشترى منزلاً في العاصمة المصرية على النيل، قرب منزل أنور السادات وأن مدير المباحث الليبية العميد محمد المصراتي كان في مصر وقد تحدث مع الكيخيا هاتفياً طالباً منه موافاته إلى منزل البشاري ليتحدث معه، وإن الكيخيا الذي كان رجلاً مسالماً وطيباً إلى حدود السذاجة وافق على طلب البشاري والمصراتي وذهب إليهما، حيث قبض عليه هناك وسلم إلى الأمن المصري الذي نقله سراً إلى طبرق حيث كان في انتظاره عبد اللّه السنوسي. فأركبوه في طائرة ونقلوه إلى سجن أبو سليم في طرابلس الذي شهد المجزرة الشهيرة عام 1996.

ويقول شلقم أن هناك من يعتقد أن الكيخيا قتل في المجزرة نفسها بعد سنوات من خطفه (1996) وهناك آخرون يقولون إن الكيخيا كان يعاني من أمراض السكر والقلب والضغط (ولم يتحمل جسده السجن في الظروف القاسية التي مرّ ذكر الحديث عنها في قسم مجزرة أبو سليم).

شلقم يؤكد أن الكيخيا شوهد في سجن أبو سليم.

معلومات بعثيين عراقيين

ويقول رفاق للكيخيا عن علاقته بالعراق: كان منصور الكيخيا من أبرز الشباب البعثي في ليبيا وأكثرهم إخلاصاً في إيمانه وواعداً في عطائه متفانياً في ولائه لحزب

البعث، عمل بصمت وجهد مع رفاقه الليبيين الذين كان من بينهم، «عامر دغيْث» و«عبد الله شرف الدين» (في مكان آخر من هذا الكتاب حديث مفصل عما أصابهما من القذافي).

بدأ نشاط هؤلاء في عهد الملك إدريس السنوسي وكانوا معارضين له فسجنوا وعندما قامت ثورة الفاتح في 1/ 9/ 1969 بقيادة معمر القذافي. رحب البعثيون في ليبيا استناداً إلى توجيهات القيادة القومية في بغداد بانقلاب القذافي وأبدوا التعاون معه، لم يبادلهم القذافي الشعور نفسه واضطهدهم ثم بدأ بملاحقتهم وقتلهم وكان نصيب «عامر دغيْث» القتل في حين أن «عبد الله» دخل السجن ومات فيما بعد في ظروف غامضة غير معلومة.

أما «منصور» فقد أعفى عنه القذافي وعيّنه مندوباً لليبيا في الأمم المتحدة وبعدها وزيراً للخارجية ومن ثم استقال منصور وبدأ يتحرك مع المعارضة الليبية التي كانت تتخذ من العراق مقراً لها ويساندها في حاجاتها من دعم مالي ولوجستي.

فقد اكتشفت الاستخبارات الليبية دور منصور ودبرت له مكيدة نفذتها مع الاستخبارات المصرية في إحدى زياراته إلى مصر وسلمته إلى زميلتها الليبية التي أنهت حياته بناء على توجيهات وأوامر العقيد معمر هذه هي معلومات البعث العراقي.

معلومات المعارضة الليبية

لكن معلومات المعارضة الليبية تقول: إنه بعد اختفاء منصور بالتواطؤ مع الاستخبارات المصرية في عهد الرئيس المخلوع حسني مبارك استدعى عديل القذافي السيئ السمعة والمرعب عبد اللّٰه السنوسي أشقاء منصور وهددهم بأن أي إثارة منهم لأمر اختفائه وتحميل السلطة الليبية المسؤولية أو رفع شكوى أمام أي جهة عربية أو دولية، ستؤدي إلى محو العائلة بأكملها من الوجود ومن يبقى منكم على قيد الحياة سنحاربه بلقمة عيشه، وعليكم إذا سئلتم في أي مكان عن حقيقة اختفائه أن تحملوا المسؤولية للسلطات المصرية لأنها المسؤولة عن حمايته على أرضها.

أما زوج منصور السيدة السورية - بهاء - فقد أصرّت على كشف مصير بعلها، وطلبت لقاء مع العقيد معمر القذافي، فلبّى طلبها وذهبت إلى ليبيا حيث استقبلها العقيد، وأظهر حبه الشديد لمنصور، ونجح بخداعها حين عرض تحت زجاج الطاولة

التي يجلس خلفها صوراً له مع منصور، أطلعها عليها فصدقته وعرض عليها مساعدات مالية مجزية وقيل أنه أرسلها لها، وخفتت همة بهاء بعد ذلك التاريخ واختفت قضية منصور.

بعدها قال القذافي لبهاء إن منصور اختفى في مصر وإنه لا يريد إحراج المصريين، لذا فإن الحل هو في عقد اتفاق ودي مع مصر، يبدأ بعدم إثارة الموضوع إعلامياً، وإذا بالغتم في إثارة أمر الاختفاء في مصر، فإن هذا يعتبر استفزازاً للمصريين قد ينتج عنه إخفاء الرجل. ولن تجدوا له أثراً بعد ذلك.

القذافي قدّم لعائلة منصور (بهاء) فيلا كبيرة في طرابلس جرى تأجيرها لسفارة أفريقية، تدفع السلطات الليبية إيجارها كعادة التعامل الرسمي الليبي مع دول أفريقيا وأميركا اللاتينية، حيث تدفع الدولة الليبية إيجار سفارات العالم الثالث النامي.

تحسن وضع عائلة منصور الكيخيا بعد ذلك، وهي تستقر منذ وقت طويل في الولايات المتحدة وتحمل جنسيتها.

جرائم 7 أبريل

أواخر عام 1975 تداعى طلاب في جامعة بني غازي لتشكيل اتحاد طلابي مستقل عن السلطة، وفق انتخابات أرادوها نزيهة، لا تدخل للسلطة فيها سواء بالأمن أو من خلال فرض اتحاد طلابي مدعوم من أجهزته.

كان الشعار الوحيد الذي رفع لحملة الترشح للانتخابات هذه هو الحرية: حرية التعبير، حرية الانتخابات، حرية الحركة الطلابية.

تحت هذه الشعارات، وفي مواجهة لائحة السلطة المدعومة يومها من تنظيمها السياسي الاتحاد الاشتراكي العربي الليبي، فاز الطلاب المستقلون بأغلبية مقاعد كليات الجامعة (حقوق، آداب، تجارة...) وسقط طلاب الثورة.

أقلق نجاح الطلاب المستقلين أجهزة الأمن والسلطة، فدعا أمين الاتحاد الاشتراكي الليبي محمد حجازي الطلاب الناجحين إلى اجتماع سريع، ليبلغهم بأن هذه الانتخابات ونتائجها غير شرعية، لأن المشاركين فيها لم يتجاوزوا الـ 40٪.

سأله أحد الطلاب (المحامي الآن وأحد النشطاء السياسيين المشاركين في ثورة 17 فبراير 2011) علي مجبري، وكم كان عدد المؤيدين لقيام اتحاد الجمهوريات العربية في

ليبيا، فقال حجازي كانوا 99٪ فسأله مجبري هذه النسبة من المشاركين أو من الشعب الليبي فرد حجازي بل من المشاركين في الاستفتاء.

هنا قال الطلاب نحن اعتمدنا نتيجة مشاركة الطلاب كما تنص عليها لائحة انتخابات الجامعة وفزنا بالأغلبية منهم، غضب محمد حجازي وقال عبارة لريجيس دوبريه: القطة تأكل جراءها، وهو يقصد أن الثورة تأكل أبناءها.

وبدأت خطة مواجهة طلاب جامعة بني غازي المستقلين، حين أعيدت الانتخابات، وفازت لوائح السلطة في كل الكليات في تزوير مفضوح وعلني وفي تحدٍ سافر، كانت فيه الصناديق تملأ بأسماء لوائح السلطة أمام الطلاب الحذرين من تواجد عناصر الأمن في اللوائح وفي الجامعة نفسها.

لم تمر النتائج المزورة دون رد فعل من طلاب قاموا بتظاهرة حاشدة داخل أسوار الجامعة، فحاول أحد عناصر الأمن المسجل كطالب في الجامعة إطلاق النار على المتظاهرين لإخافة أحد الطلاب ليهرب إلى أحد مكاتب الإدارة مقفلاً بابه من الداخل، فهدده الطلاب بإحراق المكتب إذا لم يخرج، فعمد عناصر الأمن لإطلاق النار من إحدى الفتحات فأصاب رأس الطالب جلال زواوي، فظن الطلبة أن زميلهم توفي... فتحولت تظاهرتهم إلى ثورة خرجت من الجامعة إلى وسط مدينة بني غازي واعتصموا في ميدان الشجرة، بادئين تحركاً لقي تجاوباً شعبياً ضد السلطة التي عجزت عبر الشرطة عن تفريقهم، فأرسلت الجيش بقيادة الرائد محمود سليمان (انضم إلى ثورة 17 فبراير 2011 وهو الآن برتبة عميد).

طلب الرائد سليمان من الطلاب الانسحاب من الميدان فرفضوا، ليبدأ الجيش إطلاق النار في الهواء، خاف بعده بعض الطلاب لينسحبوا هاربين إلى ثانويات للبنات قريبة يصرخون بأن أشقاء الطالبات يتعرضون للقتل في ميدان الشجرة، فخرجت طالبات الثانويات من مراكز دراستهن وتوجهن بالمئات إلى حيث الشباب معتصم ليشكلن سواراً حول الطلاب الجامعيين، وهذا ما أرغم الجيش على التوقف عن إطلاق النار.

توجه نفر كبير من أجهزة الأمن إلى دور الأهالي ليبلغ الآباء والأشقاء أن بناتهم وشقيقاتهم يتعرضن للإهانات والخطر في ميدان الشجرة، وأنهن يتعرضن أيضاً للاختلاط مع الشباب، فاندفع الرجال لسحب بناتهم بعيداً عن المخاطر التي أبلغوا عنها... وتبعهن الشباب.

هكذا فضّ الاعتصام... لكن الفترة من 2/1/1976 حتى 2/4/1976 شهدت اختفاء عشرات الطلاب الذين شاركوا في كل هذه الاحتجاجات سواء المشاركين في الانتخابات والفائزين أو المعتصمين والمحرضين على الجهر بالمطالبة بالحريات.

كان أحد أقرباء القذافي الرائد حسن إشكال هو الذي يشرف على التحقيق وتعذيب الطلاب المعتقلين (رجال القذافي قتلوا أشكال فيما بعد، وهو ما يرد ذكر واقعة قتله في مكان آخر من الكتاب).

أراد القذافي الذي كان أعلن الثورة الشعبية وإلغاء القوانين قبل عدة سنوات (كما ورد سابقاً) أن يستكمل ثورته داخل الجامعات.

فجاء إلى بني غازي وعقد اجتماعاً موسعاً لقادة الاتحاد الاشتراكي العربي الليبي، وأجهزة الأمن والجماعات الخاصة به التي بدأ بافتتاحها ليروي لهم أن الطالب أحمد إبراهيم (أصبح فيما بعد وزيراً للتربية، ومن أشرس رجال الأمن الليبي حول القذافي)؟؟ جاءه حافياً وهو يصرخ أخ معمر أخ القائد، الثورة تسرق...

وأنا أسألكم - قال القذافي - هل تريدون ن يسرق الرجعيون والأحزاب الثورة؟ فردّ الحضور طبعاً لا، وتعالت الهتافات تحرض على الانتقام والتخلص من الرجعيين والحزبيين.

كان العقيد يسخّن نفسه والمناخ حوله، ويهيئ للسيطرة الكاملة بعد إخافة الجميع، فجاء إلى الجامعة بعد أن تم إفراغها بواسطة أجهزة الأمن من الطلاب المعترضين، بين سجن وإخفاء وإخافة..

وقف القذافي في مكان مرتفع بين الطلاب وهم من عناصر الاتحاد الاشتراكي، وأجهزة الأمن، وجماعات تم استحضارها من مدن أخرى، وطلاب حياديين غير مهتمين بالسياسة أو بأي عمل عام، فخطب محذراً ومهدداً ثم ليخلص إلى تخيير الطلاب (جماعاته كلهم وحياديون) قائلاً: من كان مع الثورة فليقف إلى اليمين وأشار إلى حيث اليمين ومن كان ضد الثورة فليقف إلى اليسار.

التزم الحضور كله بالوقوف إلى يمين القذافي فابتسم الرجل شامتاً: محسومة.

حدّد معمر القذافي يوم 7 أبريل 1976 يوماً للثورة الطلابية والشعبية ضد الثورة المضادة، وبدأ تنفيذ حملته بإصدار أحكام إعدام ضد طلبة ثائرين، فأعدم عمر المخزوم

(كان منتسباً إلى الجامعة وهو فنان ومطرب كان معروفاً في ليبيا) ، وطالباً ثانياً في ميدان الشجرة.

أوقف مئات الطلاب وسجن العشرات وتطايرت الاتهامات: هذا شيوعي، وهذا إرهابي وهذا إخواني، وهذا إسلامي...

احتفال بالإعدام

كان معمر القذافي يأمر جماعاته بأن يتم الاحتفال سنوياً بذكرى جريمة 7 أبريل، وفي بني غازي وإمعاناً في التحدي لأهاليها ومشاعرهم وتقاليدهم الاجتماعية، فإنه عين إحدى نشيطاته الخاصات هدى بن عامر محافظة لثاني كبرى مدن ليبيا.

وهدى هذه يعرفها أبناء بني غازي وذاع صيتها بأنها كانت تمر فوق جثث الشباب الذين تشنقهم أجهزة القذافي وتضربها تشفياً وعهراً.

وبمناسبة الحديث عن الإعدامات فإن أجهزة إعلام القذافي كانت تتعمد بث صور عمليات الشنق ضد الشباب المعارض والمظلوم. في شهر رمضان في لحظات إطلاق مدفع الإفطار والناس بدل أن تصغي إلى آيات من القرآن الكريم تسمع بيانات إعلان الإعدام وصور عمليات الشنق... ثم تخرج عناصر من أجهزة الأمن لإطلاق الرصاص ابتهاجاً بعمليات القتل المجرمة هذه.

ومن بين أبرز رجال الإعلام في العالم الذين أتيح لهم مشاهدة إحدى عمليات إعدام لشباب في بني غازي واضع كتاب الحجاب أو النقاب، وبطل نشر فضيحة «ووتر غيت» التي أطاحت الرئيس الأميركي الأسبق الراحل ريتشارد نيكسون... إنه بوب وودوورد الذي زار ليبيا. بدعوة من الإعلام الليبية ليشاهد عملية إعدام لمراهقين في جامعة بني غازي وكتب عنها. ونشر الخبر في جريدة «الواشنطن بوست» الأميركية. وأثارت ضجة كبرى في العالم وأرسل سفير ليبيا في واشنطن خبر الجريدة إلى طرابلس فبادرت الاستخبارات الليبية إلى حمل بوب وود من الفندق إلى المطار مطروداً.

علم القذافي بالمسألة، فطلب إحضار بوب وود لمحاورته علّه يغير رأيه أو ينظف سيرته، فلما قيل له أنه طرد استشاط غضباً وراح يشتم من حوله وكل من كان له دور في الأمر من أساسه.

الكتاب الأخضر

بعد 7 أبريل/نيسان 1976 أصدر معمر القذافي الجزء الأول من كتابه الأخضر، وأصدر الجزء الأخير في العام 1977 وليس أفضل من وصف الصحافية الإيطالية المميزة ماريانا فالانتشي للكتاب الأخضر بقولها له مباشرة إنه أصغر من علبة التزيين التي تضعها في محفظتها. (أحد ملاحق العدد يتضمن حوار فالانتشي مع معمر).

وفي العام 77 وبعد اكتمال أجزاء الكتاب الأخضر الثلاثة أعلن معمر القذافي جماهيريته، وبعد حكم ثماني سنوات كرجل أول رسمي في ليبيا (1969- 1977) أعلن معمر القذافي سلطة الشعب، ولم يعد يقبل أن يقول عنه أحد إنه رئيس دولة، أو صاحب سلطة، فهو قائد الثورة، المفكر الملهم...

لا نجومية

حتى لا يسطع من ليبيا سوى نجم واحد هو معمر القذافي، أصدر العقيد أمراً بمنع النجومية في المجتمع الليبي، وكان الهدف المعلن دائماً هو جعل الناس سواسية لا يتقدم فيها اسم أحد على أحد مهما كانت صفته. غير أن هذا المفهوم وضعه القذافي كي يسري على كل الليبيين... سواه.

منع معمر القذافي على وسائل الإعلام الليبية – وهي وسائل تعيسة بكل المقاييس – إطلاق اسم أي مسؤول في ليبيا مهما كانت رتبته وموقعه، فالليبيون لا يعرفون أسماء مسؤوليهم، فهم صفات لا اسم لها، يأتون ويذهبون إلى غياهب النسيان أو السجون أو المنافي نكرات في أحسن الحالات وكثيرون منهم يتحولون إلى كلاب ضالة في نظر اللجان الثورية التي رباها العقيد لكي تكون عصاه القاتلة.

فالصفة هي الأساس – ولا لزوم لأي اسم – فيقال مثلاً استقبل الأخ قائد الثورة الفاتح العظيم الأخ المفكر معمر القذافي أمين اللجنة الشعبية العامة (رئيس الوزراء في أي مجتمع) ودون ذكر اسمه.

لا اسم لوزير ولا لمذيع ولا لمدرس ولا لفنان فقط صفة.

وصل الأمر إلى الرياضيين الذين يلعبون كرة القدم في الملعب، فهم مجرد أرقام، ومذيع المراقبة يشرح للمشاهدين تفاصيل المباراة اعتماداً على الأرقام فيقول الرقم

10 أرسل الكرة إلى الرقم 9، وهذا أرسلها إلى الرقم 8 والأخير سددها لحارس اللون الأخضر أي حتى حارس المرمى لا اسم له، حتى الفريق اللاعب لا اسم له، ولا اسم للفريق الذي يلاعبه.

وبلغ من حرصه على تطبيق هذا القرار اللاأخلاقي أن انشأ له إدارة خاصة في جهاز الأمن الداخلي لملاحقة أي مخالفة له، وقمعها على الفور ومعاقبة كل من يخالفه.

لا نجومية للمفكرين

كان أعضاء منظمة اليونيسكو الثقافية العالمية يرون في الدكتور الليبي مصطفى علي الحوات أنسب من يتسلم الأمانة العامة للمنظمة الدولية، وكان د. مصطفى نسج علاقات من خلال مسؤوليته طويلاً في هذه المؤسسة المهمة، وهو رجل دمث الأخلاق - عميق التفكير، شديد التواضع والأثر عند من يعرفه.

علم القذافي من خلال تحليلات وسائل الأعلام، بأن هذا المواطن الليبي مرشح لمنصب رئيس الجمعية العامة لليونيسكو، فإذا به يتلقى أمراً بمغادرة موقعه والعودة مباشرة إلى ليبيا وتعيين مسؤول ليبي آخر هو د. زروق مكانه، لم يكن د. زروق معروفاً من الأعضاء، ولم يكن المنصب ليعطى لدولة بل لكفاءة رجل عرفوه وخبروه فضاع منصب رئيس الجمعية العامة لليونيسكو كي ينفذ القذافي مفهومه الغريب باللانجومية... يجب ألا يعرف في ليبيا ومن ليبيا رجل سواه.

والحكاية نفسها تنطبق على د. سالم عميش الذي كانت الدول العربية قد أجمعت على تأييده لمنصب نائب رئيس البنك الدولي، لكن وصول أخبار الإجماع على اختياره دفع القذافي لسحبه ليضيع المنصب عليه وعلى دولته في الوقت نفسه.

ملحوظة: تم تعيين وزير الاستثمار المصري د. محمود محيي الدين نائباً للبنك الدولي قبل إسقاط حكم الرئيس حسني مبارك بعدة أشهر.

الكاتبان الليبيان د. مالك أبو شهيوي ود. محمود خلف ترجما كتاب صموئيل هنتغتون «صراع الحضارات»، ووضعا كتاباً أطروحة رداً على هذا الموقف العدائي للإسلام، فمنعا من الظهور على أي شاشة مرئية ليبية أو أي جريدة في ليبيا، كي لا يعرف الليبيون اسماً آخر غير اسمه أو أسماء أولاده، حتى لو كان ظهور الأولاد في جرائم مشينة يتناولها الليبيون في جلساتهم الخاصة شبه السرية.

وكم حاول معمر القذافي عبر أجهزته منع «الأهرام» المصرية من نشر مقالات الكاتب الليبي المعروف د. أحمد ابراهيم الفقيه، لحصر اسم ليبيا كلها باسمه وحده فقط.

إعدام الشعراء في أماكن إبداعهم

تأسست في بني غازي جمعية المرأة الجديدة، لنشاطات ثقافية وإبداعية، استضافت عدداً من الشعراء والأدباء في أمسية في المدينة، كانت مناسبتها ذكرى شاعر ليبي معروف هو علي الرفيعي (توفي عام 1966، وكان مناضلاً ضد النظام الملكي، ومحرضاً على الثورة) من قبيلة الرفيعات المعروفة.

جاء المدعوون من طرابلس كما من بقية المدن الليبية، وكان من بينهم مفجر 17 فبراير/شباط 2011 (الحديث عن هذه المسألة في مكان آخر من هذا الكتاب) الأديب والصحافي والشاعر إدريس المسماري، الناقد وصاحب موقع سريب أحمد الفيتوري، مؤسس جمعية أبو كليب الشاعر المعروف محمد صالح الفقيه، الجيلاني طريبشان، رضوان أبو شويشة.

خلال الأمسية التي عقدت عام 1977 اقتحم أعضاء اللجان الثورية بقيادة أحمد إبراهيم (ورد ذكره في مكان آخر) وعمر السوداني، ومصطفى الزائدي... القاعة مع مسلحين وأقفلوا الأبواب ثم بدأوا تقسيم الجمهور الحاضر بين مشارك في الأمسية وجمهور مدعو للاستماع، وأعلنوا فجأة وسط ذهول الجميع أن المشاركين في الأمسية هم وكر من أوكار الخيانة وأعداء الثورة وأن اللجان الثورية قررت أن تؤدبهم في عقر دارهم وبدأ المسلحون الذين حملوا معدات المشانق بنصبها داخل القاعة لا محاكمة ولا دفاع ولا تداول أحكام... فهذا كله دلع وترف لا مكان له في ظل الأوضاع التي قررها أحمد إبراهيم ومن معه أنها ثورية تبيح له ولأمثاله أن ينفذوا قوانينها على الخونة الأدباء والمبدعين والشعراء والصحافيين...

الواجب الثوري يقضي أن تنصب المشانق في المكان الذي يرتكب فيه الجرم، وهو قاعة الأمسية الأدبية المنحلة الرجعية التي توهن من عزائم الأمة... حيث يتم التآمر على الثورة وقائدها ونهجها، لكي نثبت للجميع أن الثورة قادرة على الردع.

وقع الرعب في نفوس الجميع، وتقول طالبة جامعية شابة أنها في اليوم التالي لحضور هذه الواقعة المرعبة ظهر شعر أبيض كثيف في رأسها.

حمل المتهمون «بسيارات الشرطة الثورية إلى محاكمات أخرى أكثر ديمقراطية،

وسمح لمحامين عن المتهمين؛ منهم علي صدقي عبد القادر بالدفاع عنهم. فقام بالدفاع عنهم بما يملك من قدرة وإيمان ببراءاتهم من أي تهمة وأيضاً من دون جدوى...

كان هؤلاء جميعاً من العاملين في جريدة الأسبوع السياسي التي كان يرأس تحريرها عبد الرحمان شلقم آخر مندوب لليبيا في مجلس الأمن في عهد القذافي الذي انضم إلى الثوار في الأيام الأولى للثورة.

دافع شلقم عن زملائه دفاعاً جميلاً فقد كان هو شاهد النفي الوحيد، وكانت هذه شهادة وشجاعة منه، فلم يتهرب من واجبه تجاه زملائه، ولم ينفِ عملهم الصحفي، وقد كانوا من المبدعين ومعظمهم من أهل اليسار، كانوا يسهرون مع بعض ويقرأون الشعر ويتحدثون بأريحية دون رقيب أو حسيب ثم تبين أن الرقيب والحسيب كان منهم وبينهم وهو الذي نقل ما حدث وقرأ ما قيل إلى أجهزة العقيد الأمنية المنتشرة في كل مكان، فوق الأرض وتحتها، وفي الغرف المغلقة، وداخل أسرة النوم، وفوق مقاعد الدراسة، وفي الشوارع الفارغة والمكتظة، وفي الأسواق والمكاتب والسفارات ودور العبادة والإبداع وملاعب الرياضة، وصفوف المتفرجين، وفرق الفنون على أنواعها.

أمضى المعتقلون 11 سنة في سجون القذافي وفي عام 1988 قرر القذافي في إحدى نوباته أن يهدم السجون، فقاد البولدوزر الشهير ودك فيه جدران سجن طرابلس وهدمه، إيذاناً ببدء هدم السجون فخرج سجناء الرأي والسياسة والإبداع، مع مَن خرج من المجرمين واللصوص الحقيقيين. ورسمت على شوارع طرابلس والمدن الليبية جداريات تظهر العقيد يقود البولدوزر لشق طريق الحرية كما رآها ورسمها هو بنفسه.

عقاب لشلقم

لم ينسَ العقيد شهادة عبد الرحمان شلقم لمصلحة زملائه وهي نفي لأي تهمة عنهم، فأبعد بعد شهادته عن مجلة الأسبوع السياسي، ثم تعرض لحادث سير كاد يودي بحياته وإن كان نجا منه وسبّب له جرحاً عميقاً في قدميه.

وأبعد عن المشهد السياسي والثقافي لوقت طويل ثم أرسل سفيراً إلى روما ليحل محل السفير الأصيل الذي أبعد واختفى لمجرد أنه نقل إلى العقيد أن امرأة زارته في مقر السفارة لتقول له إنها يهودية وإنها قريبة لوالدة القذافي، فوجد السفير مقتولاً بعد فترة، ثم عُيّن مكانه قائم بالأعمال قُتل أيضاً بسبب حماسه الثوري الزائد.

فجاء عبد الرحمان شلقم... وقد أدرك بحسه السياسي وذكائه أنه سيكون معرضاً أيضاً لمثل ما تعرض له سابقوه، فاتخذ احتياطات أمن مشددة حول نفسه وحول السفارة، وجاء بموثوقين منه مقربين من عائلته للحماية، حتى إنه اعتمد إحدى غرف السفارة لإقامته، وما كان يغادرها إلا تحت حراسة مشددة وسراً... وليلاً... وفي سيارة مصفحة اعتمدها خصيصاً لتنقلاته القليلة...

شعاع ضد الليبيين

أنشأ معمر القذافي شركة لإنتاج الأفلام بتمويل ليبي ضخم قدم فيه 100 مليون دولار دفعة أولى وسلم أحد ضباطه القدامى المعروفين العميد يوسف الدبري (متزوج من لبنانية) إدارة المشروع، وقد أعلن الدبري أن القذافي وعده بضخ 300 مليون دولار لدعم المشروع.

كان من الطبيعي أن تقدم شركة الإنتاج الليبية هذه وجوهاً من ليبيا كي يتعرف عليهم الجمهور العربي عبر الأفلام الطويلة أو عبر المسلسلات، لكن السياسة التي تبلغها الدبري بعدم تقديم أي فنان ليبي تطبيقاً لعنوان اللانجومية حالت دون ذلك.

دون النجومية لم يكن لطه حسين أو نجيب محفوظ أو أم كلثوم أو عبد الوهاب أو فريد أو عبد الحليم أو كمال الطويل أو فيروز أو مارون عبود أو الشاعر القروي أو نجاح سلام أو المئات المئات في طول الوطن العربي وعرضه أن يعرف أي واحد منهم، وليس في هذا عيب، بل إنه فضلاً عن حقهم الإنساني في أن يعرفهم الناس الذين يتوجهون إليه بإبداعهم فهو حافز كبير يعادل المسؤولية والمحاسبة كي يستقيم الإبداع ويستمر وينتج كل فنان وكاتب ومبدع أجمل ما عنده.

لم يسر مفهوم اللانجومية إلا على الليبيين، فالعديد من فناني العرب الذين كان البعض منهم يمنّي النفس بزيارة ليبيا والغناء للحصول على المال الوفير بكرم حاتمي رغم كل التعقيدات، كان يتمتع لدى وصوله إلى ليبيا بما يليق بالحكام والملوك والأمراء من اهتمام ورعاية وكرم غريب.

كان فنانو ليبيا عدا قلة محظوظة منهم احتضنها النظام كي يمجدوا أو يغنوا ويكتبوا له، محرومين من أبسط حقوقهم فإذا خرج فنان إلى الناس يغني أكل وشرب ودفع تكاليف حياته، وإذا لم يخرج إلى الجمهور ليغني شحذ لقمة العيش.

أتباع ملعب اللانجومية

كان ممنوعاً في ليبيا ظهور اسم أي معلق سياسي، أو اسم أي أستاذ جامعي، فيقال مثلاً الأستاذ في جامعة طرابلس يحدثنا عن كذا وكذا... دون نطق أي اسم حتى لو كان مناقشة لأمر طبي، أو تربوي، أو ثقافي أو اقتصادي وإذا حصل أن أدلى ضيف مرئية باسم مفكر ليبي أو كاتب طبيب أو اقتصادي ليبي... اختفى حضوره نهائياً عن الإعلام.

وكالة الأنباء الليبية لا تذكر اسم ليبي إلا القائد المفكر، وأخبارها توزعها على وسائل الإعلام المعروفة... الزحف الأخضر، الفجر الجديد، الجماهيرية... المرئيات... دون أسماء.

الفصل الثالث

دراسة لإسلامي:
معمر القذافي هل هو مسلم؟

- مصطفى العقاد والعقيد القذافي: رواية حيّة
- معمر يخرج من ثوب عبد الناصر
- العقيد بنظر نفسه
- عن عمر المختار... كان يكرهه
- أسماء القذافي الـ38
- القذافي والوحي
- القذافي يتحدى ثقافة الليبيين الدينية

مصطفى العقاد والعقيد القذافي
رواية حيّة

قال لي المخرج العربي العالمي مصطفى العقاد الذي ربطتني به صداقة ومودة وإعجاب متبادل بناصريتنا الموغلة في القدم: أتعرف يا أخ حسن، أن معمر القذافي رجل مستنير، وجريء ويطرح أفكاراً لا يجرؤ على طرحها أي حاكم أو مثقف أو ثوري في بلادنا العربية!

لم يكن كلام الفنان والإنسان والعروبي حتى النخاع الذي قتلته مجرمة غسل الظلاميون عقلها حتى فقدت كل أثر لضمير أو دين أو أخلاق أو إنسانية، ينتظر مني جواباً على سؤاله وهو يطرحه لينفث بعضاً من دخان غليون بين يديه، فتابع على الفور... تصور يا أبو علي (أنا أبو أحمد) أن القذافي وحين كنت أعدّ لفيلم الرسالة، محمد رسول الله، وكنت أجلس معه كثيراً، طلب مني أن أُظهر الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام) مجسداً بشخص أو ممثل عربي أو أجنبي، ولم يكن يمانع في ظهور شخصيات الخلفاء الراشدين الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي في الفيلم نفسه بشخصيات مجسدة لهم عبر ممثلين عرب أو أجانب.

استطرد العقاد قائلاً: وقد اتسعت حدقتا عيني دهشة، لكنني قلت له أخي العقيد هذا الأمر صعب جداً، ويثير الدنيا كلها ضدي وضدك وربما لن يرضى أحد في العالم أن يشتري الفيلم أو يوزعه،فرجاه قبل أن نتابع تصوير الفيلم، وكنا قطعنا أشواطاً في الإعداد والبناء في مواقع التصوير، وأحضرنا الناس بالآلاف من كل أرجاء الدنيا ومن كل ليبيا، أن نصل إلى حل في هذا الأمر.

تابع العقاد: لاحظت إصراراً من العقيد على إظهار الرسول العربي في الفيلم، فقلت له في محاولة وجدتها سانحة للتهرب من هذه الورطة، وأنا لا أريد أن أغضب الرجل حتى لا يتوقف العمل في ما اعتبرته أهم مشروع حضاري لإظهار الإسلام وشخصياته بصورة جديدة نقدمها للعرب والعالم غير الإسلامي: إذا كنت مصمماً يا أخ العقيد على هذا الأمر الخطير، فأرجو أن تأخذ رأي الأزهر الشريف والنجف كمؤسستين دينيتين

مسؤولتين عن أمور المسلمين السنّة والشيعة.

قال لي العقاد: أحسست بعد أن اقترحت على العقيد هذا الأمر، أن جملاً كبيراً أزيح عن كاهلي، خاصة عندما قال لي القذافي «دولا رجعيين، ما نكلمهم، وغدوة (غداً) يشكوني عند رؤسائهم وملوكهم (أنور السادات، صدام حسين، أحمد حسن البكر، الملك خالد، والملك الحسن الثاني) وإني ما طايق أكلم حد منهم».

انتهت رواية العقاد، ويبدو أنه رواها لكثيرين غيري، فقد سمعتها بعد ذلك من الصديق الليبي الكاتب الكبير د. أحمد إبراهيم الفقيه.

أعترف أني ما أدركت هدف القذافي من هذه الفكرة يومها، وإن كنت اعتبرتها إحدى شطحاته في المسألة الدينية، خاصة وقد سبقها بدعوته لإلغاء الأحاديث المنسوبة إلى الرسول العربي الأكرم، واشتبك في هذا الأمر مع أحد مشايخ الأردن حين خطب في مسجد في طرابلس بحضور رجال دين مسلمين حضروا بدعوة من جمعية الدعوة الإسلامية في طرابلس الغرب.

يومها وقف العقيد خطيباً مطالباً بإلغاء الأحاديث كلها مستشهداً بحديث منسوب إلى الرسول جاء فيه وأعلنه العقيد: قال فلان عن فلان عن فلان حدثني رسول الله وقال: من أكل من بصل عكا كأنه دخل مكة، وضحك قائلاً: يبدو أن أحدهم كان لديه بصل لم يبعه فنسب هذا الحديث للرسول كي يبيع بصله!

هنا انفجر شيخ أردني كان ضمن ضيوف العقيد ووقف معارضاً القذافي ثم انسحب من المسجد ولحقه عدد من رجال الدين، وغادر ليبيا آسفاً على هذه الشطحة من القذافي.

وبما كانت تلك إحدى المرات المشهودة التي خرج بها العقيد عن النص الديني التقليدي، ولم تكن آخرها فقد رسخ في أذهان ليبيين كثيرين التقيتهم عندما قامت ثورتهم ضد القذافي التي عرفت باسم ثورة 17 فبراير/ شباط 2011، أن الرجل أمر بأن تحذف كلمة «قل» من آيات الإخلاص، والناس والفلق فيقرأها مباشرة «أعوذ برب الفلق»، أو «أعوذ برب الناس»، أو «هو الله أحد»، بحجة أن الله خاطب الرسول قائلاً له «قل»... وبالتالي فهي ليست ملزمة للمؤمنين يبدأ بها أياً من هذه الآيات.

ما علينا.

ولنتجاوز شطحات العقيد الشكلية لندخل إلى ما هو أخطر، وهو ما يمكن استنتاجه وفق الوقائع التالية:

سألت الصحافية الإيطالية المشهورة ماريانا فالاتشي العقيد معمر القذافي في إحدى مقابلتيها اللتين أجرتهما معه: هل تؤمن بالله؟ فقال لها بعد سرحان بسيط... نعم، ولِمَ هذا السؤال؟ فأجابته الصحافية المعروفة بجرأة لامتناهية: لأنني ظننت أنك أنت الله.

- اقرأ في ملحق الكتاب ملخصاً لهذه المقابلة التي نشرت في 2/ 2/ 1979 في «كوريرا دي لاسيرا» و«نيويورك تايمز» و«دير شبيغل».

وفي حديث آخر مع العقيد سئل العقيد، من هو المثل الأعلى لك، فلم يجب، وبعد إلحاح قال لا أحد فقال السائل: أليس جمال عبد الناصر، أشاح العقيد بوجهه دون جواب، فرد السائل والرسول محمد؟ فرد العقيد: لا تنسَ أنه يوحى له.. وأنا لا يوحى لي، وعندما سئل العقيد هل كنت ترعى الغنم عندما كنت صغيراً فرد بافتخار كل الأنبياء رعوا الغنم، موسى وعيسى ومحمد!!

معمر يخرج من ثوب عبد الناصر

كان البعض يعتقد أن معمر القذافي مهتم بأن يلبس ثوبه الخاص خارجاً من جلباب جمال عبد الناصر، الذي قال له مرة أنت الأمين على القومية العربية.

لم يكن القذافي بعد سنوات على رسوخه في السلطة مهتماً بأن يقول إنه ناصري، رغم أن الإعلام والناس ورفاقه في مجلس قيادة الثورة أشهروا ناصريتهم كما الثورة التي قادوها يوم الفاتح من سبتمبر/ أيلول عام 1969، وحولوا اسم المملكة الليبية المتحدة إلى الجمهورية العربية الليبية تيمناً باسم الجمهورية العربية المتحدة التي ظلت تحمل اسمها يوم إعلان الوحدة مع سوريا في 22/ 2/ 1958، رغم انفصال سوريا بجريمة يوم 28/ 9/ 1961 وأسس مجلس قيادة الثورة كما هو اسم المجلس الذي قاد ثورة 23 يوليو/ تموز 1952 في مصر، بزعامة جمال عبد الناصر، وشكل المجلس من 12 عضواً كما هو مجلس عبد الناصر، وحمل ضباطه اسم الضباط الأحرار كما في مصر، أنشأ الاتحاد الاشتراكي العربي في ليبيا تيمناً باسم التنظيم السياسي الذي يحمل الاسم نفسه في مصر.

وعندما التقى القذافي عام 1972 وفداً من قيادات التنظيم الطليعي الذي أنشأه جمال عبد الناصر في مصر عام 1965 وكان تنظيماً سرياً، انطلق من مصر إلى معظم البلدان العربية وفاتحه قادة التنظيم بالأمر بأنه تنظيم جمال عبد الناصر، وافق القذافي

على الانضمام للتنظيم طالما هو من قرارات جمال عبد الناصر لحفظ الثورة بتنظيم تحت عنوان راسخ لأعضائه: الطليعي أول من يضحي وآخر من يغنم، واعداً بأن يرعاه من كل النواحي.

باكراً خرج القذافي من ثوب جمال عبد الناصر سياسياً وفكرياً وتنظيماً وإن كان ظل في أذهان كثيرين ناصرياً يريد البعض تعزيز نفسه بوجوده، ويغنم كثيرون من أعطياته، وهو لم يكن يمانع في إشاعة هذا الوهم حتى أسفر عن وجهه الجديد في نظريته العالمية الثالثة ومزاعم حكم الجماهير عبر اللجان الشعبية ومؤتمراتها ولجانها الثورية، وإعلان الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية التي أضاف إليها العظمى بعد عدوان أميركا على ليبيا في نيسان/ أبريل 1986.

لم يكن القذافي ليوافق لحظة بعد أن رسخ سلطته، التي سيأتي تفصيل واسع عنها لاحقاً، أن يقال إنه ناصري فهو قائد ثورة عالمية، حتى لو وافق أن جمال عبد الناصر قاد ثورة عربية، وهو جاء بعصر الجماهير وأعلن الجماهيرية، وعبد الناصر كان رئيس دولة يحكمها نظام سياسي وتنظيم سياسي بينما هو قال في كتابه الأخضر من تحزب خان.

لم يعد جمال عبد الناصر مثل القذافي الأعلى، والرسول محمد يوحى له، وهو أي القذافي لا يوحى له بل تأتيه الأفكار من عقله ومن نباهته، وهو راعي غنم كما كل الأنبياء.

العقيد ينظر نفسه

أراد القذافي إظهار الرسول العربي مجسداً في فيلم سينمائي في محاولة منه لتحجيم الرسول محمد، ووضع نفسه في مستواه كراعي الغنم كما كل الأنبياء، وتقدم عن الرسول خطوة في أنه لا يوحى له كما أوحى الله للنبي العربي محمد.

ولنقرأ هذه الواقعة الخطيرة، لنستنتج الأمر الذي أراده العقيد دون أن يعلنه.

تزوج معمر القذافي من فتحية نوري خالد والدها كان من كبار ضباط الشرطة برتبة زعيم أي عميد حالياً وكان جمال عبد الناصر شاهداً على زواجه وأنجب من فتحية ولداً واحداً هو محمد.

كان الشاب معمر تقدم للزواج من فتحية وهي شقيقة صديقه، فرفضه والدها بسبب سوء وضعه الاجتماعي، فلما قام معمر بالثورة في 1/9/1969 وافق الوالد وقد أصبح

العريس قائداً للثورة أي رئيساً للدولة.

لم يدم زواج معمر من فتحية أكثر من سنتين فطلقها وأعطاها وما يزال كل حقوقها وزيادة، غير أنه اشترط عليها شرطاً غريباً وهو ألاّ تتزوج المرأة المطلقة من بعده، أليس هذا ما ورد في القرآن الكريم عن عدم زواج أزواج الرسول من بعده؟ ألم يعتبر نفسه في مصاف الأنبياء علماً بأنه قال بأنه لا يوحى له؟

وابتداعاً لهذه القناعة لديه كان يرفض أن يطلق عليه لقب رئيس بل هو قائد عصر الجماهير الذي لا يقف عند حدود دين أو جغرافيا، بل هو قائد العالم كله، ألم يقل إن الكتاب الأخضر يحتوي حل كل أزمات العالم فجعله فوق كل دين، وبالتالي فهو أهم من كل الأديان؟ أهم من كل الأنبياء!!!

طيلة نحو 42 سنة لم يجرِ القذافي أي انتخابات رئاسية أو أي استفتاء على شخصه أو برامجه أو أي من مشاريعه السياسية... ولا حتى عن الوحدات التي كان يعرضها على الدول العربية (اتحاد الجمهورية العربية مع مصر وسوريا، الجمهورية العربية المتحدة مع سوريا وحدها، الجمهورية العربية الإسلامية مع تونس).

ليست المسألة ضعف إيمانه أو كراهية للديمقراطية، وحتى في تفسيره لها بأنها (ديمومة الكراسي)، بل إن بعدها الفلسفي أنه نبي لا يوحى له، هو في نظر نفسه المريضة إله لا يحاسب، لا يخضع للانتخاب، ولا يحتاج كلامه المنزل إلى استفتاء أو اختبار (رب غفرانك).

عن عمر المختار

وطالما نحن بدأنا حديثنا عن الراحل العظيم مصطفى العقاد، فلنكمل معه خلاصة حواراته مع العقيد حول فيلمه الثاني عمر المختار.

لقد سمعت من العقاد أن العقيد كان حريصاً على مناقشة تفاصيل الفيلم ليصل إلى النهاية التي كتبها المخرج العربي وفق تصور سياسي خلص إليه بعد جلسة مطولة مع القذافي.

نهاية فيلم عمر المختار تشهد إعدامه، وقد سقطت من إحدى يديه المكبلتين خلف ظهره نظارته الطبية البيضاء التي كان يضعها حول عينيه ليقرأ بهما آيات من القرآن الكريم... وبينما الجموع تسير حزينة بعد إعدام المجاهد الكبير... ترى طفلاً يهرع إلى

منصة الإعدام ليمسك بالنظارة محافظاً عليها.

يقول المخرج العظيم: هل تعرف أن القذافي اقترح أن يكون في صورة طفل إشارة إليه، فهو المستقبل بعد إعدام عمر المختار، وأنا كان لي وجهة نظر أكثر شمولية فقلت للعقيد، النظارة يا أخ العقيد هي وضوح الرؤيا التي يمتلكها الطفل الذي هو المستقبل.

ويبدو أن هذا التفسير أرضى غرور العقيد فابتسم وقال لي باهي.

في 16 أيلول/ سبتمبر عام 1931 أعدمت سلطات الاحتلال الإيطالي شيخ المجاهدين الليبيين عمر المختار بعد جهاد ضد الاستعمار الإيطالي لبلاده استمر 25 سنة.

في 16 أيلول/ سبتمبر عام 1969 خرج الملازم أول معمر القذافي أي بعد أسبوعين فقط من نجاح حركته في 1/ 9/ 1969 ليلقي أول كلمة له إلى الإعلام ومن أمام ضريح عمر المختار نفسه في بني غازي حيث أقيم تكريماً له، وبات محجّة لثوار العالم والليبيين.

القذافي كان يكره عمر المختار

وجّه معمر القذافي بفيلم عمر المختار رسالة غضب شديدة ضد إيطاليا، التي كانت تستعمر بلاده، بل وكانت تعتبرها امتداداً وراء البحار لأراضيها، وعبّر ربما عن موقفه السياسي غضباً في عرض الفيلم لأول مرة أمام حضور مؤتمر قادة الأحزاب الاشتراكية في دول حوض البحر المتوسط عام 1980، وكانت الأحزاب الاشتراكية والشيوعية الأوروبية المعادية للفاشية الإيطالية في السلطة في بلادها، أو هي شريكة فيها.

ووجّه معمر القذافي بالفيلم الكبير رسالة وفاء أمام الجماهير الليبية التي ما زالت ترى في عمر المختار بطلها التاريخي علّ هذا الوفاء يمتد ليرى الليبيون في معمر القذافي الوريث الشرعي لعمر المختار.

إلا أن وقائع تعامل القذافي بعد ذلك مع تراث ورصيد هذا البطل التاريخي للشعب الليبي يشي بأنه كان يكنُّ كرهاً شديداً له، دفعه بأن يأمر بجرف ضريحه في الميدان الذي يحمل اسمه (ميدان عمر المختار) في بني غازي لينتقل صرح الضريح إلى منطقة سلوق حيث لقي الرجل مصرعه، وبعد ذلك سعى القذافي لإقامة برج معماري مكان الضريح، لكن أهالي بني غازي منعوا ذلك بالقوة والاعتصام، فظل الميدان مسرحاً قائماً ونقل الصرح إلى سلوق.

في سجن فضيل المرعب الذي سقط بعد بدء ثورة 17 فبراير 2011، وكان الليبيون يسمونه سجن الباستيل الذي كان سقوطه مدخلاً لنجاح الثورة الفرنسية عام 1789. واجه الساعدي القذافي وأخطر مجرمي القذافي عبد الله السنوسي عدداً من المعتقلين الليبيين الذين كانوا في إحدى موجات الثورة المتلاحقة ضد نظام العقيد، فقال الساعدي للمعتقلين: مالكم حمرا كالطليان، في إشارة أنهم خليطو النسب، وهي إهانة لمواطن عربي ليبي مسلم، فردّوا عليه بتحدٍ شديد: بل نحن أحفاد عمر مختار الذي واجه أسيادك الطليان.

الساعدي والسنوسي اللذان انهالا على المعتقلين قبل أن يأمرا بقتلهم جميعاً، ردا: بل كان صاحبكم عمر المختار والطليان متفقين، وقد انقلبا على بعضهما البعض وأنتم أحفاد الاثنين!!

لم يكن رد فعل الساعدي القذافي وشريكه في الإجرام عبد الله السنوسي إلا ثقافة ودروساً من العقيد نفسه وحقده على قائد الثورة الليبي عمر المختار.

لذا، وفي دلالة على تمادي القذافي على قلب المقاييس، لم يكتفِ العقيد بنقل ضريح وميدان عمر المختار خارج بني غازي، بل إنه وبعد أن دفن والده العسكري في جيش الاحتلال الإيطالي في مقبرة الهانئ أقام له ضريحاً وسط مقابر الثوار الذين شارك والد القذافي في قتالهم، وأمر القذافي تشريفاته أن يتضمن برنامج زيارة أي رئيس أو ملك أو زعيم لليبيا قراءة الفاتحة أو وضع إكليل من الزهور على ضريح والده بعد أن نقل رفاته من مقبرة بلدته سرت إلى مقبرة الهانئ التي ضمت رفات المجاهدين الذين سقطوا خلال مواجهة الاستعمار الطلياني!!!

كان والد القذافي محمد أبو منيار جندياً في فرقة مدفعية في الجيش الإيطالي المحتل (طوبجي) وقد قاتل مع هذا الجيش الغازي في الحبشة عندما غزتها إيطاليا.

أسماء القذافي الـ 38

أطلقت أجهزة القذافي الإعلامية والأمنية واللجان الشعبية والثورية أسماء عليه.

كانت تستهويه ويفتخر بها، في محاولة ابتداع صفات ليست فيه، لكنها كانت ترضي غروره وهي تتناسب مع ما بات معروفاً أنه يتألّه (ربي غفرانك).

وقد بلغت هذه الأسماء 38 اسماً هي دون ترتيب:

العقيد - القائد - المفكر (صاحب النظرية العالمية الثالثة) - المنظّر (منظّر لعصر الجماهير) - المعلم - الحكم - الأمين (الأمين على القومية العربية) - الأب - الأخ - المناضل - الثائر - الصامد - الوحدوي (نسبة للمحاولات الوحدوية المزعومة مع مصر وسوريا والسودان والمغرب وتونس وتشاد والاتحاد المغاربي) المقاتل - الأممي (عالمية النظرية العالمية الثالثة) - إمام المسلمين (ألغى الإفتاء في ليبيا كما الأشهر الهجرية وبات كل شيء ديني في ليبيا من اختصاصه) - ملك الملوك (نصّب نفسه ملكاً على ملوك قبائل أفريقيا) - المهندس (مهندس النهر الصناعي العظيم) - المحرض (على الثورة الدائمة) - المبدع (رسومات تافهة مضحكة) - الشريف - الصقر الوحيد - الرائد - المنقذ (منقذ البشرية) المخلّص (مخلّص البشرية من الاضطهاد) - المحرر (الذي وفّر للبشرية الانعتاق النهائي - الأديب (ألّف مجموعة روايات مضحكة) - الفارس - الزعيم - العميد (كم تباهى أنه عميد الحكام العرب والافارقة والآسيويين والأوروبيين والأميركان، لكنه لم يجرؤ على الاقتراب من فيدل كاسترو الذي تسلم الحكم قبله بعشر سنوات 1959، وتخلى عنها عام 2009 أي بعد خمسين سنة) - الفيلسوف - عظيم الشأن (وقد غنّى له مطرب ليبيا المعروف محمد حسن أغنية تتحدث عنه كعظيم الشأن مما جعل الشيخ المصري عبد الحميد كشك يهاجمه ويسخر منه قائلاً: من أنت لا أبوك الرسول محمد ولا أنت نبي) - المؤسس - الوفي - آخر الأولياء - الشجاع - الكريم - رسول الصحراء وهو عنوان كتاب ألفته صحافية إيطالية عنه.

كيف لا يتألّه القذافي عندما يجد واحداً مثل سفيره في الرياض محمد سعيد القشاط، يغضب لأن العقيد لم يستمع إلى نصيحته أن يسمّي ليبيا الجماهيرية العربية القذافية (نسبة للمملكة العربية السعودية) وأن ينجب مائة ولدٍ ليحكموا ليبيا وفق الترتيب العائلي أبناء بعده ثم أحفاداً بعد الأولاد!!

والقشاط هو شاعر ليبي شعبي مهتم بالتراث، حمل للملك فهد رسالة شخصية من العقيد، مع رسالة الاعتماد يبلغ فيها العاهل السعودي الراحل، بأن القشاط هو أحد أقربائه طالباً إحاطته برعاية ملكية خاصة.

والقشاط الشاعر اعتبر العقيد خليفة حنيش الذي جاء ذكر مآثره سابقاً مرجعه وكان اختصاصياً في تواريخ القبائل الليبية.

القذافي والوحي

في حديث مع جريدة «الأهرام» المصرية تاريخ الجمعة في 22/ 7/ 2011 قال أول سفير مصري في ليبيا بعد ثورة الفاتح من سبتمبر 1969 اللواء صلاح السعدني، إن أول انطباع خرج به بعد لقاء العقيد معمر القذافي في 4/ 9/ 1969 إنه غير متزن ومصاب بخلل نفسي، وإن هذا ما كتبه في تقارير لجمال عبد الناصر واصفاً القذافي أنه د. جيكل ود. هايد (إشارة إلى إصابته بانفصام في الشخصية، طيب وخبيث، عاقل ومجنون، صالح وشرير).

ويكشف اللواء السعدني أن القذافي وضع والد زوجه الأولى فتحية نوري خالد الذي كان قائد القوة المتحركة في العهد الملكي في السجن وقلّد شقيقها زميله فتحي رئاسة الحرس الجمهوري.

الأمر الشخصي جداً الذي يكشفه السفير السعدني أن معمر القذافي وبعد أشهر من زواجه من فتحية، وكانت حملت منه (كان عمره يومها 28 سنة) أسرَّ له بأنه عاجز عن معاشرة زوجه، وأنه سيطلقها، وأن السفير المصري اصطحب العقيد إلى مصر، ليعرض حالته على الطبيب عبد الحليم العقبي، الذي شخّص حاله بأنه نتيجة سوء حالته النفسية، وكتب له عدداً من الأدوية المهدئة.

في انتظار الوحي؟

السفير السعدني يقول إنه كان يلاحظ أن القذافي كان يغيب كثيراً بعيداً عن الأنظار، وأنه سأل مرة زميله مصطفى الخروبي عن سر غياب القذافي فقال الخروبي إنه في غريان، حيث هناك مغاور عديدة، وعندما سأله وماذا يفعل هناك دائماً فرد الخروبي... إنه ينتظر الوحي.

وعندما تسأل السفير المصري الذي أمضى 7 سنوات في مهمته الدبلوماسية في ليبيا (من أيلول/ سبتمبر 1969 حتى نهاية 1976). إن كان ما يقوله الخروبي جاداً... ردَّ بسرعة بل كانوا يسخرون منه، لكنهم لم يكونوا ليجرؤوا على هذا أمامه لأن رفاقه كانوا أجبن من أن يواجهوه.

وكشف السعدني أن القذافي كان يعاقب رفاقه من أعضاء مجلس قيادة الثورة بالخصم من رواتبهم إذا أخطأوا وأنهم كانوا شكلوا بينهم جمعية (حصّالة - قجّة) ليضعوا

فيها بعض أموالهم الزائدة من مصاريفهم بمعدل 50 ديناراً شهرياً (ما يعادل يومها 160 دولاراً أميركياً) حتى يعوضوا لأي زميل لهم يلقى عقاب القذافي بالحسم، وأحياناً كان يأمر المغضوب عليه أن يحبس نفسه في غرفة لمجلس القيادة خصصها لذلك، كان المعاقب يذهب إليها وهي دون قفل، ولا يخرج منها إلا إلى الحمام.

كان القذافي يشبّه زملاءه في مجلس قيادة الثورة بالأطفال ويسبّهم سباً لاذعاً، وأعتقد - والكلام للسعدني- أن هذه كانت بدايات جنونه وفي مكان آخر من هذا الكتاب روايات أخرى للرائد عبد المنعم الهوني زميل العقيد، تؤكد أن إحدى العقوبات التي كان القذافي يفرضها على رفاقه إذا أخطأوا هي قص الشعر حتى آخره.

القذافي يتحدى ثقافة الليبيين الدينية

فجأة أصبح القرآن قاصراً بنظر العقيد!! ففي الخامس من حزيران/ يونيو 1978 قال القذافي: «القرآن لا يتحدث عن المشاكل التي نحن نحكم بها المجتمع... القرآن نسخة واحدة وكتاب واحد، والتي لا توجد في القرآن ليس لنا علاقة بها (يقصد المشاكل)... نسخها ربي أسقطها... إن القرآن جزء من قليل تستطيع أن تحكم به مجتمعنا الآن أما الباقي فأغلبه... يتعلق بيوم القيامة». بل ألغى في الخطاب نفسه كما ظهر في جريدة «الفجر الجديد» الليبية، الأحاديث الشريفة كلها، قائلاً إن بعضها غير صحيح!

كما ألغى التقويم الهجري وفرض تقويماً جديداً على ليبيا هو سنة 1388 من وفاة الرسول. أي أن التاريخ يؤرخ بداية وفاة الرسول. وبمعنى آخر: يؤرخ ببداية الفاتح الليبية.

والله الذي أنزل القرآن المتجاوز للمكان والزمان، كما كان يقول العقيد، أصبح ينسى! والرسول (إن هو إلا وحي يوحى) أصبح بنظر القذافي مجرد مراسل موظف بريد بوسطجي وعمر بن الخطاب (المشهور بعدله) أصبح دكتاتوراً متسلطاً، والقرآن الكريم (الذي أنزل للعالمين كافة) أصبح للعرب وحدهم. قال القذافي: «إن تبنّي زعيم إيران قضية الثورة الإسلامية هذا شيء عظيم. ولكن لا بد أن نفهم أن الإسلام هو دين العرب. الأمة العربية هي الموجّه إليها الإسلام. هناك حركات تبنّت الجانب الإسلامي وتجاوزت حدود الأمة العربية تحت شعار الإسلام. هذه الحركات أصبحت حركات رجعية مضحكة وضعت في قمامة التاريخ»...

الثقافة والتعليم ومفاهيم العصر: جاء في الصفحة 75 من كتاب وخطب وبيانات...

العقيد القذافي إن ليبيا تدخل في معركة ثقافية لتحطيم القراءات المستوردة ولتحطيم الأفكار الرجعية شرقية كانت أم غربية متعفنة دخيلة وعلينا سنحرق الكتب والأفكار المتعفنة! وقال القذافي: «ممكن واحد يكون معاه الدكتوراه... ولكن هو جاهل أجهل من دابة»...

وألغى العقيد القذافي المحاماة «لأنها ظاهرة استغلالية» وألغى القوانين القائمة، واستبدلها بالعقوبات الفورية التي تحكم بها اللجان الثورية وطرد القضاة من مناصبهم وألغى منصبي النائب العام والمدعي العام... فالندوة العلمية حول الكتاب الأخضر والنظرية الثالثة تعوض كل شيء حتى ولو بلغت تكاليفها 25 مليون دولار.

وفي الكتاب الأخضر حل لمشكلة الديمقراطية. لقد أعلن القذافي فيه سلطة الشعب أي عصر الجماهير.

هل الخوف هو الذي يدفع القذافي إلى إلغاء كل مؤسسات الدولة القائمة؟

المعسكرات هي مقار اللجان الثورية الدائمة، وهي العنوان الدائم الذي يتم به الاتصال بالقوى الثورية...

لماذا نهتم باللجان الثورية؟ لأنه لم يعد هناك سواها...

هذه اللجان هي التي تقوم بالنيابة عني أنا شخصياً (مع أنه رفض مبدأ النيابة...) الآن لا يستطيع أي فاشي أن يأتي لوحدة عسكرية يصدر لها أمراً باحتلال الإذاعة.

لماذا؟ لأنه الآن توجد لجنة ثورية من مهامها السحق الفوري لأي محاولة مضادة للثورة بدون أوامر...

الأوضاع الداخلية ورفاق الطريق: لقد أعدم القذافي عدداً من طلاب الجامعة الليبية في نيسان/ أبريل 1977 وأعدم في الفترة نفسها تقريباً واحداً وعشرين ضابطاً دون محاكمة علنية لأنهم تآمروا على نظام الحكم.

وخطب القذافي في 8 آذار/ مارس 1979 في بني غازي قائلاً: من يريد أن يتحدّى الثورة إذا كان في الداخل هذا أمر مفروغ منه سنداهم هذا الموقع وندمّره حتى ولو كان مسجداً. وإذا كان في الخارج علينا أن ننتقل إليه في الخارج ونهاجمه.

الفصل الرابع

يا رفاق معمر:
لماذا تركتموه يفعل كل هذا بكم.. وبليبيا

- أين رفاق معمر
- من هو معمر القذافي؟
- عبد السلام جلود شريك سوء السنين الأولى
- من هم أعضاء مجلس قيادة ثورة الفاتح
- معارضو القذافي في المجلس
- عمر المحيشي
- عبد المنعم الهوني
- عبد السلام جلود
- كيف تخلص معمر من أعضاء مجلس قيادة الثورة؟
- كيف تركتم القذافي يسرق منكم ثورتكم؟
- قصة الرقم 12
- أول اصطدام بمعمر عام 1970
- تنازلوا باسم الوحدة
- قرار بتنحية معمر
- عمر المحيشي يؤيد إعدام معمر
- خطة اعتقال القذافي... وفشلها
- مجموعة الهوني ومحاولات معمر لخطفه

يا رفاق معمر:
لماذا تركتموه يفعل كل هذا بكم.. وبليبيا

أين رفاق معمر؟

يتساءل كثيرون ممن كانوا يتابعون الشأن الليبي، منذ قيام ثورة الفاتح من سبتمبر 1969 أين أعضاء مجلس قيادة الثورة، من الضباط الأحرار الأحد عشر، الذين قاموا بالثورة مع العقيد معمر القذافي؟ لماذا اختفت أسماء عمر المحيشي، عبد المنعم الهوني، عبد السلام جلود، محمد نجم عوض حمزة، مختار القروي، بشير الهوادي.

ما هي أدوار أبو بكر يونس، مصطفى الخروبي، الخويلدي الحميدي؟ (محمد المقريف مات باكراً في حادث سيارة).

كيف تفرقوا؟ كيف تركوا القذافي بهذا القدر من السلطة وحده؟ من كانوا بالنسبة له أو ما هي أدوارهم في الثورة وما قبلها وما بعدها؟

وهل يكفي أن يكون القذافي أكثر ذكاء منهم حتى يتمكن من الانفراد بالسلطة، ثم بإزاحة أكثرهم، واستتباع مَن بقي منهم! وكيف سمحوا له أن يبعدهم ثم أن يهيئ أبناءه لخلافتهم حتى بات أولاده هم أعضاء قيادة الدولة كلها في غياب قيادات الثورة؟

يحتاج الأمر أولاً للكشف عن طبائع الناس وخصالها والعوامل الموضوعية التي مكنت العقيد من الانفراد، أن نعود إلى البدايات... البدايات لنحاول الإجابة عن بعض هذه الأسئلة.

من هو معمر القذافي؟

من بيئة فقيرة جداً وسط الصحراء خرج معمر أبو منيار القذافي إلى الحياة ليواجه شظف العيش، فالوالد محمد عبد السلام أبو منيار كان جندياً في الجيش الإيطالي حارب مع الاستعمار الإيطالي أبناء بلدته من الليبيين، وحارب مع هذا الاستعمار في أثيوبيا التي كانت مستعمرة إيطالية كما جزء كبير من الصومال ثم دفنه ابنه في مدافن الشهداء في مقبرة الهانئ رغم أن كثيراً من شهداء المقبرة شارك والد القذافي في قتلهم... بل

وكان جسد والد القذافي يحمل آثار رصاصات أطلقها عليه المجاهدون ضد الاستعمار الإيطالي.

كان حلم الطفل معمر أن يدرس في مدرسة كما زملاؤه في منطقة سرت التي ولد فيها، ودخل فعلاً إحدى مدارسها، لكن عجز الوالد عن توفير تكاليف المدرسة، رغم أنه كان يتقاضى راتباً تقاعدياً من الجيش الإيطالي، دفعه لأن يسحب ابنه من المدرسة المكلفة مادياً يومها، لينقل عائلته معه إلى جنوب الصحراء ويلجأ إلى عائلة سيف النصر في حضن قبيلة أولاد سليمان، فقد كان القذاذفة من الرعيان الذين يعيشون في كنف أولاد سليمان وأراضيهم ومزارعهم.

بعد أن سحب أبو منيار القذافي ابنه معمر من مدرسة سرت، أرسله إلى سبها حيث عزوة عائلة سيف النصر التي اعتبرت نفسها راعية القذاذفة وأبرزهم محمد بن سيف النصر، وهو من وجهاء القبيلة المميزين (لم يكن محمد يملك موقعاً إدارياً أو سياسياً لكن أخوته أحمد وعمر وغيث كانوا في مواقع سياسية متقدمة حتى إن غيث كان والياً على فزان حتى العام 1964 عندما أعلنت ليبيا دولة واحدة باسم المملكة المتحدة الليبية، دون ولايات).

كان عمر الولد معمر يتجاوز العشر سنوات، وطلاب صفه كانوا جميعاً بين السابعة ودونها من العمر، فكان من الصعوبة بمكان ترك هذا الولد الكبير وسط أقرانه الصغار، فاضطرت إدارة المدرسة أن تعطي معمر القذافي دروس ثلاث سنوات في سنة واحدة حتى يتمكن من الانتقال إلى صف دراسي يناسب عمره، وقد نجح بذلك نجاحاً كبيراً.

رعى محمد سيف النصر معمر القذافي حتى أنهى دراسته الابتدائية والإعدادية، وكان قاسياً عليه في الدراسة، حرصاً عليه كي يكون متفوقاً، وكثيراً ما عاقبه إذا ما أخطأ، وكان أمام التلامذة وتراوح العقاب بين الضرب والدوس بالقدم.

كان محمد سيف النصر فوق هذا مقاتلاً عنيفاً ضد الإنجليز الذين احتلوا بلاده بعد الحرب العالمية الثانية، وحين انتقلت عائلته إلى مصر وهو في مقدمتها، تطوع مع المقاومة الشعبية في مصر ضد العدوان الثلاثي عليها، بعد أن أمّم جمال عبد الناصر قناة السويس، وكان محمد سيف النصر من أشد المتحمسين لمصر وعبد الناصر ومعركته المجيدة.

كان أول رجل سجنه القذافي بعد أن تسلم السلطة هو محمد سيف النصر، وعندما

كان يتحدث عن الفساد كان يعتبره رمزاً من رموزه حتى قضى الرجل في سجن القذافي!

كان معمر ذكياً بالفطرة يحمل خبث البدوي ودهاءه متقشفاً صبوراً كما حال أهل البادية مشوهاً نفسياً وربما بسبب الظروف القاسية التي مرَّ بها. ولا شك أنه كان مخططاً جيداً مقتنعاً بينه وبين نفسه بأنه خلق للقيادة، وهذا ما بات يمارسه علناً ويطلب من الآخرين بعد أن تولى السلطة أن يقتنعوا بذلك خاصة رفاقه في مجلس قيادة الثورة.

عرف القذافي شظف العيش وعاشه كما لم يعشه أقرانه من أعضاء مجلس قيادة الثورة، فقد كان حلم حياته عندما دخل الكلية العسكرية أن يبيت في منزل خاص به، فلما عجز عن ذلك ارتضى أن يعمل ناطوراً في مبنى أحد الضباط في الكلية العسكرية كي يتمكن من سكن غرفة ناطور مبنى هذا الضابط الكبير. هذه الظروف جعلت قلب الرجل ميتاً بلا شفقة ولا رحمة على أحد... غير أن هذا كله لم يظهره إلا بعد سنوات من السلطة.

قبلها... يروي القذافي لشركائه في ثورة الفاتح، أنه بينما كان يخطط للثورة باكراً، جاء إلى طرابلس في يوم ممطر وعاصف ولم يكن له في العاصمة أحد يلجأ إليه، فاضطر أن ينام في سوقها. وكانت بعض أطراف السوق مسقوفة، ولكن الشتاء كان غزيراً والبرد شديداً، فجمع القذافي كرتون البضائع الفارغ لينام فوقه، ويتغطى بأجزاء منه إلى أن شاهده رجل مرَّ في دراجته بهذا السوق، فعطف عليه وأخذه إلى منزله حيث أعطاه عباءة ليبية من ثيابه وأمر أهل داره بتجهيز طعام ساخن له، ثم أمَّن له نوماً في غرفة من غرف الدار مع التدفئة،حتى طلع الصباح فخرج معه وودعه، لينسى مع الزمان حكايته.

وعندما قامت الثورة وكان معمر القذافي ممتلئاً حماسة وتواضعاً، قصد السوق نفسه وهو عرف سابقاً أن الرجل الذي استضافه في تلك الليلة القاسية كان عاملاً في صيدلية داخله، فحطَّ رحاله وموكبه قرب الصيدلية وخرجت الناس لتحيته، فقد سمعت كثيراً عن تواضعه وتجواله في الأحياء والقرى والبلدات والبادية لتفقد أحوال المواطنين.

فوجئ الرجل العامل في صيدلية السوق بأن قائد الثورة يقصده فأخذه بالأحضان وسط دهشته والناس من حوله غير مصدقة ما يفعله العقيد، ثم صحبه داخل الصيدلية ليفاتحه بواقعة السوق والطعام الساخن ومساعدة أهل الدار له... ففطن الرجل إلى تلك الليلة وضيفه فيها، واتفق القذافي مع صاحب المعروف السابق أن يكون ضيفه في منزله لتناول الطعام من جديد، وهكذا كان.

عبد السلام جلود شريك سوء السنين الأولى

ويروي عبد السلام جلود أن وضعه الاجتماعي كان أكثر سوءاً من وضع معمر القذافي، وأنهما واجها شظف العيش بالتماسك والتضامن، وأن الاثنين يذكران كيف كانا ينامان في منزل شقيق جلود الأكبر د. سالم، ويؤمن لهما الطعام وهما عاجزان عن توفيره.

كان أصدقاء سالم يلقبونه بالسفوت (أي سيخ اللحمة) لأنه كان يعمل في إحدى الحانات الشعبية taverne التي تقدم اللحم المشوي، ومن عمله في هذه الحانة كان يمكنه أن يستضيف شقيقه الأصغر وزميله معمر، في منزله في زاوية الدهماني وهي منطقة قريبة من وسط طرابلس، وعندما قامت الثورة، كان سالم قد اشترى حافلة عمل عليها ليوفر الحياة البسيطة لعائلته، وكان شقيقه عبد السلام قد أصبح ضابطاً في الجيش الليبي ثم شريكاً في ثورة الفاتح في سبتمبر/ أيلول 1969.

وقبل أن نعرض الواقع الاجتماعي لبقية أعضاء مجلس قيادة الثورة الليبية الشبان، لا بد من الإشارة إلى أمر قد يفسر إلى حد كبير وضع هؤلاء الرفاق الذين تداعوا واحداً بعد الآخر نحو العزلة والانعزال، نحو الاستكانة والصمت، نحو الخنوع والمراقبة.

فمعمر القذافي دون كل أعضاء قيادة الثورة كان يعرف ما الذي يريده، فقد بدأ تشكيل مجموعة الضباط الأحرار.

كان هو المنظم، والمخطط، والمحرك، وكان الجميع يوافقونه على كل ما يرتبه ويخططه ويقبلون الأدوار التي يمنحها لكل واحد منهم.

ولأنه كان يرى أمامه لبضع سنوات قادمة، وكانوا في إخلاصهم لا يناقشونه، ولأنه كان يقول إنه وبعد نجاح الثورة سيسلمون السلطة للمدنيين ويعودون إلى ثكناتهم ليراقبوا مسار الأمور نحو الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، والانخراط في المعركة العربية التي يخوضها مثلهم الأعلى جمال عبد الناصر، فقد صدقوه وسلموا أمرهم له... وحده.

كان الحس الأمني عند القذافي عالياً جداً وساعده هذا الحس في تعزيز نزعة الشك في كل شيء حتى في أقرب الناس إليه. الأمران: الحس الأمني والشك أدّيا أهم الأدوار

في قدرته على الإمساك بالسلطة، وبعدها كان القذافي يمتلك موهبة الفتنة بين أعضاء المجلس، وموهبة تسييد مبدأ فرِّق تَسُدْ وموهبة النأي بنفسه عن أي نزاع ليرمي أسبابه على الآخرين وهو البريء دائماً. كانت صحوته لكل أمر حين يغفو الآخرون جائزته التي يحصدها ليضرب ضربته حيث لا يتوقع خصومه... أو حتى إخوانه في مجلس قيادة الثورة، فالخداع عنده أهم أسباب وأساليب الإمساك بالسلطة واستدراج الآخرين إلى الخطأ، فكان يعلم عنهم ما لا يعلموه عنه، موهوباً في قدرته على استفزاز الآخرين لإسقاطهم أو لإبعادهم أو لاستتباعهم.

وسنعود بعد فقرات متعددة إلى دور مميز لعبد السلام جلود بين أعضاء مجلس قيادة الثورة، لكننا الآن نتابع هذا الأمر الخاص لنقول إن معمر القذافي كان يرى نفسه قائداً للثورة قبل أن تبدأ مميزاً نفسه بين رفاقه بأنه هو الذي جمعهم، وهو الذي نظمهم وهو الذي حدد ورسم لهم أدوارهم، وهو الذي أوصلهم إلى السلطة وعليهم بعد كل هذا أن يطيعوه.

ربما يشرح الباقون على قيد الحياة والعهد منهم الراغبون بالكلام المباح بعد سقوط العقيد، سواء ظلوا معه أو خالفوه، صمتوا أو عارضوا، تفاصيل ومضمون المرحلة تلك. ولكننا الآن سنكتفي بما نحاول شرح حال كل واحد من أعضاء مجلس قيادة الثورة... لنتحدث بتفصيل بسيط بعد ذلك عن ثلاثة منهم، تميزت أدوارهم بمعارضة للقذافي تراوحت بين محاولة الانقلاب عليه عسكرياً كما عمر المحيشي، وبين من عارضه من الخارج وكان أول من أعلن ولاءه لثورة الشعب الليبي ضده يوم 17/ 2/ 2011 كعبد المنعم الهوني، وبين من استمرت معارضته للعقيد من الداخل حتى العزلة الكاملة كعبد السلام جلود.

من هم أعضاء مجلس قيادة ثورة الفاتح؟

- النقيب محمد المقريف: مات في حادث سيارة عام 1971 وكان إلى جانبه الرائد عبد السلام جلود الذي نجا من الحادث بأعجوبة.

كان الانسجام كاملاً بين أعضاء مجلس قيادة الثورة بزعامة العقيد الذي كان ملازماً أول حين قام بالثورة، حين وفاة المقريف، ولم يشك أحد أبداً بطبيعة مقتله في الحادث.

- مختار القروي: كان أول المنسحبين من مجلس قيادة الثورة ومن الجيش ومن العمل

السياسي، رغم أن القذافي عيّنه أمين سر المجلس. سبب انسحاب القروي هو احترامه لنفسه وإدراكه أنه لا يستطيع الاستمرار في العمل تحت قيادة معمر القذافي وهو من الذين آمنوا باكراً بأن مهمته كضابط قام بالثورة لخلع الملك وإعلان الجمهورية، وقد انتهت وأن الجيش يجب أن يعود إلى ثكناته، ولم يكن له طموح الاستمرار في السلطة أو في العمل السياسي.

ومع هذا... فإن لكل نتيجة سبباً وسبب ترك مختار القروي مجلس قيادة الثورة والجيش والسياسة، واقعة ذات مغزى كشفت سلوك القذافي مع رفاقه كما كشفت طبيعة موقعه بينهم.

جلس القذافي على كرسي وسط زملائه مع مجموعة من الضباط، متحدثاً أمام التلفزيون الليبي، وكان على يمينه جالساً على الأرض زميله الضابط مختار القروي. أراد القذافي إظهار انضباطية أعضاء المجلس وطاعتهم له فقال على الملأ والتلفزيون يبث الحدث مباشرة، وبعد ذلك معيداً البث مرات عدة، إن الانضباط مهم جداً في ليبيا حتى على أعضاء مجلس قيادة الثورة... ويستدل على سيادة الانضباط برفع القبعة العسكرية عن رأس زميله مختار القروي قائلاً: انظروا رأس مختار لقد أمرت بقص شعره لمخالفته أمراً في مجلس القيادة.

- محمد نجم: ينتمي إلى قبيلة نجم المعروفة بطيبة أبنائها، وضعه الاجتماعي والاقتصادي كان جيداً قبل الثورة ومشهود له فتح داره للمساعدة لأي كان.

أورد القذافي اسمه في مؤامرة عمر المحيشي التي سيأتي ذكرها لاحقاً مع زميليه عوض حمزة وبشير الهوادي، علماً بأنه كان خرج باكراً من المجلس والجيش والعمل السياسي من وقتها، وحمداً لله أن القذافي لم يقتله، وسنعود إلى تفسير هذا الأمر فيما بعد.

محمد نجم من بني غازي وهو يقيم منذ تركه السلطة عام 1970 في معسكر خاص أقامه بحراسات كاملة، ويحصل من تاريخه على كل مزاياه المحسوبة من مواقعه السابقة، وله دور معنوي بسلطة أدبية بسبب كرمه واستعداده لمد يد العون للمحتاجين عبر وساطات كان وما زال يقوم بها لقاصديه بعلاج أو دراسة أو سفر أو وظيفة.

كان القذافي يزوره بين الحين والآخر إذا زار بني غازي وكان أحياناً يتناول الغداء وبالمقابل يزوره نجم في طرابلس تاركاً الانطباع لدى العقيد بأنه معه وهذا ما كان يعلنه، بأن نجم معنا وقبيلته معنا.

وكان نجم يردد كلما سئل وسط عائلته عن سبب ابتعاده، هناك اتفاق بين جميع أعضاء المجلس على أن تسلم السلطة للمدنيين حين ننجح في الثورة، لكن العقيد قال لنا إن الناس غير مهيأة للسلطة التي يجب أن نظل فيها إلى أن تتهيأ الظروف ويصبح الشعب قادراً أن يحكم نفسه بنفسه... فقررت - يتابع نجم - أن أعود إلى حوشي.

انسحب نجم من الحياة العامة وعاد إلى داره واقام معسكر حراسة خاصاً به ونجا من تهمة التآمر التي جهزها معمر، لينتقم ممن يريد التخلص منهم.

- بشير الهوادي: كان أكبر أعضاء مجلس قيادة الثورة سناً وهو الذي كلفه العقيد برئاسة المحكمة العسكرية لمحاكمة أركان العهد الملكي، وهو الذي عينه القذافي أميناً عاماً للاتحاد الاشتراكي العربي الليبي بعد نجاح الثورة.

ينتمي بشير الهوادي إلى واحة ودّان وقد جاء إلى طرابلس ليدرس عدة سنوات، انتسب إلى الكلية العسكرية ليحسّن دخله المادي بمؤهل متوسط، وفي الجيش تعرف إلى معمر القذافي وأعجب بأفكاره وقدرته التنظيمية وشخصيته فأصبح ملازماً له حتى ضمّه معمر إلى تنظيم الضباط الأحرار بعد أن أظهر الهوادي الكثير من التعاطف مع آراء الملازم الأول معمر القذافي فقرّر هذا ضمه إلى صفوفه.

بعد محاولة المحيشي عام 1975، أبعد القذافي الهوادي لأنه ظن أنه علم بالمؤامرة ولم يبلّغ عنها، كما هو حال عوض حمزة.

وليتخلص منه مهاناً، أحضره معه احتفالاً شعبياً نظمه القذافي للاتحاد الاشتراكي وأجلسه إلى يمينه بصفته أميناً عاماً للتنظيم السياسي، فإذا القاعة مع بدء الاحتفال تضجّ بهتاف واحد: «الثورة مستمرة والخاين يطلع بره».

اصفرّ وجه الهوادي وهو يستمع إلى هذا الهتاف وينظر إلى العقيد الذي كان يبتسم بخيلاء، ولم يصدق الهوادي نهاية هذه المسرحية المأساوية حتى يعود إلى منزله، مختفياً بعد اللقاء العاصف... ولم يظهر إلا بعد سنوات متدروشاً مطلقاً لحيته، واحداً من أهل الحضرة كما يقول الصوفيون، وفي عزلة وإقامة شبه جبرية كما يقول العارفون، وعندما حجّ إلى بيت الله الحرام استأذن العقيد الذي سمح له بأداء الفريضة، وبات اسمه الآن في واحة ودّان الحاج بشير.

هكذا انتهى القسم الأول من أعضاء مجلس قيادة الثورة فماذا عن الذين بقوا مع العقيد؟

اللواء أبو بكر يونس

هو أكثر أعضاء مجلس قيادة الثورة طيبة وتواضعاً وهو من المجابرة، وان كان اسمه الكامل هو أبو بكر يونس جابر، وهو من منطقة الواحات التي تضم مدن أجدابيا - جالو - أوجلو، وهي واحات معروفة ما قبل التاريخ.

ليست قبيلة المجابرة من القبائل الكبيرة في ليبيا، لكنها قبيلة معروفة بتجارتها بالإبل، وحسن موقعها الاجتماعي.

عرف عن اللواء أبو بكر التقى والورع والأخلاق الرفيعة والبساطة إلى درجة من الصوفية والصفاء مع حس عروبي سليم حقيقي وصادق.

ومع تقدم وضعه الاقتصادي والاجتماعي عن وضع معمر القذافي، إلا أنه ظل شديد الإخلاص له لم يواجهه حتى حين كان العقيد يتعمد إهانته، فينزل رتبته من عميد إلى رتبة عقيد، ثم بعد سنوات يرفعه إلى رتبة لواء.

لم يمتلك أبو بكر يونس قدرة مقاومة أو مواجهة العقيد كما كان عبد السلام جلود مثلاً ولم يكن ليفعل شيئاً وهو يرى أن العقيد ينشئ إلى جانب الجيش الذي يقوده نظرياً اللواء أبو بكر، جيشه الخاص ويسلم قطعاته المسلحة بأحدث الأسلحة لأولاده الذين جعلهم بدلاء حقيقيين عمن تبقى من مجلس قيادة الثورة.

كان يقال أن أبو بكر يراجع العقيد في السياسات التي يتبعها القذافي، ناسباً الرأي في الاعتراض إلى آخرين وأن العقيد كان سريعاً ما يستوعب ما يطرحه أبو بكر مقنعاً إياه بأن السياسة المتبعة هي التي حفظت الثورة، وأنه يريد أن يغير ولكن الظروف التي نعيشها في ليبيا والمؤامرات عليها تمنعه من ذلك. وإذا ما ظهر على اللواء أبو بكر عدم الاقتناع لجأ العقيد إلى المعزوفة التي يرددها أمام رفاقه منذ عقود وهي أن السلطة ليست في يده وأن أي مسعى للتغيير يجب أن يمر من خلال المؤتمرات الشعبية والمؤتمرات العامة للجان الشعبية في تهرب واضح من المطالبة بالتغيير حتى لو جاءت من رفيق عمره الأكثر إخلاصاً وولاء له...

من المرات النادرة التي سمع فيها رأي معارض للقذافي قوله أننا رمينا 10 مليارات دولار على الأرض حين كنا ندرب شباباً على الطيران وأسلحة البر والبحر ثم نسرحهم دون أن يفعلوا شيئاً، وعندما كان السائل يستفهم كان يونس يرد: هذا أنتم في المؤتمرات

الشعبية، أنتم الذين تقررون... دون أن ينطق بحرف واحد عن مسؤولية القذافي في توجيه المؤتمرات لإقرار ما يريد هو نفسه.

خلال ثورة 17 فبراير 2011 كان اللواء أبو بكر يونس في جنوبي غرب البلاد متفرغاً لأعمال خاصة بالجيش الرسمي، عندما طلب منه أن يجول على سكان المنطقة في سيارة مكشوفة لإظهار ولائه للعقيد، ثم ظهر بعد عدة أشهر من الثورة ليخطب أمام جمع من الناس في حفل نقلته المرئية الليبية ليعلن أن معمر خط أحمر.

العميد مصطفى الخروبي

هو من منطقة قريبة من الزاوية غرب طرابلس، وهو رجل من عائلة تمتهن الزراعة الواسعة وذات نفوذ في المنطقة. كان شقيقه الحاج بشير مديراً عاماً في الدولة قبل الثورة، ومصطفى الخروبي ذو توجه ديني معتدل، ناصري ملتزم، لم يختلف أبداً مع العقيد القذافي، مؤيد له على طول الخط. وعندما سلمه جهاز الاستخبارات الليبية وجد نفسه مهمشاً في مسؤوليته الكبيرة، لأن العقل الحقيقي في هذا الجهاز المهم كان بين أيدي رجال العقيد الذين جاء بهم بعد الثورة وتحوله الخطير بعد العام 1980، من أمثال عبد الله السنوسي، عبد الله حجازي، محمد المجذوب، عز الدين الهنشيري، إبراهيم البشاري، عبد السلام الزادمة... وأخطرهم موسى كوسى الذي هرب إلى لندن خلال الثورة الشعبية في ليبيا في واحدة من أكثر صفقات العصر خسة. إلى جانب الثنائي خالد وعبد الله منصور وعلي الكيلاني وأحمد إبراهيم والمئات غيرهم. وهؤلاء بعضهم قتل في ظروف غامضة وبعضهم هرب قبل سقوط القذافي، وآخرون ظلوا معه حتى الرمق الأخير.

مع بدء ثورة الشعب الليبي ضد القذافي وأبنائه، اعتكف مصطفى الخروبي في منزله لفترة ثم ظهر فجأة في استقبال رؤساء أفارقة ثم جهر بتأييده لمعمر... وظل دون دور سياسي حقيقي كما كان طيلة عقود ماضية.

العميد الخويلدي الحميدي

هو من منطقة صرمان بعد الزاوية غرب طرابلس وأصوله من منطقة حدودية بعد زواره على الحدود مع تونس، ووضعه الاجتماعي متوسط الحال أفضل من وضع معمر

القذافي وعبد السلام جلود قبل الثورة، لكنه أقل من وضع عبد المنعم الهوني ومصطفى الخروبي.

الخويلدي الحميدي كان وضعه أقرب إلى القذافي، لكنه لم يكن بدوياً، وهو ينتمي إلى عائلة فلاحية بسيطة.

لم يختلف الخويلدي يوماً مع القذافي وأبرز مهماته كان تسلمه وزارة الداخلية. وقد كافأه القذافي بجعل ابنه العسكري خالد في وضع اجتماعي مميز، وأسس له شركات خاصة كأبنائه.

ابنه الآخر محمد دخل الكلية العسكرية وتخرج منها ضابطاً مقرباً لأبناء العقيد، مستخدماً كأخيه خالد نفوذه الواسع وقربه من عائلة القذافي لتحسين وضعه الاقتصادي وإن كان بعض الثوار يردد أن الخويلدي وولديه لم يشاركوا في المذابح التي ارتكبها القذافي وأولاده وهربوا إلى منطقة النوابل على الحدود مع تونس.

لكن هذا لم يمنع بعض الثوار من مهاجمة مزارعه وخيوله في منطقة صرمان. ولم تجد أياً من أسرة الخويلدي التي قيل إنها هربت إلى تونس، ولم تشارك الأسرة في المذابح التي ارتكبها العقيد وأبناؤه في مدينة الزاوية... رغم حديث البعض عن مشاركة خالد فيها، ونفيه رسمياً هذا الأمر. علماً بأن الساعدي القذافي متزوج من ابنة الخويلدي الحميدي.

معارضو القذافي في المجلس

عمر المحيشي

الرائد عمر المحيشي كان أكثر ضباط مجلس قيادة الثورة ثقافة ومعرفة مع معمر القذافي، وهو شخصية قيادية مميزة، وكان أكثر صلابة في مواجهة القذافي حين طلب أعضاء مجلس قيادة الثورة، من العقيد القذافي تنفيذ وعده بتسليم السلطة للمدنيين بعد نجاح الثورة.

يعترف عبد السلام جلود أن القذافي نجح في تشتيت بعض أعضاء المجلس، واستمالة البعض الآخر، ولم يبقَ معارضاً إلا هو وعمر المحيشي، لذا كان القذافي يخشاه كثيراً.

نجح المحيشي في تحويل غضبه ورفضه لسياسات القذافي باكراً، نسبياً، إلى تنظيم عسكري داخل الجيش الليبي، حتى استقطب أعداداً كبيرة من الضباط الذين بدأوا

يظهرون اشياء من سلوكيات وغرائب العقيد، ووصل نفوذ المحيشي إلى مكتب معمر القذافي نفسه.

سعى عمر المحيشي لإزاحة معمر القذافي في انقلاب أبيض دون إراقة نقطة دم، وكان هذا السلوك الإنساني هو سبب فشل انقلاب المحيشي لأن معمر القذافي ذا الحس الأمني العالي، الشكاك، الذي لا يثق بأحد عرف بخطة المحيشي فأجهضها، فهرب المحيشي إلى تونس بعد فشل الانقلاب وسيطر معمر القذافي من جديد منتصراً على أخطر محاولة للتخلص منه سلبياً.

انتقل المحيشي من تونس إلى مصر وأمّنت له القاهرة في عهد أنور السادات حماية ورعاية حين ساءت علاقة الرئيس المصري بالعقيد الليبي وساعدته على إنشاء إذاعة موجهة إلى ليبيا تحض الليبيين على الثورة ضد معمر القذافي.

لكن المحيشي أخطأ في حق نفسه... وليس في مواقفه السياسية والمبدئية عندما أصدر بياناً وهو في مصر ضد زيارة أنور السادات إلى القدس عام 1977 فعرض نفسه للانكشاف وبات مهدداً بالقتل من القذافي الذي حاول التخلص منه فعلاً أكثر من مرة، حتى اضطر المحيشي للهرب إلى المغرب للإقامة تحت حماية الملك الحسن الثاني وكانت علاقته سيئة بالقذافي نتيجة دعم العقيد لحركة البوليساريو الانفصالية ضد المغرب.

كان حقد معمر القذافي على عمر المحيشي يزداد غلاً وناراً كلما سمع عن لسانه شتيمة للقذافي، فيصفه المحيشي بأنه ابن اليهودية، فصمم العقيد على محاسبة المحيشي الحساب العسير، وهذا ما دفعه لأن يعقد صفقة مع الحسن الثاني بالتخلي عن جماعة البوليساريو مقابل تسليمه عمر المحيشي وقيل إن القذافي دفع للمغرب 200 مليون دولار مساعدة لتمويل مشاريع إنتاجية وخدماتية في البلاد.

أخذ الملك المغربي تعهداً من معمر القذافي قبل تسليمه المحيشي بأن لا يعدمه أو يقتله، مقنعاً إياه أن يبقيه تحت إقامة جبرية في طرابلس، تمنعه من أن يقوم بأي فعل معارض ضده، وكان المحيشي نفسه بدأ يعاني من مرض عصبي أثر كثيراً على مزاجه وتصرفاته بما جعله في حالة نفسية دائمة السوء. فوافق العقيد وترك التفاصيل لأجهزة أمنه لترتيب طريقة تسلمه عمر المحيشي مع أجهزة الاستخبارات المغربية.

ونترك الهوني يتابع الرواية المذهلة في تفاصيلها فيقول:

أوهمت الاستخبارات المغربية عمر المحيشي أنها وافقت على طلب والديه للذهاب معه إلى الحج، فركب الطائرة المغربية مع أهله وفي ظنه أنها متوجهة للأراضي المقدسة، فإذا بالطائرة تهبط في مطار طرابلس، وكان القذافي في استقباله ليساق المحيشي وسط الحراسة إلى قاعة جانبية في المطار الدولي، والقذافي يحاسبه، ومع أول كلمة نطق بها العقيد في وجه زميله السابق انهال عليه ضرباً ثم ركلاً برجليه وهو يصرخ به شاتماً سابّاً... يا ابن الـ... أنت تقول إن والدتي يهودية وبعد أن أشبع نفسه شتائم، وأشبع جسد المحيشي الملقى أرضاً ركلاً وضرباً، أمر بإعدامه في المطار فتم تنفيذ حكم الإعدام، ثم دفن في مكان سري غير معروف... حتى اليوم.

عبد المنعم الهوني

هو من مدينة جنزور على تخوم طرابلس العاصمة وهو من عائلة كريمة، واسعة في الرزق، وهو من بيت من بيوتات ليبيا الراقية، وكان ذا سمعة طيبة رغم توليه أصعب المهمات الأمنية كمدير للأمن أولاً، ثم كوزير للداخلية خلال سنتي 1972- 1973 ثم أصبح وزيراً للخارجية، بعد أن تسلم الخويلدي الحميدي وزارة الداخلية، وظل الهوني وزيراً للخارجية إلى أن حصلت محاولة انقلاب عمر المحيشي، وكان الهوني يومها في روما، وسمع أن القذافي يتهمه بالضلوع في تلك المؤامرة، فعاد إلى مصر، بادئاً مرحلة طويلة من المعارضة ضد نظام معمر القذافي.

حاول القذافي طويلاً إعادة الهوني إلى ليبيا بأي طريقة، وبكل الوسائل بين التهديد والترغيب، حاول خطفه عدة مرات، لكن وعي الهوني الأمني بحكم الممارسة، فوّت على القذافي وأجهزته فرصة اختطافه. كما كان لموقف السلطات المصرية في حماية الرجل الأثر الأهم في نجاته من كل محاولات العقيد.

ومع هذا... كان القذافي حريصاً في زياراته العديدة إلى مصر سواء في عهد أنور السادات، أو في عهد حسني مبارك على لقاء زميله السابق عبد المنعم الهوني، ساعياً معه في كل مرة لتليين موقفه بدعوته للعودة إلى بلاده، وعمل ما يريد دون ملاحقة أو عقاب.

كان الهوني يرفض دائماً لأنه كان يعرف حقد القذافي على من يعارضه.

المرة الوحيدة التي نجح فيها القذافي في جذب الهوني للعمل مع نظامه،كانت عندما عرض عليه تسلم مسؤولية مندوب ليبيا لدى جامعة الدول العربية.

الهوني استشار قبل قبوله هذا المنصب زوجه وأولاده (ثلاثة صبيان، اثنان منهما يعملان في بريطانيا، والثالث يعمل في دولة الإمارات وثلاث فتيات متزوجات).

وافقت عائلة الهوني على عمله مندوباً لليبيا في جامعة الدول العربية، وكان الهوني قبل ذلك وخلال هذه المسؤولية حريصاً على متابعة شؤون بلاده بالتفصيل الدقيق، من خلال اتصالاته التي لم تنقطع عن كل صاحب رأي حر مستقل، وأي زائر ليبي لمصر أو لبريطانيا أو لإيطاليا أو لفرنسا موثوق ودقيق.

وكان الهوني يرى في حضوره في جامعة الدول العربية حصانة يحتاجها بعد طول إقامة في مصر، فضلاً عن متابعته شؤون العرب التي كانت تشكل هماً شديداً عنده.

حرص الهوني عندما كان مندوباً لليبيا لدى جامعة الدول العربية أن يحضر الاجتماعات التي لا يكون فيها للقذافي مطالب وآراء ومواقف سياسية لا يوافق الهوني عليها، وإذا تلقى من طرابلس تعليمات كان يراها لا تتناسب مع أفكاره وسياسته وسلوكه، كان يتغيب مرسلاً أحد مساعديه لهذه الاجتماعات.

أخيراً الهوني في ليبيا

بعد انقطاع دام نحو ثلاثة عقود عاد عبد المنعم الهوني كزائر للقاء معمر القذافي بضمانة من العقيد مباشرة، وفق قاعدة أن ضمانة العقيد وحدها تحمي من يأتي إلى ليبيا، بدعوة منه لو كان معارضاً، أما من يأتي عن طريق أي جهاز أمني، فإن أي جهاز أمني آخر غير الداعي يمكن أن يعتقل أو يقتل أو يخطف المعارض العائد.

الهوني وجلود

بعد تكرار ذهابه إلى ليبيا حرص عبد المنعم الهوني على لقاء زميله القديم في مجلس قيادة الثورة الليبية الرائد عبد السلام جلود الذي كان يوصف من أجهزة الإعلام بأنه الرجل الثاني في النظام الليبي.

كان الهوني يتهاتف دائماً مع جلود عندما كان الأخير يغادر ليبيا إلى أي بلد أوروبي خاصة فرنسا وبريطانيا ويبقى على تواصل معه ليطلع على أخبار ليبيا والقذافي وما تفعله الأجهزة الأمنية وما يسمى باللجان الثورية للشعب الليبي وثروته ومصالحه وكل رأي

معارض للنظام. في ليبيا حرص الهوني على لقاء جلود فاستأذن القذافي في ذلك فلم يمانع العقيد.

اتصل الهوني بجلود محدداً معه موعداً للغداء عنده، وقبل أن يذهب الهوني سلمه أحد ضباط الأجهزة الأمنية هاتفاً خلوياً لكي يساعده على الاتصال ويقول للهوني إنه رغم عمله السابق في أجهزة الأمن، إلا أنه لم يكن قد وصل إلى مسامعه إمكانية تحديد مكانه من خلال جهاز الخلوي هذا، وأيضاً التنصت على كل كلمة تقال في محيط هذا الجهاز.

في جلسة مع جلود استغرقت 3 ساعات كان جلود يصب خلالها جام غضبه ونقده اللاذع على معمر القذافي ونظامه وأجهزته الأمنية وعائلته وكل من حول القذافي ويتحدث عن مآسي الشعب الليبي والسرقات والفساد والتعديات التي يمارسها رجال القذافي وعائلته وقبيلته.

وما أن انتهت الجلسة وعاد الهوني إلى منزله في طرابلس حتى جاءه ضباط أمن يطلبون منه تقريراً عما سمعه من جلود قائلين له لقد سمعنا كل شيء، فاستنكر الهوني هذا الأمر وقال لهم: «إنني لست مخبراً عندكم» وهو يدرك أن هذه الرسالة من الاستخبارات أننا نعرف كل شيء يجري في البلد.

وقد آثر الهوني بعدها أن لا يلتقي مباشرة مع جلود، بل كان يتعمد أن يعرف أين يسهر جلود عند أي صديق أو زميل مشترك ليذهب ويلاقيه هناك.

والهوني كان أول مسؤول ليبي يعلن انشقاقه عن نظام القذافي وتأييده لثورة 17 فبراير 2011، بل ودعا القذافي للاستقالة وتسليم السلطة خلال فترة انتقالية لزميله اللواء أبو بكر يونس تمهيداً لإجراء انتخابات تسمح بتسليم السلطة إلى المدنيين فعلاً في ليبيا.

عبد السلام جلود

من مواليد 1942، في سبها، وشهادة ميلاده تشير إلى أنه من بلدة مزدة. كان شقيقه سالم يتكفل بإطعامه ومعمر القذافي (ورد ذكره في مكان آخر) فقد كان الاثنان من المعدمين مادياً.

ترافق جلود مع القذافي في سبها بعد عودة معمر من سرت حيث حاول الدراسة (كما ورد في مكان آخر) كما ورد عن كيفية توفير لقمة العيش من مساعدات الآخرين.

حتى انتهاء مرحلة دراستهما الإعدادية، فقرر معمر الانتساب إلى الكلية الحربية ليتخرج ضابطاً، لا يكتفي بتغيير وضعه الاجتماعي، بل وبتغيير وجه ليبيا كلها... مقنعاً زميله عبد السلام بالدخول معه إلى الكلية نفسها، رغم أن جلود كان يرغب في الحياة المدنية التي تتناسب مع سلوكياته ومزاجه. لم تكن الكلية العسكرية يومها تشترط بالمتقدم أن يكون حائزاً الشهادة الثانوية فتقدم معمر وجلود بشهاديتهما الإعدادية وفي حين نجح معمر القذافي في امتحان الدخول إلى الكلية العسكرية الليبية، فإن عبد السلام جلود فشل ولم تقبل أوراقه، لرسوبه في الفحص الطبي، فصمم على التوجه إلى كلية جامعية كي يتابع دراسته ليتخرج في أي قسم توفر له شهادته فيه عملاً مناسباً.

أقنع معمر القذافي ثانية جلود بالمحاولة من جديد وطلب منه تسليمه أوراقه لعمل واسطة تفتح له طريق الكلية الحربية ثم اصطحبه إلى موظف ما زال على قيد الحياة ليعلن له أن عبد السلام فشل في الكشف الطبي ونريد تمريره في امتحان الكلية العسكرية، وفي اليوم التالي نجح عبد السلام بما دفع المعارضة الليبية لاعتبار القذافي عميلاً في وقت مبكر للاستخبارات الأجنبية. كان جلود من أقرب المقربين للقذافي، حتى بعد قيام الثورة ولعشرين سنة تلت تقريباً، كان الوحيد القادر على مجابهته ومعارضته، فيلحق به معمر ليقول له: لقد أتينا معاً، إما أن نبقى معاً أو أن نرحل معاً، فكان يستدر عطف جلود الموصوف بعواطفه الإنسانية، فيعود عن قراره.

كان جلود زميلاً للقذافي منذ العام 1956، وشكلا معاً الخلايا الأولى للعمل السياسي المعارض للنظام الملكي المؤيد لجمال عبد الناصر القادم بطلاً بعد صموده في وجه عدوان بريطانيا وفرنسا وإسرائيل في العام نفسه، والعامل على إقامة الوحدة العربية بالجمهورية العربية المتحدة من مصر وسوريا عام 1958، والاثنان معمر وعبد السلام خاطا علماً للجمهورية الوحدوية من قماش انتزعوه من ملابسهما ومن ملابس أخرى قديمة ليرفعوه تأييداً للوحدة العربية وهم طلاب ناصريون وحدويون، فطردوا من المدرسة إلى حين.

كتب الشابان اليافعان قصة الثورة من على مقهى الأخضر في حديقة البلدية في طرابلس (فهل لاختيار اللون الأخضر كتابا وعلماً ورمزاً دائماً وكل شيء في جماهيرية القذافي علاقة بذكريات الأحرف الأولى للثورة في ذلك المقهى؟).

بعد نجاح الثورة وبروز اسم معمر القذافي قائداً لها قيل إن الرجل الثاني في ليبيا

هو عبد السلام جلود، وفيما بعد وعندما سئل جلود عن هذه الصفة كرجل ثانٍ ردّ باسماً بل أنا رجل أول مكرر.

تسلم جلود رئاسة الوزراء بعد استقرار الأوضاع في ليبيا، وكان رئيس الجمهورية العربية الليبية لدورتين متتاليتين من العام 1969 حتى العام 1977 هو معمر القذافي نفسه، بعد أن رفع رتبته من ملازم أول إلى رتبة عقيد. تقاسم جلود الأدوار مع القذافي، واتفقا على كثير من القضايا، لكن جلود يعترف بأنه وكل أعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا يريدون تسليم السلطة للمدنيين، وكان الوحيد الذي يعارض هو معمر القذافي. وكانت حجته دائماً أن الشعب الليبي غير مهيأ بعد للديمقراطية والحكم المدني. كان العقيد يقول لهم إذا قلنا أننا سنسلم السلطة للمدنيين فإن مئات الضباط الذين وقفوا معنا بعد الثورة سيتخلون عنا، لأن الثورة جاءت لهم بالمغانم والمصالح وقد اعتادوا عليها. ومن المستحيل أن يتخلوا عنها، وقد ينقلبون علينا ويتسلموا هم السلطة فنخسر نحن مواقعنا ويقوم هؤلاء بالإساءة للشعب. كان بعض أعضاء المجلس يقتنع والبعض الآخر يسكت... وحده عمر المحيشي ظل معترضاً صلباً كما أكد عبد السلام جلود.

وكلما كان الضغط يزداد على القذافي بتنفيذ تعهدهم بتسليم السلطة للمدنيين، كان القذافي يهدد بالاستقالة، فيتراجع الرفاق عن مطالبتهم، إلى أن جاء وقت هدد فيه القذافي بالاستقالة، فقاد جلود وزميله عبد المنعم الهوني حملة لقبول استقالة القذافي وتسليم السلطة لزميلهم أبو بكر يونس، لأن الجميع يثق بقدراته ورغبته في تسليم السلطة للمدنيين. وكانت هذه الواقعة حصلت عام 1973. لكن القذافي فاجأهم بأنه سيقدم استقالته إلى الجماهير، وليس إلى أعضاء مجلس قيادة الثورة.

لماذا؟؟

لأن القذافي كان يعتبر نفسه قائداً للثورة، وهو الذي شكل الضباط الأحرار من عشرات الضباط... ثم انتقى منهم 11 ضابطاً إلى جانبه متمثلاً – كما ذكر في مكان آخر من هذا الكتاب – بتنظيم الضباط الأحرار في مصر بقيادة جمال عبد الناصر.

قال القذافي لأعضاء مجلس قيادة الثورة، إن شعبيته وشرعيته مستمدة من الناس وإنه سيعلن استقالته أمامها، فردوا جميعاً: إذن... فليكن.

كانت مناورة ذكية منه أن يقبل هذا التحدي، فقد عمل بعد ذلك على الاتصال

بالأعضاء واحداً بعد الآخر ليستميلهم مذكراً إياهم بماضي الأيام معهم وبالمستقبل الموعود لبعضهم.

وكان الموقف الحاسم لمصلحة العقيد حين خاطب قلب أبو بكر يونس، قائلاً له إنهم يريدون الإيقاع بيني وبينك، فتراجع أبو بكر عن مطلبه مع زملائه، وأكد أمامهم تمسكه بالعقيد... بعدها مال جلود إلى العقيد ولم يظل على موقفه الرافض إلا عمر المحيشي.

وقبل أن نتابع خطة العقيد التي باعدت بينه وبين زملائه نتابع مع جلود مواقفه المتباعدة مع القذافي.

خطة من جلود وإجهاض من القذافي

لم يوقف عبد السلام جلود اعتراضاته على سياسات الدولة في عهد العقيد نتيجة أفكاره التي قوضت التعليم، وأهملت الخدمات وأدت إلى سوء أوضاع الصحة، وترهل الإدارة وعششت الفساد في الإدارة.

سعى القذافي لاستيعاب تمرد وتساؤلات جلود، فقال له: تفضل أنت شريكي في العمل هات لي خطة وأنا على استعداد لتنفيذها...

صدق جلود أكذوبة القذافي فشكل لجاناً متخصصة لكل قطاع، وأنشأ لجنة عليا للتنسيق بين هذه اللجان ضمت عبد القادر البغدادي، عمر الحامدي (الذي كان أميناً عاماً لمؤتمر الشعب العربي) ومحمد أبو القاسم الزوي.

وشكّل لجاناً متخصصة يرأسها أبرز رجال ليبيا كل في حقله.

فكان مقرر اللجنة الإعلامية، نوري ضو الحميدي، وكان مقرر لجنة الشؤون الاجتماعية د. عبد الحميد الصيد الزنتاني، وكان مقرر لجنة الشباب والرياضة المرحوم عبد اللطيف بوكر وكان مقرر لجنة الثقافة د. أحمد إبراهيم الفقيه.

وشكلت لجان اقتصادية وإدارية من المتخصصين، وراجع الخطة بعد إعدادها المرحوم صادق النيهوم.

تسلم جلود الخطة، وقال بعد مراجعتها، هذه خطتي وسأعمل على تنفيذها، فإذا نجحت أكملت، وإذا فشلت فسأعود إلى مصيفي البلدي (بلدته) للرياضة والسباحة.

فما الذي حصل؟

يشرح جلود الذي حصل معه فيقول أن العقيد أجهض الخطة، حيث دسّها مع عشرات الخطط التي كلف جماعاته الأمنية واللجان المختلفة بوضعها لتقديمها في وقت واحد مع الخطة التي وضعها لجلود رجال متخصصون كل في مجاله.

وطبعاً أجهضت خطة جلود، أو ضاعت بين مجموعة الخطط المفبركة والمفتعلة... ولم يستوعب جلود خطة القذافي لدفعه إلى العزلة، حين قال له وهو يقدم له جهده... لست أنا أو أنت من نقرر هذا الأمر... بل المؤتمرات الشعبية، وكان القصد وراء كل هذا أن يجعل جلود في مواجهة هذه المؤتمرات في زعم من العقيد أنه رأي الشعب.

أدرك جلود أنه لا فائدة من الاستمرار مع القذافي فآثر الانسحاب والعزلة، وكلما كان أحدهم يسأله كيف وأنت الرجل الأول مكرر مع القائد تترك موقعك كان يجيب، لست لا أولاً ولا ثانياً ولا ثالثاً... أنا لست رجلاً بكّل (وهو تعبير ليبي بحت).

كان عبد السلام جلود يتعامل مع العالم بذهن مفتوح، وهذا ما دفعه للتنبه باكراً إلى أن الطريق التي تسير به ليبيا مسدود ولن يوصل إلى أي نتيجة.

كان جلود خلال رئاسته للوزراء في ليبيا، يتصرف كمسؤول تنفيذي مهتم بالإدارة والقضاء والخدمات والجميع يعرف أن الثورة قامت في ليبيا، قبل أن تنشأ مؤسسات حقيقية في هذه المجالات، ولم يكن مضى على توحيد الدولة، أكثر من خمس سنوات، ولم تكن الإمكانات المادية المتوفرة من اكتشاف النفط في البلاد تسمح بنهضة خاصة حقيقية، وتصاعدت الثروة المالية مع الثورة وبعدها خاصة بعد أن سعت الثورة لامتلاك ثروات ومقدرات البلاد.

كانت مشاعر وسياسة جلود القومية خاصة في الموضوع الفلسطيني صادقة، ولا تحتمل المراوغة أو المساومة. لذا فهو كان اعترض على معمر القذافي لاستقباله صهيونياً من أصل ليبي اسمه نمرود، معتبراً ذلك - مصالحة مع العدو الصهيوني تحت ستار استقبال مواطن ليبي في الأصل.

اعترض جلود على إرسال القذافي لوفد استخباراتي إلى الكيان الصهيوني (بزعم أنه ذهب إلى الحج في القدس بعد زعم آخر بأن السعودية منعت الحج عن الليبيين، وهو يقصد محاولة فك العزلة عن ليبيا إثر الحصار الذي فرض عليها لدورها في إسقاط طائرة

بان أميركان فوق لوكوربي في اسكتلندا عام 1988).

وكان جلود رفض مصافحة محمد أبو القاسم الزوي (وزير إعلام سابق وداخلية سابق وهو أمين مؤتمر الشعب العام حتى قيام ثورة 17 فبراير، أي كان رئيس السلطة الشرعية في الجماهيرية) لأنه صافح الصهيوني نمرود.

لم يكن جلود وحده راغباً في الرحيل بعد كل هذا، بل أن القذافي كان يفعل كل ما من شأنه دفع الرجل الأول مكرر لسنوات عديدة سابقة لهذا الأمر، فأولاده وخاصة سيف الإسلام، الذي يراه العقيد صورة مكتملة عنه بلغ سن الـ25 وهو سن يسمح له بأن يبدأ بتسلم مسؤوليات الرجل الأول مكرر أو في أسوأ الحالات مهمات الرجل الثاني مكان رفيقه القديم.

كان جلود يراقب كيف يدفع القذافي رفاقه القدامى نحو الظل، وكيف بدأت الأنوار تسلط على أكبر أبنائه ثم تتابع الأضواء تتلألأ على أولاد العقيد واحداً بعد الآخر، فهذا الساعدي وهذا المعتصم وهذا هنيبعل...

في هذا الوقت كان القذافي يدفع جلود إلى الحائط... أو إلى الخروج.

قصة المقر

كان مقر عبد السلام جلود الرسمي في قصر الشعب، وهو القصر الملكي السابق في طرابلس، فإذا بالقذافي يسلم قصر الشعب ليكون مكتباً لجامعة الدول العربية في ليبيا، ثم نقل مكتب عبد السلام جلود إلى مقر آخر في طرابلس أقل أهمية في إشارة إلى تراجع أهمية جلود نفسه. فانزوى في منزله يلوم معمر على كل ما حصل في ليبيا.

ظل جلود ينتقد القذافي أمام كل زواره، إلى أن حصل تطوران مهمان دفعاه للتراجع عن هذا النقد المشوب بالمرارة.

الأمر الأول: أدرك جلود أن معمر سحب البساط من تحت رجليه داخل قبيلته «المقارحة» حيث استطاع القذافي أن يشتري وجهاء القبيلة والفاعلين فيها بالمال وتوظيف الرجال وتوسيع المناصب وإعطائهم البيوت والأراضي وتقريبهم من مراكز النفوذ والثروة. فبات القذافي داخل قبيلة جلود أقوى من جلود نفسه.

الأمر الثاني: هو أن القذافي استمع إلى كل ما يريده عبد السلام جلود من مال وحراسات وبيوت وسفر وجاه وفّر له كل ما يريد فبات عبد السلام جلود مدجناً دون

تأثير يذكر داخل ليبيا. ولو أن جلود تحرك ضد القذافي منذ لحظة الافتراق لكان له أثر كبير هز سلطة القذافي لأنه كان ما يزال قوياً في قبيلته المقارحة وكان أمامه حافز شخصي وسياسي للتحرك وكان سيجد تأييداً كبيراً من عدد كبير من الليبيين.

أما وقد ابتعد به الأمر كثيراً فقد خسر الفرصة ولم يعد له أي تأثير ولا حافز ولا الحماس.

جلود اليوم

عندما تبلّغ جلود نبأ تخلي الرئيس حسني مبارك عن السلطة في 11/ 2/ 2011، أي قبل أيام قليلة فقط من بدء الثورة الشعبية في ليبيا ضد زميله معمر القذافي، قال: لقد أزيح اليوم عدوي الأول حسني مبارك، فقد كان الرئيس المصري يوغر صدر معمر القذافي ضدي، وكان يقول له بحضوري... احذر هذا الرجل... لأنه سيخرب بيتك!!

وعندما نشرت جريدة أويا (الاسم القديم لطرابلس) وهي تابعة لسيف الإسلام القذافي افتتاحية بأن القائد (القذافي) لديه خطة للاستعانة ببعض زملائه القدامى، ويمكن تكليف رفيقه عبد السلام جلود بتشكيل حكومة جديدة تخلف التركيبة الحالية، ويكون الخويلدي الحميدي وزيراً للداخلية ويتسلم اللواء أبو بكر يونس قيادة الجيش الفعلية. سئل جلود إن كان قد سمع عن هذه الافتتاحية أو قرأها فرد: لا شفتها ولا أريد أن أراها أو أقرأها. إنها خطة من معمر القذافي ليستخدمني ضد ابنه، مهدداً إياه إذا استمريت بلعبك فلديّ أصدقائي القدامى، أعيدهم لتشكل ثورة جديدة ضد أفكارك.

وعندما أصبح الثوار على أبواب طرابلس الغرب، كان جلود يعلن من روما انشقاقه عن القذافي نهائياً، بعد أن استطاع الهرب من حصار على منزله استمر سنوات. ومن روما توجّه جلود إلى الدوحة ليدلي بحديث إلى محطتها الدولية (الجزيرة) أكد فيه هوس معمر القذافي بالسلطة وأنه سيقاتل لأجلها حتى الموت. وهذا ما حصل لمعمر..

كيف تخلص معمر من أعضاء مجلس قيادة الثورة؟

تكاثرت الاعتراضات داخل مجلس قيادة الثورة من أغلبية ضباطه على سلوكيات وتصريحات وسياسات معمر القذافي، وكان في كل مرة يعلم رفاقه أمام الاحتجاجات أنه مستقيل وأن عليهم اختيار بديل له منهم.

كان كثيرون يتراجعون أمام تهديده بالاستقالة، وفاء منهم لدوره الأساسي في الثورة، وحرصاً على استمرار المسيرة، وحتى لا يخرج أمام الناس أنهم منقسمون أو مختلفون.

إلى أن كان موعد الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف عام 1973، وكالعادة هدّد القذافي بالاستقالة بعد أن أظهر عدد من الضباط اعتراضهم على سياسته.

لم يتوقع القذافي أن يبادر صديقاه عبد السلام جلود، وعبد المنعم الهوني لمطالبته بالاستقالة فعلاً وأن يسلم القيادة للعميد أبو بكر يونس. ظنّ الأعضاء أن الأمر قد قضي وارتضى القذافي بالاستقالة، لكنه فاجأهم بالموقف الحاسم بقوله: شرعيتي من شعبيتي ومن الناس، وأنا سأعلن استقالتي أمام الناس... فردّ بعضهم بحسم أكثر وضوحاً... فليكن ونحن بالانتظار.

لم يضع القذافي الوقت سدى، بل أدّى لعبته المشهورة، فرِّق تسد. فاتصل أولاً بأبي بكر يونس وهو ضابط مخلص وصادق ولا يريد أي تفرقة بين الأخوة. فأكد أنه مع معمر القذافي مهما كان الأمر.

ثم اتصل العقيد بالأعضاء واحداً واحداً ما عدا الهوني وجلود وعمر المحيشي، وحيّدهم أو استمالهم بمعزل عن المعترضين المنتظرين لاستقالته العلنية أمام الجماهير.

المفاجأة

وقف العقيد أمام الجماهير بعد 4 سنوات من الثورة لتتعامل معه الناس بصفته قائداً للثورة، وهو الخطيب البارع الأكثر قدرة على الخطابة ودغدغة عواطف المستمعين.

اختار معمر القذافي مدينة زوارة على الحدود مع تونس، مخاطباً إياهم بصفتهم «أهل الصفاء والمروءة، بعيداً عن جو المدن الملأى بالجواسيس والمؤامرات، لأقول لكم إنني أريد من هنا من زوارة أن أعلن الثورة الشعبية».

ووسط حماس الجماهير، التي يقول بعض أعضاء المجلس، إنه دسّ بينها أناساً محسوبين عليه، أعلن معمر القذافي النقاط الخمس التي كانت المقدمات الأولى لما وصل إليه من طرح الثورة الشعبية وعصر الجماهير والجماهيرية...

وتحت عنوان أن تكون التوجيهات الصادرة عن قائد الثورة ملزمة التنفيذ حدد القذافي نقاطه الخمس كما يلي:

1- تعطيل كل القوانين المعمول بها في الجمهورية العربية الليبية، واستمرار العمل الثوري لتصبح كلمته هي البديل عن أي قانون.

كان أعضاء مجلس الثورة يواجهون جنون معمر القذافي بالقوانين، فعمل على إلغاء العمل بها، فهي التي تحدد كيفية التعامل مع الناس وسجنها دون محكمة ودون قانون، ويريد تحريك الإدارة وفق أهوائه، وكان يريد تعيين أساتذة الجامعات ووفق مزاجه أو عقد الصفقات دون مناقصات أو مزايدات ويريد الإمساك بالعلاقات الاقتصادية والتقارير المالية دون أن يلتزم بأي قانون.

أصبحت كلمة القذافي هي القانون، وكل من يطالب بتطبيق القوانين الأخرى هو رجعي وخائن...

استنفر القذافي المزايدين والمنافقين في كل قطاع كي يدافعوا عن إجراءاته «الثورية»، وألّف بعضهم الأغاني والأناشيد والهتافات المشجعة والمروجة ومنها: دوس على الرجعي والخاين...

2- الحرية... كل الحرية للشعب، ولا حرية لأعداء الشعب، وكان الشعب هو القذافي وحده، وهو الذي يحدد من هم أعداء الشعب، ومن هم معه، وكانت هذه غاية القذافي بالتخلص من كل من عارضه أو خاصمه أو من كان معترضاً على فكرة أو سياسة أو حتى سلوكياته الشخصية.

3- لا مكان في مجتمع الثورة للمرضى فكرياً، وبات كل معارض للقذافي مريضاً يجب التخلص منه، سواء كان من العهد الملكي، أو في عهد ثورة الفاتح.

4- أطلق القذافي معركته الثقافية على غرار الثورة الثقافية في الصين التي قام بها ما بات يعرف باسم عصابة الأربعة ومنهم زوج قائد ثورتها ماوتسي تونغ.

في ثورة القذافي الثقافية نظمت محارق للكتب، من كل اتجاه سواء من كتب السياسة والفكر والاقتصاد، أو كتب الحب والغزل شعراً أو نثراً وحتى كتب الاجتماع.

شمل حرق الكتب المدارس والمكتبات والجامعات.

5- المعركة الإدارية: هنا قالها القذافي للجماهير المتحمسة: اذهبوا وازحفوا إلى أي مدير واحتلوا مكانه وشكلوا لجاناً شعبية لإدارة مؤسسات الدولة.

وفي هجمات بدا أنها مدبرة سابقاً، زحف الجمهور في كل إدارة على قياداتها، وزحف الممرضون على إدارات المستشفيات وخلعوا الأطباء والمختصين (الذين هاجر قسم كبير منهم فيما بعد إلى الخارج) وتسلم الغوغائيون مقاليد الأمور لتعم الفوضى في كل أرجاء ليبيا بعد هذا التاريخ، وليبدأ إلغاء الدولة فعلياً في جماهيرية القذافي ليبدأ عصر الجماهير... وانتهاء عصر مجلس الثورة... ومع أن أعضاء مجلس قيادة الثورة رفضوا جميعاً هذه الهمجية إلا أن وحده عمر المحيشي صلباً عنيداً، قرر مواجهة القذافي فكانت محاولة العام 1975 التي جاء ذكرها في هذا الكتاب.

كيف تركتم القذافي يسرق منكم ثورتكم؟

كثر هم الليبيون – وعرب آخرون – الذين تتسارع الأسئلة على ألسنتهم كلما جرى حديث عن سلوكيات معمر القذافي، وقدرته على الانفراد بحكم ليبيا لمدة 41 سنة وأكثر. أين هم الضباط الأحرار أين هم أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين خرجوا فجر الفاتح من سبتمبر للقضاء على الحكم الملكي وإقامة حكم جمهوري؟ كيف سمحوا لمعمر القذافي وحده أن يكون هو سيد ليبيا، دون مؤسسات أو دستور أو قوانين أو رجال آخرين أو موانع أو روادع؟ لماذا لم يفعلوا ما يمنعه من هذا التحكم الغريب أو المثير للدهشة بأمور البلاد وحده؟ كيف سمحوا له أن يقصيهم واحداً واحداً عن أي دور سياسي إلا أن يكونوا ملحقين به؟ ثم كيف ارتضوا أن يستبدل أولاده بهم؟ وكيف ولماذا سكتوا عن جرائمه الغريبة ضد الشعب بأكمله؟ وكيف لم نسمع أحداً توجه له بنصيحة بالتوقف عن تصريحاته ومواقفه وسلوكياته التي تثير السخرية والاحتقار. وآثار ذلك على دولة بحكومتها وشعب يمثلونه؟ كيف سمحوا له بهذا العبث بأقدار ملايين، وتبديد ثروات خيالية من حق مجتمع وأجيال سابقة وحالية ولاحقة في تفاهات ومؤتمرات ونزق شباب أولاده... وحتى هو شخصياً؟

لماذا لم يتحرك أحد منهم لوقفه عند حده قبل أن يتمكن؟ بل كيف تمكن أن يقصيهم واحداً تلو الآخر وأن يستتبع بعضهم، وأن يتخلص من الآخرين؟

أسئلة عديدة ما زالت تطرح بشرعية حب ليبيا وشعبها بلداً عربياً وشعباً مظلوماً، لم تجد من يستحق أن تحمل إليه للحصول منه على إجابة إلا الرجل الوحيد الذي ما زال من أعضاء مجلس قيادة الثورة قابضاً على الجمر.

إنه عبد المنعم الهوني، يمثل حالة فريدة من الرجال الذين قاموا بالثورة يوم 1/ 9/ 1969.

فأعضاء المجلس انقسموا إلى ثلاث فئات حقيقية:

الفئة الأولى: هي من تمكن معمر القذافي من دفعها للذهاب إلى بيوتها، وهم محمد نجم، عوض حمزة، مختار القروي، بشير الهوادي... وأخيراً عبد السلام جلود.

الفئة الثانية: هي من استتبعها معمر القذافي حتى بدت كظله أو في أحسن الحالات خيال مآتة أو ما نقول له في لبنان خيال صحراء وهي القماشة التي تلبس خشباً مصلوباً يحركه الهواء ليخيف العصافير... ولا تمثل وجوداً حياً أبداً وهؤلاء هم أبو بكر يونس جابر، والخويلدي الحميدي ومصطفى الخروبي.

الفئة الثالثة: مشكلة من ثلاث شخصيات اثنان منهم قتلا هما محمد المقريف وعمر المحيشي، والشخص الثالث القابض على الجمر هو عبد المنعم الهوني.

ولأن الهوني هو الرجل الوحيد المقاتل ومنذ أكثر من ثلث قرن ضد معمر القذافي، فقد شكّل ضمير الفاتح الحي موصولاً بثورة السابع عشر من فبراير 2011 التي انطلقت للتخلص من هذا الطاغية معمر القذافي مع فارق جوهري أن ثورة الفاتح جاءت عسكرية أيدها الشعب الليبي بلا شك، وأن ثورة السابع عشر من شباط فجرها الشعب الليبي... وهو قاوم عسكرياً بعد أن فرض القذافي عليها القتال بكتائب مدججة بالسلاح يقودها أولاده ومرتزقة جاء بهم من بلاد مختلفة في العالم.

عبد المنعم الهوني من ثوار الفاتح الوحيدين في ثورة 17 شباط وهو أول من أيّد الثورة بعد قيامها واستقال من رئاسة مندوبية ليبيا في الجامعة العربية... معه نتحدث ونستمع إلى أجوبته على الأسئلة العديدة التي يطرحها الليبيون والعرب فيقول: بعد اجتماع رباعي ضمّنا نحن الأربعة القذافي - عبد السلام - أبو بكر - وعبد المنعم الهوني شكّل معمر القذافي مجلس قيادة الثورة على دفعتين من 12 عضواً، الدفعة الأولى ضمّتنا مع خمسة آخرين هم عوض حمزة، مختار القروي، محمد نجم، مصطفى الخروبي، والخويلدي الحميدي، ثم أضاف إلينا ثلاثة آخرين هم عمر المحيشي، بشير الهوادي ومحمد المقريف.

قصة الرقم 12

ولهذا الرقم 12 قصة تروى، فقد كان معنا عضو آخر هو سالم صعود بو وصير ليصبح عددنا 13 ولأن معمر القذافي - مثلنا - كان شديد التأثر بجمال عبد الناصر - فإنه أراد أن يكون عدد أعضاء المجلس كما عدد أعضاء مجلس قيادة ثورة 23 يوليو في مصر اثني عشر إضافة إلى أنه قال لنا إن الرقم 13 كان رقم شؤم لا يحبه الليبيون.

عام 1968 أدت المصادفة دورها الإيجابي حين تم نقل سالم بو وصير من بني غازي إلى طرابلس مما دفعه لقطع صلته بنا، رغم أنه كان خامس ضابط في تشكيلة المجلس التي أشرت إليها، ولم يفش سالم بسرنا ولم يتكلم، وعندما قامت الثورة دخل سلاح الدفاع الجوي وظل فيه حتى تقاعد.

كنا أقسمنا كأعضاء مجلس قيادة الثورة، أن ندير البلاد سياسياً لمدة سنتين فقط نعتبرها بمثابة مرحلة انتقالية... نمهد من خلالها لوضع دستور جديد للبلاد، يوزع في مواد السلطات ونفصل بينها ونعتمد تجربة جمال عبد الناصر في مصر، قيام تنظيم سياسي جماهيري وتجري انتخابات ديمقراطية تنشئ مجلس نواب يختار حكومة، وينتخب رئيس جمهورية سواء عبر المجلس أو عبر انتخابات شعبية، وتتيح حياة ديمقراطية سليمة ونعود نحن الضباط إلى ثكناتنا، أما من يريد الاستمرار في العمل السياسي فعليه أن يخلع بذلته العسكرية، وينغمس في السياسة مدنياً، وكنا قررنا كذلك أن يرشح معمر نفسه للرئاسة لينتخب رئيساً لفترة يحددها الدستور.

بعد أقل من ثلاثة أشهر على نجاح الثورة في 1/ 9/ 1969 وتحديداً ليل 24/ 12/ 1969 واجهتنا حركة وزيري الدفاع آدم حواس والداخلية موسى أحمد فاضطررنا لمد الفترة الانتقالية إلى خمس سنوات (راجع تفاصيل هذه الحركة في مكان آخر من هذا الكتاب).

عام 1970 جاءنا الرائد محمد نجم وكان وزيراً للخارجية وطالبنا بأن نلغي مد الفترة الانتقالية من خمس سنوات وإعادتها سنتين كما كنا اتفقنا قبل قيام الثورة قائلاً لنا: يجب أن تكون حركة حواس وموسى دافعاً لنا لكي نعجل بقيام المؤسسات الدستورية، وأن نقنن الثورة، حتى لا نفاجأ كل فترة بحركة انقلابية تجهض كل شيء، ونحن مشغولون بالحكم، بل يجب أن نعود إلى الجيش لنمسك زمام الأمن ونترك الحكم للمدنيين.

أول اصطدام بمعمر عام 1970

اصطدم محمد نجم بالقذافي والذين أيدوه وهم الأغلبية بعد أن قال القذافي إننا قمنا بالثورة وضحينا ولن نسلمها لمن لا يستحقونها. كان أعلن عن وفاة الرئيس الفرنسي شارل ديغول في نوفمبر 1970 وطلب القذافي ذهاب محمد نجم كوزير للخارجية على رأس وفد للتعزية به في باريس فرفض نجم هذا التكليف قائلاً لن أذهب إلى أي مكان إلى أن نبتّ مسألة إعادة المرحلة الانتقالية إلى سنتين كما اتفقنا أول الأمر.

بعد الاجتماع العاصف الذي بدا فيه أن النقاش اقتصر على وجهتي نظر مثلهما نجم والقذافي جال نجم علينا وقال لنا: انتبهوا إن بقاء الفترة الانتقالية لخمس سنوات ستتيح للقذافي أن يسيطر على البلاد... وحقيقة الأمر أن هذا أخطر ما قاله محمد نجم قبل أن يتركنا ويقدم استقالته ويجلس في منزله باكراً جداً.

كنا اتفقنا قبل الثورة أيضاً على أن أي خلاف بين أي عضو وبقية أعضاء مجلس قيادة الثورة يطرح داخل اجتماعات المجلس، فإما يحل الخلاف أو أنّ من لا يجد في نفسه القدرة على الاستمرار، يقدم استقالته ويعود إلى منزله أو إلى قطعته العسكرية مع قسم حاسم بألاّ يقوم بأي عمل عسكري أو انقلابي أو تحريضي.

صحيح أن النقاش كان حاداً بين نجم والقذافي ومن أيده، لكننا انتهينا إلى اعتماد بقاء الفترة الانتقالية بخمس سنوات كما عدّلناها بعد الحركة الشهيرة ضدها ولم تؤثر استقالة نجم في مسارنا... لكنها دقت ناقوس الخطر باكراً... دون أن ينته الأمر...

كان خروج محمد نجم من مجلس قيادة الثورة بداية التفسخ والابتعاد الذي أصاب المجلس تبعته وفاة عضو آخر هو محمد المقريف في حادث سيارة... ثم استقال العضو الثالث مختار القروي... لماذا؟

ومختار القروي يستقيل

يتابع الوزير السابق عبد المنعم الهوني روايته فيقول إن عضواً آخر هو الرائد مختار القروي استقال عام 1973، احتجاجاً على المبالغ الضخمة التي كان القذافي يصرفها في مدينته سرت وما حولها.

كان الرائد عبد السلام جلود رئيساً للوزراء وقد قصده الرائد القروي إلى مكتبه لأمر ما فلم يجده فجلس وراء طاولته يتصفح بعض الملفات الاقتصادية والمشاريع التي تنوي

الحكومة تنفيذها، فوجد مشروع وادي تلال في سرت، وقد صرف لتنفيذه نحو 50 مليون دولار وهو رقم ضخم يومها، فحمل القروي الملف وجاء به إلى أول اجتماع لمجلس قيادة الثورة وكنا نجتمع أول الأمر يومياً مرتين ونتناول الغداء في المجلس ثم نرتاح لنبدأ اجتماعنا الثاني في السادسة مساء، وقدمه بصفته أمين عام مجلس القيادة ليفاجئ الجميع بأن هذا المشروع كنا رصدنا له من 4 إلى 5 ملايين دولار، فكيف يصبح ما صرف عليه 50 مليون دولار؟

قال القروي أن معمر يريد تحويل سرت إلى عاصمة جديدة، كما فعل الملك إدريس السنوسي في جعل مدينة البيضا شرق ليبيا عاصمة ثانية.

لم يحصل تجاوب مع القروي فاستقال وذهب إلى منزله.

وهذه الرواية تختلف عن رواية أخرى لأسباب استقالة القروي وردت في مكان آخر من هذا الكتاب.

تنازلوا باسم الوحدة

ويقول الرائد الهوني أن مجلس قيادة الثورة فوّض معمر القذافي صلاحياته كلها، بحجة أن ليبيا مقبلة على وحدة رباعية مع مصر وسوريا والسودان (أقيم اتحاد الجمهوريات العربية، واستثنى السودان نفسه لظروفه الداخلية بعد انقلاب هاشم عطا الذي أدى إلى تصفية الحزب الشيوعي السوداني المشارك بالانقلاب والحكم بإعدام رئيسه عبد الخالق محجوب صيف 1971). وأن هذا التفويض هو المدخل الذي دخل منه العقيد للتفرد بالسلطة حقيقة فيما بعد.

تعلل القذافي بأن الوحدة تحتاج لأن يتفرغ لها، وأنه لا يستطيع أن يعود إلى مجلس قيادة الثورة في كل صغيرة وكبيرة وأن حافظ الأسد يستطيع أن يبتّ كل أمر بروحه أي وحده دون الرجوع لأحد، وكذلك أنور السادات بعد أن كان تخلص من رجال جمال عبد الناصر في انقلاب 13 أيار/ مايو 1971، بات حاكماً فرداً لا يملك أحد في مصر سؤاله أو مراجعته.

الوحدة تستدعي قرارات سريعة وبتّ الأمور بساعتها، خاصة خلال الاجتماع مع الرؤساء لاتخاذها دون العودة إلى المجلس.

تنازلنا جميعاً عن صلاحياتنا من أجل الوحدة، فخسرنا صلاحياتنا ولم تقم أي

وحدة، ولم يعد القذافي يستشيرنا أو يسألنا، وتباعدت اجتماعات المجلس التي كانت تعقد يومياً مرتين كما قلت.

والأخطر أن معمر بالصلاحيات التي سلمناها له بات يصدر قرارات بنقل وعزل وتوقيف ضباط سواء من أعضاء اللجنة المركزية أو ضباط الوحدات دون العودة إلينا ولم يكن طابع القرارات إدارية أو تنظيمية فقط، بل شملت ضباطاً يختلفون سياسياً مع معمر القذافي أو لا يوافقونه على سلوكياته وتفرده.

كنا نعتقد أن معمر القذافي كان مثالياً وكان يراعي الله في سلوكياته، وقد فوضناه فرض عقوبات مسلكية على أي واحد منا إذا ارتكب خطأ فكان يأمر أي عضو مخطئ بأن يقصر شعر رأسه على الزيرو، كما حصل مع المقدم مصطفى الخروبي، وقد تباهى القذافي بهذه الواقعة على المرئية الليبية ورفع قبعة مصطفى من رأسه ليرى المشاهد رأس الضابط عضو مجلس قيادة الثورة وهو خالٍ من الشعر تنفيذاً لعقوبة فرضها الأخ القائد معمر القذافي.

قرار بتنحية معمر

أواخر العام 1974 اتخذنا في مجلس قيادة الثورة قراراً بتنحية معمر القذافي، بسبب مخالفته قرارات المجلس وتعطيلها وعدم دعوته لعقد اجتماعات للمجلس.

فاجأنا القذافي بدعوته لنا لعقد اجتماع لمجلس قيادة الثورة في سرت معقله الأساسي... ولنطلع على مشروع زراعي نفذه الضابط خليفة حنيش.

في سرت بنى معمر القذافي قصراً جديداً لمجلس قيادة الثورة يضم إلى قاعاته اثنتي عشرة غرفة أو جناحاً فندقياً فخماً وإلى جانب كل جناح مكاتب إدارية لكل عضو من أعضاء مجلس قيادة الثورة.

كنا أمام فندق ضخم أشرف على هندسته مكتب هندسي متخصص في بناء الفنادق بتوفير كل ما تحتاجه من قاعات ومداخل وساحات وملاعب.

لم نكن نعلم بأمر هذا المقر الجديد... إلى أن علمنا وقررنا أن هذا المكان سيكون مقر اعتقال معمر القذافي.

كنا مشغولين بشؤون وزاراتنا وأمور الناس، وكان معمر القذافي يجول على القطاعات العسكرية يرتب فيها أمور قوته ويضع فيها من يريد من مسؤولين وأمنيين من

أقاربه وقبيلته... وفي الوقت نفسه كان يشيع عنا الأقاويل لتشويه صورنا أمام الجيش والناس.

كان القذافي يردد ويشيع أن عبد السلام بتاع نسوان وأن عبد المنعم بتاع تشاتشاتشا والمصقعة (البيرة) كان الرائد الهوني تزوج من مصرية في نادي الرماية في مصر وقد أقيم حفل الفرح الذي غنّى فيه ماهر العطار على حساب القوات المسلحة وشاهد صوره زملاؤه أعضاء المجلس... لم يكن الهوني يشرب الخمر لكن القذافي قال عن كوب العصير أنه بيرة، مما أثار غضب بعض الأعضاء ومنهم الخويلدي الحميدي القبلي المحافظ.

لم يكتفِ القذافي ببث الإشاعات ضد إخوانه بل إنه راح يتهمهم بأنهم يعرقلون كل مساعي الوحدة وأنهم يضعون العصي في دواليبها.

كنا نريد تحقيق مشاريع إنمائية وخدماتية، كانت أعدت في العهد الملكي، مثل بناء مستشفيين كبيرين في طرابلس وبني غازي ومثل مطارين دوليين أيضاً في طرابلس وبني غازي. وكنا نريد البدء بخطة تنمية زراعية وصناعية رصدت لها المبالغ وأعدت حولها الدراسات، ووافق عليها اختصاصيون، وأردنا طرحها في عطاءات دولية... لكن معمر القذافي رفض كل هذا... ولم يطرحها من جديد إلا بعد أن تخلص من عمر المحيشي ومن عبد المنعم الهوني... وبعد مرور خمس سنوات على اقتراحها... ثم بعد أن خفف من المواصفات التي كانت معتمدة في العهد الملكي واعتمدناها هي نفسها لأنها مبنية على دراسات علمية جديدة.

كنا نعترض ونتحدث عن تعطيل عجلة التنمية، وكنا نعرض الأمور على الضباط الذين أيدونا بعد أن قدمنا الشواهد والتواريخ فقد أردنا عرض الخلاف على الضباط ليشكلوا قوة ضغط على معمر.

التقينا في نادي مصيف العسكري، فواجهنا قرار العقيد بأن الزيارات العسكرية ممنوعة لأن لدينا وظائف غير عسكرية، وبيننا وزراء يجب أن ينصرفوا إلى أمور وزاراتهم وحل مشاكل الناس الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والثقافية والصحية.

كان يخاطبنا بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة ونحن ضباط فيها علينا السمع والطاعة.

كان الكيل قد طفح كما يقال، فتنادينا لاجتماع موسع لتشكيل قوة ضغط على معمر

عله يلتزم أو يتراجع أو يتنحى.

كنا قد أصبحنا نحو 114 ضابطاً تقلص عددنا إلى 92 بعد أن نجح العقيد بنقل بعضهم من قطاع إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى.

عقدنا اجتماعاً موسعاً بهذا العدد وقررنا مناقشة بند واحد فيه هو تقليص صلاحيات معمر القذافي وإعادتها للمجلس وتعيين نائب لرئيس المجلس أي نائب للعقيد نفسه لأن القذافي كان كثير التغيب عمداً عن اجتماعات المجلس وكان لا يعترف بأي قرار تتخذه، واعتقدنا أنه بتعيين نائب له يلزم الجميع بمن فيهم القذافي نفسه بالقرارات التي يتخذها المجلس في غيابه.

عمر المحيشي يؤيد إعدام معمر

تكررت اجتماعاتنا ونحن ندور في حلقة مفرغة إلى أن طرح عمر المحيشي في أحد الاجتماعات ضرورة التخلص من معمر القذافي، لأنه يمسك بكل الأمور بين يديه، وإذا ظللنا نراوح مكاننا ونقترح فقط تقليص صلاحياته أو إلزامه بالحضور أو تهديده بالتنحي دون أن نقدم على تنحيته واعتقاله فإنه سيدبر علينا انقلاباً يتخلص به منا جميعا ويسجننا...

رفض أغلبية الضباط اقتراح المحيشي، وبعد يومين التقى نحو 30 ضابطاً، ارتأى عمر في هذا اللقاء مع ضباط آخرين اعتقال معمر وتقديمه للمحاكمة وتنفيذ حكم الإعدام فيه.

قال عمر إن ما لديه يستدعي محاكمة معمر وإعدامه، حيث أنه كان وضع بخط يده قرار إعدام موسى أحمد وآدم الحواز، إذن هو اعتمد سابقة الإعدام وعليه أن يشرب من الكأس نفسه.

لم يوافق أغلب المجتمعين على اقتراح عمر، فقررنا تأجيل النقاش في هذا الأمر إلى اجتماع آخر، دعونا لعقده بغياب عمر ومن تحمس معه لإعدام معمر، لكن قبل عقد الاجتماع دعاني العقيد للقاء ذهبت إليه فوجدته مجتمعاً مع عبد السلام جلود ومصطفى الخروبي، قال لي معمر في هذا الاجتماع، لقد كنت في جولة عسكرية في المنطقة الشرقية، في مدينة درنة للقاء الضباط فطلب أحدهم التحدث معي على انفراد فاصطحبته في سيارتي ليخبرني بأن هناك تنظيماً عسكرياً ضمن الضباط الأحرار يعمل

على الإطاحة بمعمر القذافي في فترة قريبة جداً.

كان الضابط هذا من مصراته بلد عمر المحيشي وقد دلّ على المحيشي مباشرة، فطلب مني القذافي وضع هواتف الضباط كلها تحت المراقبة، فقلت لا أستطيع وضع هاتف عمر المحيشي تحت المراقبة لأنه كعضو في مجلس قيادة الثورة يرتبط هاتفه بهواتف المجلس، وهذا يعني مراقبة خطوط هواتف ضباط المجلس أيضاً بمن فيهم هاتف معمر.

ردّ معمر أنت راقب خط عمر في الوزارة، ومصطفى سيراقب عمر في الوحدات العسكرية التي كان يجول فيها بشكل دائم.

كنت أرسل مضامين مراقبة خطوط عمر إلى القذافي بعد أن احذف منها أي إشارة عن أمر غامض حتى لا يشك القذافي به.

وجاءت تقارير مصطفى لتؤكد أن لا شيء خطيراً في جولات عمر على الوحدات العسكرية.

في 1975/6/28

أبلغني العقيد بأن هناك قمة أفريقية في أوغندا وأنه سيحضرها وطلب مني مرافقته، فاعتذرت لأنني يجب أن أحضر اجتماع وزراء خارجية دول عدم الانحياز في البيرو، بصفتي وزير خارجية ليبيا وأنني سأمر في طريقي إلى ليما عاصمة البيرو إلى لندن لمراجعة طبيبي في مستشفى ولنغتون بسبب مشاكل أعانيها في الكبد.

لم يقتنع العقيد، بل طلب مني الذهاب إلى لندن يوم الأربعاء، ثم تذهب بعد يومين إلى البيرو... وتعود لتذهب معي إلى كمبالا عاصمة أوغندا... وبدا ملحاً لحضوري.

1975/6/29

في اليوم التالي تماماً عقدنا اجتماعاً مع مجموعة من الضباط الناقمين استبعدنا عمر المحيشي، دون إبعاده، فقد وضعنا احتمالاً أن يكون مراقباً بشدة فضلاً عن أن عمر يطرح أقصى التطرف في كيفية التصرف مع العقيد، لا يناسب أغلب الأعضاء، فتمّ استبعاده مع زميل له يماشيه بالتطرف.

في هذا الاجتماع حددنا يوم 17 أكتوبر/ تشرين الأول 1975 للتخلص من العقيد معمر القذافي، معتمدين كلمة سر هي موسكو، لأن معمر سيكون في زيارة رسمية له

إلى الاتحاد السوفياتي لأول مرة في تاريخه، فقد كان موقفه من السوفيات هو أحد وربما المشكلة السياسية الوحيدة التي سببها لرمزنا الكبير جمال عبد الناصر، الذي كان يستغرب إصرار القذافي على معاداته (1969-1970) رغم أنه كان هو مورّد السلاح الوحيد والداعم الاقتصادي الأهم والحليف للعرب في كل قضاياهم في كل المؤسسات والمؤتمرات الإقليمية والدولية... وكان عبد الناصر وجيش مصر العظيم يخوضان واحدة من أشرف حروب العرب ضد العدو الصهيوني - وهي حرب استنزاف (68-69-1970).

ومن المصادفات السعيدة يومها، أن القذافي قرر اصطحاب عمر المحيشي معه في هذه الزيارة فضلاً عن بشير الهوادي، وكان يريد اصطحابي معه (عبد المنعم الهوني) لكنني تمارضت وأقنعت طبيبي المصري د. عبد الحميد أباظة الكشف علي وإعطائي أدوية مع طلب الراحة لعدة أيام.

خطة اعتقال القذافي... وفشلها

كانت الخطة تقضي أن ننتظر عودة القذافي من موسكو في مطار طرابلس، بعد تأمين المطار بالكامل أمنياً ومن ناحية الحضور والعناصر والضباط يوم 19/10/1975 لنبلغه وهو على باب الطائرة، أن مجلس قيادة الثورة اتخذ قراراً بإقالته وأن السيارات جاهزة والأمن سيحرسه لنقله إلى سرت ليبقى فيها لمدة بحراسة 150 عنصراً من سرية الحراسات ليبقوا معه، ويظل هو في الإقامة الجبرية لمدة سنة إلى أن تستقر الأمور وبعدها نطلق سراحه بعد أن نجري انتخابات وننتخب رئيساً جديداً ونحل مجلس قيادة الثورة.

كانت الأمور تسير وفق ما نريد وكنا نتحرك بسرعة كاملة واثقين من إمكانية تنفيذ حركتنا التصحيحية بطريقة سلمية كاملة دون إراقة نقطة دم واحدة...

لكننا كنا ننسى أمراً أساسياً دائماً وهو أن عمر المحيشي لم يكن يتوقف عن الحركة التي تقلق القذافي وتجعل أجهزته الأمنية مستنفرة بشكل دائم، ثم إن العقيد القذافي يملك عقلية أمنية داهية ومتأهبة وهو اعتاد عدم الوثوق بأحد وعيونه مفتحة لا ينام ولا يؤمّن.

سافرت (عبد المنعم الهوني) يوم الأربعاء في 10/ 8/ 1975 إلى الخارج مررت على لندن، وفي يوم 12 آب/ أغسطس 1975 حاولت مجموعة أمنية اعتقال عمر المحيشي ففر غرباً ودخل إلى تونس.

والذي أفشل المحاولة هو تحرك عمر بل قل هو القبض على عدد كبير من الضباط

(وليس هذا رأي الهوني دائماً أو بالضرورة).

يوم 10/8/1975 اعتقلت قوات القذافي أولاً الضباط الذين يحيطون بعمر وهم خارج ضباطنا الذين اتفقنا معهم على التحرك يوم 17/10/1975 حين يكون معمر القذافي في موسكو. وفي يوم 12 هرب عمر إلى تونس طالباً اللجوء السياسي.

اتصل الهوني بمكتبه، وتأكد بأن أمن العقيد يعتقل الضباط، فأدرك أن الرجل بات يعرف الكثير عن تحركه مما يشكل خطراً كبيراً عليه، فصمم على متابعة جولاته في الخارج من ليما إلى نيويورك لحضور الدورة السنوية للأمم المتحدة في أيلول/سبتمبر 1975، بعد أن ينهي جولته في أميركا اللاتينية إثر انتهاء مؤتمر وزراء خارجية عدم الانحياز في البيرو.

كان المدنيون (معنا) محمود المغربي في البرتغال وسليمان جرادة ومنصور الكيخيا في جولة دبلوماسية.

كان أولادي في طرابلس، أخرجناهم إلى مصر للاطمئنان وتوجه الهوني من نيويورك إلى إيطاليا، واتصل بعائلته مطمئناً بأنه قادم إلى مصر فاتصل بسكرتير الرئيس السادات للمعلومات أشرف مروان الذي نقل له ترحيب السادات بمجيئه.

قابلت بعد عودتي الرئيس السادات ليسألني عما حصل عن المحاولة الانقلابية، وعن عمر المحيشي، فشرحت له التفاصيل التي أعرفها، فقال لي يا منعم إنت زي ابني وأنا عايزك تقعد عندي في مصر، وهي بلدك.

اتصل بي مصطفى الخروبي، وقال لي إذا لم تشأ العودة إلى ليبيا فأمضِ فترة في مصر وبعدها نرى ماذا ستفعل. المهم عندك عبد القادر غوقة، وكان سفيراً لليبيا في القاهرة،كل ما تحتاجه سيصرفوه لك بتكليف رسمي... وهذا ما حصل فعلاً...

كان العقيد يلاحقني يطالبني بالعودة إلى ليبيا، وكنت أرد بأنني سأعود لكن المسألة هي مسألة وقت وكنت أقول لمن يرسله معمر ليحثني على العودة، أريد انتظار المحاكمات التي قال القذافي أنه سيعقدها لمحاكمة الضباط المتهمين بالإعداد لانقلاب ضده، وعلى ضوئها سأتخذ قراري.

عقدت محاكمات عسكرية عاجلة للضباط وأصدرت أحكاماً قاسية بإعدام 22 منهم هم من خيرة ضباط ليبيا، وكنت أتوقع أن يخفف العقيد هذه الأحكام، لكنه وقّعها وتم إعدام الضباط الـ 22 فقررت عندها عدم العودة في هذه الظروف.

مجموعة الهوني ومحاولات معمر لخطفه

ظلت مجموعة الضباط حول عبد المنعم الهوني بعيدة عن المحاكمات، أو الشبهات، وطلبت القاهرة بوسائل مختلفة سرية بالكامل من الأخوة الضباط اتخاذ أقصى درجات الحذر والتحوط، وعدم تقديم أي فرصة لأجهزة أمن القذافي للشك أو الملاحقة أو المراقبة.

كان الهوني على ثقة كاملة بإمكانية القيام بحركة عسكرية ناجحة لإزاحة القذافي، فقد كان لدينا عدد كبير من الضباط، وكان 80٪ من الضباط الأحرار معنا.

ورغم أن السادات أبلغ منعم بأن القذافي سيطر على الوضع تماماً إلا أن الهوني ظل على ثقة بإمكانية التحرك من جديد، فاتصل بعمر المحيشي المقيم يومها في تونس للتحرك المشترك مع الضباط القوميين العرب الناصريين والقوميين المستقلين والبعثيين للتخلص من معمر.

سافر عمر المحيشي إلى بغداد وتواصل مع ضباط ليبيين وحدويين كانوا ذهبوا إلى العراق للوقوف معه في وجه تهديدات شاه إيران للعراق، والتقى بهم وبمدنيين ليبيين سبقوه إلى بلاد الرافدين.

عقدنا اجتماعاً موسعاً ضمنا مع أول رئيس وزراء لليبيا بعد الثورة محمود مغربي وشكلنا هيئة سياسية اسمها الحركة الوطنية الديمقراطية، وأصدرنا جريدة باسم «ليبيا» ضمناها أفكارنا ودعواتنا للخلاص من معمر القذافي وحكمه.

الجبهة تتوسع

في اجتماع لاتحاد المحامين العرب في القاهرة جاءنا المحامي المعروف محمود نافع وهو من قيادات البعث في ليبيا وعقدنا اجتماعاً معه مقترحاً علينا فيه توسعة الجبهة لتضم اليسار والإخوان المسلمين والبعث والناصريين المستقلين فوافقنا بهدف القضاء على نظام العقيد.

استدرك القذافي الخطر فبدأ باصطياد المعارضين في الخارج، مرسلاً تهديدات بالاغتيال أولاً فقد كان مصمماً على قتل كل من يعارضه ولو بالكلمة.

كان القذافي يرسل التهديدات لعبد المنعم الهوني قائلاً في نهاية كل تهديد: نهايتك يا منعم ستكون على يدي وقريبة وعليك أن تخرج الآن من مصر.

زار السادات القدس وأحبطت كل المعارضات العربية، وجهر المحيشي بموقف معارض للسادات فغادر مصر إلى السعودية ليستقر به الأمر في المغرب (وقصته نقرأها في مكان آخر من هذا الكتاب).

لم أكن أريد الذهاب إلى بلد آخر غير القاهرة رغم كل الظروف المستجدة التي تمر بها.

بدأ القذافي ومن معه يشنعون عليّ الأقاويل أنني من مؤيدي «كامب ديفيد» المنتجع الذي بدأ فيه السادات مباحثاته مع مناحيم بيغن برعاية جيمي كارتر في إحدى ولايات أميركا.

أرسل لي القذافي اللواء محمود شيت خطاب، وعبد الفتاح يونس، وعبد الرحمان العيد، والشيخ محمود صبحي، كلهم يريدون لي العودة إلى ليبيا، أو على الأقل ترك مصر لأنها وقّعت اتفاقاً مع العدو الصهيوني، وإلا فأنا سأكون في نظرهم والعقيد مؤيداً لكامب ديفيد.

أرسل لي الرائد عبد السلام جلود ليقول لي إنني مستهدف، وإن احتمال اغتيالك وارد في أي لحظة سواء كنت داخل مصر أو خارجها وكان جلود في منتهى الصدق معي.

وجلود يقول لي إن العقيد يشيع أن أنور السادات سيستخدمك ضده وستكون كمخلب القط للسادات الذي تتهمه ليبيا بأن له أطماعاً في نفط ليبيا؟

اقترح عليّ جلود أن نلتقي في الخارج لنبحث عقداً مع شركة سويدية كانت ليبيا ستوقع عقداً معها لبناء فندق المهاري فيتم العقد عن طريقك وتحصل على نسبة مجزية من المال تعيش منها مستقلاً مرتاحاً واقترح عليّ جلود أن أذهب إلى ستوكهولم لأحصل منهم على رسالة بأنني وكيلهم في ليبيا وستوقع معك العقد رسمياً.

سمعت كلام جلود... ونفذت اقتراحه شكلياً ولم أعمل به، عدت إلى مصر وقابلت الرئيس السادات ورويت له ما عرضه علي جلود، قائلاً له إنني أريد تجربة القذافي هذه المرة، وأنا استأذنك لأخرج من مصر فقال لي مصر بلدك، وإذا كنت تريد أن تبقى هنا فأهلاً وسهلاً.

أخبرت السفير الليبي في القاهرة جلود الصديق برغبتي فقال نحن ننتظر موافقتك، فحجز لي تذكرة سفر درجة أولى إلى إيطاليا عبر شركة أليطاليا، وكانت عمليات خطف الطائرات المدنية قد كثرت في تلك الفترة فخشيت أن يتم اختطاف هذه الطائرة وإنزالها

في طرابلس توكيداً لشكّي في سلوكيات القذافي وغدره.

لم أعلم أحداً أنني توجهت إلى شركة «تي دبليو إي» الأميركية وحجزت تذكرة أخرى إلى روما - القاهرة - وساعدني أن فارق توقيت الشركة الأميركية عن الطائرة الإيطالية لا يزيد عن نصف ساعة... لكنني أخبرت السلطات المصرية بنيّة سفري في اليوم التالي.

ليلاً اتصل أشرف مروان ليسألني إن كنت ما زلت مصمماً على السفر، فأبلغته رغبتي بذلك، فأعلمني أن سيارة من الرئاسة ستمرّ عليك لتصطحبك مع جماعة من أمن الرئيس لإيصالك إلى المطار.

ورغم أن السفير الليبي الصديق كان أعلمني أنه سيمر لاصطحابي صباح اليوم التالي إلى المطار فإن أحداً لم يأتِ لكنني علمت أنه جاء إلى المطار لتوديعي، لكنه لم يحضر إلى صالة كبار الزوار وتصورت أنه مُنع من الدخول لأسباب أمنية، فهو يمثل السلطة الليبية وأنا من معارضيها.

ركبت طائرة تي دبليو إي رغم احتفاظي بتذكرة أليطاليا، ووصلت إلى روما حيث كان في استقبالي سفير ليبيا في روما قدري الأطرش وهو من السفراء الوطنيين وكان خدم قبل ذلك في باريس، صعد إلى الطائرة واصطحبني منها، وفي الطريق إلى صالة كبار الزوار جاء مندوب أمني إيطالي ليبلغ السفير بأن سلطات أمن المطار الإيطالية أوقفت ثلاثة ليبيين كانوا جاؤوا من القاهرة على متن طائرة إيطاليا ومعهم أسلحة (3 مسدسات وقنابل وذخائر وبندقية رشاش سريع الطلقات أخمس حديد).

كان هدفهم خطف الطائرة الإيطالية وإنزالها في مطار بني غازي الليبي حيث وسائل الإعلام الليبية، تلفزيون وصحف (3 صحف فقط) لاستقدامي وتقديمي إلى المحاكمة في المطار بصفتي عدو الوطن والقائد والثورة...

أول الأمر وبسبب حسن نيتي وعدم شكي بإمكانية حصول مؤامرة وعندما أبلغني المفتش الإيطالي برونو أن الثلاثة ليبيون وأنهم جاؤوا من القاهرة ومعهم أسلحتهم وذخائرهم، فإن من المستحيل أن يكونوا ليبيين، طلبت أن أرى صورهم فقال لي نحن بصدد تصويرهم وسآتيك بالصور خلال ساعة...

وسألني أين سأقيم في روما فقلت له في فندق هيلتون، أوصلني السفير الأطرش إلى فندقي وبعد أن أخذت مفاتيحي وصعدت غرفتي ووضعت أغراضي الشخصية نزلت إلى قاعة الفندق حيث كان برونو وصل جالساً مع السفير.

عرض عليّ المفتش الإيطالي صور الليبيين الثلاثة فإذا بي أكتشف أنني أعرفهم جميعاً، فقائدهم هو مقدم في الحرس الجمهوري الليبي، والاثنان معه من عناصر الأمن.

شرحت للسفير وبرونو معرفتي واستأذنت للصعود إلى غرفتي، ومن هاتفها طلبت عبد السلام جلود لأروي له ما حصل، فقال أمهلني نصف ساعة لأجيبك.وبعد مرور هذا الوقت أكد لي عبد السلام جلود أنني كنت مستهدفاً ويقيني أن جلود تحدث إلى معمر، وأن هذا الأخير أكد له ذلك.

عدت إلى برونو والسفير وأخبرت المفتش الإيطالي أنني كنت المستهدف من وراء وجود الليبيين الثلاثة في الطائرة، وهم كانوا ينتظرونني على متن الإيطالية لكنهم عندما اكتشفوا أنني لم أسافر على متنها، لم يخطفوا الطائرة وكشفت أسلحتهم في مطار روما، وأنا أتساءل كيف أمكن لهم تجاوز الإجراءات الأمنية في مطار القاهرة؟ وهل رتبوا نقل الأسلحة إلى إيطاليا مسبقاً في مطار ليوناردو دي فينشي في روما قبل رحلتها إلى القاهرة؟

هل تكفل أحد بإصعاد الأسلحة إلى الطائرة الإيطالية وتسلموها في الداخل؟ هل تورط مضيفون إيطاليون أو ربان أو ملاحو الطائرة الإيطالية بالأمر بعد أن تلقوا رشوة كبيرة من السلطات الليبية؟

تركت هواجسي لنفسي وطلبت من المفتش الإيطالي اتخاذ إجراءاته القانونية.

من جهة أخرى فقد كلفت السلطات الليبية مدير مكتب وزير الخارجية يومها أبو زيد دوردة التوجه إلى روما لمقابلة الأمنيين الليبيين الثلاثة المعتقلين بزعم التأكد من كونهم ليبيين أو أن جهة كلفتهم بالاختطاف!

أثناء لقاء مدير مكتب أبو زيد مع الليبيين كتب في ورقة صغيرة سطراً واحداً ولفها في لفافة تبغ وسلمها لأحدهم لكنها سقطت من يده. فأخذها الأمن الإيطالي ووجد عبارة لا يفهمها فسلمني إياها وكنت خارج التحقيق فقرأتها فإذا بها طلب محدد وهو الزعم بأن الاستخبارات الصهيونية كلفتهم بهذه العملية.

شرحت القول المكتوب فتأكد الأمن الإيطالي أن الأمر كله كان محاولة لاغتيالي.

عدت إلى القاهرة ورويت ما حصل معي لعمر المحيشي فنشره في الجريدة التي كان يصدرها من مصر.

محاولة جديدة من القروي

أرسل لي - يتابع عبد المنعم الهوني - العقيد القذافي أخونا في مجلس قيادة الثورة، وكان معتزلاً كل شيء، مختار القروي ليعتذر عن هذه المحاولة، وليقول لي إن الذين قاموا بالمحاولة من الضباط الأحرار، وأنه لا دخل للقذافي بالأمر، ولكنك يجب أن تخرج من مصر، ونحن مستعدون، يقصد العقيد، أن نعطيك مبلغاً محترماً لتعيش فيه في أي مكان في الخارج وقال إن المبلغ هو مليون دينار ليبي أي نحو 3.5 دولار أميركي، وهو مبلغ كبير وقتها يعادل في قيمته الشرائية مبلغ 35 مليون دولار حالياً.

قال لي القروي: «يا أخ عبد المنعم خذ هذا المبلغ واشترِ لك منزلاً منه، وضع الباقي في أي مصرف ومن فوائده تستطيع الصرف على نفسك وعائلتك وتعيش مرتاحاً».

لم أكن أريد أن أقطع مع معمر، وطلبت موعداً من السادات عبر أشرف مروان لأستشيره في الأمر، وفاجأني الرئيس السادات في اللقاء بنصيحته لي أن أقبل عرض القذافي، قائلاً بالحرف: «يا منعم لا تقطع مع القذافي، لأنك ربما تؤدي دوراً في تحسين العلاقات بين مصر وليبيا».

ولم أفهم تماماً مغزى نصيحة السادات، هل أراد مني الخروج من مصر لتتحسن علاقتها مع ليبيا، لأنني عقبة أمام تطبيع هذه العلاقات؟ هل كان السادات فعلاً يراهن على وجودي إلى جانب معمر لتحسين علاقته مع مصر؟ وهل كان السادات فعلاً يريد تحسين العلاقة مع ليبيا، وإذا كان كذلك فلماذا لا يعتمد آخرين أكثر مني تأثيراً على معمر لهذه الغاية؟

مؤامرة جديدة في لندن

استجبت لهذه النصائح وتوجهت إلى لندن ومكثت في أحد فنادقها لمدة شهر كامل. وكان سفير ليبيا في العاصمة البريطانية رجل محترم ضابط سابق في الجيش خدم معنا في المعسكر الذي جمعنا مع معمر القذافي ومصطفى الخروبي، واسمه محمد المسماري، استقبلني في المطار وكان يتصل بي بين وقت وآخر للاطمئنان إلى أن جاءني بعد شهر كامل ليبلغني بأنه سيطلعني على سر يريد ائتماني عليه ما حييت، أقسمت له بحفظ السر مهما كان يومها، ليفشيه لي ومضمونه أن رسالة وصلته من ليبيا مرمّزة (أي مشفرة) يطلبون فيها من السفير إقناعي بوجود مؤامرة مؤكدة لاغتيالي (الهوني) في لندن

وأن مصر وراء هذه المؤامرة.

قال لي السفير ما أن تلقيت الرسالة المرمزة حتى فوجئت بوجوه أمنية جديدة في السفارة، أدركت أنها جاءت خصيصاً من طرابلس لتقتلك، واتهام مصر بالجريمة، لذا أنصحك أن تغادر لندن، مقترحاً عليّ الذهاب إلى اسكتلندا.

عدت إلى ذاكرتي لأخرج منها أن مصطفى الخروبي وبعد وصولي إلى لندن كان حدثني هاتفياً قائلاً لي: لا تستمع ولا تتكلم مع السفير، بل أبقِ علاقتك مع الملحق العسكري في السفارة وهو ضابط بحرية وموثوق من القيادة، فكلمت الملحق العسكري وقلت له أريد مبلغ عشرة آلاف جنيه إسترليني لأنني أريد التوجه إلى اسكتلندا، وقد حجزت في أحد فنادقها فسألني الملحق ولماذا لم تكلفني لأحجز لك في اسكتلندا، فقلت له لقد رتبت كل شيء، فقال لي أنا سآتيك بالفلوس إلى فندقك (في لندن) فقلت له فقط أرسلها مع سائقي وهو الآن في طريقه إليك.

أرسل الملحق العسكري المال وتوجهت إلى شركة الخطوط البريطانية B.O.A.C، ودخلتها ولم أشترِ التذكرة بقيت دقائق ثم خرجت منها إلى شركة مصر للطيران وكانت قريبة جداً من الخطوط البريطانية، وحجزت عودة إلى القاهرة، وعدت إلى الفندق وجمعت أغراضي وطرت إلى القاهرة، وهم ذهبوا للبحث عني في اسكتلندا.

بعد 15 يوماً من هذه الواقعة كانت استخبارات العقيد تقتل المذيع الليبي المعروف في إذاعة لندن مصطفى رمضان في قلب لندن، ثم قتلت محمود نافع في سلسلة اغتيالات نفذتها استخبارات معمر ضد كل صاحب رأي أو كلمة أو موقف... لا يعجبه.

في القاهرة التقيت الرئيس السادات لأروي له الحكاية، فكان ينفث الغليون وهو يردد المجنون ده... المجنون ده، دا مجرم ومجنون دا مجرم ومجنون..

جنسية مصرية

كان لي أنسباء ليبيون في مصر اشتروا لي قطعة أرض في الإسكندرية، وكتبت إلى السادات بشأن بناء منزل لي فوقها فكلف السادات سكرتيره الخاص فوزي عبد الحافظ لتأمين إجراءات الموافقة الرسمية، لأن القانون المصري القديم كان يلتزم بموافقة مجلس الوزراء على تملك أي عربي أو أجنبي لأرض أو عقار، وحوّل عبد الحافظ الأمر إلى وزير الإسكان عثمان أحمد عثمان لإنهاء الإجراءات بالكامل.

لم تنته الإجراءات رغم مرور ثلاثة أشهر ليكلمني عبد الحافظ من جديد مطمئناً علي بطلب من الرئيس فقلت له إن أمر البناء لم يصدر بعد، فسأل عثمان أحمد عثمان فقال إن الملف ضائع، فحدد لي عبد الحافظ موعداً مع السادات ليفاجئني الرئيس الراحل بقوله: يا منعم يا ابني لقد قررت منحك الجنسية المصرية عشان ما تدوخش مع عثمان والوزارة بتاعتو... وقبل أن أخرج من مقابلة السادات، قال لي سكرتيره خلاص أمر منح الجنسية راح الجريدة الرسمية...

حملت من يومها الجنسية المصرية إلى جانب جنسيتي الليبية واستغل القذافي هذا الأمر ليشنع عليّ بأنني عميل لأنور السادات...

علّ هذه الوقائع تشفي غليل الكثيرين الذين سألوا أسئلتهم الشرعية... نحن لم نسكت عن القذافي، لم نسلمه السلطة طائعين حاولنا، وكنا صادقي النية في الإصلاح وسعينا لإخراجه من السلطة دون قتله ولو شئنا ذلك لكانت الأمور سهلة، لكننا لم نكن نريد سفك نقطة دم واحدة... التزمنا ميثاق شرف وأخوة بأن من يختلف مع المجموعة يذهب إلى منزله دون أي تآمر... كان التزامنا وفق أخلاقياتنا وسلوكياتنا وتربيتنا... وحده شذّ عن هذه القاعدة وعمل بأخلاقه... أولاً أخلاقه وهذه هي النتيجة.

الفصل الخامس

مفاجأة شقيق عمر المحيشي:
أخي ما زال حياً

- كنت شاهداً على تأسيس الضباط الأحرار
- خلاف عمر ومعمر
- العلاج بالتصحيح
- عمر المحيشي في مصر
- خروج عمر من مصر
- عمر ما زال حياً؟
- الهوني يصف تصفيته
- شلقم يؤكد قتله



مفاجأة شقيق عمر المحيشي:
أخي ما زال حياً

أثناء إعداد هذا الكتاب فاجأنا شقيق الرائد عمر المحيشي الشيخ طاهر بأنه يعتقد بأن شقيقه ما زال على قيد الحياة. استناداً إلى معطيات ومعلومات يرويها لتناقض الرواية الأصلية المعروفة والتي سمعناها من زميل المحيشي في مجلس قيادة الثورة الرائد عبد المنعم الهوني (رئيس جهاز أمن ورئيس داخلية، وزير خارجية، مندوب ليبيا الدول العربية والمعارض الدائم وأول من خرج عن نظام القذافي بعد ثورة 17 فبراير/ شباط 2011).

يروي طاهر سيرة شقيقه في علاقته وربما علاقتهما مع معمر القذافي منذ التقيا في المدرسة الثانوية في مصراته فيقول:

بدأت علاقة عمر ومعمر عام 1961 حين جاء معمر إلى مصراته مطروداً من مدرسة سبها بسببين رئيسيين:

السبب الأول وهو ما كان دائماً في السيرة الرسمية للعقيد الليبي، وهي أنه طرد بسبب تظاهرة نظمها مع عدد من زملائه في سبها ومنهم الرائد عبد السلام جلود ضد انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة التي قامت بقيادة جمال عبد الناصر، الذي كان رمزاً لمعمر وعبد السلام وملايين العرب.

السبب الثاني وهو ما كان ليظهر بهذه الصورة الفجة لولا المواقف السياسية المتناقضة التي أوصلت البلاد إلى شبه حرب أهلية تستخدم فيها ضمن الأسلحة الثقيلة: الطائرات والصواريخ والدبابات وسلاح التشهير أو الإسقاط أو نحل النسب ليقال بأن أصول معمر القذافي يهودية من أمه.

ومع أننا سنعود إلى هذه الإشاعة أي السبب الثاني لطرد الطالب معمر القذافي من سبها في مكان آخر من هذا الكتاب إلا أننا سنتوقف عند لقاء الطالبين معمر وعمر في مصراته... لنتابع سماع رواية طاهر المحيشي:

كان معمر في سنة أولى ثانوي ودخل في السنة الثانية مشاركاً في كل التظاهرات التي كانت تخرج تضامناً مع مصر وجمال عبد الناصر وكان الثلاثة (طاهر وعمر ومعمر)

يحفظون خطب جمال ويرددونها في كل المناسبات، وهذه هي اللحمة القوية والأساسية في علاقة عمر ومعمر التي توطدت حتى كان معمر يأتي إلى منزل عائلة عمر في نهاية كل أسبوع ضيفاً معززاً يأتي على دراجة ليتسابق مع عمر في سباق دراجتيهما خارج المدينة.

فمعمر كان يدرس على حساب الدولة بتدبير من وجهاء مصراته، يأكل وينام في الداخلي، كما يقال، وكان عبد الله المحيشي والد عمر وطاهر من هؤلاء الوجهاء.

ومن بين وجهاء مصراته الذين توسطوا لمعمر للدراسة في الداخلي أيضاً محمد خليل وقد عيّنه معمر بعد الثورة رئيساً لبلدية مصراته، ومفتاح كعيبة الذي عينه معمر أميناً للبلديات (وزيراً) ثم أميناً للمؤتمر الشعبي العام، والاثنان محمد خليل ومفتاح كعيبة ظلا صديقين وفيين للقذافي منذ أن أصبح طالباً في الكلية العسكرية إلى أن أصبح رئيساً لليبيا، وكان العقيد يزورهما في منزليهما عندما كان يزور بني غازي وقد انتقل الاثنان إليها في فترات سابقة.

كان اللقاء اليومي بين عمر ومعمر في الثانوية واللقاء الأسبوعي في منزل عبد الله والد عمر، وحبهما الجارف كأبناء جيلهما لجمال عبد الناصر كان مدخلاً عظيماً لكل منهما كي تكبر أحلامهما سوية، ويخططان ضمن هذه الأحلام للدخول إلى الكلية العسكرية في ليبيا، ليصبحا ضابطين ينظمان انقلاباً عسكرياً ويحلمان بضم ليبيا إلى مصر في إطار الجمهورية العربية المتحدة (ظلت مصر تحمل اسم الجمهورية العربية المتحدة الذي اعتمد بعد الوحدة مع سوريا عام 1958، ولم يلغ الاسم ليصبح جمهورية مصر العربية إلا بعد انقلاب أنور السادات على خط ورفاق جمال عبد الناصر في 13/ 5/ 1971 وضمن السادات الدستور الذي اعتمد في العام 1971 هذا الاسم حتى اليوم 2011). لم يكتف عمر ومعمر بحصر الطموح عليهما، بل وسّعا دائرته إلى زملائهما عبد السلام جلود، مصطفى الخروبي، الخويلدي الحميدي.. لإقناعهم بدخول الكلية العسكرية للغاية نفسها وعندما دخلوها.. وجدوا زملاءهم الذين سيصبحون أعضاء مجلس قيادة الثورة سبقوهم إليها، وهم أبو بكر يونس جابر، محمد نجم، مختار القروي، عبد المنعم الهوني، بشير الهوادي، كان عمر أصغرهم وهو من مواليد 1944 بينما كان معمر وعبد السلام وبشير الهوادي من مواليد 1939.

وفي حين أن أبناء العائلات الكبيرة كعمر لم يكن ليحتاجوا إلى واسطة فإن الفقراء

مثل معمر كان يحتاج لمثل هذا الأمر. وهنا يقول طاهر المحيشي أن وجهاء مصراته ومنهم والده توسطوا لمعمر ليدخل الكلية الحربية.

كنت شاهداً على تأسيس الضباط الأحرار

داخل الكلية العسكرية في بني غازي تولى معمر القذافي تأسيس تنظيم الضباط الأحرار خلال عامي 1963-1964. وبدأ أول اختبار عملي لهذا التنظيم العسكري وانفتاحه على المدنيين عام 1964 حين اندلعت تظاهرات ثانوية وجامعية في بني غازي احتجاجاً على رفض الملك إدريس السنوسي المشاركة في القمة العربية التي دعا إليها جمال عبد الناصر لبحث قضية فلسطين وتحويل مجرى نهر الأردن (مشروع جونستون).

انطلقت التظاهرات من بني غازي وشملت كل ليبيا، وتصدت لها قوات الأمن الليبية وأطلقت النار على المتظاهرين فقتل منهم 3 وجرح العشرات.

انعكست هذه التظاهرات ومجابهتها بالقوة على بنية التنظيم الوليد، حيث سعى معمر لتعزيز وجود الضباط الأحرار مدنياً بإقامة علاقات عضوية مع طلاب الجامعات، فأنشأ خلية مدنية كان من أبرز رموزها محمد خليل، طاهر المحيشي، ومفتاح كعيبة، كان كل واحد من أعضاء الخلية المدنية يتصل بمعمر وعمر وهما يطلعانه على أخبار وتطور التنظيم.

وكان معمر وعمر يطلعان من طاهر على أخبار حركة القوميين العرب بصفته مسؤول خلية الحركة في جامعة بني غازي ثم في طرابلس (1963-1967).

كان الضباط الأحرار بقيادة معمر القذافي حريصين على التنسيق مع حركة القوميين العرب ومع طلبة الثانويات والجامعات، فضلاً عن الشباب الحزبي سواء من الحركة أو في حزب البعث الذي كان متغلغلاً بشكل جيد في أوساط الطلاب والمهنيين والمثقفين، (ولم يستبعد المعارض الليبي محمد المقريف أن يكون معمر القذافي ومعه عبد السلام جلود أقاما علاقات مع حزب البعث في وقت من الأوقات، فهل كانت هذه الحركة من معمر القذافي، استلهاماً أيضاً لبعض ما كان يفعله عبد الناصر رمزه الأول حين كان جمال فاعلاً في معظم الحركات والأحزاب السياسية قبل الثورة، فكان قريباً من الإخوان المسلمين حتى اعتبروه أخاً وكان قريباً من الشيوعيين حتى اعتبروه رفيقاً وكان قريباً من الوفد حتى ظنوه من الطليعة الوفدية نظراً لأفكاره التحررية.

خلاف عمر ومعمر

يقول طاهر المحيشي إن خلاف عمر مع معمر بدأ منذ أيام اللجنة المركزية لتنظيم الضباط الأحرار، فقد كان عمر كثير الاعتراض على تفرد معمر بقرارات تتعلق بالتنظيم. وكان يريد صدور القرارات بشكل شبه جماعي وليس فردي.

ويعيد طاهر المحيشي خلاف السلوكيات بين عمر ومعمر إلى أن الأول كان ابن عائلة، متوازناً، شبعاناً في عائلته وذا سلوكيات مختلفة. بينما معمر القذافي كان ولداً متشرداً، سوقياً في سلوكياته، عانى ضنك العيش والحرمان وهذا كله أثر على تعامله مع رفاقه ثم مع المجتمع والعالم!

لهذا - يتابع طاهر - حاول معمر إبعاد عمر عن طريقه بمحاولة عدم ضمه لمجلس قيادة الثورة، لكنه ووجه بتأييد بقية الأعضاء لوجود عمر في المجلس حيث إنهم يدركون أهمية عمر وأقدميته في التنظيم، وهو الذي ألقى القبض ليلة الثورة على أقوى رجال العهد الملكي عبد العزيز الشلحي وكان رئيس أركان القوات المسلحة الملكية الليبية.

حاول معمر تشويه صورة عمر بتوزيع منشور عبر جماعاته في طرابلس مضمونه أن عمر المحيشي شيوعي وكان الأمر مكشوفاً بأن عمر مثقف وحركي وسياسي وسلوكياته أرقى من سلوكيات معمر.

لم تتوقف محاولات معمر ضد عمر، الذي كان يشعر في كل تحركاته أن هناك عدة أشخاص يراقبونه أينما حل وذهب، وكان يعلم أن هؤلاء تابعون للاستخبارات العسكرية وأنهم يتحركون ويتلقون أوامرهم من مصطفى الخروبي وحسن إشكال.

كان أقصى ما كان يفعله عمر هو أن يرسل عدداً من مرافقيه لطرد هؤلاء ويصارح معمر بأن العملية مكشوفة فيرد معمر متذاكياً هؤلاء موجودون لحمايتك، وعندما يسأله عمر، ولماذا لا ترسل حراساً لحماية الإخوان الآخرين يرد معمر لأنك أنت الأهم يا أخ عمر!!

نعرف من هذا أن معمر كان يمسك بزمام الأمور عسكرياً وأمنياً، وأن لديه أجهزته الخاصة ورجاله الموثوقين.

ومن جهة أخرى لم يحاول أي من أعضاء مجلس قيادة الثورة أن يشكل مركز قوة لنفسه أو لمن معه أو أن يشكل شلة أو مجموعة.

أقصى ما نجح فيه عمر منذ البداية والكلام لطاهر المحيشي شقيقه، إقناع مجلس

قيادة الثورة في بداية الحركة المجيء بشخصية مدنية ليرأس مجلس الوزراء فكان محمود مغربي أول رئيس وزراء لليبيا بعد ثورة الفاتح 1969.

قصد عمر أن يكون كل الوزراء من المدنيين لإبعاد العسكريين عن السلطة المدنية، وبالفعل شكل المغربي وزارة الثورة الأولى وكان أعضاؤها كلهم من المدنيين عدا وزيري الدفاع (آدم حواس) وموسى أحمد (وزير الداخلية). راجع كتابة تفصيلية عن قصة خلعها في مكان آخر من هذا الكتاب.

كان وضع الحكومة المدنية تنفيذياً تحت إشراف مجلس قيادة الثورة لحضها على العمل لحين وضع دستور دائم للبلاد، والتمهيد لانتخابات تشريعية ليعود الضباط بعدها إلى ثكناتهم، ومن يريد منهم العمل المدني فليخلع بزته العسكرية وينخرط في الحياة المدنية.

لكن أغلبية مجلس قيادة الثورة كان لهم رأي آخر:

نحن قمنا بالثورة ولن نسلم البلاد بعدها لغيرنا.

عام 1970 تسلم عمر المحيشي وزارة الاقتصاد، ثم وزارة التخطيط ولم يجد عمر نفسه في أي من هاتين الوزارتين وهما ليستا من اختصاصاته، لكنه ظل في الوزارة مع إبعاد معمر المدنيين وتسليمه وزارة الدفاع منذ 41 سنة حتى الآن لأبي بكر يونس جابر.

كثرة الاعتراضات على معمر القذافي من رفاقه أعضاء مجلس قيادة الثورة وفق رؤية طاهر المحيشي جعلته يفكر بإلغاء مجلس قيادة الثورة وهو ما نجح فيه عبر بيان زواره 1973 (راجع تفصيلاً عن هذا الموضوع في مكان آخر من هذا الكتاب).

ولم تمر الأمور بالحسنى دائماً في الخلاف بين عمر ومعمر، إذ حاول عمر المحيشي في إحدى جلسات النقاش الحاد بين الاثنين قتل القذافي حين وجه رشاشه الملقم بالرصاص لإطلاقه على العقيد، لولا أن رفاقه في المجلس تكاثروا عليه وسحبوا الرشاش منه.

العلاج بالتصحيح

في أغسطس/آب 1975 قام عمر المحيشي بما أسماه أخوه طاهر بمحاولة تصحيحية للثورة ضد تفرد معمر القذافي وكان معه من الضباط محمد كريم، أحمد أبو ليفة (مصراته) محمد المنقوش قائد الحرس الجمهوري (من بني غازي) عمر الحريري وضباط آخرون من الجبل الأخضر.

تراوح عدد الضباط الثائرين على معمر بين 30 و40 حسب رواية طاهر المحيشي وكان عمر الحريري مصمماً منذ البداية على ضرورة التخلص من معمر القذافي بقتله لتستتب الأمور للحركة التصحيحية، دون جدوى فقد عارض كثيرون على رأسهم عمر المحيشي قتل العقيد لأنه أخ وزميل كفاح ويكفي أن نعزله. (هذه الرواية تختلف عن رواية عبد المنعم الهوني).

هذا التردد توافق مع خيانة أحد الضباط المشاركين (أو ثرثرته حسب رواية الرائد عبد المنعم الهوني) ليبلغ العميد مصطفى الخروبي أو من المقربين لمعمر (حتى الآن بعد اندلاع الثورة الشعبية ضد القذافي بعدة أشهر ما زال الخروبي من أركان معمر وليس غريباً أن يكون عمر الحريري هو قائد أركان الثورة على القذافي عام 2011) الذي أبلغ العقيد تفاصيل الحركة.

لم يكن التصحيحيون يريدون قتل معمر، بل كانوا يريدون منه إقامة دولة مدنية، وعودة الضباط إلى ثكناتهم، وكتابة دستور وقيام مجلس نيابي منتخب تنبثق منه أو يراقب عمل حكومة مدنية ويختار هو أو الشعب رئيساً للجمهورية.

اتفقوا على هذا وقرروا مفاتحة معمر بالمبادئ الواردة أعلاه، على أن يجتمعوا في ثكنة باب العزيزية ويستدعوا معمر للاجتماع على قاعدة انهم يمثلون أغلبية تنظيم الضباط الأحرار، فإن قبل معمر بهذه المبادئ ظل على رأس الدولة، إلى حين إجراء انتخابات وإعداد دستور دائم للدولة، ولم يمانعوا أن يظل هو على رأس الدولة إلى أن يتم كل هذا وحتى أن ينتخب هو كأول رئيس للجمهورية منتخب.

قبل أن يعقد الاجتماع المنتظر كان معمر القذافي قد تبلّغ كل تفاصيل المشروع التصحيحي، فعمد بواسطة الخروبي وإشكال وضباط آخرين إلى اعتقال أعداد كبيرة من الضباط الأحرار الذين تجاهلوا أبسط مبادئ الأمن وهم مقبلون على حركة مفصلية تاريخية لم يكتب لها النجاح بسبب إهمالهم وسذاجتهم.

كان ذكاء معمر أن يوحي للآخرين أنه يتصرف بشكل عادي فكان يعتقل الضباط المعارضين على دفعات، وعندما سعى عمر لمقابلته اختفى العقيد، وتواترت الأنباء لعمر لكشف التنظيم واعتقال عدد من ضباطه، فغادر متخفياً إلى تونس ليعلن منها يوم 23/ 8/ 1975 بدء حركته المعارضة لمعمر القذافي بعد أن خسر الأرض والرفاق في وطنه وانشغل في تونس بإصدار بيانات وتصريحات ضد حكم العقيد، مما أثار القذافي

فطلب من الرئيس الحبيب بو رقيبة يومها تسليمه عمر أو إبعاده فرفض أبو رقيبة ذلك، لكنه أوعز لسلطاته إبلاغ عمر أن عليه أن يبحث عن مكان آخر خارج تونس لأنه لا يريد مشاكل مع القذافي، وقد أجهضت قوات الأمن التونسية محاولة لاغتيال رئيس وزراء تونس الهادي نويرة بواسطة مجموعة أمنية أرسلتها الاستخبارات الليبية انتقاماً لاستضافة تونس لعمر المحيشي.

كان الحبيب بو رقيبة قد خاض تجربة وحدة مع ليبيا باسم الجمهورية العربية الإسلامية وفق اتفاقية عقدت في جربة في كانون الثاني/ يناير 1974، ومن المفارقات ذات المغزى يومها أن القذافي اشترط تولّي رئيس جهاز الأمن الوطني التونسي زين العابدين بن علي وزارة داخلية في هذه الدولة الجديدة، وكان القذافي جنّد بن علي لخدمته حين كان هذا الأخير ملحقاً عسكرياً في سفارة تونس في طرابلس، وعندما خلع الشعب التونسي زين العابدين الذي ظل قابضاً على السلطة منفرداً في بلاده منذ العام 1987 حتى بدأت الثورة ضده مع إحراق الشاب محمد البو عزيزي نفسه في مدينة سيدي بو زيد 2010/12/17، أنّب القذافي الشعب التونسي على ثورته ضد زين الحاكم كما أسماه العقيد، وقد كشفت أوساط ليبية معارضة أن معمر القذافي كان يضع في حساب زين العابدين بن علي مليون دولار شهرياً. (رواية عبد الرحمان شلقم في جريدة الحياة اللندنية).

قبل أن يخرج عمر المحيشي من تونس مكرهاً، إثر ضبط قوات الأمن التونسية حركة تمرد في قفصة جنوبي البلاد أرسلت عناصرها من ليبيا للضغط على تونس. استقبل والده الحاج عبد الله المحيشي مرسلاً من عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة لإقناعه بالعودة إلى ليبيا وفتح صفحة جديدة مع العقيد، وفق طلب الأخير، لكن عمر أبلغ والده أنه قام بمحاولته التصحيحية من أجل أهداف معينة ولا يمكن التراجع عنها كما لا يمكن للقذافي أن يتراجع عن تفرده، وليس هناك وسيلة من وسائل التفاهم مع معمر... فعاد والد عمر لينقل لأعضاء المجلس ما سمعه من ابنه المعارض.

عمر المحيشي في مصر

كانت العلاقات بين مصر وليبيا في عهدي أنور السادات ومعمر القذافي كلعبة كرة الطاولة، ضربة مقابل ضربة، ومؤامرة خلف أخرى، ولا يمنع هذا التصافح اللاعبين قبل بدء المباراة وبعدها. بدأ معمر القذافي الهجوم على أنور السادات باكراً، قبل وخلال

حرب أكتوبر/ تشرين الأول 1973، والغريب أن معمر القذافي الذي كان يعتبر نفسه ناصرياً، كان مشروعه لاتحاد الجمهوريات العربية مع مصر وسوريا عام 1971، هو الباب الذي دخل منه السادات لتصفية رجال جمال عبد الناصر وثورة يوليو داخل مصر عبر انقلاب السادات في 13/ 5/ 1971 بحجة أنهم لا يريدون الوحدة... إلى أن أقنعه صانع هذا الانقلاب محمد حسنين هيكل وفق شهادته أمام أحمد حمروش بأن ما يجعل الناس تنحاز إلى السادات ضد رجال عبد الناصر هو تبنّي طرح الديمقراطية والحريات وهذا ما فعله السادات التزاماً بنصيحة هيكل. وفي هذه الشهادة لهيكل أمام حمروش، قال هيكل أنا صانع ثورة التصحيح!

وخلال حرب أكتوبر خرج صوت معمر القذافي من إذاعة صوت العرب المصرية ليشكك بالحرب وأهدافها.

وبعد الحرب كان معمر القذافي يمول عدداً من المطبوعات اللبنانية التي صدرت كلها لتهاجم أنور السادات فيما اعتبره هذا هجوماً على مصر.

وعندما بدأت مفاوضات سرية بين أنور السادات ووزير خارجية أميركا ورئيس جهاز الأمن القومي الأميركي هنري كيسنجر حول اتفاقية سيناء في أيلول/ سبتمبر 1975، كان الإعلام الليبي في طرابلس وفي بيروت يركز هجومه على السياسة المصرية في عهد السادات.

وكانت ليبيا في الوقت نفسه مقراً ودار ضيافة واحتضان لكل معارض مصري لأنور السادات سواء كان ناصرياً أو يسارياً أو شخصياً، فكان طبيعياً بعد أن سدت السبل في وجه عمر المحيشي أن يطلب المجيء إلى مصر للإقامة وإمكانية التحرك، اتصل المحيشي بأنور السادات الذي كان يعرف خلافه مع معمر القذافي منذ فترة.

فعندما جاء معمر القذافي إلى مصر بطلب الوحدة عام 1973، حضر معه كل أعضاء مجلس قيادة الثورة... وتخلف عمر المحيشي في ليبيا، لأنه كان يعتقد أن معمر القذافي لا يريد الوحدة، بل هو يهدف لأمور سياسية أخرى، أهمها إبعاد رفاقه إلى مؤسسات بعيدة، وإلهاء الشعب الليبي عن المطالبة المتزايدة بالحرية والعدالة والتنمية، وهو جعل الوحدة ملهاة وفزاعة لوأد أحلام لا يمكن تحقيقها بالطرق التي كان يعتمدها... مثل الزحف عبر ما يسمى المسيرة الوحدوية من الحدود التونسية إلى قلب القاهرة، مما جعل السادات يحذره بوقوف المسيرة على الحدود، ثم يحضر وفد منها إلى القاهرة لبحث أمرها.كان من نتائج المباحثات حول الوحدة الفورية بين معمر القذافي وأنور السادات

تشكيل لجنة للإعداد لها على أن يقدم كل بلد 15 عضواً من بلده في جميع الاختصاصات ومن سخرية الأمور أن معمر القذافي اقترح عمر المحيشي على رأس الوفد الليبي رغم معرفته بأن عمر لا يثق بمساعي معمر لتحقيق الوحدة لا مع مصر ولا مع غيرها.

وكان الاعتقاد راسخاً لدى كثيرين أن معمر القذافي يؤمن بأن مصر بلد ضخم بلا قيادة وأنه أي معمر القذافي قائد كبير لبلد صغير لذا كان يطمح أن يحكم مصر ليس كرئيس للجمهورية لأنه كان يعرف أن هذا أمر مستحيل بل من خلال تسلمه لوزارة الدفاع في دولة الوحدة المنتظرة، في وهم منه واعتقاد بأن تسلمه لهذه الوزارة سيسمح له أن يتحكم بمقاليد القوات المسلحة، بما يعني أنه يحكم الدولة الجديدة بالجيش والأجهزة الأمنية وقوات الشرطة كما فعل هو في ليبيا طيلة العقود التالية.

أقبل عمر على عمله بجدية وحب وقناعة رئيساً للوفد الليبي ومعه علي عميش وهو مفكر اقتصادي وعز الدين القدامي (قومي عربي معروف) وآخرون.

وكان رئيس وزراء مصر أبو الصناعة المصرية عزيز صدقي هو رئيس الوفد المصري. كان أعضاء الوفدين من الاختصاصيين الذين وضعوا أسساً جيدة لقيام دولة الوحدة المبنية على جوانب اقتصادية وقانونية وبرنامج زمني طويل لتهيئة الشعبين والمؤسسات في البلدين لمثل هذا العمل الوحدوي لكن معمر والانتهازيين معه... بحجة استعجال الوحدة حاربوا كل عمليات البناء والتأسيس حتى أجهضوها ولم تقم لها قائمة.

كان عمر خلال رئاسته للجانب الليبي في الإعداد للوحدة يجيء إلى مصر كثيراً ويلتقي أنور السادات بطبيعة الحال وكان عمر يصارح السادات بأن معمر لا يريد الوحدة وقد قال له مرة يا سيادة الرئيس معمر يريد قيادة الجيش ليدير انقلاباً عسكرياً ضدك، ليحكم مصر باسم الوحدة، لأنه كان يعتبر أن ليبيا صغيرة جداً على أفكاره وأحلامه وطموحاته...

لذا حرص أنور السادات على إخفاء كل استعدادات الجيشين المصري والسوري لخوض حرب أكتوبر/ تشرين الأول 1973 حتى عندما جاء معمر القذافي إلى مصر خلال الحرب رفض السادات استقباله بحجة أنه موجود في مكان سري لإدارة الحرب، وهذا ما حزّ في نفس معمر كي يعود إلى طرابلس ليعلن أن حرب أكتوبر مناورة وأنه بريء منها، عندما كانت قوافل القوات المصرية تعبر قناة السويس بالآلاف وتدمر خط بارليف، وتقصف بمئات الطائرات مواقع العدو في شرق سيناء وتقتل الآلاف من عناصر العدو،

وتأسر وتسقط الطائرات وتقدم الأبطال في ساحة الوغى.

ورداً على تصريحات القذافي ضد الحرب، تحدث السادات علنا في أحد تصريحاته بعد الحرب بأن معمر القذافي سرّب أخباراً إلى إسرائيل لم يقلها السادات إلا لمعمر نفسه.

بعد كل هذا كان لا بد أن يكون عمر المحيشي ضيفاً مكرماً على أنور السادات فجهد عمر لإنشاء إذاعة موجهة ضد نظام القذافي وأصدر مجلة أسبوعية تنشر مقالاتها تحريضاً للشعب الليبي على الثورة ضد العقيد.

لم يدم الحال بعمر في مصر أكثر من سنة ونصف تقريباً، إذ ذهب السادات إلى القدس يوم 19/ 11/ 1977، فقامت الدنيا في البلاد العربية ضده ولم تقعد وكان عقد مؤتمر قمة عربي طارئ في بغداد بعد إعلانه زيارة إسرائيل في خطاب له في مجلس الشعب المصري، وأرسل المؤتمرون وفداً برئاسة رئيس وزراء لبنان سليم الحص ليعرض على السادات مبلغ 6 مليار دولار مقابل إلغاء زيارته للقدس فرفض السادات استقبال الوفد معتبراً في الأمر إهانة لمصر ولرئيسها.

انفجر الشارع العربي غضباً على أنور السادات وسارت التظاهرات في عدد كبير من المدن العربية منددة بهذه الزيارة، وتشكلت جبهة للصمود والتصدي من الدول العربية الرافضة لها (سوريا، ليبيا، اليمن الجنوبي، الجزائر جبهة الرفض الفلسطينية) مع أن العراق ومنظمة التحرير كانا معارضين لهذه الزيارة فإنهما لم يدخلا هذه الجبهة لخلافات جذرية شخصية - حزبية بين حافظ الأسد في سوريا وصدام حسين في العراق.

خروج عمر من مصر

لأنه كان رجل مواقف ومبادئ أصدر عمر من القاهرة بياناً ضد زيارة السادات للقدس، فكان عليه أن يدبر مكاناً آخر لاستمرار معارضته للقذافي.

ورغم أنه ومعمر التقيا في السياسة ضد هذه الخطوة التي أقدم عليها السادات، إلا أنهما في المسألة الليبية ظلا على طرفي نقيض.

كان على عمر المحيشي أن يدبر مكاناً آخر للتحرك ضد القذافي خارج مصر، فحصل على جواز سفر سعودي دبّره له أثرياء ليبيون يعيشون في المملكة العربية السعودية منذ سنوات طويلة، توجه به إلى الكويت لفترة بسيطة ثم توجه منها إلى العراق

ليستقبله صدام حسين.

هنا يقول طاهر المحيشي إن الرئيس العراقي عرض عليه المال لكنه رفضه، وفضل عمر أن يحصل على التمويل من ليبيين يعملون في السعودية لتمويل قضيته الوطنية ضد معمر القذافي.

مكث عمر في بريطانيا لفترة ثم توجه منها إلى المغرب وهو يعرف أن الملك الحسن الثاني يحب استضافته نكاية بغريمه معمر القذافي الذي يحتضن حركة البوليساريو الانفصالية التي تقاتل لفصل الصحراء المغربية عن الوطن الأم.

كان عمر يعتقد فوق هذا أن المغرب بلد آمن وشجعه على هذا الاعتقاد أن عدداً من أركان المعارضة الليبية في الخارج كانوا يترددون على المغرب في خضم النزاع بينه وبين النظام الليبي الداعم للبوليساريو، وكانت جبهة الإنقاذ الليبية تعتمد المغرب مقراً لها بعد أن حاولت حكومة الخرطوم في إحدى شطحات جعفر نميري بيعها للقذافي مقابل مساعدات مالية كريمة، وقيل يومها إن العقيد الليبي كان يساند حركة جون قرنق ضد حكومة الخرطوم، ولم يمنع هذا أن القذافي كان دبّر غزواً عسكرياً انطلق من الأراضي الليبية أجهضه جعفر نميري في تموز/ يوليو 1976.

كان الخلاف السياسي القوي بين القذافي والحسن الثاني يأخذ طابعاً شخصياً أحياناً كأن يمتنع العقيد عن مصافحة الملك في مؤتمرات القمة العربية والإسلامية التي تجمعهما.

ومع هذا ومن أجل القبض على عمر المحيشي كان القذافي يراوغ بما فيه الكفاية كي يعقد صفقة مع الملك المغربي لتسليمه غريمه العنيد. يقول طاهر إن شقيقه كان يقيم في فندق هيلتون في الرباط وإنه اختفى نهاية 1983 بعد زيارة القذافي للمغرب ولقائه الحسن الثاني حيث اتفقا على طرد المعارضة الليبية من المغرب مقابل وقف الدعم الليبي للبوليساريو.

ويؤكد أن وزير داخلية المغرب يومها إدريس البصري نفى أن تكون بلاده سلمت عمر المحيشي إلى ليبيا لأنه ركب الطائرة متوجهاً إلى السعودية لتأدية العمرة... لكن عمر لم يكن قادراً على مغادرة المغرب لأن جواز سفره السعودي لم يكن معه بل ظل مع السلطات المغربية. (في مكان آخر من هذا الكتاب تقرأ كيف عقدت الصفقة بين الملك والرئيس).

عمر ما زال حياً؟

لأن طاهر المحيشي يرفض حتى إعداد هذا الكتاب الاعتراف بمقتل شقيقه ويورد معلومات يستند إليها ليثبت أن شقيقه عمر ما زال حياً، بل ومعتقلاً في إحدى استراحات النظام السابق (حسني مبارك في مصر)... وإن كان يستطرد قائلاً: على كلٍّ ما زال اختفاء شقيقي عمر سراً.

يبدأ طاهر المحيشي حديث معلوماته بالقول: إن الضابط الذي عقد صفقة إخراج عمر المحيشي من المغرب هو أحد أقرباء معمر القذافي الموثوقين حسن إشكال الذي أمر العقيد بقتله (تفاصيل ذلك في مكان آخر من هذا الكتاب)، وأن إشكال اعترض عندما سمع بأن العقيد القذافي ينوي محاكمة المحيشي، لأن الصفقة مع الملك الحسن الثاني لم تكن تشمل محاكمته. فاضطر القذافي إلى تسليم المحيشي إلى مصر، التي فرضت عليه الإقامة الجبرية!

عام 1989 في معرض منتوجات مصرية في ليبيا وفي حفل عشاء أقامه مدير المعرض المصري لتجار ليبيين من أقرباء المحيشي، لفت اسم عائلة المحيشي المدير المصري فسألهم عن عمر المحيشي فقالوا إنهم أقرباءه فقال لهم إنه موجود في مصر، وإنه موجود في استراحة في الهرم.

عام 1989 أيضاً أقرباء للمحيشي في مدينة طرابلس زاروا مصر بعد عودة العلاقات معها وسكنوا في فيلا لأحد الضباط السابقين، وأثناء عشاء نظمه لهم صاحب البيت المستأجر حضر ضابط في الحرس الجمهوري المصري، وأثناء انصرافه قال إنه مضطر للذهاب باكراً لأنه مسؤول حراسة اثنين من اللاجئين السياسيين الليبيين، وهما عمر المحيشي وعبد الحميد البكوش (رئيس وزراء ليبي في العهد الملكي)!!

عام 1991 قال ضابط في الحرس الجمهوري المصري لطاهر المحيشي إن شقيقه حي ويقيم في فيلا في الهرم، وإن رجل أعمال مصرياً اسمه عبد العزيز مرسي (توفي) أكد له الأمر نفسه.

محمد حجازي ضابط طيار مهندس صديق للرئيس حسني مبارك وعلى صلة برجال أعمال كبار أكد مشاهدته لعمر المحيشي في مصر.

معلومات طاهر المحيشي عن عبد السلام جلود أنه لم يؤكد وفاة شقيقه عمر لكن

مصطفى الخروبي يؤكد أن عمر قُتل وكان يصفه دائماً بالمرحوم عمر هذا ما أبلغه لأولاده الثلاثة: منذر – غازي – ونضال وهو أصغر الأبناء الذي ولد بعد خروج عمر من ليبيا عام 1975.

وقبل أن نأتي على رواية أحد أبرز رجال الثورة الليبية 1969 عبد المنعم الهوني نختم رواية طاهر المحيشي بالقول إن معمر القذافي منع أولاد عمر المحيشي من الذهاب إلى المدرسة لمدة سنتين بعد خروج والدهم من ليبيا عام 1975.

الهوني يصف تصفيته

يؤكد عبد المنعم الهوني أن معمر القذافي استقبل عمر المحيشي في المطار لدى نزول الطائرة التي أقلته من المغرب نتيجة الصفقة المشار إليها وأن معمر انهال على عمر بالضرب حين قابله مفجراً غضباً كبيراً، حيث قال معمر لعمر أنت تقول والدتي يهودية يا...

معمر أمر بتشكيل محكمة عسكرية عاجلة في المطار بقيادة الضابط منير الطاهر.

منير كان زميلاً لعمر في كتيبة عسكرية واحدة، ومنير كان محسوباً على اليسار في ليبيا وهو أيضاً دخل القوات المسلحة للقيام بانقلاب عسكري فتعرّف على عمر الذي كان قومياً عربياً.

حكم منير على عمر بالموت بتهمة التخابر مع الاستخبارات المصرية قال الهوني لمعمر في أحد لقاءاتهما في مصر حيث كان الهوني لاجئاً سياسياً: لكن وفود القوات المصرية ومن ضمنهم ضباط استخبارات هم الذين عقدوا لنا صفقة الأسلحة الضخمة مع الاتحاد السوفياتي وفرنسا واشتروا لنا الأسلحة التي يعرفون تفاصيلها كلها، لأنهم اختاروا ما يساعد الجيش المصري في الحرب ضد إسرائيل في عز حرب الاستنزاف والاستعداد لحرب العبور فيما بعد!!

شلقم يؤكد قتله

عبد الرحمان شلقم يؤكد أن ضابط الإلكترونيات سعيد راشد أحد الضباط القساة (الذي قتل مع بداية ثورة 17 فبراير على باب ثكنة العزيزية هو ونجله وأقاربه) ذبح الرائد عمر المحيشي عند تسليمه من المغرب.

وهذا يخالف رواية أخرى يرويها الرائد عبد المنعم الهوني حول محاكمة المحيشي في مطار طرابلس وقتله في المطار نفسه كما ورد أعلاه.



الفصل السادس

أولاد الإمبراطور

- سيف الإسلام
  - تفويض لسيف في الداخل.. وفي الخارج ومع العرب ومع المعارضة
  - سيف الصحافي؟
  - قصة غدامس
  - لماذا عرقلة سيف؟
- المعتصم
  - صراع سيف والمعتصم
  - ماذا فعل معمر؟
- محمد
- الساعدي
  - لماذا قتل الريان؟
  - جريمة ضد النادي الأهلي
  - دولة الساعدي
  - راقصة تكشف عن علاقتها بالساعدي وهو يبذر الملايين
  - والآخرون؟
- عائشة والمحاماة وكاتب فلسطيني
  - ماذا فعل معمر لحماية أولاده؟
  - هنيبعل

أولاد الإمبراطور

فتح توريث حافظ الأسد السلطة في سوريا لنجله الأكبر باسل الذي قُتِل عام 1994، ثم لبشار منذ العام 2000، الباب عريضاً، والأمل كبيراً أمام معمر القذافي لتوريث السلطة في ليبيا لأنجاله بدءاً من سيف الإسلام، رغم أن ابنه الأكبر هو محمد، لكنه من زوجه الأولى فتحية نوري خالد، فالأسد رئيساً للجمهورية، ومعمر قائداً للجماهيرية، وعقدة الحاجة لحكم ملكي للتوريث أسقطها الأسد.

عندما أضاف إلى جرأته في التوريث جرأة أفظع في أن يكون التوريث إلى الأبد.

ولعل مقتل باسل في سوريا وإصرار والده على نقل التوريث إلى أخيه بشار، كان فرصة إضافية لمعمر كي يثبت مبدأ الوراثة في ليبيا، حيث لم يمنع الموت وعبرته حافظ الأسد من أن يصمم على الوراثة، طريقاً لا بديل عنه، ليبقى الشعار الذي كان كل زائر لسوريا ولبنان بعد أن احتله الأسد الأب (عام 1976- 2005)، يراه على الجدران المهدمة والدبابات شبه المعطوبة والأدوات المسروقة: الأسد إلى الأبد... وكم كان العقيد معمر يتمنى أن يكون أيضاً رئيساً إلى الأبد! وهو كان مستعداً لدفع مليار دولار للعلماء الذين استنسخوا النعجة دوللي لاستنساخ معمر جديد يعيش إلى الأبد!!

استلهم العقيد طريق الأسد في التوريث، فسعى إليه باكراً، وكان يستمتع بقراءة أخبار أبناء الرؤساء العرب الذين ينخرطون في العمل السياسي كقادة موعودين في حكم بلادهم بعد وبواسطة آبائهم (معاوية مع يزيد) فكل توريث في بلد عربي يكبر أمله في توريث أنجاله.

غير أن أفظع ما راهن عليه العقيد... وعمل له هو محاولة إقناع رمز النضال والاستقلال الوطني في أفريقيا نيلسون مانديلا أن يبقى حاكماً في جنوبي أفريقيا إلى الأبد، وهو الأمر الذي استنكره مانديلا رمز نضال بلاده من أجل الحرية وإلغاء التمييز العنصري والمساواة.

كان يمكن لمانديلا في ظل طوفان التأييد الشعبي المحلي والأفريقي والاهتمام العالمي به، أن يثبت نفسه رئيساً أبدياً لبلاده، لكنه خضع لمنطق الديمقراطية التي كان يؤمن بها، وأولى مبادئها هو تداول السلطة، ففاز شابوامبيكي في جنوبي أفريقيا في

انتخابات حرة ونزيهة عام 1999، واحتفظ مانديلا بلقبه المحبب زعيم الاستقلال ليكون نموذجاً للأجيال التالية.

لم يعجب مانديلا بالقذافي وتجنبه، ولم يأبه لحرف مما كتبه في الكتاب الأخضر، ولا تجربة الجماهيرية الملفقة، وحدثه عن الديمقراطية والانتخابات الحرة، وتداول السلطة... وكان هذا أكثر ما كان يزعج القذافي من فكر مانديلا، وراح إلى أقصى التطرف نكاية به حين خلع على نفسه لقب ملك ملوك أفريقيا، وهو الذي استفز الثوار بعد 17 فبراير 2011 فكتبوا على جدران المدن المحررة معمر القذافي قرد قرود أفريقيا!! وتصحيحاً لهذه الصفة للقذافي فإن ظرفاء في ليبيا أطلقوا ملك ملوك ليبيا حيث إن كل ولد من أولاده كان يقتطع قطاعاً أو أرضاً أو مصلحة في البلاد توَّج نفسه عليها ملكاً ليصبح العقيد ملك الملوك الأسد!

أخضع الأسد أولاده لتربيته الصارمة وهي حالة فرضها على نفسه بداية والتخطيط الدقيق لأنه كان حاضراً مع عائلته في القصور الجمهورية من الروضة إلى قصر الشعب إلى تشرين، إلى قصر الرئاسة في اللاذقية. لا يستقبل كما يستقبل معمر القذافي، لا يخرج إلى الناس كما القذافي، ولا يغادر إلى الصحراء أياماً وأسابيعَ أعزب كما القذافي، وفي حين لم يُعرف عن الأسد أي نزوة مع أي امرأة، فإن مغامرات معمر النسائية كانت إحدى علامات سلطته الباغية.

فعزلة القذافي عن عائلته، كانت مقصودة لأنه مع كثرة انهماكه بلذة الإمساك بالسلطة، ولذة ضرب الناس ببعضها، ولذة القمع الدموي والقهر وتدبير خطط الغدر والقتل... فإن لذة جسده كانت مسألة أساسية في حياة وسلوك هذا الشاب الرجل الكهل العجوز.

ولو قرأنا جزءاً من سيرة القذافي النسائية في قسم خاص من هذا الكتاب، لجاء التساؤل الأهم: كيف لرجل بهذه المواصفات أن يجد وقتاً لتربية أولاده؟

بل كيف لشباب مثل هؤلاء ولدوا وملاعق الذهب في أفواههم، وكنوز المال وجاه السلطة ونقودها بين أيديهم والنفاق والقوادين من حولهم كما النساء ألاّ يقلدوا والدهم، في كل شأن من شؤون حياته؟

وهم لم يعرفوا عيباً لم يمارسه هذا الوالد إلا مارسوه، ولم يسمعوا كلمة نقد أو مراجعة لأن أحداً ممن حولهم ما كان يجرؤ على معارضتهم، والجميع طوع الأصابع

وأحياناً الأحذية والكرباج.

منذ البداية عَمِد معمر القذافي إلى تمييز أولاده عن أولاد بقية الليبيين الذين كان يقول لهم انسوا نفط ليبيا وتذكروا أن تونس وبريطانيا بلدان غير نفطيين وهما يعيشان في مستوى أفضل منا، وهو جعل النفط كله ملكاً له ولأولاده.

فرض القذافي على الليبيين وقف دراسة اللغات الأجنبية وتحديداً اللغة الإنجليزية، فقد جاء القذافي إلى السلطة والتعليم في ليبيا معتمداً منهجاً يجعل تعليم اللغة الإنجليزية حصة يومية في المدارس الابتدائية، كي لا تجور على اللغة العربية وفي الوقت نفسه تعطى للطالب الصغير فرصة تعلم لغة ثانية إلى لغته العربية الأم.

باسم العروبة ولغة الضاد القرآن، ألغى القذافي تعليم اللغة الأجنبية (الإنجليزية) في كل مراحل التعليم قبل الجامعي، والعنوان هو مقاومة الاستعمار الذي كان يغزو بلادنا باللغة، أو كانت اللغة هي أحد تعبيرات الاستعمار وفق مفهوم العقيد. وألغى معمر المدارس الخاصة بعد سنوات من قيام الثورة وكانت هذه المدارس أقيمت قبل الثورة لاحتضان الطلاب الأجانب ومن تستطيع أن تستوعبه من أبناء البلد.

ظلت الدراسات التي تتم باللغات الأجنبية معتمدة في المراحل العليا من الدراسة، مقتصرة على عشرات وربما مئات من المتخصصين.

في الثمانينات من القرن العشرين ألغى معمر القذافي التعليم الأجنبي (الإنجليزي) من الجامعات الليبية، ولم يبقَ كرسي لتعليم هذه اللغة إلا إذا كان للتخصص أو للترجمة، أو للحاجات الرسمية للدولة... فقط.

لكن المفارقة كانت مذهلة أمام الليبيين، أن أولادهم المحرومين من دراسة اللغة الإنجليزية يشاهدون ويسمعون أولاد العقيد حين يطلون عبر الشاشات الأجنبية يتكلمون اللغة الإنجليزية كأبنائها.

أولاد العقيد كلهم ولدوا في السبعينات من القرن الماضي، والتعليم بغير العربية ممنوع في المراحل الابتدائية في السبعينات، ثم ممنوع في الثمانينات في المراحل الجامعية، فكيف لأولاد الإمبراطور أن يتقنوا اللغة الإنجليزية؟

وإذا كان قرار منع التعليم بالإنجليزية في ليبيا صدر استجابة لمفهوم قومي عربي كما يزعم القذافي، فكيف سرى هذا القرار على أبناء الليبيين ولم يسرِ على أولاده؟

سيف الإسلام

كان أول ظهور لسيف الإسلام القذافي الذي تبارى الليبيون بابتداع ألقاب ساخرة منه تراوحت بين زيف الإسلام وعدو الإسلام عندما كان في السادسة عشرة من عمره، ويمسك بسلاسل نمرين في شوارع فيينا، فنشرت صور ابن العقيد لتذكر الناس بابن الرئيس العراقي الراحل عدي صدام حسين الذي كان يدخل المطاعم والملاهي برفقة نمور كانت ترعب الناس وتدفعهم للهرب في أي اتجاه.

يتحدث عارفون بالأمور أن سيف الإسلام الذي درس العلوم السياسية والاقتصادية في جامعة لندن وتسلم شهادة التخرج بعد أن دفع مبلغاً من المال زاد عن مليون جنيه إسترليني لأحد المدراء الذي اعترف بالأمر بعد قيام الثورة، حضر رسالة الدكتوراه في جامعة أميركية، وقد كتبها له أحد رجال القذافي شكري غانم فكوفئ الرجل في مرتين الأولى حين تم تعيينه رئيساً لمؤسسة النفط الليبي والثانية عندما أصبح رئيساً للوزراء.

كان شكري غانم قبل اكتشاف سيف الإسلام له، شخصية تتمتع بقدر كبير من الاستقلالية، حتى إنه كان من المغضوب عليهم في حاشية العقيد، لأنه رفض الانخراط في اللجان الثورية التي يحكم بها القذافي ليبيا، فذهب للعمل في منظمة الدول المنتجة للنفط «أوبك»، وتطور وضعه داخلها ليتولى مركز رئيس قسم الأبحاث ثم ليصبح نائباً للأمين العام في المنظمة، بعد أن سحب رئيس نيجيريا الأمين العام النيجيري ليتولى وزارة النفط في أبوجا.

وشكري غانم حاصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة أميركية على صلة علمية بهارفرد، وهذه المؤهلات التي كانت معروفة للجميع لم تكن لتؤهله لأي منصب في ليبيا القذافي، لكن سيف الإسلام الذي أراد تقديم نفسه بالاتفاق مع والده صورة مختلفة عن رجال النظام جعل واحداً بحجم غانم أحد رجاله الذين يقابل بهم الليبيين والعالم الخارجي خاصة وهو يحدثهم عن الخصخصة والانفتاح والقطع مع اللجان الثورية، وهي نفسها مقومات تمييز سيف الإسلام أمام الليبيين أول الأمر.

عاد المهندس سيف الإسلام من بريطانيا إلى ليبيا ليقدمه الإعلام وفق خطة مدروسة كرجل ثانٍ في ليبيا، بديلاً عن عبد السلام جلود الذي كان ينزوي في البعيد يوماً بعد يوم.

ووفق خطة الأب فإن الابن الأبرز أمضى ست سنوات مهمة لتلميع صورة النظام في

الخارج زائراً بلدانه في واشنطن وباريس وبرلين ولندن وروما... مبشراً بالتغيير التدريجي في جماهيرية العقيد، مكلفاً من والده بهذه الصفة: المبشر بالإصلاح والتغيير... وربما بالديمقراطية.

كانت البداية الأساس بعد غزو أميركا للعراق في 20/ 3/ 2003 وقد انتهزها الأب والابن فرصة كي يجروا مفاوضات مع الولايات المتحدة، وعنوانها الأبرز هو منع تكرار تجربة غزو العراق في ليبيا، والجامع المشترك هو الموقف من أسلحة الدمار الشامل.

وفي حين أن أميركا بوش فشلت في العثور المستحيل على أسلحة مزعومة للدمار الشامل في العراق، فإن القذافي أقنع أميركا بوجود هذه الأسلحة في ليبيا، وأنه على استعداد لتسليمها للأميركان وأن سيف هو الرجل المؤهل لعقد هذه الصفقة... التي لم تقتصر على تسليم صناديق يجهل كثيرون حقيقة ما تحتويه... بل ووثائق بالآلاف عن أسماء كل قادة وعناصر حركات التحرير والعنف والإرهاب في كل أرجاء العالم للاستخبارات الأميركية.

ولأن معمر قدم خدمات جليلة لجورج بوش الذي كان يستقطب كل غضب العالم وكراهيته بل وسخريته بعد فشل حتمي ومعروف مسبقاً بالعثور على أسلحة دمار شامل يبرر به غزوه للعراق وتسليمه للإيرانيين، فإن بوش أعطى لسيف فرصة عمره بأن يكون المحاور الليبي المقبول غربياً... وهذا ما كان يريده الأب له... لابنه. خاصة بعد أن أعلن بوش استعادة الرئيس القذافي ليبيا إلى الأسرة الدولية واعداً بمساعدته اقتصادياً مكافأة أميركية على دور سيف الإسلام.

المؤسف في الأمر وفق معلومات غربية أن الرئيس الراحل صدام حسين وبعد اشتداد الحصار على العراق كان أرسل علماء عراقيين إلى ليبيا حاملين برامجهم وأبحاثهم الذرية إلى طرابلس لتطوير معاملها السرية. وأن واشنطن وأثناء تسلمها الصناديق المجهولة المضمون من ليبيا فوجئت بحجم التقدم الذي كان أحرزه الليبيون في مجال الاقتراب من صنع قنبلة ذرية.

تفويض لسيف في الداخل.. وفي الخارج ومع الغرب ومع المعارضة

كان سيف يملك تفويضاً من والده للتحدث عما يريح الناس ويترك أثره في الغرب من خلال ادعائه تأييد إقامة التعددية الحزبية في بلد كتب معمر القذافي في كتابه الأخضر

(من تحزب خان).

كان سيف يتحدث مع الغرب اللغة التي يفهمها ويحبها، ويتحدث مع الداخل اللغة التي يريدها، فتحدث سيف عن ضرورة وضع دستور للبلاد، وفيما بعد وفي أول إطلالة له بعد الثورة في 17/ 2/ 2011 ضد نظام أبيه، تحدث عن أن الدستور أصبح جاهزاً (وكان مضى على أول وعد بوضع دستور عدة سنوات).

تحدث سيف عن الرأي والرأي الآخر وكان القذافي يقول لليبيين أنتم سقف العالم في الحرية.

وخلال الثورة ضد نظام الأب وأولاده اتهم العقيد شعب ليبيا بأنه شعب من الجرذان لا بد من قتلهم.

كانت الجماهير الليبية في نظر القذافي مجرد جثة هامدة، وكانت أموال ليبيا كلها ملك للأسرة الحاكمة، فأسس فيها مؤسسة معمر القذافي الخيرية وخصص لها مليارات الدولارات، للصرف منها على مشاريع القذافي الخارجية، وكلها مشاريع لا علاقة لها بمصلحة الشعب الليبي وحقوقه.

في الخارج

1- اختطف أبو سياف في الفيليبين 6 من الأوروبيين فتبرع سيف الإسلام بأنه سينقذ هؤلاء كعمل إنساني، وأنه مستعد لدفع ملايين الدولارات من أجل ذلك، وبالفعل كلف سيف الإسلام السفير الليبي السابق في بانكوك الزروق لمفاوضة جماعة أبو سياف، ثم لعقد اتفاق كلف ليبيا ملايين الدولارات بشكل بناء مدارس ومستشفيات وشق طرقات في منطقة منيدناو جنوبي الفيليبين.

حمل سيف الإسلام الرهائن بطائرة ليبية إلى باب العزيزية في طرابلس ليطل معهم عبر الإعلام العالمي كمحرر للرهائن في صورة مختلفة عن والده الذي كان معروفاً بأنه الممول الأول في العالم لخطف الرهائن.

2- كان سيف الإسلام هو المفاوض الأول مع المسؤولين البريطانيين لإطلاق سراح المجرم الليبي الذي كلفه القذافي تفجير طائرة ألبان أميركان فوق لوكوربي في اسكتلندا والتي قتلت 270 إنساناً، عبد الباسط المقراحي.

بدأ ترتيب عقد الصفقة مع رئيس وزراء بريطانيا طوني بلير الذي كان يعرف أنه راحل

من «10 داونينغ ستريت» أي من رئاسة الوزراء في لندن، وحاول إقناع النائب العام البريطاني بالأمر لكن الأخير رفض، إلا أن بنود الصفقة كانت تبادلية. أي تحصل ليبيا على حرية المقراحي وفق تقرير طبي يؤكد أنه مصاب بالسرطان وأنه لن يعيش سوى لأيام أو أسابيع كحد أقصى، مقابل حصول بريطانيا على عقود نفطية مجزية ومشاريع إعمار وإنشاءات عديدة في ليبيا لشركات بريطانية.

ويجزم كثير من الليبيين أن بلير وبعد خروجه من رئاسة الوزراء ورئاسة حزب العمال، بات أحد المستشارين غير العلنيين لسيف الإسلام وجمعيته، ولم يكن هذا العنوان إلا تغطية لصفقة قدرت أرقامها بمليارات الدولارات، ولبلير نصيب السمسرة فيها وهو الذي كان سيف الإسلام يصفه بأنه طماع. وقد جاء مع مدير شركة النفط البريطانية B.P لعقد أضخم صفقة لها في طرابلس.

3- وعندما حصلت تفجيرات نيويورك يوم 11/ 9/ 2001، ردد ليبيون معارضون أن سيف تبرع بمبلغ مليار دولار لعمدة نيويورك شرط ألاّ يعلن عن هذا التبرع ليحصل على رضا اليهود في هذه المدينة الضخمة لتسهيل التعامل الأميركي مع والده.

مع العرب

حاول سيف الإسلام تقديم نفسه أمام العرب أنه حريص على عروبته، من خلال علاقة مشبوهة أقامها مع رئيس الحزب النازي في النمسا هايدر (الذي قتل في حادث سيارة فيما بعد).

كان هايدر أثار الدنيا في أوروبا بسبب مواقفه المعادية لليهود وإسرائيل، محرضاً النازيين في كل مكان بالقتال ضد اليهود أعداء البشرية كما كان يصفهم.

وفي حين كان والده يوجه بضرورة مغادرة اليهود العرب فلسطين عائدين إلى بلادهم العربية الغربية والشرقية التي أتوا منها حلاً لمشكلة فلسطين، وكان يطرح في أحيان أخرى اقتسام الفلسطينيين والإسرائيليين البلاد لتحمل اسم إسراطين، فإن سيف الإسلام الذي أراد الظهور بمظهر علاقة مع متطرف يقود سياسة من شأنها تعاطف العالم كله مع اليهود من جهة، ودفع من تبقى من اليهود في العالم بالتوجه إلى فلسطين لمزيد من الاستعمار والاستيطان وفق منهج هايدر حليف سيف الإسلام.

مع المعارضة

وجّه القذافي نجله سيف الإسلام للتحرك مع المعارضة في الخارج الذين كانوا يحملون صفات الكلاب الضالة وفق قاموس القذافي وإعلامه، فعمد سيف للاتصال مع بعض الشخصيات المعارضة ليمنحها ضمانات بالعودة والتعويض، والاستقرار في حياة مطمئنة.

عاد بعض من أمضى 20 أو 30 سنة من عمره في الخارج هارباً لاجئاً تاركاً جزءاً من عمره وذكرياته وأهله وأصحابه في وطنه محاصراً معذباً مقهوراً... وبعض العائدين أرادوا بعد عمر طويل أن يموتوا في بلادهم، وبعضهم كانت أمّمت ممتلكاتهم وعادوا مع وعود بإعادة بعضها لهم، وبعضهم مقاول وصاحب عقارات...

إبراهيم حافظ

كان إبراهيم حافظ نموذجاً صارخاً من هؤلاء الذين عادوا إلى أرضهم وممتلكاتهم ومشاريعهم، ولم يجدوا بعد عشرات السنين من الغياب القسري مسماراً واحداً دق في مشاريعه التي تركها مرغماً... كان مثقفاً عروبياً ويوفر لشركات النفط احتياجاتها من مصانعه المختلفة.

كان لإبراهيم حافظ 20 كيلومتراً مربعاً من المشاريع القريبة من مطار طرابلس، أقام فيها مصانع مطاط وغيرها وورشاً ومشاغل وأنشأ مدينة صناعية بكل معنى الكلمة... أممها القذافي ولم تستفد منها الدولة أو الشعب ولا صاحبها طبعاً.

سيف الصحافي؟

واقتراباً من الشعب الليبي، أصدر سيف الإسلام صحيفة «أويا» وهو الاسم القديم لطرابلس، وجريدة «قورينة» وهو الاسم القديم للشحات وهي مدينة قريبة من بني غازي.

كان بعض المقالات والكتابات الجريئة في الأويا مبرراً لصدورها أمام الليبيين، وكانت الصحيفة ناقدة دائماً للمؤتمرات الشعبية والأمانات أي للوزارات خاصة التي يرتبط عملها بمصالح الناس.

كان كل شخص، كل مصلحة، كل حكومة، كل أمانة في ليبيا عرضة للانتقاد... إلا أن اسم معمر القذافي لم يكن أحد ليجرؤ على مجرد الاقتراب منه.

أعلن سيف الإسلام دستوراً ونشره على موقعه الإلكتروني ثم سحبه.

أعلن عن قيام منابر سياسية وبدأ الترويج لها عبر محطته الفضائية التي أنشأها بعد تحويل «أويا» إلى أسبوعية ثم أقفلها لينشر ما يقوله ويكتبه عبر النشر الالكتروني ثم لتتحول آخر الأمر إلى وكالة ليبيا برسْ وتم اعتقال وضرب العاملين فيها (ليبيون، توانسة، مصريون وبينهم فتيات) بقصد الإذلال.

فتح سيف الإسلام عبر الإعلام الخاص به الباب أمام ما يسمى الحراك الديمقراطي، وأحاط نفسه بشخصيات وإعلام ذي وزن في المجتمع الليبي، كنقيب المحامين محمد العلاقي. والنقيب السابق محمد داره، والأديب المعروف دكتور أحمد إبراهيم الفقيه، فضلاً عن رؤساء جمعيات حقوقية مستقلة... ولم يدم هؤلاء كثيراً حوله فقد أصبحوا عرضة لهجمات إعلامية من قبل ما يسمى بالعمق والمقالات الثورية، فتوقف معظمهم عن الالتحاق بركب سيف، ومن بقي معه ظل عرضة للهجوم في المنابر إياها، وتعرض الشخص الذي كلفه سيف بإدارة الفضائية التي يجهزها سيف للاعتداء حتى إنهم كسروا عظامه... ورموه على الطريق درساً لمن لم يجر حسابات دقيقة... وهذا ما حصل مع المحامي جمعة عتيقة الذي كان مستشاراً قانونياً مع سيف لكنه سحب من مكتبه ودخل إلى السجن لعدة أسابيع قبل أن يتدخل سيف وينقذه.

كان من مستشاري سيف العرب، الإعلامي السعودي عبد الرحمن الراشد والأمني الفلسطيني محمد دحلان وخالد سلام (أو محمد رشيد) فضلاً من مستشارين أجانب كثيرين.

كان سيف يقوى في الداخل وفي الخارج. وأصبح هو المشرف على النفط من خلال رئيس المؤسسة شكري غانم وفي الوقت نفسه بات هو المرجعية الأساسية لرئيس الوزراء البغدادي المحمودي... والاثنان يتلقيان تعليماتهما من سيف نفسه.

قصة غدامس

لا يحتاج نفوذ سيف وسطوته داخل ليبيا إلى دليل، وإذا كنا نقدم قصة غدامس فليس للدلالة على قوة سيف بل هي إشارة ذات مغزى لطبيعة اتخاذ القرار ومن يملكه في جماهيرية والده.

كان سيف في زيارة لليابان لحضور معرض فيها عن معالم وحضارات العالم، وفي الجناح الليبي داخل المعرض صادف سيف زوج السفير البريطاني السابق في طرابلس التي كانت تتحدث مندهشة عن آثار غدامس القديمة، وهي تشاهد نماذج مصغرة عنها.

قالت السيدة البريطانية، إن لديكم واحدة من أهم آثار العالم وعليكم أن تحافظوا عليها لأنها ملك للبشرية، وقد زرتها عدة مرات عندما كنت مع السفير في بلادكم.

قالت السيدة البريطانية لسيف: كنت أقطع 500 كلم كي أتمتع برؤية هذه المدينة التاريخية المهملة التي تستحق أن تلتفتوا إليها. لأنها معلم عظيم في بلادكم وهي إحدى الدرر المهمة في العالم.

بعد عودته إلى طرابلس استدعى سيف رئيس الوزراء البغدادي المحمودي ليأمره أن يحيل غدامس إلى إحدى عجائب الدنيا، وكان أمر سيف نافذاً في أن يرسل رئيس الوزراء أجهزة الحفر والبناء والمهندسين والمعماريين وكل باحث في التراث والتاريخ لإعادة بناء غدامس.

وخلال فترة قياسية شقت الطرقات، وأقيمت الفنادق وزرعت الأشجار والورود، وأقيمت الأسوار والأسواق وأوصلت المياه النظيفة إلى كل دار وأنشئت المدارس وبنيت المستشفيات.

تمّ كل هذا بأمر مباشر من سيف، ولم يمر أمر هذه المشاريع الضخمة على لجنة شعبية أو لجنة عامة أو موازنة أو دراسات... فقط بأمر من سيف أعيدت الحياة إلى غدامس...

وبأمر من والده تم تدمير معالمها بصواريخ الغراد التي أطلقتها كتائبه خلال ثورة الشعب الليبي ضده.

لماذا عرقلة سيف؟

بعد هذه الأدوار التي أدّاها سيف الإسلام لمصلحة نظام والده، هل يعقل أن يتخلى عنه العقيد دون مبررات كافية؟

لعل وراثة الأب هي المشكلة التي تعترض طريق سيف، وأول من يرفع راية المنافسة في هذا المجال، هم أخوته الطامحون كما يطمح إليه هو نفسه.

دون أن ننسى أن حول القذافي من كانوا يعتبرون أنفسهم أساس نظام العقيد، وهم أنفسهم كانوا خاضعين دائماً لرضا العقيد فيعملون على مسايرته وارتكاب كل ما يأمرهم به... سواء ضد الكلاب الضالة... أو ضد الابن الضال في لحظة من اللحظات!!

ومثلما كان حول سيف جماعات استمالها بالإغراءات والتهديدات والمنافع، فإن لأشقائه أيضاً جماعاتهم الجاهزة نفاقاً وطموحاً لمصالح أعلى وأكبر.

وبين سيف وأشقائه كان معمر يدير التوازنات بإحكام وحسابات تخدم الهدف الأمثل وهو صفاء ونقاء العرق الذي يحكم وسيحكم ليبيا... إلى الأبد؟!

المعتصم

بعد سيف الإسلام وبوجوده أفسح العقيد المجال لابنه الآخر المعتصم، ليخوض منافسة، لم تخل يوماً من بطش وإرهاب موروثين في الجينات من الإمبراطور نفسه.

ومثلما عرف سيف في الخارج كمصلح... لم يدم الحال فيه كثيراً حتى سقط في أول خطاب له عبر المرئية الليبية يوم 2011/2/20 ليهدد بقتل الثوار وإثارة القبائل وحرمان الشعب الليبي من النفط والأمن والاستقرار. كان شقيقه المعتصم معروفاً في الداخل بالبطش والإرهاب وهما سمتان حرص العقيد على زرعهما في أولاده بتصميم وإصرار... دون تردد.

يعرف الليبيون معتصم بأنه أشرس أشقائه، وهو بسبب هذه السمات سلمه والده رئاسة جهاز الأمن الوطني، وككل أشقائه المعروفين بالمجون والخلاعة وهدر المال في نزوات نسائية مشهودة في ليبيا وخارجها، وفوق مراكبهم التي يملك كل واحد منهم مركباً خاصاً به.

يرأس المعتصم كتيبة أمنية تضم آلاف الضباط والجنود المدربين وفق برامج خاصة منتقاة من برامج التدريب القاسية في الفرق العسكرية الخاصة في جيوش العالم، فضلاً عن نوعيات الأسلحة والمعدات وكم المال الذي يذريه العقيد لأولاده.

أحد أشهر إنجازات المعتصم هو ضربه لموسى كوسى الذي كان يبدي ملاحظة على أسلوب تعامل ليبيا مع قضية شقيقه هنيبعل في سويسرا (كان موسى وزيراً للخارجية قبل أن ينشق عن القذافي بعد شهر من اندلاع الثورة الشعبية ضده).

ويقول مصدر ليبي فضل عدم الكشف عن اسمه، إن خلاف المعتصم مع موسى كوسى نشأ على هامش زيارة الاثنين لأميركا حيث أسرّ موسى كوسى لمقربين جداً، أن معتصم قدم نفسه في واشنطن أنه يمكن أن يحل محل أبيه في أي تغيير مستقبلي داخل ليبيا.

أراد المعتصم أن يقدم نفسه بديلاً عن والده القذافي... وأيضاً بديلاً عن شقيقه سيف الإسلام الذي كان المعتصم يجزم أنه مرشح الغرب خلفاً لوالده، لذا كان عليه أن

يعد أميركا بما لم يقدمه سيف لها بعد. موسى كوسى وفق المصدر قدم تقريراً للعقيد بما سمعه ولاحظه من المعتصم خلال زيارة الوفد الليبي إلى واشنطن، وأن المعتصم تعمد ضرب كوسى أمام مؤتمر الشعب العام كي يكون عبرة لغيره... ولم يجرؤ موسى كوسى على الدفاع عن نفسه أمام الملأ.

المصدر الليبي المعارض أكد أن موسى اتخذ قرار انشقاقه عنه وهو يحمل ذكريات هذه الصفعة السوداء على خده.

ويروي ليبيون آخرون أن المعتصم كان في نزقه وعصبيته يثير المشاكل لوالده نفسه، حتى اضطر القذافي إلى إرساله إلى مصر لدراسة الأركان إلزامياً ليبقى بعيداً عن ليبيا وأن حفل تخرجه شهد تجاوز الرئيس المصري حسني مبارك كل الأعراف والتقاليد العسكرية حين سلمه وسام الأركان وهو لم يدخل كليتها سوى 6 أشهر فقط.

وفي حين كان سيف الإسلام يقدم نفسه فوق الصفات التي اصطنعها له الإعلام، أنه الفنان والرسام والمثقف، فإن المعتصم يريد أن يقنع أبيه وكل من في ليبيا أنه الرجل الحديدي الصلب القاسي النزق العصبي.

ثم إن المعتصم في سعيه لتسلم السلطة بديلاً عن والده وسيف روج في أوساط ليبية وعربية معينة، أن سيف يريد تنفيذ خطة شيخ قطر حمد بن خليفة في الانقلاب على والده عام 1995، وأن سيف ينتظر الفرصة المناسبة لتنفيذ خطته.

توازنات العقيد جعلته يفتح الأبواب عريضة كي يحقق المعتصم طموحاته بالقوة الأمنية الفائقة، وفي الوقت نفسه فإنه أطلق بالون اختبار آخر لمدى تقبل مراكز القوى في نظامه وأهمهم أولاده فكرة أن يخلفه سيف الإسلام، فاخترع له مهمة قائد القيادة الشعبية الاجتماعية وصلاحياتها هي صلاحيات رئيس جمهورية في أي بلد في العالم، وقد تقدم القذافي بهذا الاختبار في خطاب جماهيري في مدينة سبها.

لم يغب هذا التصور عن المعتصم فعكف على إعداد بيان عنيف ضد شقيقه مؤكداً أنه هو الوريث الشرعي لوالده، لولا نصائح أتته بأن مجرد إصدار هذا البيان سيضعف موقف والده... فعدل عن إصداره.

ومع هذا فأنصار القذافي اضطروا إلى الانقسام: فالناس العاديون وعدوا أنفسهم بتحقيق وعود سيف، أما الأجهزة الأمنية والقذاذفة فكانوا يرون أن المعتصم هو الذي يمثل مصالحهم ويضمن استمرارها.

ويقال إن الأميركان قبل ثورة الشعب الليبي في فبراير/شباط 2011 كانوا الأقرب إلى المعتصم، لأنهم يريدون شخصاً قوياً في الداخل يضمن لهم مصالح كانت تتراكم في عهد الأب...

فضلاً عن أن المعتصم بحكم قبضته الأمنية وما يتوفر له من معلومات، واستعداده للتعاون مع الاستخبارات الغربية قدم ويقدم للغرب كنوزاً من المعلومات.

صراع سيف والمعتصم

المهتمون بالشأن الداخلي الليبي، وفاعليات ليبية حريصة على المعرفة تتحدث عن مناوشات ومواجهات وصلت إلى حد العنف الجسدي بين الشقيقين سيف والمعتصم، حيث أطلق الأخير النار على شقيقه عندما تدخّل سيف لمصلحة أخيه الأكبر محمد على خلفية النزاع على شركة المشروبات الغازية.

عادت شركة كوكا كولا للعمل في ليبيا بعد فك الحصار عنها عام 2005، وامتلكت اللجنة الأولمبية الليبية التي يرأسها محمد القذافي 30٪ من أسهم الشركة الأميركية.

كان محمد اشترى مصنع الخبيز كفرن ضخم أنشأه الطليان بمعدات إيطالية، وباعه للكولا بمبلغ 2 مليون دينار (كان الدينار بـ80 سنتاً من الدولار) لعمل فرع للكولا داخله.

في هذه الفترة كان سيف الإسلام يشرف على شركة اسمها «وان ناين» وهي جزء من شركة قابضة «هولدنغ» استثماري. شارك بنسبة 30٪ من شركة البيبسي كولا.

كان لسيف شريك قبرصي هي شركة جداليس وهي تستثمر في مجال العقارات والأراضي، وقد حصلت من سيف على أرض البريد، وقد نجحت الشركة القبرصية في إنجاز أعمالها في ليبيا وكالعادة لم تدفع ليبيا أموالاً للشركة فاستثمرت ما تبقى لها من مال في بناء مصنع البيبسي.

وشركة البيبسي القديمة كمنشأة صناعية كبيرة لصاحبها مصطفى فرنكا في طرابلس (وآخر من آل عنزه في بني غازي) رممت وأصبحت ملكاً للدولة تحت اسم الشركة العربية للمشروبات الغازية يعمل فيها 500 إنسان وحملت مشروباتها أسماء كوثر ومرادة.

حاول سيف شراء الشركة كلها فوجد أنها مكلفة بسبب العمالة، ولم يقدر إنسان آخر على شرائها فتحولت مع الوقت إلى خردة لأن تقييمها الدفتري غير عملي، حيث سجلت سعر خط إنتاج بـ10 ملايين دولار. بينما تكلفتها الحقيقية لا تتجاوز الـ3 ملايين دولار، ولم تجد تاجراً يفهم ليشتري مشروعاً بهذه الأسعار المضاعفة.

حتى الآن المسألة عادية، فمحمد يمتلك 30٪ من أسهم الكولا وسيف يمتلك 30٪ من أسهم البيبسي. الجديد أن المعتصم دخل على خط الشركتين وأراد أن يتنازل ابن فتحية - كما يسمّي أخيه محمد - عن حصته الـ30٪.

أول الأمر أرسل المعتصم موفداً من قبله وهم رجال أمن شرسون للشركة لإقناعها ترغيباً وتهديداً بحصوله على 30٪ من الأسهم، ولا يريد شراكة أخيه محمد.

الشركة اعتذرت لأنها وقعت عقوداً مع محمد وأسست الشركة على أساس هذه العقود، هدّد المعتصم أولاً... ثم أرسل عصابة من كتيبته المقاتلة مدجّجة بالسلاح، وأقفلت الشركة في طرابلس في مصنع الخبز في منطقة الفلاح... لمدة شهر.

ولم يتوقف المعتصم، فذهب إلى منزل أخيه محمد فلم يجده، فتوجه إلى منزل خاله الستوسي فأطلق عليه النار (وحُمل إلى الخارج للعلاج حيث توفي بعد ذلك)، فوجد ابنه، وكان رجال المعتصم أخذوا ابن خاله وضربوه وخطفوه في السيارة، ثم رموه عند باب منزل محمد وهو ينزف.

اشتكت شركة الكولا للسفارة الأميركية، بعد أن قدمت شكوى دون جدوى للقضاء الليبي.

ضجّ الوسط الاستثماري بهذه الواقعة، وصارت حديث الناس، وطرحت في اللجنة الشعبية العامة برئاسة شكري غانم الذي استأذن القذافي ليشرح له خطورة الأمر على الاستثمار... ولم يكن غانم ليتصور لحظة أن مسألة كهذه يمكن أن تمر دون أن يعرف العقيد تفاصيلها وكل شاردة وواردة فيها.

ماذا فعل معمر؟

استدعى القذافي أولاده محمد وسيف والمعتصم، وقدم لهم الحل الجاهز وهو إنشاء صندوق للصناعة، ليلغي بوجوده وزارة الصناعة، وضخ في الصندوق 10 مليارات دولار لشراء أصول الشركات العامة للدولة المتعثرة والناجحة، وسدد للبيبسي والكولا

نصيب أسهم اللجنة الأولمبية، والـ«وان ناين» بأسعار عالية جداً... مع وعد بأن يصرف من صندوق الصناعة على تشغيل مليوني عامل في ليبيا...

هكذا انتهت المسألة ولسان حال العديد من الليبيين يردد أن القضية كلها مفتعلة، لتعطي للعقيد فرصة حل القطاع العام الصناعي لمصلحة الاستثمار الذي أراد بواسطته توجيه رسالة للغرب إنه طلق كل توجه لدور الدولة في أي بناء اقتصادي في كل قطاعاته.

ترأس سيف لجنة وضع بين يديها مبلغ 10 مليارات دولار، وهي ميزانية لسنة واحدة وتعجّ بالخبراء الأجانب، وبالمقابل تحول مصنع مياه بن غشير، الذي كله تابع للشركة العربية للمشروبات، المقام وسط مزارع زيتون وحمضيات بمساحة 600 ألف متر مربع وينتج أنظف أنواع المياه الغازية إلى شركة أخرى تابعة لجهاز الأمن الذي يرأسه المعتصم ابن القذافي.

محمد

هو الابن الأكبر لمعمر القذافي من زوجه فتحيه نوري خالد، وهو كان كالماعز السوداني في قطيع من الماعز الأبيض رغم أن والده سلمه رئاسة اللجنة الأولمبية وما فيها من ميزانيات ومقدرات.

تربّى في منزل أمه التي كان جمال عبد الناصر شاهداً على عقد قرانها على معمر عام 1970، ولم يختلط كثيراً بأخوته من أولاد زوج أبيه الثانية. التقى معمر بممرضة تدعى صفية فركاش من البيضا كانت تعمل في مستشفى طرابلس التي دخلها لإجراء عملية استئصال الزائدة الدودية، وأعجب بها وتزوجها مطلقاً فتحية منجباً من صفية أولاده الستة وعائشة وهي الفتاة الوحيدة.

أدار شركة الاتصالات والبريد وهي نبع من المال والمصالح، ومع هذا فإن محمد كان أكثر أخوته بعداً عن الأساليب الفضائحية التي وسمت سلوكياتهم.

كان محمد أبعد أخوته عن والده معمر قريباً من خاله الذي كان أحد الضباط الأحرار، وكان ضابطاً سيئ السمعة في البوليس الحربي وقد قتل بعد أن أطلق رجال المعتصم النار عليه بحضوره ونقل إلى الخارج للعلاج ومات تحت العملية كما ورد آنفاً.

الساعدي

هو شقيق سيف والمعتصم وخميس وهنيبعل وعائشة وسيف العرب، وأخ غير شقيق لمحمد، ولا يقل شراسة عن أشقائه، لكنه في نظر كثيرين موصوف ببلاهته، ومع هذا لم يميز معمر أولاده عنه بل إنه في دفعة مالية واحدة سلمه 3 مليارات دولار كي يجهز لاستضافة دورة لكأس العالم في كرة القدم في ليبيا. من أصل 10 مليارات خصصها القذافي للحصول على هذا الشرف (ولا يسألن أحدٌ إن كان بالإمكان تنظيم ليبيا القذافي لدورة كهذه، ولا يسأل أحد أين المبلغ الذي سلمه إياه رئيس الوزراء يومها الشامخ ووزير المالية دكتور عبد الحفيظ الزليطي تحت أضواء أجهزة الإعلام... رغم أن والده كان كتب في الكتاب الأخضر أن كرة القدم هي رياضة السذّج... فهل كان الساعدي بهذه الصفة؟

أسس الساعدي قناة فضائية رياضية وساعده في إنشائها رمضان الريان، وسرعان ما غضب من رمضان وقتله في مكتبه وعندما جاءت زوج رمضان لتسأل عنه، بعد غياب، وكان أسرّ لها بأنه خائف من أن يقتله الساعدي قال لها العاملون في مكتب ابن معمر إنه ليس هنا وسيارته موجودة خطأ أمام المكتب، ونحن لا نحدث امرأة حتى لا تجلب لنا الشبهة، اذهبي وأرسلي لنا رجالاً لنكلمهم، وعندما أتى أهل زوج رمضان لم يجدوا السيارة على باب مكتبه وتلقوا تهديداً بالقتل ليلزموا الصمت... حتى الآن.

لماذا قتل الريان؟

كان الساعدي يشك في أن الريان يتكلم عنه بالسوء واصفاً إياه بالأهبل، فأرسل الساعدي أحد الصحافيين من جماعته ليجالس الريان وليستدرجه لشتم الساعدي، وسلمه جهاز هاتف فيه مسجل طالباً منه أن يترك الهاتف مفتوحاً عند المحادثة معه، وهذا ما حصل، وكان الساعدي قد توجه إلى روما وأجرى الاتصال ليستمع من الريان إلى الشتيمة بأذنيه فصمم على قتله فاستدرجه إلى مكتبه لينفذ فيه مآربه.

جريمة ضد النادي الأهلي

كان النادي الأهلي وما زال هو نادي بني غازي الأول في كرة القدم، وهو تابع لجمعية عمر المختار، والاسمان يكرههما القذافي وأولاده، وفي إحدى مباريات الأهلي في المدينة وكان الساعدي حاضراً فيها بصفته الرياضية وهوايته لكرة القدم حيث كان

لاعباً في نادي الاتحاد في طرابلس، تعمّد خسارة الأهلي شماتة وكراهية بأهل بني غازي وجمهور النادي، وكان هذا الأمر تكرر طيلة السنوات الماضية حيث كان يأمر الحكام بإنهاء المباراة على قاعدة خسارة الأهلي عاملاً على إنزاله الدرجة الثانية. فثار الجمهور وراح بعضه يشتم معمر وزوجه صفية، أمر الساعدي بإطلاق النار على المتظاهرين فقتل وجرح العشرات منهم، واعتقل عدداً آخر مات اثنان منهم تحت التعذيب، بعد كل هذا سحبت جماعة الساعدي جثث القتلى وعندما جاء الأهالي لاستلام جثث أولادهم ألزموهم أن يوقعوا اعترافات بأن أولادهم قتلوا في حوادث سير أو ما شابه.

واستكمالاً للكراهية المشهودة فقد أمر الساعدي يوم 1/ 9/ 2000 بهدم النادي وجرفه وملعبه وأسواره هدية لأهل بني غازي في عيد الثورة الـ 31... وكان ناديهم هو الأقدم والأعرق في ليبيا.

دولة الساعدي

كل هذا ولم يأتِ نصيب الساعدي من عطاءات والده الكريمة... وأبرزها مشروع البوكماش أو دولة الساعدي في المساحة الممتدة من غرب طرابلس إلى شرق الحدود التونسية، ويقدرها البعض بين 70 و60 كلم امتداداً وعمق 10 كلم من الشاطئ إلى أطراف الصحراء.

مشروع البوكماش يهدف فيه الساعدي ووالده إلى إنشاء دوله حرة في ليبيا على غرار مدينة مونت كارلو في فرنسا، حيث لها مرفأها الخاص ومطارها أيضاً، وفي سفارات ليبيا في الخارج تم تجهيز مكتب خاص ليعطي التأشيرات لمن يريد النزول فيها، وضمن عقدها الذي وقعه الساعدي مع شركة عقارات خليجية بمبلغ 5 مليارات دولار من أصل 22 ملياراً تسلمها ليصرف على المشروع – الدولة، إنشاء فنادق وأسواق تجارية ضخمة، ومرافئ سياحية وعمارات سكنية، ومساجد وكنائس وكنيس خارج القوانين الليبية.

كان الساعدي مهووساً بكرة القدم وقد استقدم له والده لاعب الكرة الأرجنتيني المعروف دييغو مارادونا ودفع له ملايين الدولارات كي يدربه على اللعبة وتأهيله وكان الساعدي يمنّي النفس أن يصبح لاعباً مشهوراً فذهب إلى نادي بيروجيا في إيطاليا مقدماً له المال وكانت هذه أول مرة في تاريخ كرة القدم أو أي لعبة أخرى في العالم يدفع

فيها لاعب المال كي يضمه النادي إلى صفوفه والعادة أن يدفع النادي للاعب كي يقبل الانضمام إلى صفوفه ومع هذا لم يره الجمهور في اللعب إلا مرة واحدة.

راقصة تكشف عن علاقتها بالساعدي وهو يبذر الملايين

وكشفت الراقصة السابقة ديفينكي مرجفا صديقة الساعدي كيف كان يبذر الملايين على بذخه وترفه وحياته الخاصة حسب ما ذكرته صحيفة «الديلي ميرور» البريطانية في 5/ 3/ 2011.

تؤكد ديفينكي وهي فتاة بلغارية صادقت الساعدي منذ سنوات بأنه ينفق حوالى 170 مليون جنيه في السنة على طائرته النفاثة وفنادق الخمس نجوم والسيارات والراقصات والمجوهرات وتصميم الملابس، فقد كان دائماً يرتدي معاطف مليئة بالمال والعملة الصعبة.

ولم تكن النقود بالنسبة إليه ذات معنى، وقد دفع أمامها مرة نصف مليون جنيه لراقصة «دولي كات» لتقدم له عرضاً حياً بمناسبة حفلة عيد ميلاده.

كان الساعدي المدلل يتعاطى الممنوعات بشراهة ويضرب الخدم ويتفاخر بمعطفه الأبيض الوفير الذي تزيد قيمته عن 5000 جنيه إسترليني، وقد أغضب فتاة أثناء مشاهدة إحدى الراقصات في نادي تعرٍ في باريس وما لبثت الراقصة أن ألقت عليه سيجارة فأحرقته وكادت أن تحرق صاحبه المدلل.

المال لم يكن مشكلة بالنسبة له فملابسه محشوة بآلاف الأوراق البنكية وإذا ما شعر بأنه يحتاج إلى المزيد كان يتصل بسفارة بلاده لتوفير ما يحتاجه من المال وهي تقول بأنه بدأ علاقته معها عام 2004 حيث أغرقها بالهدايا وعروض الزواج على الرغم من أنه متزوج من ابنة أحد كبار ضباط الجيش الليبي (الخويلدي الحميدي) وبعد أن وافقت أخيراً على مواعدته قام بدفع نصف مليون لفرقته المفضلة «البوسي كات» ليقدمن عرضاً في حفل عيد ميلاده في مدينة «كان» جنوبي فرنسا.

كما أنها دفعته لكي يساعد الممرضات البلغاريات الخمس ويطلق سراحهن بعد أن اتهمن بإصابة أطفال بعدوى الإيدز في أحد مشافي بني غازي. (أدى سيف الإسلام الدور الأهم في إطلاق سراح الممرضات البلغاريات والطبيب الفلسطيني).

لكنها أوضحت عن علاقاته الشاذة وتقديمه مخدر الكوكايين لمن حوله، ووصفته بأنه غير ناضج وهو مجرد طفل مدلل اعتاد أن يرجوها بإلحاح الصغار بأن تحبه وأن تبقى معه وترافقه إلى مجمع ديزني لاند في باريس.

إلى ذلك قدمت ديفينكي مرجفا رسائل وصوراً مع الساعدي قدمها لها أثناء إحدى الرحلات إلى البراري الأفريقية للصيد وإلى بحيرة في أميركا استغلها موقع ويكيليكس في إحدى القصص وقد وصفت إحدى الصحف بأن الساعدي يعاني من مشاكل نفسية، ومحاولات معالجة في الماضي تسببت له بمشاكل مع البوليس وخصوصاً في إيطاليا وكان يتعاطى المخدرات وإقامة الحفلات معارضاً رغبة والده.

. . . والآخرون؟

تسلمت عائشة مهمة إنشاء وإدارة الأسواق التجارية الفخمة في العديد من المدن الليبية وأنشأت مؤسسة باسم «واعتصموا» بميزانية مئات ملايين الدولارات.

وسيطر هنيبعل المتأهل من سيدة لبنانية على قطاع النقل البحري. وقد اشترى من مال الشعب الليبي عشرات السفن الضخمة لنقل النفط الليبي، بعد أن اشترطت ليبيا رسمياً نقل نفطها لكل البلاد المستهلكة المستوردة بسفن يملكها هنيبعل صاحب فضيحة ضرب المواطن التونسي وزوجه في أحد فنادق جنيف.

وقبل فضيحة سويسرا كانت رائحة فضيحة شراء ناقلات نفطية من الخارج بعمولة 75 مليون دولار تزكم الأنوف في ليبيا، بعد أن تردد كثيراً أنها صفقة خاسرة لأن الركود النفطي يجعل شراء هذه الناقلات فاشلاً منذ البداية.

ويتشارك هنيبعل والساعدي والمعتصم على القنوات الفضائية الخمس في ليبيا. ويسيطر سيف الإسلام ومحمد على الخلوي، ويسيطر الجميع على قطاعات النقل الجوي والبحري وشركات الطيران الخاصة وعلى تجارة النفط.

ويشارك خميس أشقاءه في كل هذا ويشترك مع شقيقه المعتصم في السيطرة على قطاع الأمن وكتيبته إحدى أشهر وأشرس كتائب أولاد القذافي.

ويسيطر سيف على مؤسسات الإسكان وميزانيتها بالمليارات سنوياً ولا يجد الليبيون المحتاجون منازل كافية ليسكنوها.

عائشة والمحاماة وكاتب فلسطيني

أرسل وزير العدل الليبي إلى نقيب المحامين عبد الحفيظ عبد القادر غوقة يطلب إليه تسجيل عائشة معمر القذافي في نقابة المحامين الليبيين. فكتب غوقة إلى الوزير أن على عائشة أن تتدرب لمدة سنتين في مكتب محامٍ لكي يمكن تسجيلها، فاتصل به الوزير: ألا تريد أيضاً شهادة حسن سلوك حتى تسجلها؟

كاتب فلسطيني كتب يقول عن استعداده لعقد قرانه على عائشة القذافي متحدثاً عن جمالها وحسنها وقدرتها على إسعاده في كل الحالات، فعمدت استخبارات ليبيا إلى ملاحقته حتى استطاعت اعتقاله ثم عمدت إلى قطع يده.

وهكذا يتشارك الأشقاء ويتقاسمون ويتنازعون وينهبون مال الشعب الليبي بقرارات ثورية عن والدهم، لينشئوا دولهم داخل جماهيرية أبيهم، وهي إقطاعية ضخمة الموارد والمساحة والأهمية، فلا غرو أن يكونوا مستعدين بعدها لإفناء 6 ملايين ليبي من أجل أن يعيش الأشقاء الستة دون الفتاة الوحيدة والأخ غير الشقيق.

غير أن هذا لا يمنع أن يظهر معمر خوفاً مشهوداً على حياة أبنائه فيعمد إلى تدبير كل ما من شأنه حمايتهم من غضب أبناء ليبيا عليهم، مثلما اعتمد بعد تحدي الجماعات الإسلامية سابقاً لنظامه. ووصلته أصوات المعذبين منهم الذين نطقوا بالتهديد قبل إسلام الروح تحت التعذيب... بالانتقام منه بأبنائه.

ماذا فعل معمر لحماية أولاده؟

1- حصّن أولاده بالكتائب التي شكلها لتكون تحت قيادتهم، يسكنون في معسكراتها، ويخضع عناصرها لاختبارات صعبة لتوكيد الولاء والاستعداد للموت من أجل قائد الكتيبة.

2- أعطى الكتائب كل فرص التطور لتصبح ألوية مدججة بالأسلحة وبعد أن صفّى الجيش المحترف. باتت ليبيا كلها في عهدة هذه الكتائب القوية لإرهاب جموع الشعب الليبي، وكل من تسوّل له نفسه التنفس بغير العقيد وأجهزته.

3- افتعل القذافي مشاكل مختلفة مع أولاده، ودبر لكل منهم وسيلة تكون في عنقه ليظهر تميزاً عن والده حتى لا يعاقب الأبناء بجريرة الأب.

فالمعتصم أظهر غضباً على والده... وصل إلى حد التمرد وسرب القذافي أن ابنه يختلف مع والده في سياسة المحلية والعربية والدولية... وليس في هذا أي جانب من الصحة.

والساعدي أطلق لحيته وبات يتردد إلى المساجد، وفي أحد اجتماعات اللجان، وعندما وقفت فتاة ليبية لتتحدث نهرها وأمرها بالسكوت لأن صوت الفتاة عورة ولا يريد أن يسمع صوتها، فضجّت القاعة بالتصفيق واحمرّت وجوه عشرات الفتيات المشاركات، وأوصلت الأجهزة هذه الواقعة إلى البيئات الدينية ترويجاً للساعدي وتديّنه.

وأرسل العقيد ابنه هنيبعل إلى الأردن ليدخل كلية الأركان الأردنية ويخرج منها برتبة عقيد ليشاع في ليبيا أن هنيبعل حصل على هذه بجدارة عالية من الجيش الأردني الذي يتمتع في ليبيا وخارجها بسمعة جيدة لكفاءته وجديته.

أما خميس فهو الولد الذي يريده معمر أن يحترف العمل العسكري جدياً كي يمسك في المستقبل جيش البلاد الرسمي حين يعاد تأسيسه.

غير أن كل هذا كان قبل ثورة الشعب الليبي العظيم.

هنيبعل

كان اعتقال ابن القذافي هنيبعل وزوجه ماريان لسلوكهما في سويسرا ضد خادميهما، مفجراً لأزمة دفعها العقيد إلى أعلى درجات الإضحاك والسخرية حين قطع العلاقات مع سويسرا، ثم طالب بتقسيمها إلى ثلاثة أقسام يلحق كل قسم بالدول المجاورة وفق اللغات المشتركة، فيلحق السويسريون الناطقون بالفرنسية بفرنسا، والناطقون بالألمانية بألمانيا والناطقون بالإيطالية بإيطاليا... وبالتالي إلغاء دولة سويسرا من الوجود وإسقاط عضويتها من الأمم المتحدة.

ثم تتابعت إجراءات ودعوات العقيد المضحكة:

1- فقد أعلن الجهاد ضد سويسرا أي أنه هو ولي أمر المسلمين أو خليفتهم أو إمامهم وسويسرا هي بلاد الكفر التي يجب قتالها.

2- سحب الأرصدة المالية من سويسرا وقدرت بـ 7 مليارات دولار.

3- اعتقل اثنان من السويسريين العاملين في ليبيا أحدهما من أصل عربي.

ومع هذا فإن رئيس الاتحاد السويسري زار ليبيا معتذراً عن سلوك السلطات السويسرية، حتى إذا نشرت صحيفة سويسرية بمناسبة الاعتذار الرسمي، صورتين لهنيبعل كمعتقل إحداهما مباشرة والأخرى جانبية كما هي عادة تصوير المعتقلين لدى الأمن ولديه رقم كسجين. جنّ جنون القذافي فجاءت قراراته المضحكة السابقة، ليضيف إليها طلب رد مبلغ التعويض الذي دفعته ليبيا للخادمين المعتدى عليهما وقدره 600 ألف يورو وقبل انه رقم الكفالة مع تعويض هنيبعل وزوجه لإبقائهما لمدة 48 ساعة بتهمة الاعتداء قبل إسقاط الدعوى القضائية ضدهما.

من تداعيات هذه القضية الساخرة، أن مندوب ليبيا لدى الأمم المتحدة جاد الله عزوز الطلحي (كان وزير خارجية ورئيس وزراء سابق) رفض إعلان الخطة التي اقترحها القذافي بتقسيم سويسرا بين البلدان المحيطة وطردها وإسقاط عضويتها من الأمم المتحدة مما دفع العقيد لإبعاده واستدعائه إلى ليبيا ليعين مكانه عبد الرحمان شلقم الذي انضم إلى ثورة 17 فبراير بعد أيام من اندلاعها ضد الطاغية نفسه.

الفصل السابع

مصر عقدة القذافي

- محاولة قتل السادات
- إركاع السادات
- القذافي في سيارة أجرة في القاهرة
- شهادة من عبد القادر غوقة (سفير ليبيا في مصر في عهد السادات)
- من جرائم معمر ضد معارضيه في مصر
- منية وتربيح جميل
- موقفه في حرب أكتوبر
- فضيحة الفضائح لم تتم
- كيف كان السادات يرد على معمر
- طائرات الميراج الليبية
- شهادة مصطفى طلاس
- انعدام الثقة بالقذافي
- تشاد بين السادات وابن عم معمر
- قرار القذافي بقتل السادات
- السادات لم يفكر بقتل القذافي
- محاولة توريط الهوني.. أو قتله
- السادات يرفض استقبال معمر

مصر عقدة القذافي

إنها دولة عظمى بلا زعيم وهو زعيم بلا دولة!

كان معمر القذافي يظن نفسه كبيراً على ليبيا، وأن مصر كبيرة على أنور السادات (1970-1981) وخلال هذه الفترة كان يوعز لمن حوله بأن يروجوا بأن مصر دولة عظيمة بلا زعيم، وأن معمر القذافي قائد عظيم بلا دولة ترويجاً لمشروع سيطرته على مصر، لذا تراوحت العلاقة بين مصر وليبيا خلال عهدي السادات والقذافي بين منتهى الود حتى طلب الوحدة الفورية، وبين منتهى العداء حتى محاولات القتل والانقلاب والقتال.

في لحظات الود رتب معمر القذافي المسيرة الوحدوية لعبور الجماهير الليبية من بلدها إلى الحدود المصرية ليقودها هو بنفسه طلباً للوحدة مع مصر، وقد جنَّ جنون أنور السادات، الذي كان يعتبر أن القذافي نفسه رجل مجنون. وقد قال هذا الكلام علناً حتى باتت كلمة مجنون ليبيا متداولة في الإعلام الرسمي المصري (لم يكن هناك غيره حتى سنة 1976) كصفة ملازمة لمعمر القذافي، وحين كان الصفاء يسود بينهما كان المصطلح المتداول عن القذافي الأخ قائد الثورة الليبية.

محاولة قتل السادات

وفي لحظات الغضب، اكتشفت السلطات المصرية محاولة لاغتيال أنور السادات أثناء توجهه بالقطار خارج القاهرة، وقيل إن رئيس وزراء العدو الصهيوني مناحيم بيغن يومها أرسل إلى السادات يبلغه بتفاصيل الخطة التي أعدّها القذافي لقتله وقد ألقت السلطات المصرية القبض على عدد من المصريين والفلسطينيين الذين كلفوا بمهمة قتل السادات.

كان من نتيجة كشف هذه المؤامرة أن أمر السادات بالهجوم العسكري على ليبيا، حيث نشأت بين البلدين حرب شرسة لم تستمر طويلاً في صيف 1977 قصف فيها الطيران المصري من ضمن ما قصف في ليبيا قاعدة جمال عبد الناصر في طبرق على الحدود المصرية - الليبية.

وقيل كثيراً وقتها إن مساعدة بيغين للسادات على كشف هذه المؤامرة القذافية كانت أحد الدوافع لزيارته الكيان الصهيوني يوم 19/ 11/ 1977.

إركاع السادات

وفي إحدى مراحل الود زار أنور السادات ليبيا ولم يجد القذافي في استقباله في المطار، فقيل له إنه مريض جداً وهو يرقد في الخيمة الخاصة به لا يستطيع الحراك، وهو ينتظرك فيها، فتوجّه السادات بكل طيب خاطر نحو زميله المريض، ووصل إلى خيمة القذافي ولم يكن ممكناً رفع ستار الخيمة المثبتة بالأرض فاضطر إلى الانحناء الشديد ليدخلها، وما أن فعل ذلك وأصبح داخل الخيمة وهو راكع حتى أشعت آلات التصوير المرئية والصحفية بنورها لتلتقط صورة له وهو راكع والقذافي ناهضاً من فراشه ليستقبله.

كان الذل الأكبر حينما نشرت صحف ليبيا (الزحف الأخضر، الجماهيرية، الفاتح) صور السادات راكعاً، وبثّت المرئية الليبية الصور حية والقذافي يرفعه عن الأرض ليعانقه، دون أن تنقل صوت السادات وهو يقول «الله يا معمر أنت بقيت كويس طيب عال... تعال بقى نروح البيت ونتكلم».

القذافي في سيارة أجرة في القاهرة

كثيراً ما كان القذافي يحضر إلى القاهرة دون إبلاغ السلطات الرسمية فكان يعبر الحدود في سيارة مدنية ويتوجه إلى القاهرة (وفي مرات أخرى إلى الإسكندرية) ليقابل الناس ويتحدث معهم، في محاولة منه لإظهار وده نحو المصريين ليكسب ودهم بهذه الاستعراضات التي تجعل المصريين يضحكون ويعجبون لهذه السلوكيات الغريبة.

في إحدى زياراته المفاجئة، ركب القذافي سيارة أجرة وسار بها في شوارع القاهرة وسط دهشة السائق وعدم تصديقه، خاصة وهو يطلب منه أن يقف أمام أحد المارة، ليخاطبه ويطلب منه أن يصعد معه ليوصله مقصده، فقد كان المار ابن أحد الأدباء المعروفين في مصر وهو يوسف السباعي.

كان الاستعراض إحدى صفات معمر القذافي.

شهادة من عبد القادر غوقة (سفير ليبيا في مصر في عهد السادات)

في حوار أجرته الزميلة ماجدة صبرا في «الشراع» مع سفير ليبيا في القاهرة في عهد

السادات عبد القادر غوقة، قال السفير رداً على أسئلة صبرا:

■ ماذا كان يحدث عندما كان القذافي يزور مصر دون إبلاغ السلطات المصرية؟

- حصل هذا الأمر أكثر من مرة، وكان هذا التصرف يُحدث إرباكاً عند المراسم في مصر، وكما نعلم فإن مصر دولة قد يكون فيها أقدم إدارة في العالم، وبالتالي هم تقليديون في الاستقبال. لكن هذه التصرفات كانت مقبولة عند الناس وكانوا معجبين بها وهذه كانت غاية القذافي، لأن غايته أن ينال الشعبية لدى الناس، وكان أحياناً يركب سيارة عادية بمفرده ويزوغ من المراسم كي يتحدث عنه الناس. كانت مثل هذه الحركات تترك أثراً إيجابياً لدى الناس الذين كانوا يتناقلونها بكثير من الإعجاب، وكانت هذه الوقائع ترضي النزعة الاستعراضية في نفسه. وكانت خطته أن يُقال عنه إنه إنسان شعبي ويحب الناس، ويختلط بهم، وحتى في ليبيا كان يتجول في الأسواق لوحده ويقود سيارته بمفرده، هذه الأمور كانت تحدث في أول خمس سنوات من الثورة، ومن بعدها تألّه، فهو لا يعتقد أنه إنسان عادي، هذه مشكلته مع الشعب الليبي، لذلك هو لا يقبل أن يثور عليه أو يحاربه لأنه يعتبر نفسه أنه إنسان غير عادي وللأسف هذه إحدى سماته.

■ هل كانت علاقتهما مضطربة حتى تصرف معه بمثل هذه الطريقة؟

- طوال الوقت كان السادات حذراً جداً في تعامله مع القذافي، كان السادات يعتقد أن معمر القذافي يريد أن يقود مصر، لذلك كان حذراً جداً معه ولا يقبل أي تدخل ليبي في الشأن الداخلي المصري، وحتى أيام مشروع الوحدة كان حذراً أيضاً وقبل السادات بالوحدة لأغراض خاصة، كي يساعده القذافي في تسليح الجيش من طائرات ومساعدات مادية وفعلاً حصل السادات على ما يريد من أمور مادية من القذافي. فالسادات لم يكن هدفه الوحدة بل ماديات القذافي، أما معمر فلم تكن الوحدة هدفه بل أن تكون له علاقة بمصر، لأنها ترفع من شأنه خصوصاً أنها دولة كبيرة وكان يريد أن ينتشر في كل العالم عن طريق مصر، أي أن تكون مصر ممراً للقذافي إلى العالم. وهو لم يكن يفكر بالوحدة إلا إذا كان هو رئيسها.

■ ماذا عن المؤامرات الليبية ضد السادات؟

- لا أستبعد أبداً أن تكون هناك مؤامرات ليبية ضد السادات، قيل الكثير، وأعلنت الاستخبارات المصرية مراراً وتكراراً، ونشرت وثائق تدين القذافي، بأنه يتآمر على مصر من قنابل زرعت في أماكن متعددة في مجمع التحرير والقطارات.

لكن الفضيحة كانت في عهد الرئيس السابق حسني مبارك عند محاولة اغتيال رئيس وزراء ليبي سابق.

من جرائم القذافي ضد معارضيه في مصر

رئيس وزراء ليبيا في العهد الملكي عبد الحميد البكّوش... والذي كان يقيم في القاهرة، فقد كشفت الاستخبارات المصرية خطة الاغتيال هذه، والعناصر المكلفة بها، وأرادت أن تحدث فضيحة لنظام القذافي. فنجحت في اختراق المجموعة التي أرسلها العقيد لقتل البكوش، ووضعت رصاصات فِشنك مكان الرصاص الأصلي القاتل، واتفقت مع الرجل على تمثيل دور الرجل الذي يتم اغتياله.

وعندما اقتحم المسلحون الليبيون فيلا البكوش وواجهوه بإطلاق الرصاص ارتمى أرضاً مدّعياً الموت، وهرب المسلحون بتسهيل من المصريين، ثم التقط الأمن المصري صوراً للبكوش وهو مضرّج بدمائه المصطنعة، ونشروا الصور في الصحف المصرية.

اطمأن القذافي إلى خلاصه من أحد خصومه المفترضين وخرج نفر من جماعته في أحد المؤتمرات الشعبية، ليعلنوا تخلصهم من أحد أعداء الثورة والقائد وهو عبد الحميد بكوش.

هنا كشفت الاستخبارات المصرية أمر هذه المحاولة ليتم فضح نظام القذافي الإرهابي ضد معارضيه في الداخل وفي الخارج.

منية وتوبيخ جميل

وعندما كان الدكتور عزيز صدقي رئيساً للوزراء في عهد السادات وقبل حرب أكتوبر/ تشرين الأول 1973 اتفقت مصر وليبيا على تقديم الأخيرة مساعدات بقيمة 1.5 مليار دولار لتحديث القطاع العام المصري وشراء بعض الأسلحة الضرورية لمصر قبل بدء الحرب.

زار القذافي مصر للاتفاق مع عزيز صدقي على كيفية مساعدة مصر. لكن وفي لقاء السادات والقذافي وبينما صدقي وجلود يبحثان تفاصيل المساعدة الليبية سأل القذافي أنور السادات محتجاً، كيف تنشرون موضوعاً عن الشيخ زايد بن سلطان في «الأهرام»،

هذا الرجل يميل للأميركان والإنكليز، كيف تبيعون له «الأهرام» هذا عار عليكم، عيب ما يجوز.

لم يجد السادات وقتاً ليرد على القذافي ويشرح له أن هذا إعلان صحفي، ليس له أي دلالة سياسية، فقد وقف القذافي غاضباً لينادي جلود: تعال يا عبد السلام، فركض عبد السلام على صراخ الرجلين وقد وصل والسادات يقول: اسمع يا معمر إنت ما تشترينيش بشوية الفلوس بتوعك، وإحنا مش عايزين منك حاجة.

ولم تفلح محاولات جلود وصدقي تهدئة الأمور بين الرجلين فانفض اللقاء وضاع الاتفاق وخرج العقيد وجلود ووفدهما مباشرة إلى المطار ليهرب القذافي من التزام بمساعدة مصر، التي عشقها وأحبها حتى الموت والإذلال.

كان القذافي يأتي إلى مصر خفية دون إبلاغ السلطات المصرية، ويجول في شوارع القاهرة أو الإسكندرية ويغادر دون أن يلتقي السادات.

وفي معظم زياراته كان يطلب لقاء المثقفين المصريين ليتكلم معهم ويناقشهم محاولاً إقناعهم بأفكاره، وحين كان يجد صداً منهم، كان يردد علناً أن المثقفين المصريين مجموعة من المتخلفين، لا يحبون العروبة، وميلهم هو فرعوني، بحر متوسطي، كان يجتمع مع مفكرين وأساتذه جامعات في جامعة القاهرة ويطلب طبشوراً ليشرح أفكاره وسط سخرية الحضور.

كان القذافي يسمع السخرية بأذنيه وكان يصمت وهو مصمم على إكمال شرح كتابه الأخضر، أو النظرية العالمية الثالثة.

كانت خارطة أفريقيا في المرئية الليبية تملأ جغرافية مصر بالسواد، وتكتب فوقها كلمة المقهورة بدل القاهرة، في إشارة إلى كراهية وحب إلى عبودية وكرامة، إلى رغبة واشتهاء وإلى بعد هذه كانت نوازع شخصية معمر القذافي تجاه مصر...

إنه الهذيان الذي يريد للحبيب أن يركع له وأن يظل متعلقاً به، وهو كان يرى الصدود والبعد بل والرفض وكثيراً من السخرية والهزء.

كان القذافي يرد على كل موقف مصري مضاد له سواء في عهد السادات أو مبارك بحمل آلاف العاملين المصريين في ليبيا إلى الحدود وتركهم هناك في العراء، دون متاع أو حقوق أو تعويضات، ولا يعود المصريون للعمل في ليبيا إلا بعد اتفاقات جديدة في السياسة مع السلطات المصرية.

موقفه في حرب أكتوبر

وحين اندلعت حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973 بين مصر و(سوريا) والعدو الصهيوني، وعبر الجيش المصري قناة السويس (سوريا حررت الجولان بالكامل واندفعت إلى طبريا قبل بدء الهجوم الصهيوني الغادر بعد 72 ساعة) خطب معمر القذافي من إذاعة «صوت العرب» المصرية محبطاً عزائم المصريين جيشاً وشعباً بأن هذه الحرب مسرحية.

ومع هذا فقد أرسل القذافي آلاف الجنود ومئات الدبابات الليبية و38 طائرة عسكرية شاركتا في الضربة الجوية الأولى وسقط منها عدة طائرات وفتح المجال للدبابات الجزائرية أيضاً لعبور ليبيا لتمر إلى مصر.

فضيحة الفضائح لم تتم

ساءت العلاقة بين مصر السادات وليبيا القذافي، بعد بدء المباحثات في الكلم 101 على الحدود بين مصر وفلسطين بقيادة المشير (الراحل) عبد الغني الجمصي وشنّت ليبيا حملة إعلامية شرسة ضد السادات وأسس القذافي مجموعة مطبوعات في لبنان وقبرص لمواجهة السادات والترويج للقذافي (بعضها أقفل وبعضها ما زال مستمراً بخط مختلف تماماً).

وعندما زار وزير خارجية أميركا هنري كيسنجر أسوان شتاء 1974 لترتيب اتفاقية فصل القوات الأولى بين مصر وإسرائيل هددت ليبيا بتقديم محضر الحوار بين كيسنجر والسادات الذي بدأ يناديه يا عزيزي، وكان السادات أعلن بعد اللقاء أن حرب أكتوبر هي آخر الحروب بين مصر وإسرائيل... إحنا تعبنا وعايزين نبني بلدنا.

لم يسكت أنور السادات عن تهديد القذافي بكشف محضر اجتماع الرئيس المصري مع المسؤول الأميركي فأعلنت السلطات المصرية عن كشف شبكة دعارة مصرية تقودها الممثلة الراحلة ميمي شكيب، تضم عدداً من الممثلات المصريات وأن زبائنها من الشخصيات العربية والليبية الكبيرة والمعروفة.

خاف القذافي من الفضيحة، فلم ينشر المحضر بعد أن أرسل للسادات أنه عاقب مدير الوكالة الليبية للأنباء (أوج) بسبب هذا التسريب، وأقفلت قضية ميمي شكيب نتيجة لذلك.

كيف كان السادات يرد على معمر؟

يقول الرائد عبد المنعم الهوني الذي لجأ إلى مصر بعد أن اتهمه القذافي بالاشتراك في محاولة الرائد عمر المحيشي التخلص من العقيد الليبي:

كان الرئيس أنور السادات حريصاً على إحداث بلبلة في صفوف جماعة القذافي، ليبتزه ويحاول أن يوقف حملته الإعلامية ضده وضد المصريين.

استدعاني للقائه ذات يوم وسألني:

هناك سفيران ليبيان يريدان الانشقاق عن القذافي والمجيء إلى مصر لطلب اللجوء السياسي، فما هو رأيك؟

قلت له: سيادة الرئيس أرجو أن يبقيا في موقعيهما وأن يتم ربطهما بي لتنسيق العمل ضد القذافي.

رد قائلاً: أنا عايز أعمل عملية سياسية تهزّ معمر، كلم جماعتك الضباط، اثنين ثلاثة علشان ييجوا مصر ويطلبوا اللجوء السياسي، أو هات لي طيارين.

فقلت له: إذا كان لدينا ضباط أو طيارون فالأفضل أن يبقوا هناك. لأنهم سيكونون أكثر فائدة لنا في أي تحرك داخلي ضد العقيد.

يتابع الهوني كلامه معنا فيقول:

خطر ببالي وأنا في مقابلة السادات عديلي الطيار الأول في طائرة القذافي نجم الدين اليازجي، الذي كان يشكو لي دائماً من الوضع السيئ في ليبيا، وكراهيته للعمل مع العقيد لما يعرفه من موبقات وممارسات وقمع ووحشية ضد أبناء الشعب الليبي والمعارضين وكل أصحاب رأي أو كرامة أو أفكار لا تعجب العقيد ولا تطبّل وتزمّر له.

كان عديلي يريد أن يترك القذافي وأن يسافر إلى ألمانيا حيث كان درس وتخرج من إحدى كليات الطيران العسكرية، كي يدخل كلية طيران مدني ويعمل دورة متخصصة ليقود طائرة مدنية، وبعد أن ينتهي من دراسته يتقدم للعمل في إحدى شركات الطيران المدنية الأجنبية ويعيش خارجاً.

خطر ببالي أن أعرض على عديلي نجم الدين اليازجي أن يأتي إلى مصر ليطلب اللجوء السياسي ليتخلص من قهر القذافي، ثم تراجعت عن فكرتي ونصحته أن يتحدث عن أوضاعه واعتراضاته مع الرائد عبد السلام جلود، وكان هو الرجل الثاني في ليبيا،

فضلاً عن أن جلود هو الرجل الوحيد الذي كان يحق له استخدام طائرة العقيد في غيابه.

تحدث اليازجي مع جلود... وبعدها اختفى عديلي (راجع قصة اليازجي في إطار قسم خاص عن قتل معمر القذافي للإمام موسى الصدر في 31/ 8/ 1978).

طائرات الميراج الليبية

ونختتم هذا الجزء عن علاقات السادات والقذافي بالحديث عن طلب العقيد الليبي من الرئيس المصري استرجاع 38 طائرة ميراج كانت ليبيا أرسلتها إلى مصر قبل وخلال وبعد حرب أكتوبر/ تشرين الأول 1973، وكانت تربض في قاعدة المنصورة المصرية، وبعضها في منطقة طنطا مع طائرات مصرية وكان طيارون ليبيون إلى جانب زملائهم المصريين يطيرون بهذه الطائرات.

لم يستجب أنور السادات أول الأمر لطلب القذافي بإعادة الطائرات الليبية، لأنه كان يعتقد باحتمال عودة الحرب مع إسرائيل سريعاً، مما يجعله محتاجاً لوجود هذه الطائرات المهمة في أي معركة مقبلة.

وفي الوقت نفسه فقد كشف أقدم سجين سياسي في مصر نبيل مغربي (اعتقل في 25/ 9/ 1981) في مقابلة مع جريدة الشروق (الأربعاء 22/ 6/ 2011، العدد 872) أنه كان عاملاً في أحد الأجهزة السيادية المصرية (استخبارات الرئاسة) في عهد أنور السادات، وأنه بدأ يكره السادات بسبب إجراءاته غير الطبيعية ومنها أن السادات ألحّ بطلب 6 طائرات مصرية يتدرّب عليها طيارون سوريون في بلادهم.

كلام المغربي يعزز منطق السادات بأنه يريد الاحتفاظ بطائرات كافية في مصر لاحتمال عودة الحرب مع إسرائيل وهذا ما جعله يرفض إعادة طائرات الميراج إلى ليبيا، يقول الرائد عبد المنعم الهوني إنه سأل الرئيس السادات، هل احتمالات الحرب فعلًا قائمة مع إسرائيل بعد حرب أكتوبر، فردّ عليه بالقول: نعم وبنسبة 99٪.

لم يكن السادات ليردّ على طلب العقيد، لكنه أُحرج عندما وسّط معمر القذافي رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة الراحل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ليحل المشكلة مع السادات.

لم يكن الرئيس المصري ليرفض طلباً لرئيس دولة الإمارات، خاصة وأن الشيخ زايد عرض لحل المشكلة وأثناء الوساطة أن يرسل إلى مصر طائرات ميراج فرنسية

اشترتها دولة الإمارات حديثاً وهي تجهز لإرسالها إلى دولته.

وقع السادات في حرج شديد، فهو لا يريد أن يغضب الشيخ زايد، وفي الوقت نفسه لا يريد أن يخسر وجود هذا العدد الكبير من الطائرات المتطورة، خاصة وأن الطائرات التي عرض الشيخ زايد إرسالها ستأخذ وقتاً طويلاً لتسلمها من فرنسا ومنها إلى مصر.

يشرح السادات للهوني أن مصر خسرت 3 طائرات ميراج في الطلعة الأولى أثناء حرب أكتوبر يوم العاشر من رمضان وكان طياروها مصريين، وكان الطيارون الليبيون يقودون يومها طائرات اعتراضية فوق الأراضي المصرية غرب القناة... وفي اليوم الثاني للمعركة سقطت طائرة ميراج رابعة، واضطرت طائرة ليبية للهبوط إما نتيجة الإصابة أو نتيجة عطل طارئ.

بعد جدل قصير ورضوخاً لوساطة الشيخ زايد أعاد أنور السادات 22 طائرة إلى ليبيا، وما تبقى منها قال أنها الآن في الصيانة وفي إعادة التصليح بسبب الإصابة.

نجحت وساطة الشيخ زايد بين السادات والقذافي، وأثناء استكمال إعادة الطائرات زار أنور السادات القدس، وقال بعدها السادات للعقيد تعالَ وخذ طائراتك... فلم يعد لها لزوم عندي.

شهادة مصطفى طلاس

ورد في مذكرات [مرآة حياتي]، لوزير الدفاع السوري السابق العماد أول مصطفى طلاس، فقرة عن اجتماع ثلاثي بين الرؤساء حافظ الأسد وأنور السادات والعقيد معمر القذافي، قبيل حرب أكتوبر/ تشرين الأول جاء فيها:

في أوائل حزيران/ يونيو من العام 1973 توجهت بصحبة الرئيس الأسد إلى القاهرة لحضور اجتماع قمة قادة الاتحاد الثلاثي سورية ومصر وليبيا، وطُلِبَ إليّ أن أصطحب مجموعة متنوعة من الضباط لتدقيق الأفكار الرئيسية في موضوع التعاون العسكري بين الجبهتين الشرقية والغربية، واخترت اللواء عوّاد باغ المسؤول عن العمليات والعميد عدنان الجابي من سلاح الطيران والعقيد فضل حسين من سلاح البحرية والعقيد صلاح الدين الأشرم مدير إدارة الحرب الإلكترونية.

بعد أن وصلنا القاهرة توجه الضباط إلى وزارة الدفاع المصرية للاجتماع مع زملائهم، وتوجهنا بمعية الرئيس الأسد إلى قصر [القبة] حيث مكان انعقاد القمة، وقد

شارك في هذا المؤتمر الرفيق أحمد الخطيب رئيس مجلس الوزراء الاتحادي، والرفيق عبد الحليم خدام وزير الخارجية، ومن مصر المشير أحمد إسماعيل علي وزير الدفاع، والأستاذ محمود رياض وزير الخارجية، ومن ليبيا الرئيس معمر القذافي، وعبد السلام جلود رئيس الوزراء، واللواء أبو بكر يونس قائد القوات المسلحة الليبية، طلب الرئيس أنور السادات من المشير إسماعيل في بداية الجلسة أن يشرح الموقف العسكري على الجبهة الغربية، كما استأذن الرئيس الأسد أن أقوم بشرح الموقف العسكري على الجبهة الشرقية، وبعد أن قُمنا بما طُلِبَ منا بدأ الرئيس السادات كلمته وشرح الموقف السياسي العربي والدولي، وركّز على ضرورة دعم الجبهتين المصرية والسورية بمنظومة دفاع جوي متطورة حتى تستطيع أن تحدّ من تفوق الطيران الإسرائيلي، بعد ذلك طلب الرئيس القذافي الكلام، وبدأ يحاضر علينا كأننا في مرحلة الدراسة الثانوية وهو في مقام [هيجل أو كارل ماركس]، كان يتكلم من أرنبة أنفه وهو يتصنع الحكمة والمعرفة والوقار، زبدة خطابه كانت [أننا إذا كنا غير قادرين على محاربة إسرائيل الآن فلنؤجل المعركة عشر سنوات، نقوم خلالها ببناء اقتصادنا الوطني وتنمية مواردنا الصناعية والزراعية والتجارية، وبهذا العمل تتوافر لدينا العملة الصعبة ونستطيع أن نشتري ما نحتاجه من سلاح وعتاد سواء من روسيا أو من غيرها!!] كان الرئيس الأسد يستمع إلى كلمة القذافي وقلبه يتمزق من الأسى - ونحن معه بطبيعة الحال - فطلب الكلام من رئيس الجلسة أنور السادات، فقال السادات: إذا كان من الممكن تأجيلها إلى جلسة المساء، لأن الساعة قد قاربت الثانية ظهراً فأصرّ الرئيس الأسد على الكلام في الجلسة الصباحية، فقال له السادات تفضل، كان الرئيس الأسد يتمتع بهدوء أعصاب قل نظيره كما نعلم نحن عنه في الداخل وما عُرِفَ عنه في الخارج، ولكن كلام القذافي أخرجه من جلده وطباعه ورأى المستمعون في الجلسة كيف تكون الغضبة المضرية التي قال عنها بشار بن برد:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية   هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

ورأينا الرئيس الأسد يقول للقذافي ما خلاصته: [نحن لن نسمح لأحد على وجه الأرض أن يُنظّر علينا وأن يعطينا دروساً في التاريخ، والقومية العربية، والوطنية، ولا نسمح لأحد أن يزاود علينا في أمر يخصنا].

ورفعت الجلسة إلى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي، واعتذر القذافي إذا كنا قد فسرنا كلامه أنه تخلٍّ عن المعركة، وقال إنه جاهز لدعم أي موضوع تتفق عليه سورية ومصر، وانتهى الاجتماع في الساعة الثانية دون الوصول إلى أي نتيجة ملموسة، وزاد هذا الاجتماع من قناعتنا أن سورية ومصر يجب أن تخوضا معركة التحرير بالاعتماد على الذات وأي مساعدة تأتينا من إخواننا العرب تكون إضافة إلى مجهودنا الحربي.

انعدام الثقة بالقذافي

خلال حرب أكتوبر 73 ذهب العقيد القذافي إلى القاهرة ليستفسر عن ثغرة الدفرسوار التي اخترق فيها أرييل شارون النقطة المفصلة بين تموضع الجيشين الثاني والثالث المصريين غرب قناة السويس التي قال الرئيس السادات عنها «إنها ولا حاجة»... وقد أمر السادات بمنع القذافي من الدخول إلى مركز القيادة المصري بأمر منه وفي اليوم التالي قرأ القذافي خبراً صغيراً في الصفحة الأولى بجريدة «الأهرام» المصرية يقول: «زار العقيد معمر القذافي شقيقه الرئيس المؤمن محمد أنور السادات واطلع منه على سلامة الجبهة العسكرية ومتانة وضع قواتنا المحاربة وقد غادر القاهرة عائداً إلى بلاده» وفهم القذافي بأن زيارته غير مرغوب فيها... وعاد إلى بلاده فعلاً.

تشاد بين السادات وابن عم معمر

استقبل الرئيس أنور السادات ابن عم العقيد معمر القذافي، منسق العلاقات الليبية - المصرية أحمد قذاف الدم ليسأله عن الدور الليبي في تشاد.

(وقد أوردنا حيزاً كبيراً عن هذا الدور).

كان السادات يتحدث بحرص شديد على ليبيا من التورط في موضوع تشاد، محذراً من أن يتحول الوجود العسكري الليبي في تشاد إلى حرب استنزاف مثلما حصل مع الوجود العسكري المصري في اليمن، مذكراً المسؤول الليبي، بأن السادات كان صاحب المبادرة الأولى في تعزيز الوجود العسكري المصري في اليمن بعد ثورة 26/ 9/ 1962.

جاء رد أحمد قذاف الدم سافراً يعبر عن قلة أدب في التعامل مع الرؤساء.. إذ ردَّ على السادات بتعالٍ:

سيادة الرئيس: تشاد هي الحديقة الخلفية لليبيا.. مثلما هي السودان الحديقة الخلفية

لمصر، وليبيا لا تتدخل في علاقة مصر بالسودان (يعني يجب ألاّ تتدخل مصر في شؤون تشاد).

جاء رد السادات عنيفاً على قذاف الدم.. بعد أن لمس تعاليه وتهديده.. فقال له: تأدب يا أحمد.. أنت لازم تتعلم إزاي تتعامل مع رؤساء الدول، ومع رئيس مصر.

روى السادات هذه الواقعة للرائد الهوني وقال له أنه طرد قذاف الدم بشكل دبلوماسي.

قرار القذافي بقتل السادات

ولا تتوقف علاقات السادات مع القذافي عند هذا الحد حيث يروي السياسي الليبي الوطني العروبي عبد المنعم الهوني.. جانباً مهماً من جوانب هذه العلاقة فيقول إن معمر القذافي قرر التخلص من السادات قتلاً، اغتيالاً، تفجيراً.. وأمر أجهزته الأمنية بالبحث عن أي معارض مصري مستعد للقتال ضد السادات لدعمه بأي مبلغ يريده، وأن من يقدم خطة لاغتيال السادات يتم تبنيه وتزويده بما يريد من مال ومعدات ورجال.

تهافت الأمن الليبي لتجنيد من يبدي استعداداً لهذا الأمر، مع أولوية دائماً للمصريين سواء في ليبيا أو داخل مصر أو في أي مكان في العالم.

توفرت للاستخبارات المصرية هذه المعلومات، فوجدتها فرصة لاستنزاف استخبارات العقيد بسذاجة اندفاعها، واخترقت هذه الاستخبارات بإرسال من هبّ ودبّ محملين بخطط متعددة، مختلفة، متنوعة لقتل السادات، وكان كل من يقابل الاستخبارات الليبية من المصريين أو العرب حاملاً خطة لقتل السادات، يحصل على أموال وفيرة للصرف على خطته.. وكانت كل هذه الأموال تحول إلى الاستخبارات المصرية.

أرسلت الاستخبارات المصرية ضباطاً سابقين، وطيارين كانوا يلتقون المسؤولين الأمنيين الليبيين في الخارج، في روما، في باريس، في لندن، في مالطة، وفي تونس.. في بيروت وكل منهم يقدم خطة ما «تخرّش المية».... وكانت ليبيا تدفع والمال الليبي تستخدمه استخبارات مصر لتصرف على مؤسساتها وأجهزتها وأعمالها بالعملة الصعبة.

جنّدت الاستخبارات الليبية الطيار الخاص للسادات، وقد دفعته مصر إلى ليبيا لخداع مسؤوليها بالأمر، فهو يملك أسرع الخطط للتخلص من السادات، من خلال قصف منزل السادات في الجيزة، شارع النيل قرب السفارة الروسية.

أرسلت استخبارات مصر جماعات قالت أنها إسلامية إلى ليبيا وهي على عداء تاريخي استراتيجي مع السادات وقدمت خططاً لقتله فتلقت المال من ليبيا وتقاسمته مع السلطات المصرية واختفى رجالها وعادوا إلى حياتهم الطبيعية دون أن يكتشف الليبيون حقيقتهم.

وبلغ التهور الليبي للتخلص من السادات حد تجنيد أخيه عصمت الذي كان على خلاف معه، فاستقبلوه في ليبيا وقدموا له المال للعمل ضد أخيه... وطبعاً لم تنجح أي من هذه المحاولات، حتى قتلت السادات الجماعات التي عمل هو على إخراجها من السجون عام 1971، وموّلها وسلحها ووجهها لتقاتل ثورة ورجال جمال عبد الناصر بعد أن نجح في الانقلاب عليهم في 13/ 5/ 1971.

السادات لم يفكر بقتل القذافي

لم يفكر السادات في أي لحظة بالتخلص من العقيد، وكان يردد أن ألد أعداء معمر القذافي هو معمر القذافي نفسه.

عندما لجأ عمر المحيشي إلى مصر بعد فشل محاولته ضد معمر عام1975، وهرب إلى تونس ثم جاء إلى القاهرة، كان يقدم برنامجاً ضد معمر من إذاعة «صوت العرب»، وعندما تدخل الشيخ زايد عام 1977 لتهدئة الأمور بين ليبيا ومصر (حرب جوية وبرية في صيف هذا العام) طلب السادات من عمر إيقاف برنامجه، فثار الأخير وراح ينتقد السادات، فأرسل الرئيس إلى عمر أن يهدئ من ثورته، وتحدث إلى الهوني ليوقف ثورة عمر، قائلاً: قل لعمر أن القذافي مش حيلتزم وما يقدرش يلتزم، وأن معمر لا يحتاج إلى عمر كي يسقط... فهو عدو نفسه وسلوكه الشخصي هو الذي يؤذيه وليست بيانات عمر، ولا تحرك مصر أو غيرها ضده.

محاولة توريط الهوني... أو قتله

عندما كان الرائد عبد المنعم الهوني وزيراً لخارجية ليبيا عيّن أحد الدبلوماسيين من أقاربه سفيراً في بغداد، ثم جرى نقله للقاهرة في ظروف مريبة وبعد فشل محاولة المحيشي ولجوء الهوني إلى مصر استدعى الأمن الليبي قريب الهوني إلى طرابلس سراً واستقبل في مطار طرابلس الغرب ونقل إلى مقر الاستخبارات واحتُجز لمدة 48 ساعة

(وأهله يظنون أنه في القاهرة)، وأبلغته أنها ستكلفه بمهمة بسيطة هي نقل منشورات بكميات ضخمة إلى القاهرة في الحقيبة الدبلوماسية، وأن السلطة لا تريد إيذاءه ولا إيذاء قريبه الهوني.

وصلت المنشورات إلى منزل الدبلوماسي قريب الهوني، وكان وزنها في حقيبة ضخمة نحو 70 كلغ وحذروه بعدم ترك المنزل دون أن يبقي حراسة دائمة فيه وحوله.

كان الهوني يزور صديقه وقريبه في منزله دائماً بما يعني أن المنزل آمن، وكان من عادة عائلتي الرجلين أن تتوجها مساء كل خميس إلى «صحارى سيتي» للسهر فيها وفجأة طلب قريب الهوني نقله إلى طرابلس دون أن يخبره السبب ومن الذي أخذ القرار طرابلس أو هو شخصياً؟

يقول الرائد الهوني أنه لم يعرف قصة المتفجرات في الحقيبة التي قيل إنها تحمل منشورات إلا من أحد رجال الاستخبارات الليبية الذين حملوا هذه المتفجرات إلى بيت قريبه الذي كان يعرف حقيقة محتوى الحقيبة.. ولم يبلغ الهوني عنه رغم أن أحد أهدافها التخلص من الهوني شخصياً.

تردد الهوني في إطلاع السلطات المصرية على هذا الأمر، وهو كان سابقاً أطلع الاستخبارات المصرية على عمليات تهريب أسلحة كانت تتجه من ليبيا إلى مصر، ولم يهتموا للأمر!

والخطورة في الأمر أن هذه المتفجرات سلمت إلى جهات مصرية متعاونة مع ليبيا وقيل إنها استخدمت في تفجير استراحة السادات في مرسى مطروح، وتم تفجير عربات قطارات مصرية في اتجاهات مختلفة، وضبطت متفجرات ضخمة في مجمع التحرير الشهير وسط القاهرة.

كانت تلك دائماً من وقائع الحرب التي شنّها معمر القذافي ضد مصر، حتى طفح الكيل فكانت حرب صيف 1977 بين البلدين، حيث قصفت الطائرات المصرية قاعدة جمال عبد الناصر في طبرق.

السادات يرفض استقبال معمر

يكشف أول سفير مصري في ليبيا بعد الثورة اللواء صلاح السعدني (معلومات منه في مكان آخر من الكتاب) أن أنور السادات كان رفض في 29/ 8/ 1973 استقبال

معمر القذافي الذي حضر دون موعد مسبق. واستقل حافلة شركة مصر للطيران وتوجه بها إلى فندق النيل في منطقة «غاردن سيتي» (الآن بني مكانه فندق Kimpinsky) جاءه بعض المسؤولين المصريين يطلبون منه الانتقال إلى قصر القبة، لكنه رفض ذلك مصمماً على البقاء في الفندق إلى أن يدبر له موعد مع أنور السادات الذي رفض استقباله قائلاً لمرافقي العقيد من الضباط المصريين: أبلغوه أنني في قريتي في ميت أبو الكوم، فقال العقيد هيا إلى ميت أبو الكوم، وقد استقبله السادات في قريته كي يتخلص من بقاء معمر في مصر، بعد أن وقّع اتفاقية جديدة للوحدة على أن يكون الاستفتاء على الوحدة من الشعب يوم 30 أكتوبر/ تشرين الأول 1973، وكان السادات يومها يحضّر لحرب 6 أكتوبر بين مصر وسوريا ضد العدو الصهيوني.

هنا نلتقي بهذه الواقعة مع ذكر ما ورد في مكان آخر من هذا الكتاب بأن السادات وكجزء من خدعة الحرب كان قبِلَ هذه الاتفاقية مع القذافي، لإبعاد الشبهة عن أي استعداد مصري (سوري) للحرب مع إسرائيل ليترك الإسرائيليين في غفلة عنها.

من جهة أخرى فإن رفض استقبال السادات لمعمر في بداية الأمر يحمل معنى أن الرئيس المصري الراحل كان حريصاً على إبعاد القذافي عن أي معلومة يمكن أن يزلق لسانه فيها توحي لمعمر باستعداد مصري لحرب قريبة، لأنه كان لا يثق بمعمر، على الأقل بأن العقيد قد يكشف سر الحرب علناً أو يسربه لأحد، بما يفقد القوات العربية - السورية عنصر المفاجأة الذي كان أحد أسباب نجاح الضربة الأولى للجيشين يوم 6/ 10/ 1973.

الفصل الثامن

مغامرات القذافي النسائية في الداخل وفي الخارج

- سر البادية
- عقاب الشرف
- واقعة في سرت
- فتاة المعهد الموسيقي
- مديرة الوكالة الرسمية للأنباء
- زيارات ليلية
- فضيحة في القبة
- الراهبات الثوريات
- القواد في أوكرانيا لتوريد النساء
- فتاة الورد
- فحص الإيدز
- غراميات خارجية
- 100 فتاة سنغالية
- بربارة سوليفان

مغامرات القذافي النسائية
في الداخل وفي الخارج

تزوج معمر القذافي رسمياً مرتين، الأولى من فتحية نوري خالد، وأنجب منها محمد، والثانية من صفية فركاش وقد أنجب منها سبعة أولاد بينهم فتاة واحدة هي عائشة وأكبرهم سيف الإسلام.

غير أن مغامرات معمر القذافي النسائية لا حصر لها، ولا يمكن معرفتها جميعاً، وإن كان الليبيون وكثير من وسائل الإعلام الأجنبية، يتندرون بوقائع تكشف حالة الشبق الجنسي الغريب لهذا الرجل.

ونحن إذ ننشر بعضاً مما تداوله الإعلام الغربي خاصة سابقاً، بالأسماء الكاملة للنساء والفتيات اللواتي راودهن القذافي عن أنفسهن، فنجح مع البعض ورفض البعض الآخر منهن فإننا نربأ بأنفسنا عن نشر أسماء الفتيات الليبيات اللواتي وقعن ضحايا لشهواته، ونمتنع كذلك عن نشر أسماء الفتيات اللواتي نجون بفضل كرامة وشجاعة آبائهن.

ونبدأ بالإشارة إلى نعيمة الصغير وهي إحدى النساء التي يشير إليها مساعدون للقذافي بأنها إحدى اللواتي كانت توفر له النساء ساعة يحتاج إشباعاً لشهوته.

اللائحة طويلة... لا حدود لها نقتطع منها بعض الوقائع التي يعرف مقربون جداً للقذافي حقائقها مشيرين إلى أحد أساليب التقاط الفتيات، ودور نعيمة في هذه الكمائن.

■ البادية

كان معمر القذافي شغوفاً بالتوجه إلى البادية بل والسكن فيها أسابيع وأشهراً، منصرفاً إلى إدارة شؤون جماهيريته منها.

هل كانت نشأة الرجل القاسية المحرومة في هذه البادية مسيطرة على مخيلته، بعد أن بات يملك المليارات دون حسيب أو رقيب، فأراد العودة إليها.. انتقاماً وتشفياً؟

دعونا من التحليل والتنظير ولندخل إلى الوقائع مباشرة.

يرحل البدوي معمر القذافي إلى مسقط رأسه أو خيم البدو، وبعضهم أشبه بالعرب

الرحّل (الغجر)، مصطحباً معه كل وسائل العصر، الطائرة، السيارات، الخيام الأحدث التي كان يوصي عليها من أحدث المصانع العالمية، والأسرّة وكل نِعَم الحياة والعصر الحديث.

ينصب له الأزلام الخيام، ويستدعي له الأمن أهل البادية التي يقصدها.. يشبع النفس في الهتافات المرحبة، والأهازيج والأناشيد لكأنها تشعل النار في جسده، وهو يتفرس وجوه الفتيات ونعيمة الصغير إلى جانبه تفهم ذوقه فتختار الفتاة المناسبة منهن، وتتولى هي الاتفاق مع أهلها على تزويجها من العقيد.

وحيث إن معمر القذافي بات هو مفتي الجماهيرية الرسمي، بعد أن ألغى دار الإفتاء في ليبيا، فإنه يعقد عليها فتاة بكراً رشيداً.

بعض البدو كان يمنّي النفس بأن يحطّ رحال موكب العقيد في مربعه، فيجد نفسه يعيش ليلة القدر، ليحقق آماله وأحلامه هو وأسرته... وحبذا لو تحمل ابنته من العقيد لينسب الولد إليه، وحتماً دون أن يدرك العقيد أو أي من زبانيته بالأمر، فالمهم عند العقيد أن تكون الفتاة عذراء وهو يريد أن يشبع غروره بأنه ما زال رجلاً.

غير أن كثيراً من رجال البادية خاصة إذا كانوا من أصحاب الكرامة والشرف، وممن يعيشون حياة معقولة لا حاجة فيها لأحد، كانوا وبمجرد إعلامهم بأن طائرة العقيد وسياراته وخيمه وخدمه وحشمه مقبلون، ينأون ببناتهم ونسائهم عن المكان إلى أعماق أعماق البادية كي لا يعلم أحد من رجال العقيد بوجودهم.

عقاب الشرف

في إحدى غزوات العقيد للبادية، اختار فتاة عذراء كانت مخطوبة لأحد شباب الصحراء، ولم يوافق والدها طبعاً على إرسالها للعقيد، فأرسل له نعيمة ومعها عدد من رجال الأمن لاصطحاب الفتاة عنوة إلى خيمته حيث قضى وطره منها، متباهياً منتشياً وبلغ به العهر حد إرسال الخبر لأهلها بما فعل.

قرر والد الفتاة وخطيبها قتل معمر القذافي، لرد الإهانة، وهو كان ينتظرهما بمكيدة، ومعلوماته عنهما تصله لحظة بلحظة، فقد زرع أجهزة تنصت في خيمتهما لتنقل إليه ما يفكران به وهما يخططان لقتله.

جاء الرجلان خفية في ليل بهيم واقتحما خيمة العقيد بسهولة، وتوجها نحو سريره

وانهالا على ما يعتقد أنه جسد العقيد بما يحملانه من سكين وخنجر شحذ نصله، ليفاجأ بالأنوار تبهر بصريهما، ويداهما تحملان السلاح الأبيض، تنحران مخدة مددت مكان جسد القذافي.

كان كل شيء مرتباً، وبالصوت والصورة وبالجرم المشهود، فقد كانت حركات المسكينين مراقبة، من لحظة خروجهما من خيمة الوالد إلى لحظة وصولهما خيمة العقيد، ومحاولة تنفيذ ما خططا له، اقتيد الرجلان في اليوم التالي أمام الملأ الذين استدعوا من كل الخيم ومن المضارب الأخرى ليعترفا بما حاولا فعله... دون أن يتاح لأي منهما أي كلمة.

ثم بدأت رحلة العذاب القصيرة، ولكن المرعبة فقد تم اقتلاع العيون الأربعة، واحدة بعد الأخرى، ثم تمّ جدع الأنف للرجل وخطيب ابنته، وهما يصرخان حتى تمّ قطع الآذان الأربع، وهما يتوجهان نحو الموت حتى أمر القذافي بإطلاق النار عليهما فقتلا، ورميا في مكان بعيد عن المضارب، يمنع الاقتراب من الجثتين اللتين مثّل فيهما رجال العقيد أحياء لا أمواتاً... إلا للحيوانات المفترسة، رافضاً أن يتم دفن الجثتين إلا بعد أن غادر موكب العقيد المكان.

ثم وإرعاباً لكل من تسول له نفسه التعرض للعقيد وزّع القذافي شريط مصوراً عن الجريمة كلها على قطعاته العسكرية في كل أرجاء ليبيا، مرفقاً إياه بتعليق يخوّن الذين حاولوا اغتيال القائد ضمن مؤامرة أميركية - صهيونية، كشفها أمن القائد الأمين... في تنبيه لكل من يفكر يوماً في عمل مشابه.

واقعة في سرت

هذه الواقعة ليست في عمق الصحراء، أو باديتها، بل في سرت مسقط رأسه، وأركان حكمه الإجرامي، فقد اعتدى معمر القذافي على فتاة هي شقيقة اثنين من أقرب المقربين إليه، ثم زوّجها لأحد ضباطه مقابل مبلغ طائل من المال ولم يجرؤ أي منهما على عمل أي شيء، فهو ولي نعمتهما، وقد وفر لهما كل ما يريدانه من مباهج الحياة والثروة والسلطة، حتى كان أحدهما فاجراً في حفلات السكر والعربدة والليالي الحمراء والتي كان يقيمها في أي مكان يحل به... انتقاماً أو تنفيساً من عقد أو حقد أو كبت.

ونحن نعتذر عن نشر اسم الأخوين، لأنهما ليسا المقصودين في هذه الواقعة... وهذا الكتاب.

مثلما نعف عن ذكر اسمي الأخوين، فإننا نعف عن ذكر أسماء عدد من الوزراء الليبيين (أمناء لجان) كان القذافي يمارس الجنس مع نسائهم... وهذا كان أقرب الطرق كي يصل رجالهن إلى الوزارة.

فتاة المعهد الموسيقي

قيل لمعمر القذافي إن هناك حفلاً موسيقياً في إحدى المدارس، وأن فتاة جميلة جداً وصغيرة ستعزف على آلة البيانو، وهي طالبة في المعهد الموسيقي في طرابلس، فأمر القذافي إبلاغ المدرسة بحضوره، وهناك أعجب العقيد بجمال الفتاة ونضارة وجهها، وجمال جسدها، ولم يلتفت لا سمعاً ولا تصفيقاً لعزفها الجميل، بل أبلغ مديرة المدرسة أنه يود الاقتران بالفتاة وعليها إبلاغ أهلها.

فرحت المديرة برغبة العقيد وذهبت إلى والدها لتبلغه بالأمر، فلم يتردد الوالد في الموافقة أمام المديرة، ثم وبعد ذهابها ومن معها، جمع الوالد متاعه وعائلته وأقفل حوشه (داره) ثم غادر إلى حيث لم يعرف عنه أحد أمراً، ثم زوّج ابنته الصغيرة لأحد أقربائه لحماية شرفه وابنته من مصيرها الأسود.

مديرة الوكالة الرسمية للأنباء

شابة ليبية مثقفة جميلة وذات أنوثة صارخة، اسمها زاهية علي في العشرينات من عمرها، تحدث مرافقون للقذافي عن جمالها أمامه، فطلب إحضارها إلى إحدى المناسبات، رآها وأعجب بها، وأراد ضمها إلى محظياته، فعيّنها مديرة لوكالة الأنباء الرسمية، كي يكون حضورها معه في كل مكان وفي أي وقت مسألة طبيعية.

راودها العقيد عن نفسها، فأبت واستنكرت، ولم تكتفِ بالرفض بعد تكرار محاولاته معها، بل إنها تحدثت في الأمر مع زميلات لها، محذرة إياهن من سلوك معمر مما أدى إلى هرب فتاة جميلة أخرى كانت في الوكالة هي عفاف القبلاوي.

قتلت زاهية في حادث سيارة تهشم فيها كل جسم السيارة في رسالة إلى أن هذا مصير كل من يحاول أن يعصي أمراً للعقيد.

زيارات ليلية

كان معمر القذافي يزور ضباطه في بيوتهم وحيداً دون مرافقة ليلاً.... إذا علم أو شاهد زوجاً جميلة جذابة لهذا الضابط.

بعض الضباط كان يترك البيوت للعقيد ليبقى وحيداً مع أزواجه، وبعضه كان يتحسب للأمر، فيعمد إلى إقفال غرف المنزل عندما يزوره القذافي، ويعتذر للعقيد أن زوجه مريضة وتعاني الحمى المعدية.

أحدهم بعد زيارة القذافي لمنزله ليلاً ووحيداً وكان منع زوجه من رؤية معمر عرض إيصال العقيد، بعد انتهاء العشاء... فردّ معمر بعصبية... وهل أنت من أتى بي.

الضابط الذي لا يريد ذكر اسمه، استقال وغادر ليبيا لعمل حر حتى لا يتعرض للأذى من أمن معمر.

ويتندر الليبيون بوقائع حفلات الزفاف التي كان القذافي يأمر بها معلنة زواج ضباط أو مرافقين أو جماعات مؤيدة له من فتيات مررن كمحظيات للعقيد لليلة أو أكثر.. بإرادتهن أو رغماً عنهن.

فضيحة في القبة

في إحدى زياراته لمصر، وإقامته في قصر القبة في عهد الرئيس السابق حسني مبارك، دعا الرجل المتهم بتدبير نساء للعقيد جمعة المعرفي عدداً من أهالي ليبيا المقيمين في أرض الكنانة، لتحية العقيد.

حضر العشرات من الرجال مع نسائهم وأولادهم وبناتهم، وجلسوا لفترة مع العقيد، وهو يجول بنظره بين الحضور، وخبراء العقيد بالنساء يفهمون النظرات، ويطلبون من الرجال المغادرة ونسائهم والأبناء والبنات مع إبقاء بعضهن لأن العقيد يريد أن يحدثهن في شؤون الثورة والدعوة...

وفي مصر أيضاً وأثناء حضور نساء وفتيات مصريات لمعرض ليبي أقيم في القاهرة بدعوة من منظميه الليبيين، تعمدت خبيرة العقيد في النساء مبروكة (يسميها الليبيون بريكة)، أن تبقى بعض الفتيات اللواتي تعتقد أنهن يلبين مزاج العقيد، لحملهن إليه.

منظمو المعرض ومنهم هشام فقيه ومحمد جريشان، يعرفان سلوك مبروكة، فدبرا خطة لتهريب الفتيات اللواتي طلبت منهم القوادة الرئاسية البقاء... فتواطأ مع ضابط

إحدى حراسات العقيد الذي يعرف نذالته، وهربا الفتيات في إحدى الحافلات التي أقلت الحضور وهُربن من المعرض إلى منازلهن، رغم ملاحقة سيارات النجدة للحافلة.

الراهبات الثوريات

نحن لا نجافي الحقيقة إذا اعتبرت ما يسمى باسم الراهبات الثوريات جزءاً من محظيات العقيد، على الأقل الكثير منهن.

فتلك الفتيات يتم اختيارهن بمواصفات تناسب مزاج العقيد، أن يكن صبايا جميلات صغيرات في السن ويتم اختيارهن من اللجان الثورية أو من الكلية الحربية، أو من الجامعات من الناشطات السياسيات أو الثوريات.

أطلق العقيد عليهن اسم الراهبات إشارة إلى أنهن لم يتزوجن، لأنهن متزوجات من الثورة، ومع هذا فإن بعضهن وبعد أن يروي العقيد ظمأه التاريخي منهن يزوجهن لضباط أو مرافقين أو أحد من جماعاته ويغدق على العائلة الجديدة المال والأعطيات.

أبرز الراهبات الثوريات المعروفات عائشة جلود وكانت في الإعلام الخارجي، أما أشهرهن فهي نعيمة الصغير وهي واحدة من اللواتي كن يحضرن النساء للعقيد وإحداهن سعاد بشير لم تتزوج على الأقل علناً حتى الآن.

أصبحن من ذوات النفوذ والجاه في ليبيا. وأصبحن مقصد كل صاحب طلب وخدمة، يأتوهن للحصول على مساعدة مرضية أو وظيفة أو دراسة أو مساعدة مادية أو تأمين مسكن.

خلال ثورة فبراير/ شباط 2011 في ليبيا ضد القذافي نشر العقيد بعضاً من الراهبات بعد أن تضخم عددهن في شوارع طرابلس يقتحمن بيوت المواطنين يبحثن عن جرحى تعتقد النسوة القذافيات أنهم مصابون في التظاهرات ضد معمر، ليعتقلوهم، ويفتشن في مرئيات البيوت عن ترميز محطات معادية للقذافي ليصادروا الأجهزة ويعتقلوا أصحاب البيوت.

وفي مهمات أخرى كان على الراهبات أن يلزمن أصحاب البيوت جميعاً رجالاً، نساءً، أطفالاً، بناتاً، صبياناً، بالنزول إلى الشوارع وحمل صور القذافي والأعلام الخضراء والهتاف بحياة القائد.

القواد في أوكرانيا لتوريد النساء

مسؤول الأمن في سفارة ليبيا في أوكرانيا ضابط من آل الحريري، كان مهتماً بتصدير نوعين ومما تميزت هذه البلاد بتصديرهما إلى العالم وليبيا، هما النساء والسلاح، والاثنان كان القذافي يحتاجهما بشدة.

النوع الأول هو النساء، كان القذافي يهيم بهن شبقاً وجوعاً، ولم يكن ليكتفي بالإنتاج المحلي أو العربي أو الأفريقي أو الأوروبي الغربي، بل كان يستمع بتلذذ إلى مواصفات فتيات أوكرانيا، وأنهن ينضجن باكراً، ويتمتعن بكل مواصفات الإغراء والجمال والرشاقة وبياض البشرة ونعومة الجسد وخبرة الجنس وهن يمارسنه من الثانوية وربما من قبلها.

أما السلاح فإن شبق القذافي له لمهماته التي تشمل الكون تخريباً وفتناً وتأليباً للجماعات على بعضها البعض، كان يستدعي أن ينوع مصادره بتنوع مستخدميه في أدغال أفريقيا وصحاريها وشوارع أوروبا ومدن آسيا...

كان الحريري اهتدى إلى وسيلة يصدّر فيها الفتيات الأوكرانيات إلى معلمه الشبق في ليبيا، عبر تبادل زيارات بين الطالبات الليبيات وزميلاتهن الأوكرانيات، فكانت المسألة تغطية شرعية لتوفير رغبات القذافي الجنسية، فكان الحريري يتباهى بأنه يصدّر للقذافي فتيات عذراوات، وهو يعرف في الوقت نفسه، أن القذافي كان يخضع كل الفتيات اللواتي كان يريد أن يمارس الجنس معهن لاختبارات طبية تكشف حالات الإيدز أو غيرها من الأمراض الجنسية، وفق روايات الصحافة الأوروبية والأميركية.

والحريري هذا وسع نشاطاته فيما بعد بين أوكرانيا وليبيا في مجال استيراد وتصدير مواد التنظيف المختلفة حيث أنشأ مصنعاً لها في ليبيا، وعمل وكيلاً في الوقت نفسه لشركة تصدير المنظف المشهور برسيل (persil) كما شارك آل طرابلسي (أنساب الرئيس التونسي المخلوع زين العابدين بن علي).

وأنشأ الحريري مزارع خيول عربية أدخل معه فيها نجل القذافي الساعدي، وهو الحريري نفسه الذي ساهم فيما بعد في الخلاف الذي نشب بين ولدي القذافي محمد والساعدي حول ملكية شركة الكولا، فقد عجز الحريري وجماعته عن المشاركة في شركة الكولا فشارك الساعدي بالأمر كي يسهل عليه السيطرة على شركة المرطبات الأميركية.

الأخطر

غير أن أخطر ما كان هذا الحريري ينفّذه لمصلحة معمر بعد إرساله النساء والأسلحة هو شراء أراضٍ زراعية شاسعة قريبة من مناطق تتشرَّب بقوة تأثيرات الإشعاعات النووية في أوكرانيا، وتربية المواشي فيها. كان يرسل لحومها رخيصة إلى ليبيا لتكون غذاءً لأبنائها، وهي تحتمل الإصابة بالإشعاعات النووية بما يجعلها قابلة بإيجابية كبيرة لتفاعل المواد السرطانية داخلها.

من الطرائف التي يتحدث عنها الليبيون أن معمر القذافي ألغى شرطة الآداب في البلاد، لأن إحدى عشيقاته ضبطت في أحد منازل الدعارة.

وفي موقف غريب آخر أنه أمر بمنع سفر أية امرأة أو فتاة إلى الخارج دون محرم، لأن إحدى عشيقاته غادرت البلاد دون إذنه هرباً منه.

وفي تناقض آخر دافع القذافي علناً عن حق المرأة بإقامة علاقات جنسية مع من تشاء إذا كان الأمر برضاها وإذا لم تشتكِ هي شخصياً من هذه العلاقة.

فتاة الورد

وخلال زيارة العقيد لمدرسة للبنات في طرابلس، وكان كثيراً ما يختار المدارس لاصطياد العذراوات منها، قدمت له فتاة جميلة الورد ومن الطبيعي أن تختار إدارة المدرسة أجمل الفتيات لهذه المهمة، فأشار إلى نعيمة ففهمت دون توصية وتوجهت إلى أهلها بعد انتهاء الحفل لتزفّ لهم الخبر السعيد، فأخذ الوالد ابنته إلى منزله وأرسل إلى أحد أقاربه ليأتيه بالحال مع أهله ليعلن عن زواج القريب من ابنته، منقذاً شرفه تاركاً مصيره للقدر.

كان يكفي أن يضع القذافي يده على كتف فتاة صغيرة ليفهم من معه أنه يرغب بها، فيتم له ما أراد لقد اضطر أحد المقربين للقذافي أن يهرب مع زوجه إلى أميركا بعد أن وصله خبر إعجاب القذافي بها، وأقرب المقربين للقذافي هرّب ابنته الوحيدة الجميلة إلى الخارج وزوّجها من أحد أقاربها وهي تعيش منذ سنوات خارج الوطن (روما) رغم أن والدها تولى أهم المواقع إلى جانب العقيد.

في غمرة نفاق الكثيرين للقذافي قائداً ملهماً ومفكراً ثورياً وصاحب رسالة عالمية... انبرى أعيان من قبيلة معروفة (لا نذكر اسمها) ليقترحوا على القائد أن يتزوج كل يوم امرأة

ليبتي أسرة كبيرة كما يزعم هذا المنافق أن النبي سليمان تزوج 1000 امرأة... والعقيد هو أحد أنبياء الله المعروفين!

ونحن لا نهزأ عندما ننشر واقعة تشكيل كتيبة أولاد القذافي، من مئات المقاتلين السمر من أفريقيا، خلال حرب تشاد بين ليبيا وهذا البلد الأفريقي المجاور جنوباً، بسبب إقليم أوزو.

لقد تحدث قادة في جيش القذافي بعد هذه الحرب المريعة التي كلفت ليبيا على حد وصف القذافي 25 مليار دولار عام 1980، وحمّل مسؤولية خسارتها للشعب الليبي عن أولاد لقطاء، أخضعهم لتربية عسكرية خاصة وأسكنهم في إحدى المناطق ضمن معسكر بناه خصيصاً لإقامتهم، وكانوا دائماً جنوده المخلصين، وبسبب سمار بشرتهم كما العديد من أبناء المناطق الليبية، فإنه كان يستخدمهم في قمع الثورات الشعبية العديدة التي قامت ضده خلال طغيانه المتمادي.

فحص الإيدز

بقي أن نشير بأن كثيراً من النساء اللواتي كن يقابلن العقيد كن يخضعن لفحص الإيدز إذا لم يكنّ عذراوات، وأن اختياره العذراوات تحديداً بدأ بعد انتشار الحديث عن مرض نقص المناعة... ومع تقدمه في السن أراد معمر القذافي إثبات فحولته جنسياً إرضاءً لنفسه أولاً ودائماً!

غراميات خارجية

زوجه الثانية التي أنجبت له أولاده السبعة صفية فركاش كانت ممرضة.

مرافقته التي قيل أنها كانت عشيقته الأوكرانية جالينا كولوتنيستكا كانت ممرضته الخاصة، وهي فتاة شقراء ممتلئة ومثيرة حسب وصف إحدى وثائق ويكيليكس لها، أربع ممرضات كنّ معه في كل مكان لا يغادرن إلى النوم إلا إذا نام معمر.

إنه حقاً كان رجلاً مريضاً يحتاج إلى هذا الحشد من الممرضات كي يشرفن على صحته.

وفي حالتي جالينا كممرضة وكعشيقة، فإن هذه الفتاة الجميلة كانت غالية جداً على معمر، وعندما زار القذافي نيويورك عام 2009 لحضور اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة، تعذر مرافقة جالينا معمر إلى نيويورك بسبب إجراءات إدارية في الحصول

على تأشيرة لها لدخول الولايات المتحدة، فسافر العقيد إلى أميركا ثم أرسل لها طائرة خاصة نقلتها من طرابلس إلى البرتغال لتلحق بالوفد الذي أمضى ليلة هناك في طريقه إلى نيويورك.

كان الكلام عن علاقات القذافي النسائية علناً مرتبطاً بإحاطة نفسه بالراهبات الثوريات اللواتي كان يختارهن وفق مواصفات يحددها بدقة أن تكون الواحدة منهن عذراء لم يمسها أنس ولا جان وأن تهب نفسها لحمايته وخدمته. وكان معارضوه في الداخل سراً وفي الخارج علناً يضيفون إلى مآخذهم عليه شبقه نحو النساء... استناداً إلى وجود هؤلاء حوله.

غير أن هذا كله ظل في إطار العداء المستحكم بينه وبين معارضيه، وفي حالات العداء يتم استخدام كل أنواع الأسلحة، وخلافات العرب عادة بلا أخلاق.

إلى أن خرجت إلى العلن قصة تعلقه بمراهقة تونسية جميلة اسمها ميشكا حين روت حكايتها مجلة «جون أفريك» التي تصدر بالفرنسية، فأثارت ضجة كبرى في العالم كله.

ميشكا الفتاة ذات الأربعة عشر عاماً جاءت إلى ليبيا ضمن وفد طلابي تونسي، قابل أعضاؤه العقيد وأعجب بها، وهي ابنة رجل أعمال تونسي يملك ويدير واحدة من أكبر شركات المقاولات في ليبيا.

أقنع رجال العقيد والد الفتاة أن يكون مع ابنته ضيفاً في أحد قصور القذافي الفخمة، ثم فاجأه بطلب الزواج من ابنته، لكن أم الفتاة رفضت بإباء وطلبت العودة هي وابنتها إلى تونس وإذ تردد العقيد وماطل رجاله هددت الأم بأن تنشر قصتها في الصحف الفرنسية، وهو ما فعلته فعلاً وسرّبت الخبر إلى مجلة «جون أفريك» الفرنسية.

وهذا هو السبب الذي جعل معمر يتراجع، فتغادر البنت والأم ثم يصفي الرجل أعماله ويغادر ليبيا إلى الأبد.

100 فتاة سنغالية

القصة الأخرى التي كادت تسبب فضيحة للعقيد هي صفقة استيراد 100 فتاة سنغالية رتبتها إحدى سيدات الأعمال المتخصصات بتلبية طلبات الرجال أمثال معمر القذافي تدير مكتباً في باريس، وطارت إلى السنغال لجلب 100 فتاة أعمارهن تتراوح بين 18

و20 لحملهن إلى طرابلس بناء على طلب معمر.

استدرجت سيدة الأعمال الفرنسية هؤلاء الفتيات عبر إعلانات عن حاجاتها إلى عارضات أزياء بمواصفات معينة وأعمار محددة، وبعد أن جاءتها مئات الفتيات اختارت منهن مئة جهزت لهن أمور سفرهن، بجوازات سفر وتأشيرات ليبية، وبينما كنّ في المطار يتهيأن لركوب طائرة الرئاسة الليبية التي أرسلها العقيد لحملهن إليه، لفتن نظر رجل أمن سنغالي لم يستسغ حجم الوفد النسائي وأعمار الفتيات، فصمّم على أن يقدمن له اسم الجهة اللواتي سيذهبن إليها خارج البلاد، وما هي مهماتهن في الخارج، مضيفاً أنه لا يملك أية تعليمات داخلية لا أمنية ولا دبلوماسية تسمح له أن يعطيهن ختم الخروج.

تطور الأمر بمعرفة ضباط المطار ولم يستطع أي منهم اتخاذ قرار بعد أن أوقف رجل الجوازات سفر الوفد النسائي، فاتصل مدير المطار بوزير الداخلية الذي أنكر معرفته بالأمر فتحدث إلى رئيس الجمهورية عبدو ضيوف فأحال الأمر إلى الاستخبارات التي كان لديها علم بتحركات السيدة الفرنسية، وخافت بعد أن علم الرئيس أن يسبب الأمر مشاكل للجهاز فأوقفت السفر وعادت الفتيات إلى بيوتهن.

غير أن ما بات معروفاً أن معمر القذافي كان يستدرج الصحافيات الجميلات العربيات والأجنبيات لإعطائهن أحاديث إعلامية سواء للبث الفضائي أو للنشر الكتابي مقابل مراودتهن عن أنفسهن. ومن كانت تقبل منهن الحصول على الحديث والمال ومتعة الجنس في وقت واحد كانت تخضع لفحص طبي للتأكد من عدم حمل أي منهن لمرض الإيدز... وكانت ممرضاته تقمن بهذه المهمة، حيث أجهزة فحص هذا المرض، هي ضمن الأجهزة العديدة التي كان القذافي يحتفظ بها في إحدى المقطورات العديدة التي كانت ترافقه في حله وترحاله.

وأطرف تعليق سمعته من أحد المقربين السابقين من معمر، أن الرجل كان تستهويه الفتيات الليبيات الصغيرات، خاصة عندما يغوص في الصحراء... فهناك كان يثق تماماً أنه لا يحتاج لإخضاع أي فتاة طبعاً عذراء لأي فحص طبي، لأنه كان متأكداً من عفة الفتيات وسط عائلتها وعشيرتها وقبيلتها... طبعاً قبل أن يلوثها معمر بعد أن كثرت وطأته في أرضها الطيبة.

بربارة سوليفان

الصحافية الأميركية بربارة سوليفان التي كانت تعمل لصالح الجريدة الأميركية «يو. أس. توداي» «أميركا اليوم» تحدثت في ندوة عقدت في واشنطن تحت عنوان ليبيا والديمقراطية، فقالت أنها ذهبت إلى ليبيا لمقابلة العقيد وكانت برفقة بعلها الصحافي أيضاً لتغطية أحداث هناك، وأن المقربين من العقيد فوجئوا ولم يكونوا مسرورين لأنها حضرت ومعها رجلها.

بربارة قالت أن مؤسسات صحفية كبرى لم تتردد في إرسال صحافيات حسناوات إلى ليبيا من أجل ممارسة الجنس مع القذافي، مقابل موافقته على إجراء مقابلات صحفية معهن.

برواية صحافيين أجانب فإن آخرين أكدوا أن معمر كان يتعاطى الحبوب المهدئة قبل الخروج إلى العالم الخارجي، حتى يظهر بهدوء أعصاب وتعالٍ يغيظ كل من يلتقيه وهو يصفه بالغرور... بل بالتأله.

الفصل التاسع

تشاد: بقعة سوداء إضافية في تاريخ معمر.. أيضاً

- مقدمة تاريخية
- بين أسلوب السنوسي وخطط معمر
- زراعة الشاي
- تشاد: جحيم صنعه القذافي لحرق الليبيين
- من أجل أوزو
- معمر أحرق وثائق ملكية أوزو
- غرائب أخرى في أفريقيا
- مأساة في السودان.. وقتلى ليبيون في «بوينغ 727»
- عن عيدي أمين

تشاد: بقعة سوداء إضافية
في تاريخ معمر.. أيضاً

مقدمة تاريخية

في 11 كانون الأول/ديسمبر حرر الجيش الليبي مدينة «برادايا» جنوب قطاع أوزو الذي يطالب به الليبيون كجزء لا يتجزأ من ليبيا. يقع هذا القطاع شمالي التشاد والنيجر وهو معروف بثروة اليورانيوم والنفط. وللعودة إلى التاريخ، مُنحت هذه الأراضي إلى إيطاليا في 7 كانون الثاني/يناير من العام 1935 وفقاً لمعاهدة لافال - موسوليني التي سرعان ما اعتُبرت قديمة بعد عقد اتفاق بين فرنسا وليبيا في 10 آب/أغسطس 1955. أما من ناحية التشاد فقد ساعدتها فرنسا على منع الجيش الليبي، (عبر استئجار طائرتي ترانسال) من تجاوز الخط السادس عشر) وأنزلت 16 طناً من المواد الغذائية والذخائر والمحروقات إلى مناصري غوكوني وداي في جبال تيبستي.

في 20 كانون الأول/ديسمبر 1986، حصل هجوم مضادّ للجيش التشادي في «زوار» وهي منطقة ينتشر فيها الجيش الليبي، فأوقع 400 قتيل ليبي. أما في 2 كانون الثاني/يناير 1987 فقد قُتل 784 ليبياً و18 تشادياً في مدينة الفدا ودمّرت 154 دبابة. في 21 كانون الثاني/يناير احتلت القوات التشادية مدينة زوار.

وعندما حرر الليبيون إقليم أوزو فيها كان شعارهم أننا استرجعنا كافة الأراضي المحتلة من إيطاليا. إنما تجدر الإشارة هنا إلى أن معاهدة روما تعود إلى العام 1935. فتاريخ 7 كانون الثاني/يناير 1915 دفعها إلى المشاركة بالحرب. عندئذ حصلت إيطاليا مكافأة لها على مقاطعة أوزو (114.000 كلم² في واحات أوزو وصوما وغويزينتي وأوري). أما فرنسا فقد احتفظت بواحات الوور وبرايا وتكرو ومناجم الملح في غورو. لذلك يمكن اعتبار أن مقاطعة أوزو كانت محتلة من إيطاليا ثم عادت إلى ليبيا. وتجدر الإشارة إلى أن موسوليني لم يقتنع آنذاك بتلك المعاهدة فرفض احتلال الأراضي الممنوحة له وأعلنت إيطاليا في 17 كانون الأول/ديسمبر 1938 أنها لن تقرّ بتلك المعاهدة فاعتبرت عندئذ غير صالحة قانونياً.

هذا باختصار سبب الخلاف حول قطاع أوزو وحول انتمائه إلى ليبيا - لا سيما وأن موسوليني لم يقرّ بالمعاهدة - أو اعتباره جزءاً لا يتجزأ من التشاد. لكنّ الحقيقة تظهر أن الشعب الليبي يطالب باسترجاعه، فالسؤال يطرح ما إذا كان هذا القطاع قد يثير اهتمام بلد من البلدان لو لم يكن غنياً بالموارد؟

في 21 كانون الثاني/ يناير، احتل الجيش التشادي منطقة «زوار» من القوات الليبية. وتمكّنوا من الوصول إلى «فايا لارجو» البعيدة عن قطاع «أوزو» رغم العتاد الخفيف الذي كانوا يملكونه.

هذه المقدمة التاريخية ضرورية لعرض واقع الحروب التي خاضها معمر القذافي مع تشاد حول إقليم أوزو الليبي، الذي تم تحريره بالدم الزكي الليبي والعربي، لكنه سلمه إلى تشاد مرة أخرى في إحدى نزواته يوم 30/ 5/ 1994 كما سيرد لاحقاً بعد نزاع استمر 20 سنة فوق أرض مساحتها 114 ألف كلم[2].

بين أسلوب السنوسي وخطط معمر

لا أحد يصدق أن كبار مسؤولي تشاد تاريخياً هم أبناء الحركة السنوسية التي قامت كحركة إسلامية إصلاحية في ليبيا في القرن التاسع عشر وأن بعض هذه القيادات ككوكوني وداي، هو ابن حركة إسلامية معتدلة مرتبطة دينياً بالسنوسية، وكان مقيماً في ليبيا منذ اختار والده الإقامة ضيفاً على الملك إدريس السنوسي الذي خلعته حركة الفاتح من سبتمبر عام 1969.

نعم هناك حدود متنازع عليها بين ليبيا وتشاد كما بين ليبيا والنيجر وليبيا وتونس وليبيا والجزائر، كما بين كثير من الدول المتجاورة جغرافياً في العالم. لا مجال لذكرها وهي أكبر من أن تحصى.

لكن الملك إدريس السنوسي كان يرى أن حسن الجيرة والتعامل وطبيعة الديموغرافيا المشتركة بين ليبيا وتشاد من حيث انتشار القبائل العربية المشتركة عند حدود الدولتين كما قبائل أولاد علي بين مصر وليبيا كلها عوامل جمع وتقارب ولا يمكن تصور مواجهة بين البلدين.. كما حصل في ثمانينات القرن الماضي وفق منهج معمر القذافي في التعامل مع الجار الجنوبي.

القبائل المشتركة بين تشاد وليبيا عديدة، ومنها المقارحة (التي ينتمي إليها عبد السلام

جلود) والبشارة التي ينتمي إليها إبراهيم البشاري (وزير وسفير ورئيس جهاز أمن سابق اتهم القذافي بقتله) وجوازه والحصون والجبارة.

وكان التصاهر واحداً من مظاهر التقارب الديموغرافي بين البلدين، فرئيس تشاد في إحدى المراحل حسين هبري والدته ليبية، واللواء مسعود عبد الحفيظ أحد أقارب القذافي المقربين، كان متزوجاً من شقيقة رئيس آخر لتشاد هو كوكوني وداي.

هذه العوامل دفعت الملك إدريس السنوسي لأن يرعى قادة تشاد المسلمين خاصة من أتباع السنوسية، وأن يفتح لهم مكاتب تسجيل مدني في وزارة الداخلية الليبية كليبيين، وليحصلوا على مساعدات إنسانية من دواء وغذاء وكي يلحق أولادهم بالمدارس الليبية، حتى إذا جاءت فرصة طرح قضية الحدود بين ليبيا وتشاد أمام الأمم المتحدة، وجرى استفتاء حول حق السكان في اختيار وطنهم - اختار التشاديون في شمالي البلاد الانضمام إلى ليبيا، وهؤلاء بحكم انتماءاتهم القبلية والدينية سيختارون الهوية الليبية فتنتهي مشكلة هوية جنوبي ليبيا شمالي تشاد.

لذا لم يمانع السنوسي بعقد اتفاقية مع تشاد يتنازل فيها عن الإقليم الجنوبي جغرافيا، وهو يعتقد أن استعادته بشرياً مسألة ممكنة كما أشرنا أعلاه.

إذا كان هذا هو خط الملك السنوسي في التعامل مع تشاد، فإن قيادة الثورة على السنوسي افتتحت خطاً مختلفاً مع الجارة الجنوبية، منطلقة من مفهوم ثوري متخذاً الموقف من تشاد من منطلق الكرامة الوطنية.. واسترداد الأرض التي فرّط بها السنوسي كما كان القذافي يروّج.

كان رئيس جمهورية تشاد ذات الأغلبية الإسلامية هو المسيحي فرنسوا تومبلباي، الذي كان يقيم علاقات جيدة مع فرنسا، باعتبار بلده مستعمرة فرنسية سابقة وهو ابن ثقافتها وكنيستها (رغم علمانية فرنسا).

ومع هذا فإن القذافي بدأ طريق المفاوضة معه، وعرض أمامه الوثائق التي تثبت ليبية المناطق المتنازع عليها بين الدولتين، بما يناقض الاتفاقية التي كان عقدها الملك مع تشاد بالتنازل عن الحدود عام 1956.

أظهر تومبلباي قناعته للقذافي بليبية المناطق الشمالية ومنها إقليم أوزو، ولكنه قال إنه كرئيس مسيحي لا يستطيع أن يوقع اتفاقية تتنازل فيها تشاد عن أرض متنازع عليها لليبيا، ويجب أن يشاركه زعيم تشادي مسلم كي يبدو أن التشاديين كلهم (مسلمون

ومسيحيون) مع هذه الاتفاقية.

وبالفعل شارك تومبلباي رئيس مجلس النواب التشادي المسلم في التوقيع على هذه الاتفاقية، وفي خفاياها أن تقدم ليبيا لتشاد مساعدات مالية بمبلغ 100 مليون دولار تدفع على عشر سنوات معدل 10 ملايين دولار كل سنة، تصرف على مشاريع تنموية وخدماتية وإقامة مدارس وبناء مساجد...

وقعت الاتفاقية بالأحرف الأولى... أو ما يسمى باتفاق توايا. وقد وضع تومبلباي مسمار جحا في هذه الاتفاقية وهي ربطها باتفاقيات مشابهة لتعديل الحدود تعقدها ليبيا مع كل من النيجر وتونس والجزائر.

تفاوض القذافي مع النيجر في عهد هاماني ديوري تحت عنوان تعديل الحدود، وكان القذافي يقدم مساعدات مالية كريمة لديوري فوافق هذا دون تردد.

فرنسا الدولة الاستعمارية السابقة على هذين البلدين وغيرهما في أفريقيا جنوبي الصحراء، دبرت انقلابين عسكريين خلال شهر من اتفاق ليبيا مع كل من تشاد والنيجر فخلعت تومبلباي من تشاد وديوري من النيجر، فأسقط في يد القذافي وراح إلى الخط العسكري المباشر حيث فتح معسكراته ومخازنه وخزائنه لجماعات معارضة للنظام الجديد في تشاد لبدء حرب تحرير شعبية كما قال إعلامه وبدأت حرب ستستمر لسنوات وستستنزف خزانة وشعب وجهد وعرق ليبيا كلها.

كان كوكوني وداي هو الأقرب إلى ليبيا دينياً وسياسياً، وأهله كلهم في ليبيا، فساندته ثورة الفاتح بكل الوسائل حتى دخل نجامينا منتصراً.

نتج من تسلم وداي للسلطة في تشاد بدعم من ليبيا القذافي، عقد اتفاق اتحاد ثنائي بين الدولتين، وهذا الاتفاق تحدث عن إقليم أوزو أرضاً ليبية. وكان على ليبيا تقديم الوثائق المحفوظة منذ العهد التركي، إلى الأمم المتحدة ليعاد إلى تثبيتها وشرعيتها كي تصبح أرضاً ليبية كما هي فعلاً.

لكن الفوضى التي كانت تسود في ليبيا في عهد القذافي أضاعت الوثائق التي تثبت هوية أوزو الليبية، وجاء نقل وثائق الدولة الليبية ومحفوظاتها من طرابلس العاصمة إلى سرت المدينة التي حوّلها القذافي إلى عاصمة حقيقية لليبيا حيث قبيلته ومعقله وجحافل أجهزته الأمنية والعسكرية. ليضيع على ليبيا وثائق لا حصر لها فيها ما يثبت ليبية إقليم أوزو.

لذا كان سهلاً عندما يتغير الوضع في تشاد أن تصبح هوية إقليم أوزو في مهب الريح مرة أخرى.

وهذا ما حصل حين انقلب حسين هبري وكان وزيراً للدفاع على كوكوني وداي. وكان من ضمن مبررات الانقلاب أن وداي وقع اتفاقية التنازل عن أوزو لليبيا بسبب علاقته مع القذافي، وأن هذه الاتفاقية لم تحظَ بقبول كل القوى التشادية.

تسلّم هبري الحكم في تشاد، وهرب وداي إلى الجزائر، ومن الطريف أنه لم يذهب إلى ليبيا حليفته، لأن القذافي كان يعامله باستهتار وإهانة، وكان يكرر أن تشاد هي الحديقة الخلفية وليست جارة أو شريكة أو دولة مستقلة!

زراعة الشاي

يروي اختصاصي الزراعة المصري دكتور عنتر الذي كان يعمل مستشاراً في وزارة الزراعة الليبية خبيراً في التربة، أن مستشار القذافي وقريبه اللواء مسعود عبد الحفيظ طلب منه أن يجهِّز نفسه للسفر من طرابلس وأن يحضر معه ثياباً لعدة أيام، فظن الرجل أنه سيسافر بمهمة إلى بني غازي، وكان معه في الطائرة اختصاصيون مصريون وليبيون لكنه وجد نفسه في تشاد، مطالباً ومن معه أن يعدوا دراسة عن التربة في تشاد حول بحيرة نجامينا بإمكانية زراعة البن والشاي والأرز لتكون استثماراً مهماً في هذه المنطقة استفادة من مياه البحيرة الكبيرة، تكفي فيها حاجات ليبيا وتشاد وتصدير ما يبقى إلى الخارج.

يقول دكتور عنتر إن أحداً من الاختصاصيين أو المسؤولين التشاديين لم يكن موجوداً، في جولات الوفد، وأي تشادي كانوا يقابلونه في بحثهم، كان يظهر متجهماً عبوساً كأنه رافض للتعاون مع الوفد الليبي واختصاصييه الزراعيين.

بعد جولة وبحث وفحص واختبار كتب دكتور عنتر ومن معه خلاصة قال فيها لا جدوى من زراعة الشاي والبن لأن الأرض والمناخ غير صالحين، إنما يمكن زراعة الأرز استناداً إلى مياه بحيرة تشاد، مع إضافة ترسبات زراعية وتصنيعية للتربة لتصبح صالحة لزراعة الأرز.

دكتور عنتر الذي كان إعارة من وزارة الزراعة المصرية، وجد أن من واجبه إطلاع المسؤولين المصريين في الوزارة على الأمر، وكان وزير الزراعة في مصر يومها دكتور

يوسف والي، وهو كان أمين عام الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم برئاسة الرئيس المصري السابق حسني مبارك.

تلقى دكتور عنتر نصيحة من دكتور والي بالانسحاب من المشروع حتى لا تدخل مصر في مشاكل هي بغنى عنها.

استمع عنتر إلى نصيحة والي وقرر العودة إلى مصر بعد ترتيب اوضاعه في طرابلس فتوجه إليها واطلع المسؤولين في وزارة الزراعة الليبية على رغبته بتسوية أموره والحصول على استحقاقاته المالية للعودة إلى مصر، لأسباب شخصية وعائلية. وكانت زوجه اختصاصية كبيرة أيضاً في المجال نفسه.

واجه دكتور عنتر صعوبات شديدة في طرابلس، وشعر بأن حياته مهددة بحد أدنى من المخاطر هو السجن على الأقل فقرر ترك أمواله وحقوقه وعاد إلى مصر لينجو بنفسه خاصة بعد أن أخضع لتحقيق، أفهمه فيه المحققون الليبيون أنه أفشى سر المشروع إلى المصريين، مما كان يهدده بأخطر الأوضاع.

ليست هذه إلا واحدة من الفرص التي ضاعت على ليبيا، وليس آخرها بعد اكتشاف النفط في جنوبي تشاد، وبدل أن يعمل القذافي على إقامة سوق مشتركة مع تشاد، وبدل أن يدخل شريكاً أو ممولاً، ونقل النفط التشادي عبر الأراضي الليبية إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، لتتم تصفيته في ليبيا، ومنها ينقل بحراً إلى أسواقه الأوروبية القريبة جداً من مصدر التصدير. قامت شركة أميركية دخلت على الخط وبنت خط أنابيب يمتد من تشاد إلى سواحل أفريقيا الغربية لتتولى شركات أميركية تسويقه.

وفي فترة من الفترات أوقفت أميركا تصدير النفط التشادي بعد أن كشفت أن رئيس تشاد إدريس ديبي يصرف كل مال النفط على قبيلته وأنصاره ومناطقهم، فاضطر لأن يقدم ميزانية يصرف منها على بقية المناطق بالتساوي.

تشاد: جحيم صنعه القذافي لحرق الليبيين

لن تنسى أجيال ليبيا على مدى العصور الجحيم الذي صنعه لها معمر القذافي في تشاد، ليرمي فيه شبابهم وأولادهم وشيبهم، بحجة تحرير إقليم أوزو المتنازع عليه مع الجارة الجنوبية.

كانت حرب تشاد إحدى وسائل معمر القذافي لإلهاء الليبيين عن مطالبهم وحقوقهم

في وطن حر مستقر، وحياة آمنة رغدة يعيشونها من وفرة النفط الكريمة، وقلة السكان التي تسمح لهم ثروة النفط أن يحلموا وأن يبنوا وأن يتمتعوا بحقوقهم بنعمة اللّٰه عليهم في أرضهم الواسعة.

وكانت حرب تشاد فرصة للقذافي كي يتخلص من خصومه، وأن يدفع الشباب الصاعد إلى أتون نار تستقطع من حياتهم ضرائب غير مستحقة، كي يتجاوزوا التعليم إلى حمل السلاح، وكي يحرموا من النقاش إلى إطلاق الرصاص، وكي يبعد عنهم أهداف المجتمع بالتحرير من الخوف وصنع الغد وصقل النفس إلى التوهان في كثبان رمال الصحراء البعيدة مئات الكيلومترات في أعماق الصحراء وسط الشمس الحارقة، وشظف العيش وقلة الطعام والماء والفيء وحياة البشر.

كانت حرب تشاد التي اصطنعها معمر القذافي أكذوبة وسخرية ومهزلة حيث كان يصرف مال ليبيا على أحد قادتها... إدريس ديبي مثلاً ليقاتل حسين هبري، وما أن ينجح بإيصال ديبي إلى السلطة في نجامينا حتى يبدأ في الإعداد لقلب نظام حكمه، واستقدام آلاف المقاتلين من جماعة كوكوني وداي ليقاتلوا ديبي، فإذا دخلت قوات وداي نجامينا بمساعدة القذافي بالمال بعشرات الملايين من الدولارات نقدا ومثلها ثمن أسلحة ثقيلة ومعدات ومؤن، والآلاف من القتلى والمشوهين، بدأ القذافي الإعداد لحرب أخرى بين التشاديين ليهدر فيها الملايين وليريق الدماء الحمراء فوق التربة الصفراء... فقد جاء الدور على عبد القادر كوكوني، ليحكم، والقذافي يظن أنه بهذا يفرق التشاديين ويستنزفهم ويخضعهم لمشاريعه بحجة استرجاع إقليم أوزو المتنازع عليه مع تشاد.

لم يعد الليبيون يعرفون ما الذي يريده القذافي في تشاد، لم يعد العالم يفهم ماذا يجري هناك، لم يعد التشاديون يثقون بهذا الرجل الذي يؤلبهم على بعضهم البعض، ويساعدهم كل واحد بدوره كي يغرف المال ويأخذ السلاح ثم يذهب من ليبيا إلى تشاد ليقاتل من أجل تسلم السلطة، فإذا نجح كان عليه أن يستعد لمقاتلة زعيم تشادي آخر قادم من ليبيا لخلعه وتسلم الحكم مكانه، فكل قادة الحركات المسلحة الذين قاتلوا بعضهم بعضاً في تشاد كانت طرابلس الغرب مقرات لهم، فيها عاشوا ومنها انطلقوا للحرب في بلادهم لتسلم السلطة في نجامينا.

حتى هذه التناقضات الليبية في تشاد كان الأمر غريباً... لكن الأغرب أن القذافي

نفسه أدخل ليبيا بشبابها وشيبها بجيشها وأسلحته ومال الشعب في أتون تلك الحرب المجنونة.

لن ينسى الليبيون أن معمر القذافي كان يرسل جماعاته إلى الجامعات والثانويات في عز الفصول الدراسية، ليقتحموا الصفوف ويحملوا الطلاب إلى شاحنات خارج مؤسسات التعليم إلى المطار مباشرة ليتم شحنهم كأنهم ليسوا بشراً إلى الجبهات التي افتتحها القذافي لقتال التشاديين.

كان القذافي يستند إلى أن الشباب الليبي يتلقى التدريب على السلاح وحمله أثناء الدراسة، ولم يكن يعوزهم سوى حملهم إلى الجبهات ليرتدوا الملابس العسكرية ويحملوا السلاح ثم يدفعهم إلى الخطوط الأمامية للقتال.

كان الأهالي الليبيون في مدنهم أو قراهم أو أحيائهم الذين يفتقدون عودة أولادهم من المدارس والجامعات يصدمهم منظر التابوت يقتحم منازلهم ليبشرهم بأن ساكنه هو ابن هذا أو شقيق ذاك أو ابن تلك الأرملة، أو وحيدها أو حفيدها... وقد سقطوا قتلى في تشاد.

من أجل أوزو

أشعل القذافي حروب تشاد من أجل شريط على الحدود مع تشاد اسمه شريط أوزو، وأراد افتعال قضية وطنية ملهاة للناس والعرب والقوى التي يدعمها القذافي في أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية.

أرسل القذافي عشرات الآلاف من الجيش الليبي بأحدث أنواع الأسلحة، واستقدم متطوعين من لبنان وفلسطين (الاتحاد الاشتراكي العربي - الحزب التقدمي الاشتراكي - والجبهة الشعبية - القيادة العامة) وغيرها ليظهر أن معركته قومية من أجل أرض عربية.

قتل الآلاف واستنزف ثروات ليبيا في الصحراء وأجّل البحث في أي شأن تنموي داخل ليبيا من أجل أوزو... إلى أن استرجع الإقليم بأغلى التضحيات من الدماء والأموال والتهييج الإعلامي، والفرقة بين التشاديين وبين الأفارقة أنفسهم وبين هؤلاء وبين الليبيين والعرب عموماً.

أسس القذافي الجحفل الأسمر من شباب ليبي يحمل السحنة السمراء ليقول إنهم أفارقة، وأرسلهم إلى تشاد، وميّزهم في الرتبة، وعلامة الفرقة المميزة يضعها أفرادها

على أكتافهم، ولم تنته الحرب إلا وجميع أعضاء هذه الفرقة قتلى في الصحراء الجنوبية.

خلال معارك تشاد فوجئ ضباط الجيش الليبي الكبار بكتيبة تضم 150 مقاتلاً، قيل أنهم من الأيتام الذين تم تدريبهم في معسكرات خاصة، وصلت للقتال على الجبهة، لا صلة لهم بأحد، ولا يعلمون من الالتزام إلا أن والدهم هو معمر القذافي.

قيل إنهم لقطاء، وقيل إنهم مرتزقة، أياً يكن فلم يكن مصيرهم أفضل من مصير عناصر الجحفل الأسمر البؤساء.

مع غرائب هذه الوقائع، إلا أن الأغرب لم يأت بعد:

1- في خطاب للقذافي في ميدان الشهداء في طرابلس قال معمر معاتباً شعبه محمّلاً إياه المسؤولية أن حرب تشاد كلفت ليبيا 25 مليار دولار، ومن قال للقذافي أن أشعل هذه الجبهة؟ وما ذنب الشعب الليبي الذي بعد أن خسر أجيالاً من أبنائه يخسر أيضاً كرامته بتأنيب من معمر؟ ثم يخسر هذه المبالغ الطائلة من الأموال التي من شأن صرفها على الليبيين توفير رغد العيش وكرامته.

2- يروي الليبيون بحسرة أن القذافي كان يكره أن يرى مشوهين من أي حرب يخوضها لأن تشوهاتهم تذكره بالخطايا التي ارتكبها وهو لا يريد أن يعترف بدوره في صنعها، ثم أنه لا يريد أن تظل شواهد هذه الخطايا بالحروب العبثية التي يفتعلها شاهدة أمام الناس في البيوت والشوارع والمؤسسات لأن من شأنها تعميق النقمة في نفوس الليبيين على مغامراته وحكمه وقراراته العجيبة المأساوية.

فماذا كانت خطة العقيد للخلاص من المشوهين؟ عدد من الليبيين الذين تحدثنا معهم في هذه المسألة روى أن القذافي كان يأخذ المشوهين الذين يضبطهم رجاله في الشوارع ويركبهم الطائرات لترميهم في الصحراء للموت جوعاً وأرضاً ونهباً للطيور الجوارح وسط كثبان رملية حارقة!!!

3- يتحدث الليبيون في بني غازي عن شاب مختل العقل كان الجميع يعرف أنه قاتل في تشاد، ويشرحون حالته مع نسب الكلام إلى زميل له في الجبهة فيقول إن الرجل وقع في الأسر التشادي، مع مجموعة مقاتله ليبية، وكان تشاديون أيضاً وقعوا في الأسر الليبي. وتمت مبادلة الليبيين بالتشاديين.

صدرت الأوامر للاستخبارات الليبية في الجبهة بقتل الأسرى الليبيين المحررين،

فتم إطلاق النار عليهم جميعاً حتى تحول الجميع إلى جثث هامدة، لكن هذا الجندي الشاب ظل على قيد الحياة، مدّعياً أنه ميت، فإذا بمجموعة الاستخبارات الليبية تنتشر بين جثث القتلى تبحث في ملابسهم عن غنيمة، مالاً أو ذهباً أو فضة.

كان في إصبع الشاب خاتم زواجه، فأراد أحدهم انتزاعه، فصعب الأمر عليه، توجه إلى رفيق له ليأخذ منه سكيناً ليبتر الإصبع... وهمّ بالزج لولا أن ناداه رفيقه لسرعة المغادرة.

نجا الشاب المصاب مدّعي الموت... لكن عقله أصيب بمسّ من جنون، عاد إلى مدينته شاهداً على وحشية لم تعرفها حروب الجيوش النظامية من قبل... ومن أبناء وطنه... وليس من الأعداء.

غير أن الأعظم لن يأتي بعد!

فوق كل هذه الغرائب يظل أن يعرف الليبيون والعرب والعالم أن معمر القذافي تنازل عن إقليم أوزو لتشاد في صفقة هي الأكثر استهانة بكرامة وطن وحقوقه ودماء وأموال الليبيين الصابرين... بعد كل التضحيات التي ألزموا على تقديمها على مذبح شهوات القذافي للعبث والجنون.

نتج عن معارك تشاد وفي عمليات الكر والفر أن سقط 1200 جندي وضابط ليبي بقيادة اللواء خليفة حفتر في أيدي القوات التشادية، وسرعان ما انتشر في ليبيا كلها والعالم أن هؤلاء أعلنوا من تشاد أنهم يريدون الخلاص من معمر القذافي ونظامه الإرهابي.

جنّ جنون القذافي وجهد المستحيل لاسترجاعهم لمعاقبتهم وقتلهم بتهمة الخيانة العظمى، ولأن القذافي ملك الصفقات بغض النظر عن أخلاقياتها ومنطقها، فإنه وسط صديقه الملك الحسن الثاني في المغرب ليقنع الرئيس التشادي وكان يومها حسين هبري، بتسليمه حفتر وضباطه وجنوده مقابل أي مبلغ مالي يريده.

ولأن التشاديين باتوا خبراء في حسابات القذافي وسلوكياته وسياسته، فإن هبري طلب المال بمئات الملايين من الدولارات، وأن يعيد القذافي إقليم أوزو إلى تشاد، مقابل تسليمه حفتر ومن معه.

ولأن القذافي يعتبر أن ليبيا كلها ملكه الشخصي، ولأنه أيضاً يعتبر أن ليبيا ومن

عليها وما عليها ملكه أيضاً. فإنه قبل مطالب حسين هبري مقابل أن يحصل على خليفة حفتر ومن معه.

سلم القذافي 20 ألف كيلومتر مربع من الأرض الليبية روتها دماء آلاف الليبيين، إلى عدوه حسين هبري، وسلم له ملايين الدولارات، على أن يسلمه هبري الضباط والجنود الثائرين.

ولم ينقذ حفتر من مصيره ورفاقه، إلا تدخل الولايات المتحدة، التي تابع عن كثب بنود هذه الصفقة من مصادرها الأساسية: الملك المغربي والرئيس التشادي، فهبطت طائراتها وضباط استخباراتها مطار نجامينا لتنقل مئات الضباط والجنود الليبيين إلى الولايات المتحدة ليدخلوا معسكرات خاصة، ليعاد تدريبهم وتأهيلهم تمهيداً لعودتهم إلى ليبيا من طرق مختلفة للتخلص من معمر القذافي.

وقبل أن نتحدث عن مصير هؤلاء في الولايات المتحدة، لا بد من الإشارة إلى أن حفتر عاد إلى ليبيا بعد انطلاق ثورتها الشعبية المسلحة في 17/ 2/ 2011 ليقود جيش الثوار لتخليص ليبيا من الطاغية المجنون.

في الولايات المتحدة جرى تدريب قوات حفتر تحت اسم الجيش الوطني لإنقاذ ليبيا ليكون القوة المسلحة لجبهة إنقاذ ليبيا التي يرأسها دكتور محمد يوسف المقريف، وسكنوا في معسكرات خاصة بهم وكان جهد الليبيين الثوار أن يستكملوا استعداداتهم ليأتوا إلى وطنهم محررين سواء عن طريق تونس أو تشاد أو مصر أو الجزائر.

بداية كانت أميركا تغدق على القوات الليبية الثائرة المساعدات، وتقدم لهم رواتب مضاعفة عن رواتبهم الأصلية، كأنهم جنود وضباط في القوات الأميركية المسلحة، وقد جرت أكثر من محاولة للتخلص من القذافي بواسطة عناصر من هذه القوة. فشلت جميعها وانتهت بقتل وسجن المشتركين في هذه المحاولات (في الكتاب وقائع هذه المحاولات).

وعندما تحسنت العلاقات بين الولايات المتحدة والقذافي، بتنازلات العقيد المشهورة وبعد أن طال بقاء هذه العناصر في الأراضي الأميركية وبدأ بعضها بالعودة إلى بلاده بوساطات قبلية وعائلية، متعهداً بعدم القيام بأي نشاط ضد النظام، ساءت أحوال الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا، التي كانت الغطاء الشرعي والسياسي والحزبي لهؤلاء وتخلت أميركا سياسياً عمّن بقي في أراضيها منهم، خاصة بعد أن حصل عدد كبير منهم

على الجنسية الأميركية، ووزعت السلطات الأميركية بعضهم على الكنائس والمؤسسات الإعاشية، للحصول على إعانات اجتماعية كالطعام واللبس والأحذية وأدوات التدفئة والوقود، ولتأمين وظائف وضيعة لمن يريد البقاء منهم داخل الأراضي الأميركية.

تراجع وضع الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا في أميركا فنقلت مقرها إلى لندن، وفيها تم اختيار إبراهيم صهد مكان المقريف في قيادة الجبهة (وصهد هو أحد الضباط الأحرار الذين شاركوا في ثورة الفاتح عام 1969 تحت قيادة معمر القذافي).

معمر أحرق وثائق ملكية أوزو

وأخيراً وما لا يصدق أن معمر القذافي وفي إحدى نوبات جنونه أمر بإحراق كل الوثائق التي تملكها الدولة الليبية منذ تأسيسها ومنها الوثائق التي تثبت تبعية إقليم أوزو لليبيا. وضاعت وثائق أخرى حول أوزو أثناء نقل الادارات كما ورد سابقاً.

فقدت ليبيا ورقة بالغة الأهمية في نزاعها القضائي مع تشاد أمام المحافل الدولية، عندما رفعت نجامينا قضية تحكيم لإثبات هوية هذا الإقليم الليبي جنوباً. ومع هذا عندما ساند الضابط التشادي المتمرد عبد القادر كوكوني، في ثورته ضد حسين هبري ودخلت قوات كوكوني نجامينا مع قوات ليبية، كان بإمكان العقيد الحصول على تنازل تشادي رسمي من الرئيس التشادي الجديد لينهي الجدل حول هوية أوزو إلى الأبد... لكنه لم يفعل.

غرائب أخرى في أفريقيا

غير أن تشاد ليست أرض المآسي الوحيدة لليبيين، فكثيرون منهم يذكرون كيف أن استخبارات القذافي كانت تأتي بالكبار والشباب لتحملهم في طائرات يزعم رجال الأمن فيها أنها متوجهة لمشاهدة احتفالات لا حصر لها في ليبيا، في مدن مختلفة، ليجدوا أنفسهم في أدغال أفريقيا، في أوغندا للقتال مع عيدي أمين، أو في أفريقيا الوسطى للقتال مع جان بيدل بوكاسا (بوكاسا هذا أشهر إسلامه على أيدي مغترب لبناني اصطحبه إلى العقيد القذافي في طرابلس وحمل بعدها اسم صلاح الدين ثم ترك الإسلام وعاد إلى ديانته واتهم برشوة الرئيس الفرنسي السابق فاليري جيسكار ديستان بحجارة الألماس الباهظة الثمن).

يروي أحد شيوخ بني غازي أنه استدعي مع عدد من زملائه وهم من أحفاد المجاهدين الليبيين مع عمر المختار للذهاب إلى حفل مزعوم في الكفرة حيث ذكرى معارك المجاهدين العظيمة ضد الاستعمار الإيطالي، فإذا بالشيوخ يخاطبون بعضهم باللهجة الليبية المميزة (جاك اللي على اللاميتا) أي أتاك المرسوم على شفرة «ناسيت» للحلاقة، كما يذكر مستخدمو هذا النوع للحلاقة سابقاً، أي أنهم شاهدوا في الكفرة المزعومة تماسيح، وهم في واقع الأمر في أوغندا وليسوا في الكفرة!!

وفي أوغندا تاه شيخ ليبي عاد بعد سنة إلى ليبيا ليدخله أولاده المصح العقلي، بعد أن ساءت حالته فكان يجلس أمام أكوام الزبالة في بلدته لا يريد أن يغادر مكانه.

أرسل القذافي ليبيين مساكين للقتال مع عيدي أمين رغماً عنهم، ثم أرسل القذافي نفسه ليبيين آخرين مساكين أيضاً للقتال مع خصم عيدي أمين يوري سوفمبيني.

ونختم هذا القسم الخاص بغرائب القذافي مع شعبه في أفريقيا بذكر أن العقيد الليبي أرسل طائرة صغيرة إلى بوكاسا في بونغي، محملة بحقائب ملأى بالمال نقداً، مصاريف بوكاسا في احتفالات تنصيبه زعيماً مسلماً في أفريقيا باسم صلاح الدين، وكان على اتصال هاتفي شبه دائم مع أجهزته، لمعرفة مسار ومصير الطائرة وحمولتها إلى أن هبطت في مطار بونغي، وأن جماعة بوكاسا تسلموا حمولتها، فقد كان معمر يخشى أن يسطو قراصنة جو على الطائرة، وقد يكونون من أعدائه ليستخدموها في تمويل معارضة عسكرية ضده، أو تشكل له فضيحة إعلامية سياسية في الرشوة وشراء الذمم، وهو يريد حضور هذه الاحتفالات ليرعى قيام إمبراطورية أفريقية إسلامية يحكمها من ليبيا.

وبعد ثورة الشعب الليبي ضد القذافي وأبنائه وكتائبه، أسقط الثوار من ضمن ما أسقطوا في هذه التركيبة الوحشية الغريبة أحد ألقاب القذافي التي كان يعتز بها كثيراً وهي ملك ملوك أفريقيا. وكتب الليبيون على جدران المدن المجاورة قبل تحرير طرابلس يسقط قرد قرود أفريقيا، وقد لحق القذافي بعيدي أمين في أوغندا، وجان بيدل بوكاسا في أفريقيا الوسطى وموبس تشومبي وجوزيف موبوتو في الكونغو وزين العابدين بن علي في تونس، ولحق معمر البشير في السودان إلى محكمة الجنايات الدولية مع مجرمي الإبادة الجماعية في رواندا.

مأساة في السودان

لم تختلف علاقات القذافي مع جعفر نميري في السودان، عن علاقاته مع أنور السادات في مصر، ومع حسين هبري أو كوكوني وداي وعبد القادر كوكوني، وإدريس ديبي في تشاد بين حب وبغض، واحتضان وحرب، ومساعدات ومحاولات انقلاب.

كان القذافي وراء نجاة نميري من محاولة خطيرة للتخلص منه في انقلاب الحزب الشيوعي السوداني ضده يوم 19/ 7/ 1971 الذي قاده هاشم العطا عندما انزل طائرته في ليبيا وأرسله لنميري ليجهض المحاولة ويعدم نميري قادة الحزب الشيوعي وينجو بحكمه. وكان القذافي وراء عدة محاولات للتخلص من نميري سواء بتدبير محاولات انقلاب أو بغزو شهير كما في 2 يوليو/ تموز 1976 أو بدعم لرئيس جيش تحرير السودان جون قرنق.

وفي إحدى مراحل دعمه لقرنق أرسل القذافي طائرة «727 بوينغ» محملة بالأطباء والممرضين والاختصاصيين في مجالات مختلفة، عملوا في جنوبي السودان في ظل ظروف قاسية، ومناخ لم يعتد عليه الليبيون الموزعون بين ساحل وصحراء وجبال قريبة من السواحل شرقاً وغرباً.

واكتملت مأساة مئات الليبيين حين عودتهم من مهمتهم الإنسانية، حيث سقطت طائرتهم في أحراش السودان، دون أن يعرف ليس فقط إن كان سبب السقوط عطلاً فنياً أو تفجيراً من الأرض أو الجو أو ارتطاماً بشجر أو بجبل... إنما لم يعرف الليبيون في وطنهم مصير أبنائهم وإخوانهم وأشقائهم أبداً... فقد تجاهل الإعلام الليبي أخبار الطائرة وركابها، ولم ينشر أي خبر عنهم ولم يخبروا أهاليهم ولم يعرف كيف قتل الليبيون في جنوبي السودان... حتى الآن.

وفي العام 1971 نفسه قصد نميري ليبيا على رأس وفد كبير من المسؤولين السودانيين، مكثوا عدة أيام وأجروا مباحثات موسعة مع عدد من المسؤولين الليبيين بدءاً من معمر القذافي وفي نهاية المباحثات طلب نميري من القذافي إقراض السودان مبلغ 7 ملايين جنيه إسترليني فوعده القذافي خيراً.

مجلس الوزراء الليبي وداخله عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة أقرّ القرض الذي طلبه نميري.

لم تكن ليبيا الثورة تملك أموالاً نقدية في خزينتها ولم تكن أموال النفط تكفي مع خطط التنمية الليبية الطموحة، لكن رفض طلب نميري سيبدو محرجاً لليبيا التي رأت أن نميري كان رئيس أول دولة في العالم اعترفت بثورتها في الفاتح من سبتمبر 1969. وكانت ثورة أولى سبقتها في السودان بقيادة جعفر نميري في 25/ 5/ 1969.

استقر الرأي في ليبيا الثورة على توفير المبلغ للسودان قرضاً على أن تقترضه طرابلس من مصارف محلية وأجنبية:

ومع أن العقد الذي وقّعه الطرفان كان ينص على سداد القرض على سنوات إلا أن الخرطوم لم تسدد جنيهاً واحداً منه كما أن ليبيا نفسها لم تطلب سداد القرض وفق أقساطه السنوية...

وطالما كانت العلاقات جيدة بين الرئيس والعقيد فإن أحداً لم يلتفت إلى القرض وسداده، أما حين اكتشف نميري أن القذافي يساعد قائد جيش تحرير السودان العقيد جون قرنق، فإنه شنَّ حملة ضد القذافي فسارع العقيد لطلب القرض عبر الإعلام. مما أشعر نميري بالإهانة فدعا السودانيين إلى جمع المبلغ الذي أسماه مبلغ الكرامة لردّه دفاعاً عن كرامة السودانيين.

عن عيدي أمين

هذا جزء من حوار أجرته الصحافية الإيطالية أوريانا فالاتشي مع معمر القذافي ونشر في عدد من أبرز مطبوعات العالم الغربي.

ارتدى القذافي جلباباً أبيض وعليه عباءة بيضاء وانتعل حذاء أسود برقبة وجلس فوق كرسي أبيض وعلى الأرض تربع واحد من مساعديه يسجل كل كلمة ينطق بها سيده وإمامه جلست أوريانا فالاتشي تسأله.

فالاتشي: أنت تؤيد تسليم الشاه لـ«الخميني» فهل توافق على تسليم عيدي أمين للحكومة الأوغندية إذا طلبت منك تسلمه.

القذافي: إذا كان أمين عندي فيمكنني الإجابة ولكنه ليس هنا وبالتالي فالمقارنة لا أساس لها.

فالاتشي: أمين هنا يا سيادة العقيد ونحن نعلم تماماً أنه يختبئ عندك وأنه ضيفك

ونعلم أنه يعيش في فيلا بحمام سباحة بالقرب من طرابلس ومعه اثنتان من أزواجه العديدات وعشرة من أولاده العديدين بل أن بعضاً من الصحافيين الفليبينيين أجروا معه حديثاً صحفياً وأنت قمت باعتقالهم.

العقيد: لا، أمين ليس هنا وربما التقى به أحد الصحافيين أثناء زيارته لنا.

فالاتشي: ماذا؟ زيارة ماذا إذا كنت تسمي تلك زيارة، شاه إيران يعتبر أيضاً في زيارة لأميركا ولذلك فإنني أكرر عليك السؤال: إذا طلبت أوغندا منك تسليم عيدي أمين أثناء زيارته لك هل توافق على تسليمه؟

العقيد: أنا أنا أنا أعتقد أن من حق كل إنسان أن يطلب اللجوء إلى أي بلد في العالم ولكنني في الوقت نفسه لا أزال عند رأيي في أنه من حق الشعب الإيراني استعادة الشاه وبمعنى آخر إنني مع الثورة الإيرانية ضد الشاه وأتمنى أن ينتهي به الأمر بين أيدي الشعب الإيراني لينال ما يستحقه وعلى كل حال فأنا لا أتدخل في الشؤون الداخلية للآخرين.

المهم أنه ما كادت فالاتشي تنشر حديثها الطويل مع القذافي حتى انطلقت الاشاعات حول هروب عيدي أمين من طرابلس مع أولاده وأزواجه إلى المملكة العربية السعودية لأن العقيد ينوي تسليمه إلى رجال الثورة في أوغندا.

ودارت الأيام وفي حفل استقبال أقامته الحكومة الألمانية الغربية «آنذاك» في العاصمة الألمانية القديمة بون تكريماً للمطربة الأفريقية العظيمة مريم ماكيبا التي كانت توصف بأنها أم كلثوم أفريقيا في سبتمبر 1981 التقيت في مصادفة عجيبة بالسيد بيتر ماومبا الحارس الخاص لـ«عيدي أمين» الذي كان يتحرك معه كظله وسألته عن سر الخلاف بين الديكتاتور الليبي القذافي والديكتاتور الأوغندي عيدي أمين وأدّى لمغادرة عيدي أمين لـ«طرابلس» للحياة في السعودية فجأة فقال لي ماومبا:

إن الخلاف نشأ عندما كان عيدي أمين ينادي القذافي قائلاً: «يا عيل» وعندما غضب القذافي من «التريقة» التي كان يلقاها من عيدي أمين قام بتسريب أنباء عن عزمه على تسليمه للحكومة الثورية في أوغندا وما كادت هذه «التسريبات» تصل لعلم الديكتاتور عيدي أمين حتى أسرع بالاتصال سراً بالسلطات السعودية التي مكنته من الخروج الآمن من طرابلس فارتاح القذافي وتنفس الصعداء.

ومن الحكايات الطريفة أيضاً تلك الصداقة العجيبة التي كانت تربط القذافي بمقاول ألماني ضخم الجثة اسمه هاينز فايفنباخ المعروف في ألمانيا باسم «آل كابوني الصغير» وكان القذافي يطلق عليه اسم «الرجل الفيل».

كان الرجل من ظرفاء النصابين وبعث بخطاب لـ«القذافي» يطلب منه مشاركة ليبيا في التصفيات النهائية للدورة الشتوية لرياضة هوكي الجليد التي ينظمها نادي «إيزارلون» الذي يترأسه وأعجب القذافي بالفكرة ووجه الدعوة لـ«هاينز» لزيارة طرابلس ومعه أعضاء الفريق ونجح هاينز في تشكيل وفد من 20 عضواً يضم العاطلين من كل أرجاء مدينته وقام السفير الليبي بترتيب إجراءات السفر على متن طائرة ليبية خاصة.

ووصل وفد هاينز فاستقبلته اللجان الشعبية بالأعلام والمواكب ونقل التلفزيون الليبي الحدث على الهواء مباشرة ووصفوا الوفد بالوفد الشعبي الألماني الذي جاء لتحية القذافي ووزعوا عليهم [الكتاب الأخضر] وصور الزعيم وسط ذهول أعضاء وفد النصب والاحتيال.

والتقى القذافي بالوفد الألماني في خيمته الرياضية وقال لهم إن من سمات الغباء في الإنسان أن يتفرج على الرياضة لأن الرياضة مسألة خاصة كالصلاة يؤديها الإنسان وحده في مكان مغلق أو مفتوح ويشاركه فيها آخرون وتكون في هذه الحالة رياضة جماعة مثل صلاة الجماعة عندنا.

وقبل أن نختم فصل غرائب القذافي في افريقيا، نذكر أن رجال القذافي كانوا يسبقونه إلى العواصم الافريقية التي ينوي زيارتها، ويروّجون عبر الإعلام والإشاعات أن القذافي سينثر الذهب والأموال النقدية في الطرق التي يمر فيها موكبه. فيتقاطر آلاف المساكين والسذج إلى حيث يمر العقيد في انتظار هباته، فتصور أجهزة معمر هذه الحشود وتظهرها متشوقة لاستقباله!!

الفصل العاشر

مجزرة سجن أبو سليم

- القذافي في سجن أبو سليم للحوار
- المجزرة.. ولماذا؟
- نموذج من داخل السجن

القذافي
في سجن أبو سليم للحوار

ويروي أحد قادة الحركة السلفية في ليبيا الشيخ عيسى القداري في حديث أجري معه في بني غازي ليل 17/ 6/ 2011 أن عام 1993 شهد حواراً عنيفاً بين معمر القذافي ومشايخ وقادة جماعات إسلامية بينهم سلفيون في سجن أبو سليم.

كان العقيد يقصد السجن كل فترة للقاء المساجين ومحادثتهم واستفزازهم بأفكاره الخارجة عن النص الديني المعتمد عند الجماعات الإسلامية.

في هذا اللقاء عنّف إسلاميون معمر القذافي وقال له كثيرون إنك كافر لأنك تلغي الحديث والسنّة، وسفهوا دعوته القائلة إن اليهود والنصارى غير مطالبين بالإسلام. فإن أسلموا طوعاً أهلاً وسهلاً وإلا فهم مؤمنون، وقال إن الدخول في الإسلام تطوعاً أمر مستحب، لكنه ليس أمراً واجباً وهم مؤمنون ولا نقول لهم اتركوا يهوديتكم ونصرانيتكم.

كلام كهذا كان يستفز الإسلاميين خاصة السلفيين، الذين كانوا يقولون له كل من ليس بمسلم فهو كافر، لأن الدين عند الله الإسلام، والمسيحيون العرب كفرة لأنهم لا يؤمنون بأن الدين عند الله الإسلام!!

القذافي الذي جاء السجن محاوراً مستفزاً سمع ما لم يعجبه فآثر الانسحاب يضمر شراً لمحاوريه... لكن سجن أبو سليم سيشهد بعد عدة سنوات مجزرة يقول ليبيون أن محامياً ليبياً هو إبراهيم بشري أعدّ ملفاً وثائقياً عنها سيقدمها للمحاكم الجنائية لمحاكمة القذافي بتهمة ارتكابها.

يحمل سجن أبو سليم اسم الحي الذي أقيم فيه في طرابلس العاصمة، ارتكبت فيه أجهزة أمن معمر القذافي بقيادة عديله، الذي يعرفه بعض الليبيين باسم الصندوق الأسود لنظام العقيد... عبد الله السنوسي - مجزرة غير مسبوقة...

المجزرة ارتكبت عام 1996، ولم يكشف عنها إلا عام 2001 وسقط فيها 1270 سجيناً ينتمي أكثر من نصفهم إلى الجماعات الإسلامية خاصة الجماعة الليبية المقاتلة التي كانت في صراع دموي مع نظام العقيد، فضلاً عن السلفيين الذين باتوا يشكلون قسماً

مهماً من الجماعات الإسلامية. معظم سكان الحي القريب من السجن سمعوا إطلاق نار غزير، في ذلك اليوم من شهر حزيران/ يونيو 1996. ولم يدرك أياً منهم طبيعة هذه الغزارة من النيران في سجن يقتحم ذكر اسمه مخيلات الناس، فيأمل كل مستمع ألاّ يعاد ذكره، كأنه شيطان أو إبليس أو مرض السرطان يقولون عنه الذي لا يذكر.

المجزرة.. ولماذا؟

منذ لحظة دخول أي إنسان سجن أبو سليم معتقلاً خاصة إذا كان بتهمة سياسية، تبدأ مرحلة عذاب مستديمة يتمنّى فيها كثيرون أن يموتوا، لعجزهم عن تحمّل ما يواجهونه في الليل وفي النهار، داخل زنازينهم الانفرادية أو الجماعية أو في اللحظات التي يسمح للمحظوظين أن يروا النور في إحدى باحات السجن أو في زرقاء السماء وشمسها.

لقد أحصى سجناء شاء حظهم أن يستقبلهم سجن أبو سليم. حالات المرض التي تعشش في أجساد السجناء فذكروا:

- أن معظم السجناء أصيبوا بالجرب.
- وأن القمل يسري في شعور الرجال دون تمييز.
- وأن 17 سجيناً ماتوا بالدرن (سل رئوي).
- وأن هزالاً شديداً يجعل أضلع كثيرين سهلة العد داخل الأجساد لبروزها دون اللحم.
- يعاقب بالجلد والانفراد إذا تجرأ سجين لشدة جوعه أن يأكل العشب الذي ينمو على جنبات الجدران (في لحظات الفسحة).
- ظلام كامل طوال العام، يحرم الجميع من توفر المياه الساخنة للحمام النادر.
- الطعام يستمر أشهراً دون ملح، مما كان يشكل فقدان توازن المياه في أجساد السجناء.
- إقفال فتحات التهوية الصغيرة أصلاً لأشهر دون أي تفسير.

كانت المواجهة العسكرية مفتوحة بين نظام القذافي والجماعات الإسلامية المقاتلة ضده، وكانت الخسائر شديدة في صفوف أجهزة العقيد وجيشه، وسقط فيها عدد كبير من قادته الأمنيين منهم العقيد في الأمن الداخلي عبد العزيز الخشمي، وبعيّو والمقروص وغيرهم من الضباط.

وكلما كانت معارك الجبل الأخضر وبني غازي التي يخوضها الإسلاميون ضد

أجهزة العقيد والخسائر التي يلحقونها بها، تزداد ويسقط فيها إسلاميون بالعشرات، كان قادة أمن القذافي يمعنون في تعذيب سجناء أبو سليم، وهم يدركون أن معظمهم ينتمي إلى هذه الجماعات الإسلامية (مقاتلة - سلفيين- إخوان مسلمين - جهاد...).

مع الإشارة إلى أن السلفيين الذين كفّروا العقيد لم يحملوا السلاح لمقاتلته ولم يجيزوا حمله ومع هذا تعرضوا لاضطهاد واعتقالات بالجملة.

عام 1995 وقبل المجزرة بسنه كاملة، زاد تضييق المعيشة على السجناء جميعاً، بالتجويع والتعذيب والضرب، حتى أن كل سجين كان يتوجه إلى قاعة الطعام ظهراً أو مساء كان يتلقى الضرب على الرأس أو الظهر أو الأكتاف أو الأرجل.

كان رجال الأمن الليبيون يتعاملون مع السجناء وفق نظرية صينية ساخرة تقول «اضرب السجناء فإذا كنت أنت لا تعرف سبب الضرب، فهم يعرفون السبب».. فالتعذيب هو إشارة من النظام بأنه يتألم من خسارة في المواجهة مع الإسلاميين، ومن جرأتهم التي تمثلت في اقتحام مجموعات منهم، وفي فترات مختلفة مراكز أمن للعقيد في مناطق مختلفة من البلاد خاصة في المنطقة الشرقية، فضلاً عن مراكز اللجان الثورية ومثاباتها المنتشرة في كل المدن والبلدات الكبيرة. وأحياناً في اقتحام سجون النظام لإخراج ساكنيها مظلومين ومضطهدين ومقاتلين.

ونجحت مجموعات إسلامية في أحيان كثيرة في تهريب سجناء مهمين من داخل سجون القذافي، ووصلت إلى إخراج سجناء من سجن أبو سليم نفسه وهو المحصن بشدة، وفق تعقيدات عمرانية، وأجهزة حماية وحراسة متقدمة.

وفي إحدى المرات نجح 13 سجيناً في الخروج من السجن المحصن، ولكن 10 منهم قتلوا خلال الملاحقة السريعة، ونجح 3 من الهاربين بالاختفاء والنجاة والعودة إلى القتال مرة أخرى.

قبل أسبوع واحد من مجزرة سجن أبو سليم، وبعد وصول أخبار إلى أمن السجن بأن تذمراً يسود بين النزلاء، وبعضهم يجهر بالشكوى من التعذيب وسوء المعاملة ونقص الطعام وتفشي الأمراض، اقتحمت الشرطة العسكرية الليبية السجن، لكن ضباطها وأفرادها فوجئوا بعد دخولهم العنابر مستنفرين، بالسجناء وقد اقتلعوا حديد العنابر ومواسير المياه وانهال بعضهم ضرباً على رجال الشرطة فقتل أحدهم وجرح آخر وفرّ من دخل أحد العنابر. فخرج السجناء واعتصموا فوق أحد العنابر وبدا أن ثورة بدأت في

السجن الأشهر والأكثر حصانة، مما استدعى أن يرسل معمر القذافي عديله الأكثر إجراماً عبد الله السنوسي، للتعامل مع هذه الحالة الخطيرة في السجن المرعب.

تحدث السنوسي عبر مكبر الصوت مع السجناء سائلاً إياهم ماذا تريدون، فخرج له أمير التبليغ السابق محمد بو سدرة وأمير الجماعة المقاتلة عبد الغفار ليقولا له نحن لا نريد إلا أن ترفعوا السياط عن ظهورنا، وأن تعالجوا المرضى منا...

وعد السنوسي السجناء مقسماً بشرفه بعد الله أنه سيلبّي مطالبهم، مقابل العودة إلى عنابرهم، وأن المسألة بسيطة لا تستدعي هذا الذي حصل.

دخل السجناء إلى عنابرهم على أمل أن ينفِّذ السنوسي وعده، فإذا بكتيبة أمنية تدخل المعسكر، وتنتشر فوق أسطح العنابر، ويطلب آمرو السجن من النزلاء أن يخرجوا جميعهم إلى الساحات المكشوفة سماء والمحاطة بجدران عالية صماء.

وما أن أصبح مئات السجناء تحت مرمى نيران أسلحة عناصر الكتيبة وضباطها، حتى تلقوا آلاف الطلقات في الصدور والرؤوس وكل أماكن الأجساد التي راحت تتلوى من اختراق الرصاص القاتل كل ناحية فيها.

قتل من في الساحات المكشوفة، ومن ظل حياً أو جريحاً ينزف أجهزوا عليه برصاصات الرحمة في الرؤوس، ومن كان في زنزانته لو نجح في الهرب إليها بعد بدء إطلاق الرصاص لاحقوه لقتله في أي زاوية في السجن.

كان الجنود والسجانون يستمعون لنداء واحد من آمر السجن العقيد عامر السنوسي: «هيا يا ولاد ما يكيدوكمش - أي لا تهتموا - لأمرهم».

إحصاءات غير رسمية تحدثت عن سقوط 1270 سجيناً قتلى هذه المجزرة، وظل أمرها مكتوماً، طيلة خمس سنوات، وإذا ما تحدث أحد الناس عنها، فقد كان استقبال الكلام عنها من الناس ومن المعارضين يشوبه الشك أو اعتقاد المبالغة، لأن الأرقام كانت مذهلة، حتى وإن كان الناس يصدقون أي أمر يرتكبه العقيد ورجاله.

خلال خمس سنوات كان أهالي السجناء يرسلون لهم أحياناً الطعام والرسائل، وبعض الأهالي كان يرسل لسجين قريب صوراً لابنة أو ابن، تزوج أو مات أو سافر، ولم يدرك الأهالي أن مفقوديهم داخل سجن أبو سليم، باتوا في رحاب الله مظلومين من جرائم العقيد.

نموذج من داخل السجن

كتب مهندس نفطي اسمه محمد الغول مقالاً ينتقد فيه مشروع النهر الصناعي تحت عنوان «يا هامان ابنِ لي صرحاً». سلمه لأحد الشباب المسافرين إلى لندن لنشره في مجلة عربية كانت تصدر في العاصمة البريطانية.

ضبط الشاب في المطار يحمل مقالاً، فأرشد إلى صاحبه فاعتقل المهندس الغول وأدخل سجن أبو سليم منذ العام 1986 ولم يعرف مصيره تاركاً ثلاثة شبان توجه أحدهم إلى وزير العدل مصطفى عبد الجليل (الآن هو رئيس المجلس الانتقالي بعد الثورة) ليسأله عن مصير والده فبعثه إلى علي إياس الذي كان معتقلاً أيضاً في سجن أبو سليم بتهمة الاتصال بأحد قيادات المعارضة في الخارج إبراهيم صهد هاتفياً.

قال إياس لابن الغول إننا عرفنا بوجود والدك في السجن معنا من خلال بطاقته بعد إخراجنا من السجن عام 1988 ولم نعد نعرف عنه شيئاً.

معظم سجناء أبو سليم دخلوه بناء على وشايات أو ورود أسمائهم وأرقام هواتفهم في مفكرات معتقلين آخرين أو أن أحدهم كان يصلي في مسجد أو أنه التقى أحد المراقبين من الأمن في الشارع وحياه أو تحدث إليه!!

وقد عرف الناس بمأساة سجن أبو سليم بعد مرور 5 سنوات على ارتكابها، كما أوردنا عن طريق معتقلين أخرجوا من السجن بعد سنوات عدة... وقد بات هم كل قريب لسجين أخاً أو أباً أو أماً أو ابناً أن يعرف مصيره. وعندما سمح القذافي للأهالي أن يزوروا مزرعة سجن عين زاره المخصص للتحقيق... راحوا يسألون عن مصير أحبتهم، لأن سجناء عين زاره يحولون لسجن أبو سليم بعد انتهاء التحقيق معهم داخله.

عام 2008 أصدرت المحكمة الجنائية في طرابلس أحكاماً تبيح لأهالي المعتقلين الذين قتلوا في سجن أبو سليم أن يطالبوا بالتعويض عن القتلى.

الفصل الحادي عشر

عبد الله السنوسي
الصندوق الأسود لمعمر

- أبرز عمليات القتل
- قصة عبد السلام الزادمة
- قتل إبراهيم بكار
- قتل حسن إشكال
- محاولتان لقتل الأمير الملك عبد الله بن عبد العزيز

عبد الله السنوسي
الصندوق الأسود لمعمر

مذكرة التوقيف التي أصدرها المدعي العام الدولي في المحكمة الجنائية الدولية (لويس مورينو أوكامبو) بحق عبد الله السنوسي (الاسم الثالث بعد معمر القذافي ونجله سيف الإسلام) بتهمة ارتكاب مجازر وإبادة جماعية في ليبيا، ليست الأولى التي تصدر ضد السنوسي.

ففي تسعينات القرن الماضي أصدر القاضي الفرنسي (بيار بروغيير) مذكرة توقيف دولية ضد السنوسي (عديل القذافي) وثلاثة ضباط ليبيين من جماعة القذافي، لمشاركتهم في جريمة تفجير طائرة مدنية فرنسية فوق النيجر.

أبرز عمليات القتل

عبد الله السنوسي هو الصندوق الأسود في نظام القذافي. وإذا قيل إن هذه التسمية تنطبق أيضاً على موسى كوسى، فإن التقنية الحديثة احتاجت لوجود صندوقين أسودين في كل طائرة، فكيف في جماهيرية الرعب التي عاشها الليبيون طيلة عقود بما يؤشر بوجود عشرات بل مئات الصناديق السوداء.

وصفه بوب وودورد في كتابه النقاب بأنه رجل المهمات القذرة في نظام عديله معمر. وقد شملت المهمات القذرة تفجير طائرة البان أميركان فوق لوكوربي عام 1988. وهو الذي جاء بقريبه من الأمن الليبي عبد الباسط المقراحي كي ينفذ هذه الجريمة النكراء.

وعبد الله السنوسي هو الذي ارتكب جريمة سجن أبو سليم في طرابلس التي قتل فيها 1270 مواطناً ليبياً.

وعبد الله السنوسي هو الذي رتب مع موسى كوسى جريمة تفجير الطائرة المدنية الليبية - في رحلتها من بني غازي إلى طرابلس.

وعبد الله السنوسي هو الذي رتّب جريمة تفجير طائرة الأوتاه الفرنسية فوق النيجر - التي استدعت تحقيقاتها التي أجراها القاضي الفرنسي «بروغيير» إصدار مذكرة توقيف بحق السنوسي.

وعبد الله السنوسي وموس كوسى هما اللذان دبرا خطف وزير الخارجية الليبي السابق والمعارض المعروف د. منصور الكيخيا.

كثيرون يحمّلون القذافي مسؤولية قتل رجال المعارضة الليبية في الداخل والخارج، (وفي آخر الكتاب ملحق يعرض لائحة بأسماء الذين قتلهم النظام)، ويحمّلونه أيضاً مسؤولية قتل رجال الأمن الذين كانوا يقتلون رجال المعارضة كذلك.

وإذا كان إبراهيم البشاري أحد قادة الأمن الذين صفاهم معمر القذافي بواسطة عبد الله السنوسي وموسى كوسى، فإن اللائحة تطول لتشمل:

قصة عبد السلام الزادمة

عبد السلام الزادمة وهو كان متعهد قتل الليبيين في سجون القذافي، وقد قتله رجلا العقيد الباقيان عبد الله السنوسي وموسى كوسى، وقيل إنه قتل عندما كان يمتطي صهوة جواده وأن الجواد أعاد رأسه بقوة إلى الوراء فصدم رأس عبد السلام فكسره وهشمه.

وتستحق حالة الزادمة أن نقف عندها قليلاً لنكتب أن الليبيين، وبعد أن علموا بمقتل الزادمة بنطحة حصانه - وفق رواية السلطة أطلقوا طرفة قالوا فيها إن الحيوانات المبشرة بالجنة أصبحت أربعة - ففي القرآن الكريم ذكر حوت يونس، وناقة صالح، وكبش إسماعيل - وقد انضم إليها حصان الزادمة.

* ملابسات الواقعة:

كان من عادة معمر القذافي أن يمضي عطلة المولد النبوي الشريف سنوياً في إحدى مدن ليبيا، حتى جاء دور مدينة البيضا شرق البلاد وهي مدينة جميلة كان الملك إدريس السنوسي اعتمدها عاصمة صيفية وبنى قصراً لسكنه، وكانت زوج معمر صفية فركاش من المدينة نفسها.

وبينما كان معمر يمارس رياضته الصباحية - تعرّض لحادث ألزمه الاتكاء على عكاز للسير، فضلاً عن استلقائه لوقت طويل دون حراك - وقد خرج إلى الإعلام وهو بهذه الحالة، ليقول إنه يريد أن يعرف العالم أنه تعرض لحادث رياضي، ولن يترك المجال لأي إشاعة عن تعرضه لأي محاولة اغتيال من الإسلاميين الذين كانوا ينشطون ضده بقوة، خاصة في المناطق الشرقية من البلاد.. وتحديداً في مدينة درنة.

اللافت للنظر أن القذافي تحدث أمام نحو 75 صحافياً عربياً وأجنبياً، مما جعل

التساؤلات تتكاثر: كيف أمكن إحضار هؤلاء بهذه السرعة، لو لم يكن الأمر مهيأ سابقاً.

لم تمضِ 24 ساعة على هذه الواقعة، والصحافيون ينقلون وقائع حديث القذافي الذي تعمّد فيه أن يظهر وربما لأول مرة وهو يلقي الطرائف ويباسط الإعلاميين حتى أذيع نبأ وفاة عبد السلام الزادمة!

فهل هناك علاقة بين حادث العقيد وقتل الزادمة؟! هل حاول الزادمة التخلص من القذافي ففشل، فقتله العقيد أو حرسه أو عبد الله السنوسي، كان الزادمة يد القذافي الشرسة، وكان يتعمّد قتل خصوم النظام من مسدسه مباشرة، بعد اعتقال أي منهم.

قتل إبراهيم بكار

قتل وزير العدل يومها إبراهيم بكار الذي كان حذر ابنه من ركوب الطائرة المدنية القادمة من بني غازي إلى طرابلس طالباً منه أن يحضر إلى العاصمة براً.

وكان بكار بصفته وزيراً للعدل يشرف على التحقيق بأسباب سقوط الطائرة المنكوبة، وخافوا أن يهرب ويسرّب حقيقة التحقيق الذي أمر بإجرائه بعد إسقاط الطائرة فوق طرابلس.

قُتل بكار وهو يقود سيارته فدخلت بها شاحنة ضخمة حطمت السيارة وقضت على كل من فيها.

قتل حسن إشكال

قُتل العميد حسن إشكال لأنه هدّد القذافي – قائلاً له أنت عملت الثورة بشوية عيال أنا أعملها برجاله – وعندما تم دفن إشكال قال القذافي أريد أن أتأكد أنه هو نفسه وتوجه إلى تابوته ليلقي عليه نظرة الوداع وكان إلى جانبه عبد الله السنوسي.

وعبد الله السنوسي هو من قبيلة المقارحة لكنه لم يكن على صلة جيدة مع الرجل الذي كان يرى نفسه أولاً مكرراً مع القذافي عبد السلام جلود وهو من المقارحة أيضاً والجميع في شهادات ميلادهم من المازدا.

وفي سيرة عبد الله السنوسي المقارحية قريب له اسمه – سعيد راشد – هو أحد المتهمين بحمل المتفجرات التي وضعت في طائرة لوكوربي، وكان تسلم شركة إنشاء القطارات وعقد صفقة بمليارات الدولارات مع روسيا، رغم أن اليابان هي الأشهر في

ميدان سكة الحديد.

قتل سعيد راشد ونجله وابن أخيه وثمانية من المقارحة خلال الثورة بعد خروجه من باب العزيزية فجر الليلة التي خرج فيها سيف الإسلام على المرئيات يهدد الثوار بالقتل، وقيل إن قتل راشد ومن معه كان خطأ بسبب شدة الحراسات وتغييرها مع كلمات السر، وقيل إن أصغر أبناء العقيد وأشرسهم خميس هو الذي قتله.

وأبرز الذين قتلهم عبد الله السنوسي من جماعة العقيد هو مبروك عتيقة ثم أذيع أنه انتحر بعدة رصاصات، وقد أصبحت هذه الجملة معزوفة عربية استخدمتها فيما بعد الاستخبارات السورية وهي تشير إلى مقتل رئيس وزراء سوريا الأسبق في عهد حافظ الأسد محمود الزعبي الذي انتحر بعدة رصاصات في منزله!!

كان السنوسي هو المسؤول الأول عن ترتيبات أمن تحركات القذافي في أي اتجاه تحرك... في الداخل والخارج. وكان يسبقه إلى أي مكان يريد القذافي التوجه إليه.. وهو الوحيد الذي كان يعرف تحركات القذافي السرية.. قبل حدوثها، ليوفر له الأمن، ويهيئ له مناخ الاستقبال والحضور والكلمات.

ومثلما لم يُعتقل، لم يُقتل، لم يحقق مع أي ليبي إلا ودور عبد الله السنوسي هو الأول دائماً في كل هذا فإن أي سجين سياسي ليبي لم يخرج من معتقله إلا بعد أن يجلس معه السنوسي ويفحص قناعته بالتخلي عن أي مسعى للمعارضة أو نقد أو حتى كلام.

عبد الله السنوسي كان ينقل رسائل القذافي إلى أي معتقل إذا أراد أن يطلق سراحه، وأبرز هذه الرسائل، أن ليس للمعتقل بعد تحريره أي أمر يتعلق بلجان حقوق الإنسان أو الإعلام أو المحاسبة.. ولعل أقصى ما سيحصل عليه السجين المعتقل إن التزم الصمت هو تعويض مادي يكون مجزياً لينصرف به المحرر إلى إعادة بناء حياته والحرص على أن يعيش بأمان بما تبقى له من عمر.

محاولتان لقتل الأمير الملك عبد الله بن عبد العزيز

عبد الله السنوسي دبر مرتين لاغتيال الملك عبد الله بن عبد العزيز (عندما كان ولياً للعهد) في المملكة العربية السعودية الأولى حاولها العقيد محمد إسماعيل وعلمت بها السلطات السعودية وكانت تقضي بقتل الأمير عبد الله في أحد شوارع مدينة الرياض، ورصد لها 2 مليون دولار، ووصلت أسلحتها بالصناديق الدبلوماسية إلى سفارة ليبيا

في الرياض، وقد اعتقل أفرادها لفترة ثم عفا عنهم الأمير - الملك السعودي، وعمل محمد إسماعيل بعد خروجه من السجن في الرياض، مديراً لمكتب نجل القذافي سيف الإسلام.

أما المحاولة الثانية، وقد نظمها أيضاً عبد الله السنوسي فقد كشفت مسبقاً أيضاً واعتقل أفرادها وما زالوا حتى اليوم في السجن في الرياض.

سبب مؤامرتي القذافي أن الأمير عبد الله وخلال قمة عربية في شرم الشيخ برئاسة حسني مبارك رد على معمر القذافي الذي كان يهين الجميع واتهم المملكة بأنها تنفذ سياسة الأميركان قائلاً له: أنت من جاء بك... يا عميل؟

وقد صُدم القذافي من كلام الأمير عبد الله رئيس الوفد السعودي (كان الملك فهد مريضاً جداً وكان أصدر قراراً بتسمية أخيه الأمير عبد الله نائب ملك)، ورئس النائب وفد المملكة إلى القمة العربية في شرم الشيخ.

يقول عبد الرحمان شلقم أن القذافي ابتسم أول الأمر ابتسامة صفراء تؤكد أنه لم يكن يتوقع كلام الأمير السعودي لكنه ملأ قلبه حقداً للانتقام من الأمير عبد الله، مصمماً على قتله. ورغم فشل محاولته الأولى وعفو الأمير الصالح عن المجرم محمد إسماعيل، فإن معمر طلب من عبد الله السنوسي تدبير المحاولة الثانية الفاشلة.

الفصل الثاني عشر

روايات الموني حول قتل القذافي للإمام موسى الصدر

- من هو عبد السلام القانقة
- القانقة والصدر
- نجم الدين اليازجي
- إغفال موضوع الصدر في الإعلام الليبي
- السر في مطار روما

روايات الهوني حول قتل القذافي للإمام موسى الصدر

عندما تحدث الوزير الليبي السابق وعضو مجلس قيادة ثورة الفاتح من سبتمبر 1969 الرائد عبد المنعم الهوني لجريدة «الحياة» مع بدء ثورة الشعب الليبي ضد معمر القذافي وأبنائه، وانحياز الهوني للثورة في يومها الأول، كان أهم ما استدعى اهتمام اللبنانيين، كشفه للمرة الأولى حقيقة وضع رئيس المجلس الإسلامي الشيعي السابق في لبنان السيد موسى الصدر، حيث تحدث للمرة الأولى كمعارض ومسؤول ليبي مطلع، عن عملية قتل للصدر على يد الاستخبارات الليبية وبأمر من القذافي شخصياً.

سألنا الرائد الهوني آخر مندوب لليبيا في جامعة الدول العربية في عهد القذافي: لماذا عدّلت في رأيك؟ فقال لأنني أردت أن أبقي قصة عديلي الطيار الليبي المدني نجم الدين اليازجي حية، لذا عمدت إلى ربطها بقضية كبيرة هي قضية الإمام الصدر.

سألنا الرائد الهوني: لقد تحدثت في «الحياة» اللندنية أن عديلك نجم الدين هو الذي حمل الصدر ورفيقيه عباس بدر الدين والشيخ محمد يعقوب بالطائرة إلى الصحراء حيث جرى التخلص منهم فيها بواسطة استخبارات القذافي، وأنه لم يكن يعرف الموضوع أولاً.. ثم لما أدركت الاستخبارات الليبية بأنه كشف الأمر تم قتله.

فهل لك رواية مختلفة ترويها لنا:

قال الهوني: إنهما روايتان وليست رواية واحدة، قلنا بل أصبحت ثلاثة... ضحك الرائد المهذب خفيض الصوت.

وقال: للضرورة أحكام.

هلا أسمعتنا الروايتين الآن؟

الرواية الأولى

تقول إن اجتماعاً ضمّ القذافي والإمام ورفيقيه وأن خلافاً جرى بين الفريقين حول مسائل دينية – فقهية وحول مسائل سياسية – مالية.

في المسائل الدينية – الفقهية لم يوافق الصدر العقيد في موقفه من إلغاء الأحاديث

النبوية، ورفضه الاجتهادات عند الشيعة، وتمسّك كل طرف برأيه.

أما في المسائل السياسية، فإن القذافي قال ممتناً الصدر: إنني سأقدم المال لكم كي تقاتلوا إسرائيل وتشكلوا مقاومة ضدها، وليس لتعارضوا المنظمات الفلسطينية، لقد قدمت المال كثيراً للبنانيين ولكن معظمهم سرق المال وبدّده على مسائل لا علاقة لها بالنضال ضد إسرائيل.

قال الصدر: نحن لم نتسلّم منك قرشاً واحداً، وإذا ساعدتنا فإننا سنصرف المال من أجل تقديم إعانات للبنانيين خاصة في الجنوب الذي يتلقى أهله العدوان الصهيوني - دون أن يساعده أحد، فضلاً عن تسلط الفلسطينيين وإهاناتهم وهدر كراماتهم، وأن تساعد الناس على الصمود في أرضها فهذه أيضاً مقاومة وطنية.

انتهى الاجتماع الأول بين العقيد والإمام والرفيقين الذي عقد في طرابلس، دون اتفاق بين الاثنين.

الاجتماع الثاني وفق الرواية الأولى كان في سرت. هنا يدخل الهوني عاملاً جديداً فيها وهي أن الرجل الذي جاء بالإمام ورفيقيه لمقابلة القذافي هو واحد من أشرس ضباط التعذيب في ليبيا العميد أبو القاسم القانقة.

من هو القانقة؟

ولنقف قليلاً عند سيرة القانقة الشخصية كي نتمكن من استيعاب دوره في التخلص من الإمام الصدر.

القانقة من مدينة الزاوية، تبعد عن جنزور 15 كيلومتراً وهو من ضباط المدرعات، وكانت له مواقف جيدة أيام الثورة الأولى.

حين اشتكى الناس عام 1972 من تعذيب المعتقلين السياسيين في ليبيا، وكان العقيد خليفة حنيش هو من المقربين جداً من القذافي مسؤولاً عن عمليات التعذيب هذه، طلب مجلس قيادة الثورة من أبي القاسم القانقة التحقيق في وقائع التعذيب خاصة بعد أن أثيرت المسألة في الاتحاد الاشتراكي العربي الليبي.

تحقيقات القانقة شملت عدداً كبيراً من الضباط ولم نقرأ فيها اسم حنيش فسألنا أبو القاسم أين التحقيق مع خليفة، فرد اسمعوا يا إخواني البلد فيها عقيدان، واحد هو معمر القذافي، والثاني هو خليفة حنيش، خذوا إذناً من معمر وأنا أحقق مع خليفة.

وحقيقة الأمر أن أبا القاسم كان لا يريد التحقيق مع خليفة، لأن معمر هو الذي كان يحميه، كان أبو القاسم القانقة مستقلاً إلى حد كبير أول الأمر، لكنه أصبح لعبة في يد القذافي... وهو أشطر من يشتري الرجال.

كيف؟

يشرح الهوني كيفية إخضاع القذافي لأبي القاسم فيقول شكّل مجلس قيادة الثورة في البداية لجنة لتصفية آثار الاستعمار الإيطالي، وسلمني رئاستها وكان الرجل الثاني فيها هو أبو القاسم القانقة.

استرجعنا من الطليان أموالاً وقصوراً وعقارات وتحفاً وهدايا وسيارات قديمة غالية الثمن.

ولأنني كنت مشغولاً في مجلس قيادة الثورة وفي الوزارة وفي النشاط السياسي في الاتحاد الاشتراكي فقد تفرغ القانقة للجنة تصفية الاستعمار، وباتت ثروات عديدة بين يديه...

أمسك القذافي على القانقة وفق تقارير الاستخبارات الخاضعة للعقيد، أنه حصل على غنائم وثروات له ولأسرته ولأقاربه وكان القذافي يريد أن يكشفه، يفضحه ويحاسبه لولا أن القانقة ركع أمام العقيد وعرض أن يكون خاتماً في إصبعه... فكان.

تحول القانقة إلى واحد من أشرس ضباط العقيد ولما فشلت محاولة الرائد عمر المحيشي ضد القذافي عام 1975، وفرّ عمر إلى ترنس، اعتقل القذافي مئات الضباط المتهمين بالمؤامرة.

بلغ عدد المتهمين 340 ضابطاً، حكم على 65 منهم من الضباط الأحرار. قتل منهم القانقة تحت التعذيب قبل المحاكمة 4 ضباط، ومات اثنان منهم تحت التعذيب بعد المحاكمة، وحكم على 33 ضابطاً منهم بالإعدام أعدم منهم 21 ضابطاً وخففت الأحكام على 12 من الإعدام إلى المؤبد.

كان القانقة يشفي غليل العقيد بحفلات التعذيب وكان يسلخ جلود الضباط خلالها.

بعد ثورة 15-17/ 2/ 2011 هاجم الثوار منزل القانقة في الزاوية أحرقوه... والقانقة يعيش الآن في طرابلس مصاباً بمرض عضال يقعده عن الحركة، ويحمله أبناؤه إلى الحمام إذا أراد قضاء حاجة.

القانقة والصدر

جاء القانقة بالإمام الصدر ورفيقيه مكبلين وأدخلهم إلى الخيمة التي كان القذافي يعتمدها مقراً له في سرت حيث مكانه الأخير، والذي حوله فيما بعد إلى مقر الحكم الجماهيري.

كان الصدر في قمة غضبه وعنفوانه وظل على موقفه مكفراً القذافي شاتماً إياه قائلاً له: أنت خارج عن الملة والدين والمسلمين. فأمر القذافي أبو القاسم القانقة بإعدامه ورفيقيه... فقتلوا جميعاً أمام القذافي وجرى دفنهم في سرت.

الرواية الثانية

يتابع الرائد الهوني الحديث عن قصة الإمام الصدر ورفيقيه، ويسرد الرواية الثانية (الثالثة) المحتملة لكيفية التخلص من الإمام وبدر الدين ويعقوب فيقول:

«إن خلافاً نشب بين العقيد والإمام وأن النقاش احتدّ بين الرجلين دون أن يتراجع أحدهما عن رأيه، وأن العقيد الذي كان بدأ مرحلة التألُّه، ولم يعد يطيق أن يعارضه أحد، خاصة وهو يقدم نفسه مقتنعاً بكونه مفكراً وقائداً ومرسلاً من السماء... وأنه صاحب رسالة...».

وفي غمرة انفعال العقيد واستنكاره أن يجد من يردّ عليه ويسفّه أفكاره ومواقفه، صرخ منادياً الحرس في خارج الخيمة في سرت ليقول لهم بحسم: خذوهم... وفي معلومات أخرى أن القذافي شد الإمام الصدر من لحيته موبخاً إياه تعبيراً عن وصول الخلاف إلى ذروة مخيفة.

هنا يقول الهوني: إن الضابط الذي رأى قائده بهذه الحالة العصبية، اعتقد أنه يطلب منهم أن يقتلوا الصدر ورفيقيه.. وأنه أخذهم بعيداً وقتلهم ثم دفنهم في مكان قصيّ.

وأن العقيد أراد الجلوس في اليوم التالي مع الصدر، فنادى الضابط نفسه لإحضار الضيوف فإذا بالضابط يفاجئه بأنه قتلهم جميعاً، ظاناً بأن هذا هو طلب العقيد عندما قال خذوهم.

رد فعل العقيد كما وصلت الأخبار للهوني وفق الرواية الثانية أنه أمر بقتل الضابط وكل من شارك بالتخلص من الإمام الصدر ورفيقيه، لإخفاء كل شاهد على هذه الجريمة.

من هو نجم الدين اليازجي؟
وهل قتل مع الإمام الصدر ورفيقيه؟

هو عديل الرائد عبد المنعم الهوني، وكان طياراً عسكرياً ممتازاً اختاره القذافي لقيادة طائرته الخاصة في تنقلاته داخل وخارج ليبيا، والوحيد الذي يسمح له باستخدام طائرة القذافي التي يقودها اليازجي هو ما اصطلح على تسميته بالرجل الثاني في النظام عبد السلام جلود.

والطائرة الرئاسية الخاصة هي أميركية الصنع تتسع لـ12 راكباً إضافة إلى طيار، ومساعد فني، وتحمل عدداً من المضيفين والمضيفات.

ولقربه من الهوني كان اليازجي يشتكي دائماً وضعه وسعيه للخروج من ليبيا، وقد صارح عديله بأنه يريد أن يخرج نهائياً من البلاد وأن يطلب اللجوء السياسي في ألمانيا. وفي إحدى المرات خطر ببال الهوني أن يطلب منه المجيء إلى مصر ليستقر فيها بعيداً عن بطش القذافي، لكن اليازجي كان يفكر بأن يذهب إلى ألمانيا ليجري دورة في الطيران المدني، ليعمل في إحدى الشركات الألمانية كطيار مدني، أو في أي شركة طيران تجارية أو للركاب في العالم الغربي، خاصة وأنه كان خريج ألمانيا وكان كبير الثقة بنفسه.

كانت الاستخبارات الليبية تراقب عن كثب تحركات الطائرات وصداقات اليازجي وسجلت له أنه كان عديلاً للهوني أولاً ثم إنه كان يلتقي المعارضة الليبية في الخارج مع كل رحلة لطائرته بعيداً عن ليبيا.

بعد واقعة الإمام الصدر التقى الهوني باليازجي في جنيف، حيث جاء الهوني من القاهرة التي استقر فيها بعد مواجهة عمر المحيشي عام 1975، وجاء اليازجي من ألمانيا بعد أن ترك طائرته للصيانة وفي اللقاء اقترح اليازجي أن يهرب وأن يطلب لجوءاً سياسياً في ألمانيا، لكن الهوني اقترح عليه أن يتحدث مع عبد السلام جلود بوضعه وأن يسمح له بالذهاب إلى ألمانيا للدراسة والعمل خارج خدمة القذافي.

يقول الهوني: أنه بعد أسابيع من لقائه جلود اختفى اليازجي... كيف؟

يقول الهوني: طار اليازجي بطائرة القذافي حاملاً وفداً فلسطينياً إلى الجزائر بطلب من صالح الفرجاني، فأوصل القادة الفلسطينيين إلى مقصدهم وعاد، وبعد عدة أيام طلب إليه الفرجاني التوجه إلى الجزائر للمجيء بياسر عرفات.

بعد أن طار اليازجي من مطار طرابلس وفي عرض البحر قبالة الساحل الليبي سقطت طائرته في البحر، وقيل إن قنبلة موقوتة وضعت في الطائرة انفجرت وفق توقيت مدروس بين الإقلاع وعرض البحر، هذا هو تفسير الفرجاني.

وفي معلومات أن الطائرة أقلعت من مطار عقبة بن نافع الذي يبعد 30 كيلومتراً عن طرابلس حاملة الإمام الصدر ورفيقيه من سجن طرابلس الحربي مع أبي القاسم القانقة إلى سرت، وأنه اختفى بعد هذه الرحلة المشؤومة، وأنه يمكن أن يكون قتل أيضاً في سرت وأنه اختفى فيها.

والذي يرجح هذه الفرضية أنه لم يعثر حتى تاريخه على أثر للطائرة وطبعاً لم يسأل أحد أين أصبحت، وهل أحرقها أمن القذافي، أم كيف تم التخلص منها، وكيف تم التخلص من اليازجي نفسه؟

وفي سرت ربما الخبر اليقين، إنما بعد زوال سيطرة القذافي عنها ورحيله عن طرابلس حياً.. أو ميتاً.

إذن روايات الهوني كلها تجمع بأن الصدر ورفيقيه قتلوا، لكن بوقائع مختلفة.. فكيف تم إخراج جريمة القتل وتقديمها للعالم؟

يقول الرائد الهوني:

وفق رواية صديق مطلع هو طاهر عريبي أن الرجل الذي كلف بمهمة إخراج قضية قتل الصدر ورفيقيه هو العقيد محمد الرحيبي كان سنه 50 عاماً في ذلك الوقت وهو الشخص الثاني في جهاز الأمن الداخلي الليبي في تلك المرحلة، (نائب مدير المباحث العامة محمد الغزالي) وقد تقاعد الرحيبي عام 1995 وما زال على قيد الحياة.

والرحيبي يتمتع بشبه شديد مع الإمام الصدر، فهو أسمر اللون، طويل القامة، عريض المنكبين، ذو طلة مميزة ووجه جميل المحيا (وقيل إن عبد الرحمان الشايبي هو الذي مثّل شخصية الإمام الصدر، وانتحل صفته وشكله تزويراً، وهو ضابط مباحث الرحيبي) اختار رجلين من الأمن يشبهان إلى حد ما شكل يعقوب وبدر الدين في الطول ولون البشرة وأخذ الجميع تذاكر سفر الصدر ورفيقيه وجوازات سفرهم وحقائبهم، وارتدى الرحيبي عمّة الصدر السوداء وجبته، وارتدى أحد رجلي الأمن عمّة يعقوب البيضاء وجبته، والآخر ارتدى بدلة صيفية مع ربطة عنق كأنها شخصية بدر الدين.

طار الجميع في رحلة أليطاليا من طرابلس إلى روما يوم 31/ 8/ 1978، أي قبل

ساعات من احتفال القذافي بثورة الفاتح في عيدها التاسع، وقد حضر الصدر إلى ليبيا تلبية لدعوة من العقيد شخصياً للمشاركة في هذه الاحتفالات بعد واسطة من الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين، الذي كان استقبل الصدر في الجزائر في شهر آب من العام نفسه وعرض ترتيب علاقة الإمام بالعقيد.

إغفال موضوع الصدر في الإعلام الليبي

وقد أغفلت وسائل الإعلام الليبية أخبار الإمام الصدر إلى ليبيا ووقائع أيام زيارته لها، ولم تشر إلى أي لقاء بينه وبين العقيد القذافي أو أي من المسؤولين الليبيين الآخرين وشوهد في ليبيا مع رفيقيه، لآخر مرة، ظهر يوم 31/ 8/ 1978.

وبعد أن انقطعت أخباره مع رفيقيه، وأثيرت ضجة عالمية حول اختفائه معهما، أعلنت السلطة الليبية بتاريخ 18/ 9/ 1978، أنهم سافروا من طرابلس الغرب مساء يوم 31/ 8/ 1978 إلى إيطاليا على متن طائرة «أليطاليا»، ووجدت حقائبه مع حقائب الشيخ محمد يعقوب في فندق «هوليداي إن» في روما.

أجرى القضاء الإيطالي تحقيقاً واسعاً في القضية بقرار اتخذه المدعي العام الاستئنافي في روما بتاريخ 12/ 6/ 1979 بحفظ القضية بعد أن ثبت أن الإمام الصدر ورفيقيه لم يدخلوا الأراضي الإيطالية.

وتضمنت مطالعة نائب المدعي العام الإيطالي المؤرخة في 19/ 5/ 1979 الجزم بأنهم لم يغادروا ليبيا.

السر في مطار روما

وفي مطار روما تسهيلات استثنائية للمسؤولين الليبيين ناتجة عن اتفاقيات أمنية، فيها تبادل منافع بين استخبارات البلدين، خاصة وأن ليبيا كانت على صلة بكل حركات التمرد والثورة في العالم كله، ومن بينها الألوية الحمراء المعارضة المسلحة للسلطة في إيطاليا، وكانت تستطيع ابتزاز أي حكومة إيطالية في عقر دارها خاصة في ظل الفوضى التي عاشتها بلاد الرومان القديمة في تلك الفترة والتي جعلت عمر الحكومات الإيطالية لا يتجاوز الأشهر الستة، وسمحت للألوية الحمراء بخطف رئيس وزراء سابق هو ألدو مورو وقتله ورميه في صندوق سيارة، فضلاً عن قتل قضاة شرفاء حكموا على قيادات

المافيا، وقادة أمن رفضوا قبول رشى من هذه العصابات.

العلاقة بين استخبارات القذافي وإيطاليا كانت تسمح لليبيين الأمنيين أن يفعلوا ما بدا لهم في مطارات إيطاليا، وكان لهم ممر خاص بعيداً عن أعين الناس وإجراءات الجوازات العادية يعتمدونها في الدخول وفي الخروج دون الحاجة إلى ختم الجوازات إذا أرادوا.

والأنكى من ذلك أن الاستخبارات الليبية استعانت بليبيين من أصل إيطالي، أو إيطاليين من أصل ليبي للعمل كوسطاء مع الاستخبارات الإيطالية، وبعضهم عمل في الجيش والشرطة السرية الإيطالية، فضلاً عن توظيف بعضهم في السفارة الليبية أو مكاتب ليبيا الرسمية في المدن الإيطالية.

في فندق «هوليداي إن» في منطقة أوريليا في روما نزل الليبيون الثلاثة، بأسماء الصدر ويعقوب وبدر الدين، ولم يمكثوا سوى لحظات كانت كافية كي يضعوا الملابس والحقائب في غرفهم... ثم غادروا إلى فندق آخر تاركين جوازات السفر اللبنانية في الفندق الفخم.

هذه هي روايات المسؤول الليبي الكبير سابقاً، وأحد قادة ثورة الفاتح، ومندوب ليبيا في جامعة الدول العربية المستقيل مع الثورة الرائد عبد المنعم الهوني، ومع تقديرنا لهذه الروايات، وضروراتها التي جعلت الهوني يعددها، فإننا نذكر فقط من وقائع يوم الغياب الكبير للإمام المغيّب، أنه غادر فندق «الشاطئ» في طرابلس يوم 31/ 8/ 1978 بعد الظهر، وودعه العشرات عند باب الفندق. وكان هادئ الطباع، لم يظهر على محياه ما يشير إلى ما سبق ولا إلى ما ينتظره.

حقائب الصدر ورفيقيه وضعت في سيارة التشريفات التي جاءت بهم من المطار حين وصل طرابلس يوم 25/ 8/ 1978 متوجهة إلى المطار ليستقلوا طائرة طيران الشرق الأوسط التي كانت ستقلّه عائداً إلى بيروت.

مغادرة الصدر يوم 31/ 8/ 1978، وهو المدعو لحضور احتفالات الفاتح بعد ساعات من هذا التاريخ يشير إلى أن مشكلة ما نشأت دفعته للمغادرة دون أن يحقق هدف زيارته وهي لقاء العقيد العلني كتكريم له.

حرم الصدر القذافي من الظهور معه على منصة تشرف على الساحة الخضراء في طرابلس، ليرى مظاهر الاحتفال الذي اعتاد القذافي تنظيمه في ذكرى ثورة الفاتح.

والأصل أن القذافي إذا كان استقبل الصدر ورفيقيه كما في روايات الهوني، ولم ينشر أحد خبراً عن اللقاءات يوحي بما يلي:

1- أن القذافي كان يبيِّت أمراً بمنع نشر صور وخبر استقباله للصدر ورفيقيه، إذا كان هذا حصل!

2- إذا كان العقيد استقبل الإمام قبل أن يحصل الصدام في الاجتماع، أو دون أن يعرف القذافي أنه سيصطدم مع الإمام لأسباب سياسية - دينية، فمعنى هذا أن هناك مصورين التقطوا صوراً للقاء كما هي عادة القذافي حين يستقبل أي وفود تقابله، حتى لو كانت في مستويات أقل أهمية من الإمام الصدر، دون أن ننسى أنها المرة الأولى التي يزور فيها الصدر ليبيا وهي أول مرة يلتقي فيها معمر القذافي، فهل ما زالت صور اللقاء محفوظة... علّها تكشف أمراً ما.

وأخيراً

يقول سكرتير القذافي اللواء أحمد المقصبي أن معمر القذافي لديه ثابتة اعتمدها مع الذين أمر بقتلهم، وهي أنه كان يرفض استقبالهم إذا كان أحدهم قريباً منه، أو على معرفة به أو تقضي الأمور أن يلتقي به... حتى لا يضعف أمام أي منهم عندما ينظر في عينيه أو يستمع إلى مجاملة منه، أو بادرة صلح يقدم عليها المطلوب للقتل.

فلماذا غيّر العقيد هذه الثابتة في سلوكه مع الإمام الصدر ورفيقيه وقد جلسوا معه طويلاً

عود على بدء

لأن الإمام اختلف مع القذافي وسفّه أفكاره وهذا ما لم يغفره القذافي للصدر... فأمر بقتله!

الفصل الثالث عشر

حول ما أشيع
عن يهودية والدة العقيد

خصوم معمر القذافي بمعظمهم ما زالوا مصممين حتى الآن أن والدة معمر القذافي يهودية، وعندما توفيت عام 1984 جزم كثيرون بأصولها اليهودية وقد سمعنا هذا الكلام مباشرة في ليبيا في هذه الفترة واستنكرنا الأمر كثيراً.

إلام يستند الخصوم في هذا النسب للقذافي ووالدته؟

يروي الرائد عبد المنعم الهوني أصول الإسقاط فيقول:

تسلمنا عام 1970 أي بعد عدة أشهر من قيام الثورة وبروز اسم معمر القذافي زعيماً لها، رسالة من راعي كنيسة في ميلانو في إيطاليا باللغة الإيطالية يقول فيها إنه كان راعي كنيسة في مدينة سرت الليبية، مسقط رأس معمر القذافي، أثناء الاحتلال الإيطالي لليبيا، وأن والد معمر القذافي أبو منيار القذافي كان يعمل لدى أسرة يهودية وأنه أقام علاقة غرامية مع فتاة من هذه الأسرة أنجب منها ولداً رمته هذه السيدة رضيعاً ثم غادرت سرت إلى طرابلس ومنها إلى فلسطين، وأن هذا الولد هو معمر القذافي نفسه حيث التقطته عائلة أبو منيار وربّته ابناً لها.

يتابع الوزير الهوني روايته: إن ابن خاله بو عرقوب هو الذي ترجم الرسالة من الإيطالية إلى العربية وكان يعمل مترجماً في وزارة الإعلام وسلمها له، بصفته وزيراً للداخلية.

ولأن 4 أشخاص علموا بأمر الرسالة دون أن يفهم ابن خال الهوني مضمونها إلا فيما بعد، فإن الوزير عبد المنعم أمر يسجن ابن خاله بهدف حمايته من بطش القذافي، وأنه تصرف بحسن نية دون أن يقصد التشهير حين تسربت الرسالة إلى خارج دائرته، لكن المسكين وقد سجن في شهر شباط/ فبراير 1970 في قسم شرطة غير مجهز بأي وسيلة للتدفئة أصيب بنزلة برد شديدة استحكمت بجسده فظل يعاني منها حتى توفي.

المهم - يتابع عبد المنعم الهوني - أرسلنا وفداً أمنياً للبحث عن هذا الكاهن وفق العنوان الذي كتبه في رسالته، فلم نجد له أصلاً أو أساساً، فاعتقدنا أنها دسيسة صهيونية لأن ثورة ليبيا عندما قامت عام 1969 شكلت عمقاً استراتيجياً لمصر وجمال عبد الناصر التي كانت تخوض واحدة من أشرف معارك العرب ومصر خلال حرب

الاستنزاف التي بدأت عام 1968 وتوقفت بقبول جمال عبد الناصر مبادرة روجرز في آب/أغسطس 1970.

ويقول الوزير الهوني: إن هناك أصلاً آخر لهذا النسب هو أن سفير ليبيا في روما عمار ضو جاء إلى ليبيا حاملاً رسالة من امرأة يهودية قصدت السفارة في روما لتسليم رسالة بهذا المعنى إلى الليبيين...

جماعة الإنقاذ الليبية التي قتلت ضو سرّبت هذه الرواية، وقتلت السفير ضو لأنه كان مقرباً جداً من معمر القذافي، وادّعت أن القذافي قتله بسبب هذه الرسالة، وهذا ليس صحيحاً لأن الرجل كان موثوقاً جداً منه ولم يشأ أن يمر خبر الرسالة دون أن يعلم به العقيد، حتى لا يتهم بالإهمال إذا ما قامت المرأة بنشر الرسالة إعلامياً.

ولا يستبعد بعد هذا أن تكون أطراف المعارضة للعقيد هي التي دفعت هذه السيدة إلى السفارة لحبك هذه الرواية وللإيقاع بين ضو والعقيد.

كان عمار ضو من الناصريين المعروفين وكان وعمر الحامدي في حلقة واحدة في حركة القوميين العرب الناصرية، وأدّى دوراً مهماً في تقوية العلاقات بين إيطاليا وليبيا، وهو وإن كان ظل ناصرياً إلا أنه ظل وفياً لمعمر القذافي كما كثير من الناصريين في ليبيا ممن أتوا إلى العمل الحكومي أو التصاقاً بالسلطة، فيما كان كثيرون من الناصريين المخلصين قابضين على الجمر يعارضون القذافي وسلطته ويتعرضون للاضطهاد في حياتهم وطعامهم وأولادهم ومصالحهم دون أن يتخلوا لحظة عن مبادئهم الناصرية.

وينقل الهوني عن مناضل ليبي سابق كان أستاذاً لمعمر القذافي في مادة اللغة العربية، هو عمر مصطفى مازك الذي وقف ضد النظام الملكي وهرب إلى العراق لمدة طويلة إلى أن عاد بعد الثورة وعينه العقيد في وزارة الإعلام، قوله إن هذه الرسالة دسيسة صهيونية تهدف إلى الإيقاع بينكم ليشككوا بانتماء القذافي إلى العروبة.

وهم يرمونها بينكم ولن يخسروا شيئاً بل أنتم الذين ستشغلكم هذه الرواية وتجعلكم تشككون ببعضكم بعضاً.

ويختم الهوني روايته بالقول:

من يعرف عمتي عيشة هكذا أسماها منعم كما كانوا يطلقون على والدة معمر يرى أن معمر أخذ كل ملامح وجهه منها... ومن المستحيل أن يقال أنه ابن سيدة أخرى غير عائشة.

والغريب أن صحيفة الثورة الليبية نشرت أوائل عام 1970 في افتتاحيتها تعقيباً حمل الكثير من التهكم رداً على رسالة وجهها قس إيطالي كاثوليكي إلى معمر القذافي يقول له فيها: إنك أنت يا معمر تمثل الأديان الثلاثة (اليهودية - المسيحية - الإسلام).

مطلوب منك دور قيادي في المنطقة.

الرسالة التي كتبها القس الإيطالي تسلمها عمر المحيشي وأعطاها إلى خليفة المنتصر لترجمتها وأرسلت إلى الصحيفة الليبية، وبعد النشر اختفت أعداد الصحيفة كلها، بعد تسرب أعداد منها إلى الباعة والمسؤولين.

الفصل الرابع عشر

أول التحديات
التي واجهت ثورة الفاتح

- آدم الحواس وموسى أحمد
- شهادة عبد المنعم الهوني
- المحيشي هدد بقتل موسى أحمد

أول التحديات
التي واجهت ثورة الفاتح

كانت مواقف الضابطين، آدم الحواس وموسى أحمد، والاثنان يحملان رتبة الرائد، مهمة جداً لتسهيل قيام ثورة الفاتح من سبتمبر/أيلول 1969، ومع أنهما لم يكونا من الضباط الأحرار، أو من مجلس قيادة الثورة، إلا أن مواقفهما الثورية قبل الفاتح جعلت القذافي يفاتحهما في حركته، وقد أدّيا فيها دوراً مهماً فقد فتح الرائد آدم الحواس معسكر فرناده الذي سهّل للثوار نجاح حركتهم.

طالب الرائدان أحمد والحواس باكراً بتسليم السلطة للمدنيين في ليبيا، وعودة الجيش إلى ثكناته لحماية النظام المدني الذي سيقوم خلفاً للملكية.

كانت دعوة الرائدين هذه كافية كي يدبر لهما القذافي خطة اتهمهما فيها بأنهما يدبران مؤامرة لقلب الثورة، فاعتقلهما وقدمهما لمحاكمة عسكرية حكمت عليهما بالسجن المؤبد، فبقيا في السجن حتى العام 1988 أي نحو 19 عاماً، ليقتل موسى أحمد في مزرعته بعد هجوم مرتزقة من الأفارقة هاجموها بحجة السرقة، وكانت الشبهات كبيرة بأن القذافي دبّر أمر قتله شخصياً.

أما آدم حواس فقد تسلم حانوتاً كان القذافي سمح بإيجاد الدكاكين بعد إنشاء المراكز التجارية الكبيرة فعمل حواس كموزع فردي بدءاً من العام 1990.

الحواس وأحمد كانا مع رائد ثالث اسمه يوسف بن التومي الشيباني عملوا مع مجلس قيادة الثورة في بداية تسلمه السلطة، وبينما دخل الاثنان السجن كما أوردنا فإن الشيباني تسلم باكراً الإذاعة الليبية لإدارتها، ثم عُيّن مسؤولاً عن قطاع النفط، وبعد استتباب الأمور لمجلس قيادة الثورة تم تعيين الشيباني سفيراً في المغرب، ثم تحول بعد ذلك إلى المحاماة قبل أن يغادر ليبيا إلى لندن ليسكن وليعمل فيها.

ورغم أن الشيباني تحول إلى الصوفية متدروشاً إلا أن مقربين منه نقلوا عنه قبل قيام ثورتي تونس ومصر، وقبل انفجار ثورة الشعب الليبي في 17/2/2011 قوله: سأعود إلى ليبيا قريباً، فسألوه... وهل تريد العودة تحت سيطرة القذافي، فرد قائلاً: لا سأعود إلى

عهد الحرية حيث يكون القذافي انتهى.

شهادة عبد المنعم الهوني عن حواس وموسى

كان موسى أحمد أقدم ضباط الثورة، وكان له تنظيمه الخاص داخل الجيش، خارج تنظيم الضباط الأحرار، وقد انكشفنا على بعضنا ضمن جيش صغير نسبياً، فانضم إلينا ليلة الحركة وقاد الكتيبة التي احتلت قصر القيادة في البيضاء شرق ليبيا حيث كان قصر الكتيبة المتحركة (أمن مركزي - دعم سريع الآن) وهي قوة مسلحة بتسليح الجيش نفسه لأنها كانت تتبع وزير الداخلية وهو كان دائماً من أتباع السنوسية عائلة الملك الحاكمة.

كان آدم الحواس شريك موسى أحمد في التنظيم وكانا مثلنا ناصريين ليبيين وكنا ناصريين وحدويين وقد تسلما بعد نجاح الثورة وزارتي الدفاع للحواس والداخلية لأحمد.

بعد فترة وجيزة شعر الاثنان بقوتيهما داخل القوات المسلحة سواء في الجيش أو في الداخلية، أي في الثكنات وفي الشارع، خاصة وأن الضابطين الجديدين علينا نحن مجموعة ضباط مجلس قيادة الثورة الأساسيين. أحاطا نفسيهما بمجموعات أخرى من الجيش والداخلية لم يكن أحد منهم من الضباط الأحرار، مما جعلنا نعتقد أن من السهل عليهما في أي وقت الانقلاب على الثورة وعلينا.

المحيشي هدد بقتل موسى أحمد

لكن هذا لم يكن سهلاً علينا، وخاصة على عمر المحيشي الذي استشعر الخطر باكراً فاصطدم في أحد الاجتماعات مع موسى أحمد وتشاجرا حتى أن عمر هدد بقتل موسى أحمد وشتمه، لكن الأخير واجهه بحدة أيضاً وأعلن للجميع أن على مجلس قيادة الثورة أن يعطيه حقه من عمر وإلا فإنه سيأخذه بيده وطالب بمحاكمة عاجلة للمحيشي.

سعينا لحل المشكلة، بأن يتقدم عمر بالاعتذار لموسى أحمد بعد أن شتمه وهدده بالقتل، لكن عمر رفض بإصرار قائلاً: إنه لا يعنيني وحدي بل إنه يعنيكم جميعاً ويقول عنا جميعاً إننا مجموعة عيال (أطفال).

كانت هذه المشكلة المستجدة فرصة أمام معمر القذافي الذي كان يراقب ما يجري، وهو لم يكنّ وداً شديداً لعمر المحيشي الذي كان شديد الاعتراض على اقتراحات معمر.

ولم يكن ينظر أيضاً بود لوجود هذين الضابطين اللذين لم يكونا تحت إمرته مبكراً بل هما يتوليان أخطر منصبين في الدولة.

بعد هذا الصدام في مجلس قيادة الثورة، جاء من يخبرنا بأن هناك تحركات يقودها ضابط يريد الانقلاب على المجلس وهو يتصل بضباط كثر في قطاعات عسكرية مختلفة بعضهم من الضباط الأحرار.

لم نصدق أول الأمر.. فتم تكليف الرائد عبد المنعم الهوني بمراقبة هواتفهم، وكلف بدوره الضابط خليفة عبد الله بمراقبة وزير الدفاع فلم يقم بذلك لأنه كان مع المتآمرين.

كان مصطفى الخروبي معنا في طرابلس فطلبنا منه التوجه إلى بني غازي لمتابعة أمر المراقبة، فتمكن الخروبي من وضع جهاز تنصت في مكتب موسى لتسجيل حواراته مع آدم الحواس وبقية الضباط... وبنتيجة المراقبة وتسجيل كل حوار أخبرنا المقدم الخروبي أن هناك مؤامرة فعلاً وأن انقلاباً سيتم ليل 28/ 12/ 1969، ولأنهم يجتمعون الآن في مقر القيادة فإنهم يمكن أن يبكروا بالمحاولة وأن علينا أن نتحرك.

كلفنا الخروبي أن يداهمهم وأن يعتقلهم قبل أن يبدأوا أي تحرك، وهذا ما فعله مصطفى الخروبي حيث قاد قوة داهمت مقر قيادتهم وألقى القبض عليهم.

توجهنا معمر وعبد المنعم الهوني ومحمد المقريف إلى بني غازي والتقينا بموسى أحمد وآدم الحواس معتقلين.

اعترف موسى أحمد بأنه كان يدبر انقلاباً ضد مجلس قيادة الثورة لأنكم لم تأخذوا لي حقي من عمر المحيشي. أما آدم الحواس فلم يعترف بوجود أي مؤامرة، قائلاً إنه انشقاق داخل الجيش وداخل التنظيم وإن هناك قوة داخل وزارة الدفاع تريد تحسين أوضاع الجيش وأن المشكلة في مجلس قيادة الثورة لفشله في تحقيق الإصلاح.

قُدم الضباط موسى أحمد وآدم الحواس وعمر الواحدي وعبد الله خليفة وآخرون إلى محاكمة عسكرية عاجلة شكلت برئاسة الرائد محمد نجم، الذي اقتنع بعد عرض الأمر واعتراف موسى أحمد والتسجيلات المقدمة بوجود مؤامرة فحكم عليهم بالسجن لمدة ثماني سنوات.

كانت سبقت الأحكام اتفاقية مع موسى أحمد الذي اعترف بوجود مؤامرة بسبب مواجهته مع عمر المحيشي وبسبب دوره ليلة الثورة، تقضي بأن يعترف في المحكمة بدوره في المؤامرة مقابل الإفراج عنه وتعيينه سفيراً في الخارج.

لم يعترف موسى أحمد بذلك في المحكمة، مما دفع معمر القذافي لأن يتراجع عن وعده، فنفذ حكم المحكمة وأدخله والآخرين السجن، وظل موسى في السجن حتى العام 1988 وخرج بعد أن قاد القذافي جرافة هدمت أسوار سجن طرابلس في الواقعة الشهيرة.

الضباط الآخرون ماتوا كلهم فيما بعد في ظروف غامضة جعلتنا نعتقد بأن معمر القذافي دبر قتلهم كلهم في مواقع أعمالهم الجديدة، أو في منازلهم أو في حوادث طرق.

الفصل الخامس عشر

الغارة الأميركية على ليبيا

- معمر يتاجر بها
- من الذي قتل وتضرر من الغارة؟
- حكاية ابنته بالتبني
- ضحايا الغارة
- رأي لشارل حلو

معمر يتاجر بها

وقفت ليبيا كلها ضد العدوان الأميركي على أراضيها في نيسان/أبريل 1986 لأن العدوان هو عدوان على سيادتها وكرامتها ومؤسساتها، وكل تدمير ألحقته الطائرات الأميركية بحبة تراب أو حجر أو شجر أو بشر هو خسارة ليبية بالدرجة الأولى.

وقف الليبيون مع معمر القذافي في هذا العدوان رغم أنه استدرج الأميركان له، وهو عندما حصل اختبأ في أعماق الأرض، ولم يخرج إلا بعد عدة أيام.

كان أصدقاؤه السوفيات أخبروه قبل الغارة الأميركية التي أمر بها الرئيس الأميركي يومها رونالد ريغان بعد تأكد إدارته من أن الاستخبارات الليبية هي التي نسفت ملهى ببال في برلين، وقُتل وجرح عدد من الجنود الأميركيين.

فأراد الانتقام..

لم يكتف السوفيات بإخبار القذافي، بل إنهم أمروا قطعاً من أسطولهم البحري كان يرسو في ميناء طرابلس بالابتعاد إلى عرض البحر حتى لا يحرجوا سواء بالتعرض للعدوان الأميركي خطأً، أو بالاضطرار إلى التدخل وهم لا يريدونه.

لم يكن السوفيات وحدهم هم الذين أخبروا معمر بالغارة مسبقاً بل جرى إبلاغه من أصدقاء أميركا الأوروبيين شرقيين وغربيين وحياديين، تبلغ العقيد أنباء الغارة مسبقاً من رئيس وزراء النمسا السابق بروتو كرايسكي ومن رئيس وزراء اليونان جورج باباندريو الأب، ومن رئيس رومانيا نيكولاي تشاوشيسكو ومن رئيس وزراء مالطا دوم مانتوف وكلهم على صلة أكيدة بالأميركان وكلهم سمعوا من الأميركان مباشرة عن الغارة لتحذير العقيد منها.

كتب الكثير عن هذه الغارة، وتاجر بها معمر القذافي وأجهزته كثيراً.. لكننا في هذا الكتاب نقدم قراءة جديدة، أو اجتهاداً مستنداً إلى معلومات قد تفيد هذه القراءة من النواحي التالية:

- خرج معمر القذافي منتصراً بعد هذه الغارة، يزيد على الناس تسلطه في الداخل، ويتباهى بالجرائم التي ارتكبها بعدها في الخارج، ومنها:

أ - ملاحقة معارضيه قتلاً وخطفاً ومحاولات اغتيال بالعشرات إن لم تكن بالمئات

- ولم ينبس الإعلام الغربي ببنت شفة – لم يستنكر، لم يهول ولم يرحم المقتولين.

ب – تفجير متلاحق لطائرات أميركية فوق لوكوربي وفرنسية فوق النيجر، وليبية فوق طرابلس تحمل مواطنين ليبيين.

ج – حمّل القذافي معارضيه كلاً في موقعه سواء كان في بلد عربي أو أوروبي أو أميركي مسؤولية المشاركة في هذه الغارة وخرج إعلامه ولجانه زاعمة أنه كان متواطئاً مع الأميركان في هذه الغارة؟!

- لم يقصد ريغان من غارته على باب العزيزية إلا محاولة تأديب القذافي لتحسين سلوكه مع أميركا والغرب ولو كان يقصد التخلص منه لفعل، ولو كان يريد إسقاط نظامه لكان تواطأ مع عدد من معارضيه القابلين بالتعاون مع أميركا للحلول مكان العقيد.

لقد توفرت فرصة ذهبية لم تسنح ولن تستنح بعدها طيلة ربع قرن – حين اختبأ القذافي بل اختفى ومن معه من العاصمة لعدة أيام كانت كافية كي ينقض من يريد تسلم السلطة وسط فراغ مذهل وغياب مبهم، ولم يكن أيّ من الليبيين ليدافع عن هذا الطاغية.

حصلت الغارة ودمرت ما دمرت – واختفى العقيد هو ورجاله ونظامه وأدواته، وكان يكفي تنظيماً صغيراً في الجيش من عدة ضباط كي يحتلوا الإذاعة والتلفزيون ومعسكر باب العزيزية المهجور ويتلو البيان الأول في عزل العقيد وتسلم السلطة.

لم يفعلها أحد، ولم يتواطأ الأميركان مع أحد.. وكثيرون يؤكدون أن ريغان وأميركا كانت تتمسك ببقاء القذافي ولكنها كانت تريد تأديب الولد المشاغب فقط وهذا يقودنا إلى النقطة الثالثة.

من الذي قتل وتضرر من الغارة؟

- كان إعلام العقيد وجماعاته وضعوا منزله في باب العزيزية ضمن المعالم الثورية التي يعرضون على الناس ضيوف الدولة زيارتها للحديث والتباهي بصمود القائد أمام العدوان الأميركي.

ولم يبقَ ضيف زار المنزل إلا وخرج بتساؤل لئيم يقول: كيف يقال إن ضرب المنزل تم جواً في حين أنه مفجر من الداخل وليس من أعلى؟

يؤكد كثير من الليبيين أن منزل العقيد لم يصب بالغارة لأن ريغان لم يكن يريد

قتل الرجل، بينما عمد معمر إلى نسف المنزل من الداخل بعد مرور عدة أيام على انتهاء الغارة.

حكاية ابنته بالتبني

- الأخطر هو حكاية ابنته بالتبني التي زعم أنها قُتلت في هذه الغارة، ويشهد ليبيون كثر بأن الحكاية مفتعلة وأن ابنته بالتبني التي يزعم أنها قتلت في الغارة هي الآن طبيبة في أحد مستشفيات طرابلس وهي ذات حجم كبير لافت للنظر وتدعى هناء.. وهي استمرت عشر سنوات في دراستها ولم تكن تتخرج لكنه اعطاها لقب طبيبة وأحاطها بحراسة وفرق طبية في أحد مستشفيات العاصمة.

وأول من تحدثت عن هذه الابنة المزعومة هي مذيعة إنجليزية تدعى كيتي متقاعدة الآن ويجزم ليبيون كثر أن العقيد اشتراها كي تفبرك له هذه الرواية.

ضحايا الغارة

- ضحايا الغارة الأميركية على طرابلس عام 1986 أغلبهم من أعداء القذافي ونظامه، وأبرزهم أحد أكبر تجار ليبيا سابقاً هو المرحوم محمد المشيرقي وكان صاحب دار جميلة في بن عاشور وحديقة غنّاء ربّى فيها الغزلان، وأثار حسد العقيد فأمّم أملاكه.. رغم أن هذا الرجل كان من الوطنيين والقوميين المعروفين في ليبيا، حيث كان يدعم ثورة الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي بالمال، ويقدم التبرعات للمقاومة الفلسطينية باكراً وكان يساند الوطنيين الليبيين ضد الاستعمار الإيطالي.

ومن ضحايا الغارة أيضاً عائلة البازجي القريبة من بن عاشور بسكناها وكان كبيرها ناظر الخاصة الملكية السنوسية.

هل هذا يعني أن معمر القذافي كان أميركياً؟

رأي لشارل حلو

- في مجلة «الحوادث» يوم الجمعة 22 شباط 1980 العدد 1216 يقول رئيس الجمهورية اللبنانية الراحل شارل حلو:

أنه سأل أحد كبار المسؤولين الأميركيين، بعدما ترددت إشاعات ونظريات حول دور الولايات المتحدة في تنفيذ ثورة الفاتح من سبتمبر في ليبيا: «ما هي حقيقة الدور

الأميركي؟».
فأجابه: «دورنا كان محصوراً في الاستفادة من الانقلاب، لقد وجدنا أن قيام حكم عسكري ديناميكي شاب ينتمي لثورة 23 يوليو، مجاور لمصر من شأنه أن يريح أعصاب الرئيس جمال عبد الناصر لأنه بعد هزيمة 1967، أصبح التصلب العربي يشكل حجر عثرة في طريق السلام، وهو وضع طبيعي، لأنه في أعقاب الهزائم تتحول الصلابة إلى تصلب، وعبد الناصر يشعر أنه محاصر بنظم معادية تشتفي من هزيمته، فجاءت الثورة الليبية عام 1969 لتلين الرئيس المصري، وجعلته يقبل بمشروع روجرز الذي طرحناه بعد قيام الثورة الليبية بشهرين...!
وفي هذا السياق لماذا لم يتحالف القذافي مع مصر وسوريا في حربهما ضد إسرائيل إن كان عربياً وناصرياً كما تدعي (باتريسيا دوس Patricia Douce) - في كتابها (A Patience Des Poissons) الأمر الذي يترافق مع التنازلات التي قدمها إلى أميركا لا سيما بعد أن كان يقول «طز في أميركا» وبشكل فاجأ به الجميع مبرراً ذلك بأنه ينسى مغازلة واشنطن معتبراً إياها القوة ولا بد من الانصياع لإرادتها لا بل طالب العرب وإيران مؤخراً إلى التمثل بما فعله أي تقديم تنازلات مجانية لصالح الاستعمار الأميركي في المنطقة ولعرض تناقضه ما كتبه أيضاً عن روسيا والاتحاد السوفييتي لتوكيد قدرته في التغيير من اليمين إلى اليسار والعكس بأسرع من راقصي الموسيقى الحديثة.

الفصل السادس عشر

كيف قتل القذافي؟

- هكذا قتل معمر
- المشهد الإيراني
- تاورغاء
- دور قطر
- كيف تحل المشاكل اليوم؟
- لماذا يا أبا بكر؟
- كاليغولا لم يعظ القذافي

كيف قتل القذافي؟

من الصحراء بدأ... وإلى الصحراء عاد. كانت البداية معروفة.. وكذلك العودة، لكن المجهول هو مكان الدفن.

قال أحد أبرز منافقيه ومجرميه أحمد إبراهيم أمام وفد فلسطيني جاء يبايع العقيد باسم المنظمات الفلسطينية المسلحة التي كانت إحدى أدواته الإجرامية والاستخباراتية (أبو نضال، أحمد جبريل)، إن الأنبياء كان يوحى لهم، بينما لا يوحى للأخ القائد، إنما كل ما يقدمه للبشرية هو من عبقريته.

وتابع أحمد إبراهيم نفاقه لمعمر قائلاً.. إن الكتاب الأخضر يجب أن يحفر على ألواح معدنية، ثم يدفن في عمق الصحراء، حتى إذا وقع زلزال أو حرب نووية ودمرت البشرية يظل الكتاب الأخضر إرثاً للأجيال التي ستأتي بعد ذلك.

في هذه الجلسة الغارقة في النفاق قال صبري البنا، أبو نضال، موجهاً حديثه للقذافي الرافع رأسه إلى العنان:

بعد أن استمعنا إليك يا أخ معمر نستطيع القول إنك أنت الديمقراطي الوحيد في ليبيا.

وختمها عبد السلام جلود بفروسية وشجاعة كعادته وهو يتحدث لأبي نضال: وأنت الانتهازي الأول بين الفلسطينيين.

كان معمر القذافي ونجله المعتصم ووزير دفاع ليبيا أبو بكر يونس، ونحو 50 من الأنصار هم آخر من تبقى في التمرد الميؤوس منه على الاستسلام للثوار الذين حاصروا مربعهم الأمني في مدينة سرت مسقط رأس معمر أبو منيار القذافي أو قتلهم إيذاناً بإعلان انتصار ثورة 17 فبراير/ شباط 2011.

المقاتلون مع معمر انتشروا عند نوافذ المباني في آخر حي سكني محاصر، في المدينة، وراحوا يقنصون الثوار الذين أطبقوا على آخر معاقل معمر. فيقتل من المهاجمين العشرات وهم يصممون على إنهاء تحرير المدينة - المعقل حتى من آخر من تبقى.

كان الثوار يتقدمون ثم يتراجعون بسبب رصاص القنص الذي يرميه قناصة مهرة.

ولكنه في كل مرة يبدون حماسة أكثر وإصراراً أشد على ألا يبقى في سرت من يطلق الرصاص غيرهم.

استخدموا كل أسلحتهم الثقيلة من قذائف الدبابات والمدافع والراجمات والـ«آر. بي جي»، وكانوا يستهدفون كل طاقة وشباك وسطح وشرفة وباب ومدخل يعتقدون أن رصاص جماعة معمر ينطلق منه نحوهم.

ليل الخميس في 20/10/2011 انهالت القذائف حمماً على مكان القذافي المباشر، هو ظن أن الثوار كشفوا أمره، وهم أي الثوار كانوا يمشطون المربع كله بالوتيرة نفسها من غزارة النيران وعزيمة الإصرار.

ظن معمر أن أمره قد كشف فطلب من الجميع الاستعداد للرحيل في عتمة الليل البهيم. ودعا ابنه المعتصم لتجهيز السيارات تمهيداً للخروج الذي كان تقرر في الساعة الثالثة فجر الخميس، أي قبل نحو ساعتين من انبلاج الفجر تمهيداً لإطلالة النور الذي يسبق الشمس وهو ابنها الشرعي.

تأخر المعتصم والسائقون في تجهيز السيارات حتى كان الفجر يسابق العتمة، وظهر شفق الشمس إيذاناً بصحو كامل من ليل لم يعرف أحد فيه النوم لا معمر ولا الثوار.

ركب الجميع سيارات مختلفة الأحجام فيها عدد كبير من السيارات المصفحة ذات الدفع الرباعي والزجاج المغطى، كشف الموكب الكبير، البعض تحدث عن 70 سيارة، انفصل عنها موكب العقيد بـ 12 سيارة حاولت بعد أن سمع أزيز الطائرات الفرنسية التي لم يتم طياروها طيلة الليل انتظاراً لهذه اللحظة، ليدكوا موكب القذافي.

هبط موكب العقيد في واد تحميه حوافي المرتفعات حوله علها تشكل حماية لموكب معمر، لكن الثوار كانوا يملأون الطرقات والتلال والأودية وحوافيها وكثبان الرمال والسهوب، فأين المفر!! وطائرات الناتو تقصف صواريخها ومدفعية الثوار تصب حممها.

كشف الموكب الأخير أمام من في السماء وعلى الأرض، فهبطها معمر ومن معه وهم نجله المعتصم، اللواء أبو بكر يونس ومنصور ضو وهو مسؤول كتائب أمن القذافي الشخصي وضابطة من الراهبات الثوريات هي كالعادة عائشة.

حاول العقيد التوجه بحراً، لكن الثوار كانوا له بالمرصاد أيضاً فالحصار مطبق، شاهدوا السيارات فأمطروها بالقذائف، نزل القذافي ومن معه من السيارات بسرعة

واختبأوا في ماسورة لنقل مياه الأمطار من الوادي إلى البحر.

اختبأ معمر وأبو بكر والمعتصم وعائشة في ماسورة، واختبأ خمسة من عناصر الأمن في ماسورة أخرى، بعد فترة هدأ فيها القصف، خرج المعتصم ليستطلع ممراً آمناً يوغلهم في الصحراء أو لقاء جماعة من يعتقد العقيد أنهم يمكن أن يساعدوه على الاختباء والهرب فسقط المعتصم أسيراً، ضربه الثوار وجاء من يهدئه ليرشد على مكان اختباء والده بوعد أن أحداً لن يمسه بل سيتم تقديمه للمحاكمة.

كانت حال المعتصم الذي لم ينم عدة ليال سابقة ووضعه النفسي المنهار والتعب الشديد واليأس الأشد – دافعاً أن يرشد إلى والده، فواجه الثوار معمر وجهاً لوجه، بعد أن قتلوا المعتصم إثر اعتقاله.

كان الثوار الذين قابلوا معمر من مصراته، وهذه المدينة شهدت من غدره خلال أشهر الثورة ما لم تشهده منطقة أخرى في ليبيا، قذائف تنهار وتقتل كل من يصدق إعلان القذافي بوقف إطلاق النار، قنص يقتل كل من يصدق وعود معمر، حصار يمنع المياه والكهرباء والغذاء.

سقط في مصراته وحدها أكثر من ألف قتيل وآلاف الجرحى. ودمرت آلاف المباني والمنازل والمؤسسات والمتاجر والمرافق، حتى بات اسم مصراته يتراوح بين لينينغراد في مواجهة جيوش هتلر خلال الحرب العالمية الثانية، وبور سعيد في مواجهة العدوان الثلاثي على مصر عام 1956.

4 من شباب مصراته المقاتلين واجهوا معمر، سحبوه من الماسورة الضخمة ومعه أبو بكر يونس منصور وعائشة فقتلوا الثلاثة بسرعة، وجروا معمر وهم ينهالوا عليه ضرباً كان يصرخ بهم يا أولادي ماذا تفعلون؟ أنا زي أبوكم أنا منكم، حرام عليكم ما تفعلونه.

كان كل واحد من الأربعة يتفنن في التعبير عن حقده ضد معمر، أحدهم شجّ رأسه بعقب رشاش آلي، وآخر بعنف في وجهه وهو يمسك بشعره يسأله عن شعره المستعار الذي كان يخبؤه تحت قبعة أو عمة...

آخر لم يحتمل رؤية معمر أمامه فأطلق عليه رصاصة في خاصرته والآخر أطلق رصاصة على رأسه، وبعد تشريح الجثة قال الأطباء إن كل واحدة منهما كانت كافية لقتله.

قبل أن يلفظ القذافي أنفاسه رموه في سيارة نصف نقل وسط صراخ شباب قدموا

إلى المكان بعد تأكدهم من اعتقاله ليصرخوا يا جماعة اتركوه حياً يجب المحافظة على حياته لأنه يملك معلومات كثيرة ستدينه وتقتله ويجب أن نعرف منه عن الكنز الذي يملكه، اتركوه للمحكمة... لكن نزيف الدم من رصاصة الرأس ورصاصة الخاصرة التي اخترقت الكبد والبنكرياس وخرجت من الناحية الأخرى أنهت حياة الرجل وضاع على العالم الكثير الكثير...

عندما وصلت سيارة الإسعاف إلى المكان وحملته إلى المستشفى الميداني كان معمر القذافي قد مات في الطريق حمل إلى براد خضار في مصراته ورموه أرضاً عارياً فكان البعض يبصق والآخر يركل والبعض يكتفي بالتمتمة والجميع يكرر الزيارة مرة واثنتين حتى كادت رائحته المميتة تفوح فتقرر الاستماع إلى قرار المجلس الانتقالي بحمله إلى الصحراء لدفنه بعد أن أحضر شيخاً قرأ صلاة الموت على معمر وتم دفنه في مكان قصي أقسم جميع من عرفه على القرآن الكريم ألا يخبر أحداً عنه.

المشهد الإيراني

كان الكاتب في طهران، بعد عدة أيام من عودة الإمام الخميني من باريس في 1/2/1979، وكان في رفقته في رحلة الطائرة الشهيرة.

سقط نظام الشاه وهو خارج البلاد، واعتقل رجاله، ومنهم رئيس الوزراء الأشهر أمير عباس هويدا (قيل إنه بهائي) حوكم هويدا محاكمة عسكرية أمرت بإعدامه فرمي بالرصاص ثم نشرت صوره شبه عار على صدر صفحات إيران اليومية مما جعلنا نسأل قتلتم الرجل... هذا جزاؤه ولكن لماذا تصويره بهذا الشكل العاري وهو أمر ينافي الأخلاق والدين.

رد علينا يومها أحد أشد أنصار الخميني حماسة وارتباطاً بجهات فلسطينية محمد صالح الحسيني (قتل في بيروت مطلع الثمانينات) بأن الشعب الإيراني لم يصدق حتى الآن أن الشاه هرب وأن نظامه سقط وأن رجاله يعتقلون ويحاكمون ونشر هذه الصور يهدف إلى إقناع الإيرانيين بأن الشاه سقط فعلاً، وأن رجاله يقتلون، أما نشر هذه الصور فهي عبرة لمن اعتبر.

فهل أراد ثوار مصراته استعادة هذا المشهد الإيراني بشخص القذافي وقتله وتعريته وعرض جثمانه بهذا الشكل؟

الشباب الأربعة الذين قتلوا معمر القذافي جاؤوا سراً إلى القاهرة بعد عدة أيام

ليعرضوا على أطباء صحة وعلم نفس لإخضاعهم لعلاج من كل النواحي، فما حصل يمكن أن يشكل لهؤلاء الشباب صدمة قد ترافقهم حياتهم كلها.

نعم عاشوا فترة نقاهة في مصر بعد الذي عاشوه في مدينتهم وخارجها خلال الثورة وهو ليس بالقليل بكل المقاييس، وبعد أسبوعين عادوا بالطريقة نفسها التي جاؤوا بها أي ضمن الطائرات التي كانت تنقل الجرحى من ليبيا، وتعيد المعافين منهم إلى بلدهم.

وشباب مصراته جاؤوا للقتال في سرت بعد تحرير مدينتهم، ليساعدوا في الخلاص من القذافي، وليساعدوا أيضاً في إنقاذ الآلاف من أبناء مصراته ممن كانوا يعيشون في مسقط رأس معمر.

كانت الأخبار السيئة بل المروعة تصل إلى مسامعهم عن تعرض بنات مصراته لعمليات تحرش والبعض للإغتصاب والإعتداء من كتائب القذافي، وبأمر شخصي من معمر ومن المعتصم ومن عبد الله السنوسي (الهارب).

ومصراته مدينة القتال الشرس في الثورة ضد معمر، هي مدينة التجارة والثقافة والعيش الرغيد والميناء الواسع، يروي الوزير السابق عبد المنعم الهوني للكاتب أن العقيد معمر القذافي كان استدعاه عندما كان وزيراً للداخلية ليقدم له معمر قراراً كرئيس لمجلس قيادة الثورة بنزع ملكية 200 محل تجاري في سرت يملكه مصراتيون.

قال معمر للهوني بالحرف: يجب أن تحرر سرت من الاستعمار المصراتي؟!

يضحك الهوني ويطلب من معمر أن يهدئ من روعه وراح يحدثه بالعقل: أخ معمر كيف توقع عقد وحدة مع مصر، وتريد فك الارتباط مع ناس من بلدك؟

انتشر المصراتيون في معظم مدن وبلدات ليبيا وهم أهل تجارة وعلاقات، ومع هذا فهم معروفون بالشراسة حين القتال، وأهل مصراته مولوا حربهم ضد القذافي من أموالهم، ويقولون أنهم اشتروا السلاح للدفاع عن مدينتهم ثم للمشاركة في إسقاط القذافي، ودفعوا ثمن سلاح اشتروه من المنطقة الشرقية وكانوا ينقلونه على مسؤوليتهم وسط مخاطر لا حدود لها.

وفي مصراته لا يتمتع الإسلاميون بقوة في مجتمع علم وثقافة وتجارة ومرفأ ضخم، رغم أن مصراته تضم أكبر معهد ديني في ليبيا تحت إشراف جمعيات أهلية.

كانت أول مشكلة واجهت الدولة الوليدة هي كيفية مصالحة أهل مصراته مع أهل بني الوليد حيث قبيلة الأورفلة الكبيرة فيها، وكذلك أهل مصراته مع القذاذفة.

ثارات عديدة بين المدينتين نشأت خلال عهد معمر القذافي وخلال الثورة، واليوم بعد قتل العقيد تشكل النزاعات بين المدينتين إحدى المشاكل المعقدة العديدة التي تواجه ليبيا الجديدة.

تاورغاء

هي مدينة صغيرة تبعد عن مصراته نحو 40 كيلومتراً، وأهلها كانوا أداة طيعة في يد القذافي لقصف مدينة مصراته وهي قاتلت معه حتى آخر لحظة.

وهذه المدينة الصغيرة كانت منطقة تجميع الرقيق الأفريقي الذي كان يتم جلبه من أفريقيا منذ نحو 400 سنة ومنها كانت تنطلق تجارة الرقيق إلى كل أنحاء العالم وأميركا بكل ولاياتها.

أهالي تاورغاء كلهم من أصول أفريقية، وسحنة وجوههم سمراء داكنة وشعورهم أفريقية قاسية.

كان أهل تاورغاء رقيقاً وكان تجارهم الأساسيون مصراتيين، وخلال عهد القذافي كبر الرقيق اجتماعياً بمساعدة القذافي لهم ومساعدتهم له، فقد كانوا مجندين في صلب كتائب أبنائه ومرتزقته.

أما التجار فقد تكاثروا وباتت لهم في مصراته نفسها سيطرة تجارية مطلقة، وبعد الثورة طرد المصراتيون 180 عائلة تاورغائية تملك في مصراته تجارات عديدة.

ما الحل؟

هل يترك لكل مدينة إبقاء مجلسها العسكري الذي نشأ على هدف مقاتلة كتائب القذافي وأبنائه ومرتزقته؟ لتتحول هذه المدن إلى محميات تحكمها الميليشيا المسلحة بما تبقّى من الدولة الليبية التي ظلت موحدة تحت ظلم العقيد، لتتفتت تحت فوضى خصومه؟

كان إنشاء كل مدينة لمجلسها العسكري خلال الثورة مبرراً، فبعد نجاح الثورة في 17/ 2/ 2011 واكتمال ذلك ببدء تطبيق الحظر الجوي فوق ليبيا استناداً للقرارين 1973- 1970 في 19/ 3/ 2011، وتمكن ثوار المنطقة الشرقية من التنسيق الميداني وتعبئة الثوار لاستقبال المتطوعين للقتال في بقية الجبهات ضد معمر تحت غطاء الضربات الجوية الأطلسية وبعض الخليجية وتحديداً قطر، فإن الهجمات التي شنتها قوات القذافي المتفوقة عدداً وعدة وتجهيزات وتدريبات على كل مدينة على حدة

مقطعة أوصالها الجغرافية مع بقية المدن، حتم على هذه المدن إنشاء هذه المجالس معتمدة أول الأمر على الضباط والجنود المنشقين عن العقيد، والذين وجدوا أنفسهم يخسرون قواعدهم ومعسكراتهم تحت ضغوط الثوار وضرباتهم، ثم على حماس الشباب الذين ذاقوا وأهلهم الهوان والذل والسجون والقتل والنفي طيلة عقود من نظام ظالم لم يرحم كبيراً ولا صغيراً، لا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا امرأة...

نعم كانت مدن ليبيا مختلطة السكان من كل أبناء المدن الأحرار، فتجد في بني غازي أبناء طرابلس ومصراته والكفرة والزاوية وطبرق والبيضاء مثلما نجد في طرابلس أبناء من سرت وبني غازي وترهونة واجدابيا والجفرة وزليطن والخمس.

لذا عندما شكلت المجالس العسكرية كان عمادها أبناء كل مدينة أقيمت فيها هذه المجالس، لكنها في الوقت نفسه كانت تضم أبناء المدن الأخرى الذين باتوا جزءاً أساسياً من سكانها.

حتى الآن يتمسك أعضاء المجالس العسكرية ببقائها لأنها وفرت لهم بعد الانتقام من العقيد وإسقاط نظامه مكانة اجتماعية لم يحلموا بها طيلة حياتهم.

صحيح أن بعض أعضاء هذه المجالس ككثير من المقاتلين هم من نخب كل مدينة، فيها الطبيب والمهندس وأستاذ الجامعة والمدرس والموظف والتاجر البسيط.. والممرض وكلهم تركوا أعمالهم للالتحاق بالثورة لتخليص بلدهم من جور وعسف وعته العقيد.

لكن هؤلاء سرعان ما يعودون إلى أعمالهم ولا يبقى في الميدان إلا الطامحون سياسياً، والمنضمون إلى جماعات إسلامية أو العاطلون عن العمل في بلد تعطلت موارده طيلة ثمانية أشهر ولا يبدو في الأفق حل سريع لمشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية.

وفي ظل غياب الدولة ومؤسساتها وأدواتها الأمنية ستظل هذه المجالس تدير أمور مدنها بمعرفتها المتواضعة وخبرتها شبه المعدومة، وطبيعة عملها المسلح الذي لا يعرف سوى إطلاق النار، حتى دون أمر من أحد أنهم عندما يعتادون على هذه الحال يستمرئون العيش فيها، وتكبر مصلحتهم في إمكان الاعتماد عليهم لإدارة شؤونهم دون تدخل من أحد، بل هم بقدر ما قاوموا القذافي وكتائبه بحق يطلون على إمكانية معاودة الكرّة بمقاومة وجود الدولة نفسها... بدءاً من محاربتهم تشكيل جيش وطني للحلول مكانه.

بوادر هذا التفكير ظهرت في إعلان المجالس العسكرية رفضها الخضوع لقيادة اللواء خليفة حفتر الذي ينجح بعد انتهاء مرحلة معمر في إنشاء نحو 10 كتائب مسلحة تضم نحو 20 ألف مقاتل، يتوفر لهم الفساد والسلاح شيئاً فشيئاً فضلاً عن استعداد الحكومة الجديدة لتمويل كل هذا. (ورد في الكتاب حديث عن حفتر وبداية حركته ضد العقيد) بما يسمح بتشكيل جيش ليبيا الوطني للحلول مكان هذه المجالس وكتائبها وميليشياتها المسلحة.

دور قطر

يسيطر الإسلاميون على المجالس العسكرية في معظم مدن ليبيا شرقاً وغرباً، وتحديداً طرابلس وبني غازي وطبرق ودرنة والبيضا وغيرها. وهؤلاء شكلوا كتائب عسكرية لإظهار قوتها وتسيير أمور المدن التي تسيطر عليها.

تمول قطر هذه الكتائب بالمال والسلاح، والدعم الإعلامي والسياسي، وتغدق عليهم بلا حساب وتستقبل قادتهم وتشرف على تنسيق مواقفهم وتحركاتهم.

ولا تستثني قطر من مساعداتها أحداً من الإسلاميين فتعطي الجماعة المقاتلة ما يمكنها من تشكيل عشر كتائب في طرابلس والمنطقة الغربية، ومثلها في بني غازي والمنطقة الشرقية، وكل كتيبة تتكون من مقاتلين تتراوح أعدادها بين 250 و300 مقاتل يشرف ضباط قطريون أو يحملون الجنسية القطرية وهم من بلدان مختلفة (الأردن، باكستان، العراق) على تدريب قوات هذه الكتائب كأنهم يؤهلون ليصبحوا قوات نظامية.

الإسلاميون يبدون أكثر القوى استبعاداً لإجراء انتخابات نيابية، يدركون أنهم سيخسرون فيها سلطة حقيقية يمارسونها منذ أشهر بقوة الأمر الواقع.

وهم يحرضون ضد كل المؤسسات التي قامت وتقوم في ليبيا منذ بدء الثورة وأولها المجلس الانتقالي برأسه القاضي الشرعي السابق مصطفى عبد الجليل ومع أن عبد الجليل محسوب على الإسلاميين وهو لم يدرس القانون، مكتفياً بدراسة الشريعة.

ومع أن رئيس الوزراء الجديد عبد الرحيم الكيب محسوب أيضاً على الإسلاميين.

ومع أن الإسلاميين ممثلون في المجلس الانتقالي بـ 5 أعضاء من أصل 60 عضواً.

فإنهم يشنون حمله شعواء ضد كل شخصية وطنية أو قومية أو ليبرالية بهدف إحراجهم لإخراجهم من ليبيا الجديدة.

ركز الإسلاميون حملتهم ضد رئيس المكتب التنفيذي السابق دكتور محمود جبريل فأحرجوه حتى أخرجوه.

يركز الإسلاميون اليوم وسابقاً على الناطق الرسمي باسم المجلس الانتقالي المحامي القومي عبد الحفيظ غوقة وينظمون تظاهرات ضده في بني غازي مدينته تطالب بإخراجه.

يرفض الإسلاميون الاحتكام للانتخابات النيابية لأنهم يعرفون أن المقاييس داخلها لا تتم اعتماداً على السلاح بل على أصوات الناخبين، وهؤلاء الناخبون يعتمدون المقاييس المحلية والمناطقية والقبلية أكثر من اعتمادهم على الشعارات الدينية فكل ليبيا إلى حد كبير متدينة، والليبيون شعب مسلم متدين باعتدال يرفض التطرف، ولا يطبق شعارات السلفيين ولا شعارات الجماعة المقاتلة ولا يستهويه تاريخ جماعة الإخوان المسلمين مشرقاً ومغرباً.

كان أول ما فعله بعض الإسلاميين في ليبيا خلال وبعد الثورة هو بدء معركة ضد أضرحة يعتبرها أكثر الليبيين لأولياء يحبونهم ويقدرونهم.

أول الضرائح المشهود لصاحبها بالبطولة والجهاد ضد الاستعمار الإيطالي هو سيدي عبد الجليل، الذي خاض أهم وأشرف معارك الجهاد الليبي ضد الطليان بعد معركة الهاني.

كان عبد الجليل مرابطاً على الشواطئ الليبية لرصد ومواجهة الغزو البحري من القوى الأجنبية لليبيا التي كانت تحت الحماية التركية، بنى بيتاً صغيراً له ولعائلته فلما قتل في مواجهة الاستعمار الأجنبي، أقام له أهل منطقته في طرابلس مشهداً كبيراً كانت تقصده الناس لقراءة الفاتحة وتدعو له أن يكون في رحاب الخالدين.

نسف السلفيون ضريح سيدي عبد الجليل، فثار أهل منطقته ونظموا تظاهرات ضدهم حتى أرغموهم على الانكفاء ووقف استكمال مشروعهم التدميري (الأمر نفسه حصل في مصر، بعد أن هدم السلفيون المصريون أضرحة عدد كبير ممن يحبهم الناس ويدعون لهم، حيث ثار أهالي المناطق التي تقام فيها الأضرحة فاضطر السلفيون إلى التراجع).

نسف السلفيون 4 ضرائح في طرابلس بما فيها ضريح سيدي عبد الجليل قبل أن ينكفئوا.

كيف تحل المشاكل اليوم؟

تقوم المجالس العرفية كما في تاريخ ليبيا القبلي مكان الدولة سواء كانت قوية كما في عهد معمر، أو في حالة شغور موقعها منذ ثورة فبراير حتى اليوم.

فالمجالس العرفية بدأت دورها مع بدء حصار بني وليد، ورغم تراوح الحوارات مكانها عدة مرات خلال هذا الحصار، إلا أن المجالس نجحت في استسلام بني وليد واستقبال الثوار دون قتال... رغم سقوط المئات قتلى في مراحل فشل الحوار.

فشلت هذه المجالس في سرت بسبب تعنُّت القذافي ولجوئه إليها لخوض معركة أخيرة منها، لكنها هي التي حلت المشاكل بين الزاوية وبين المايا بعد أن حارب شباب المايا ضمن كتائب القذافي ضد الثوار، وتحصنوا أول الأمر في المعسكر الضخم 27 الذي قيل أنه كان معسكر خميس القذافي قبل مصرعه... قبل أن يحرره شباب الزاوية في معركة سقط فيها العشرات من الجانبين، وبعد انتهاء الثورة وقتل العقيد انفجر الغضب المكبوت مرة أخرى ودارت اشتباكات قتل وجرح وأسر فيها العشرات إلى أن عادت هذه المجالس لتؤدي دورها مرة أخرى حتى مع وجود غليان كنار تحت الرماد ما لم تحل المشاكل جذرياً سواء باعتماد قرارات المجالس العرفية أو عودة الدولة الليبية لتأخذ دورها.

لماذا يا أبا بكر؟

تساءل كثيرون بعد مقتل اللواء أبو بكر يونس الذي كان نظرياً وزيراً للدفاع في عهد معمر القذافي طيلة 42 سنة، عن توجه هذا الرجل الطيب إلى مصير محتوم مع معمر القذافي وهو لم يكن له أي دور طيلة هذه المدة بل كثيراً ما كان العقيد يتعمد إهانته وإذلاله، وكسر خاطره ورتبته من عميد إلى عقيد، ثم يرفعه إلى لواء ويجعله بلا جيش وطني بعد أن أنشأ معمر جيشه الخاص بقيادة أولاده ومرتزقته.

كان مقره في الجفرة على بعد 200 كلم من سرت، وفيها حامية عسكرية تم تدميرها بطائرات الناتو وقتل عشرات الجنود وسط ذهول أي خبير عسكري للطيران أن أبسط قواعد الأمن لم تكن متوفرة في وجود هذا العدد الكبير من الجنود.

كان أبو بكر الذي ينتمي إلى قبيلة المجابرة التي تنتشر بين ليبيا وتشاد يرتب أموره للتوجه من الجفرة حيث أقام في آخر مراحل الثورة، إلى تشاد ومنها إلى مصر.

كان زميله عبد المنعم الهوني قد رتب له أمر استقباله في القاهرة بالاتفاق مع المجلس العسكري المصري، رغم أن القاهرة كانت رفضت طلبات لاستقبال عبد السلام جلود وبشير الهوادي، مثلما رفضت طلبا ليبيا رسمياً من المجلس الانتقالي الوطني بتسليم أحمد قذاف الدم ونحو 17 ليبياً من جماعة القذافي جاؤوا إلى مصر بعد اندلاع الثورة بعضهم لإرسال مرتزقة من أصول ليبية في الفيوم، أو لتأليب قبائل أولاد علي على الحدود بين ليبيا ومصر وهم يتوزعون في الولاء والجغرافيا بين البلدين، وبعضهم لملاحقة المعارضين الليبيين في مصر حتى أن عدداً من هؤلاء تلقى تحذيرات من السلطات المصرية بأن القذافي أرسل جماعة من الإستخبارات لقتلهم في القاهرة، ووفرت لبعضهم الحماية الأمنية، وطلبت منهم الحذر الشديد والتنبه وعدم الخروج من منازلهم إلا للضرورة القصوى وعدم استقبال أي ليبي إلا إذا كان موثوقاً منهم لأن القذافي كان ما زال في وضع يستطيع فيه دفع رشى بمبالغ كبيرة لضعاف النفوس ومرتزقته لارتكاب جرائم اعتداء ضد كل من يعتبرهم خطراً على نظامه أو انتقاماً منهم بسبب تأييدهم للثورة.

أبو بكر يونس بدل أن يتوجه إلى تشاد ومنها إلى مصر توجه إلى سرت بعد أن تلقى اتصالاً من العقيد بالمجيء إليه، لأنه يحتاجه، فلعب معمر على الوتر العاطفي

الشديد الضعف في وجدان أبو بكر وفي الوقت الذي كان فيه معمر أرسل زوجه صفيه وابنته عائشة وأولادها وابنيه هانيبال ومحمد وأولادهما إلى الجزائر... ذهب أبو بكر يونس إلى سرت وبرفقته تجلاء محمد ويونس وزوجه، وغادروها بعد عشرة أيام إلى طرابلس. وفي حين خرجت السيدة الفاضلة والنساء معها فإن أولاد أبو بكر ما زالوا يعيشون في طرابلس ولا يتعرض لهم أحد من الثوار وإن كانت جوازات سفرهم الدبلوماسية قد سحبت منهم، وقد أصيب محمد بكسر في ذراعه أثناء هربه داخل سرت من القصف أثناء حصارها.

يقول عبد المنعم الهوني أنه كان على اتصال دائم مع ولدي أبو بكر يحثهما على إخراج والدهما كما خرج عبد السلام جلود والوقوف مع الثورة، حتى دون أن ينطق بكلمة حول القذافي كما فعل جلود.

كانت علاقات أبو بكر جيدة مع ثوار دارفور وكان يمكن أن يؤمنوا له الطريق الآمن إلى أي مكان يريده...

لكن نخوته وشهامته قتلاه وجعلتاه يتوجه إلى سرت ليلبي استنجاد معمر به قبل عشرة أيام فقط من مصرعه.

قتل أبو بكر يونس في سرت، أثناء خروجه من الماسورة ليبحث عن سيارة تنقله خارج المنطقة المحاصر فيها، فأصيب بشظايا قنبلة انفجرت قربه وأحرقت وجهه ومزقت جسده ورأسه، ودفن في مكان سري في الصحراء رغم مطالبة أهله وأبناء منطقته أن تسلّم لهم جثته ليدفن في بلدته.

كاليغولا لم يعظ القذافي

حزن كاليغولا على وفاة شقيقته حزناً شديداً، وخرج إلى مجهول يبكيها ويذرف الدموع، فلا يجوز للإمبراطور الروماني غريب الأطوار شاذ السلوك أن يبدو ضعيفاً أمام أي كان.

طال غيابه لأيام، قلق فيها أشراف روما ونبلاؤها وشيوخها، وساورتهم الشكوك في أن يكون ما زال على قيد الحياة، فتنادوا لاجتماع يختارون فيه بديلاً عن الإمبراطور الذي غاب، وبينما هم في تداول ونقاش يدخل كاليغولا عليهم، ويحدثهم شعراً، وهو فظ الطباع عجيب الأفعال، بأنه كان يبحث عن القمر، وهو كان يشعر أن حكمه كان ينقصه أمر ما ليكتمل.. وها هو القمر الذي أمسك به سيكمل عهده.

الكاتب والمفكر الفرنسي ألبير كامو الفائز بجائزة نوبل للآداب أورد هذه الواقعة الخيالية في مسرحيته كاليغولا التي كتبها عام 1938 في مرحلة صعود الأحزاب والأنظمة الاستبدادية والفاشية في أوروبا (النازية في ألمانيا، الفاشية في إيطاليا، الدكتاتورية في إسبانيا..).

ويخلص فيها إلى أن كاليغولا أصبح بعد ذلك فظاً وقاتلاً سافكاً لدماء الأصدقاء.. مثل الأعداء، مشيعاً وناشراً الرعب بين أهل روما... حتى لقي مصرعه واندفع أهالي روما للتأكد من مقتل الطاغية يمضون أياماً وهم يرمقون الجثة ملقاة أمامهم، ساكنة صامتة، تقترب أرجلهم الحافية أو ينعال ذاك الزمان من رأس الطاغية.

ربما لم تكن نهاية كاليغولا بهذه الصورة المأساوية التي قدمها كامو تحذيراً لطغاة أوروبا هتلر وموسوليني وفرانكو، وأراد إخافتهم من مصير الإمبراطور الروماني الذي لم ولن تتوفر لأي منهم احتلال مكانته أو مكانة الإمبراطورية التي حكمها اتساعاً وعظمة وإنجازات عاشت وستستمر مئات وآلاف السنين.

لكن كامو الذي كتب مسرحية خرجت إلى الجمهور لأول مرة عام 1944، كتب فيها نهاية هتلر الذي انتحر عام 1945 بعد حرب خراب فتكت بعشرات الملايين من البشر طيلة 6 سنوات (1939 – 1945)... كتب أيضاً عبرة لكل قادم من طغاة العالم.. على مصير كاليغولا يوقظه كي يبتعد عن طريقه.

لم يتعظ هتلر ولا موسوليني ولا فرانكو.. ولا معمر القذافي، وكان مصرعه وعرضه المشين أمام الناس كما كاليغولا للتأكد من الخلاص منه، استعادة لدرس قاس آخر من علم الاجتماع الذي عصي على فهم ظاهرة العقيد وفيه أن الفرقَ بين الإنسان والحيوان... أن الأول له ذاكرة وأن الآخر بلا تاريخ، الذاكرة تستحضر ما مر به البشر السابقون كي لا يكرر الإنسان أخطاءهم.

أما الحيوان فيستمر في أخطاء وقع فيها كل من دب وزحف وطار وسبح منذ بدء الخليقة.

بعد كل ما فعله العقيد... جاءه المصير الذي ينتظر الطغاة.... وتعالوا معنا منذ البداية – النهاية لتبدأ المفارقة الأولى:

بعد عدة أيام من بدء ثورة الشعب الليبي في 17/ 7/ 2011، ضد نظام العقيد معمر القذافي خرج شيخ جماعة الإخوان المسلمين المصرية يوسف القرضاوي ليخاطب الليبيين محرضاً إياهم على قتل معمر.

قال القرضاوي اقتلوه ودمه في رقبتي.. خرج هذا التحريض للعالم كله وكررت وسائل الإعلام المرئية كتابته في شريط أخبار كل منها عشرات المرات.

قتل ثوار من مصراته معمر القذافي، بعد الإمساك به مختبئاً في مواسير ضخمة للمياه فوق الأرض، في خراج مدينته المفضلة سرت، اعتقل حياً، وجرى تعذيبه وهتك عرضه يدوياً، وضرب على رأسه بالنعال وقتل برصاص مسدسه، ثم حمل في سيارة نصف نقل إلى مصراته ورمي على أرض براد حفظ خضار ليراه الناس لعدة أيام (هل هي صورة حقيقية من خيال ألبير كامو).

خرج علماء مسلمون في بلاد عربية عديدة يستنكرون التمثيل بجثة معمر القذافي... وهذا حق لأن ما حصل هو ضد سلوكيات وأخلاقيات الأديان السماوية...

فمن الأولى بالمحاسبة؟ الشباب الذين قتلوا ومثلوا بجثة العقيد... أم يوسف القرضاوي الذي حرضهم على قتل معمر؟: «اقتلوه ودمه في رقبتي» فهل يخرج القرضاوي ليشرح لنا كيف يكون دم العقيد في رقبته... وهل يشمل دم العقيد التمثيل بجثته؟ وهل كان القرضاوي يضمن أن من يتمكن من قتل العقيد سيكتفي برصاصات تودي بحياته! وطالما أن هذا لم يكن كافياً أي قتل العقيد فقط، فهل يخرج القرضاوي ليعتذر، أو أنه يقول آسفاً.. أنا ما كانش قصدي!! وهل هذا يجوز من رجل دين ثم من أعطى القرضاوي

العلم بأن الله سيغفر له إذا أمر بقتل معمر القذافي... وهل يتمسك الشيخ برأيه؟

نستميحكم عذراً قبل أن نأتي إلى تفاصيل بعد سنوات قتل العقيد أن نستحضر حالة قتل أنور السادات يوم 6/ 1/ 1981 على يد جماعة إسلامية، استندت في قتله إلى فتاوى شيوخها...

المفارقة الثانية... أن الذين حرضوا وأفتوا ونظموا قتل أنور السادات قدموا اعتذاراً شديداً إلى الشعب المصري بسبب قتلهم رئيس الجمهورية، ليردد أحدهم عبود الزمر أن أنور السادات كان مسلماً حقيقياً وأن قتله كان خطأً... وقد نقلت وسائل الإعلام المصرية كلها تصريحات الزمر بعد إخراجه (إخراجنا متأخراً عدة سنوات).

والزمر وكل زملائه المتمسكين بأفكارهم الدينية هم تلامذة نجباء للقرضاوي وأمثاله، وإذا كانوا سبقوه إلى الاعتذار بعد 30 سنة من قتل السادات... فهل ينتظر العمر كي يعتذر القرضاوي عن فتواه التي دفعت شباباً ثائراً كي يقتلوه بقلوب مطمئنة... فالحساب مدفوع سلفاً؟

الفصل السابع عشر

السنوسي يعود

- السياسة ما بعد مصر
- السلاح أولاً
- والجهوية أولاً أيضاً
- أولى التباشير
- ليبيون هاربون لن تسلّمهم مصر
- غيداء العزيزية هددت القذافي بحرق نفسها، وتنوي محاكمة عبد الجليل دولياً

السنوسي يعود

ينتمي مصطفى عبد الجليل فكرياً إلى التيار الإسلامي المعتدل في ليبيا، قدمته صفية فركاش الابرصي إلى بعلها معمر القذافي ليكون واحداً من رجاله.

فمصطفى قاضي شرع درس الشريعة، فعينه العقيد وزيراً للعدل رغم دراسته للقانون، لكنه من اجل عيني صفية وضعه أميناً للجنة الشعبية للعدل فعبد الجليل هو بلديات صفية، وهو أيضاً من مدينة البيضاء التي جاءت منها، وهو أيضاً ابراصي من عشيرتها.

بعد أن تعاون مع الأب اختاره سيف الإسلام ليكون واحداً من مجموعته، التي كان يخرج بها أمام الناس ليقول أنه مختلف عن والده، وقد ملّ الليبيون اسمه وصورته وصوته وحضوره وغرابته وجماهيريته وجنونه وقراراته وظلمه وجرائمه وتقلباته وإهاناته وحروبه وسرقاته وتسلط أبنائه وتجبّر أمنه ومغامراته...

كان مصطفى عبد الجليل أول وزير أو أمين ينقلب على العقيد عندما انفجرت ثورة الليبين في 17\2\2011 اختاره الثوار ليكون واجهة انتفاضتهم ضد معمر في شهادة على نظافة كفه وطيبته، وتقديراً لخروجه المبكر على معمر، ويقال الآن انه كان الخيار الاول للإسلاميين لأنهم يعرفون تديّنه وقربه منه، رغم أن الناشطة والمدونة الليبية غيداء العزيزية هددت بإقامة دعوى قضائية ضد مصطفى عبد الجليل لأنه اهمل نداء وجهته له لانصافها بعد أن اعتقلها أمن معمر ولم يجب ولم يلب النداء. (في مكان آخر من هذا الكتاب حوار صحفي مع غيداء).

أدى عبد الجليل دور حمامة سلام داخل المجلس الانتقالي الذي كان يجب ان ينهض متحدثاً باسم الثورة الليبية ضد معمر، التزاماً بنصيحة من العرب والغرب، للحصول على شرعية دولية سحبت من جماهيرية معمر.

كل النقاشات التي كانت تدور داخل مقر المجلس في مبنى المحكمة في بني غازي، بين افرقائه وتصل اصوات اعضائه إلى عنان السماء كان يلتقيها عبد الجليل بشخصيته المتواضعة وطيبته التي يعرفها ويقدّرها الجميع، ليستخلص منها مواقف وسطية يساعده فيها دائماً انشغال الثوار بالقتال والاولوية لمواجهة معمر وضرورة النجاح فيها والا فان

المصير الاسود سيوحد الجميع في اراقة الدماء، فليكن الاتفاق حتمياً للمحافظة على الحياة.

انتقل دور مصطفى عبد الجليل الآن من حمامة سلام داخل الانتقالي إلى مثلها في البلاد كلها.

صحيح انه ليس له شعبية أو عصبية... لكنه اتخذ هذا الضعف قوة كي يرضي الغرب الذي كان تعرف عليه بعد الثورة... لا أحد في الغرب كان يعرفه إلا عندما خرج اسمه إلى الناس في قضية الممرضات البلغاريات والطبيب الفلسطيني... ممثلاً لنظام القذافي نظرياً، مشرفاً كوزير للعدل على احكام ملفقة تصل إلى حد الاعدام... مرتين بحق الممرضات والطبيب في قضية حقن اطفال بني غازي بالايدز.

تعرف هو إلى الغرب الذي اكتشف عبره أن الوزير لا يتقن أي لغة إلا العربية، فكان المترجمون معه دائماً لايصال آرائه إلى الفرنسيين بالفرنسية والبريطانيين بلغتهم. عبر هؤلاء دهش المسؤولون الفرنسيون عندما أبلغهم عبد الجليل بأن القذافي كان مع تعليم اللغات في الجماهيرية، لأنها لغات المستعمرين، وها هو عبد الجليل يأتي إلى المستعمرين راجياً اللغة نفسها كي يساعدوه للخلاص من معمر.

كثير التناقض أو النسيان مصطفى عبد الجليل، يأتي الامر وعكسه في مؤتمر صحفي واحد، أو بين التصريح والآخر... وشهادة موقفه المتناقض عندما اغتيل قائد جيشه أو رئيس أركان الجيش الوطني اللواء عبد الفتاح يونس كبيرة.

اما الشهادة الاكبر فهي حين وقف يقرأ بيان النصر مقدماً اولويات تدغدغ مشاعر الإسلاميين برغم انف الليبيين:

1 – تعدد الازواج التي ألغاها العقيد يريدها مصطفى عبد الجليل إشارة إلى عودة سلوك إسلامي قديم.

2 – منع المصارف من تقاضي الفوائد، نظام دولي شطبه مصطفى عبد الجليل بعد ثبات في ليبيا لعدة قرون.

3 – تطبيق الشريعة الإسلامية في بلد فيه تطبيق كل قوانين الدنيا مجتمعة... إلا شريعة أهل البلاد.

كتب أعضاء في المجلس خطاب عبد الجليل، فوضعه في جيبه وقال ما في عقله. طلب تشكيل لجنة تحقيق في مقتل معمر القذافي ثم نسي الامر... رغم انه اعتكف

في منزله للحصول على هذا التحقيق.

فأرسل له أهل مصراته رسالة يقولون له فيها تحن حررنا بلدنا بسلاح اشتريناه منك في بني غازي وقبلها شكّل لجنة تحقيق في اغتيال عبد الفتاح يونس... ثم نسي متابعة ما حصل.

يقولون إن مصطفى عبد الجليل كان حاجة ليبية وطنية لشخصيته المحبية من الجميع، والقابلة لتحمل اساءات الجميع.. وانه ما زال حتى الآن حاجة.

قامت حركة الملازم أول معمر القذافي ورفاقه في ١\٩\1969 لاسقاط حكم الملك ادريس السنوسي الذي كان رمز الحركة الإسلامية المعتدلة التي امتدت آثارها في عموم ليبيا وعدد كبير من دول افريقيا حتى ساهمت في نشر الإسلام في الشريط الصحراوي الممتد من النيجر وتشاد والكاميرون حتى غرب القارة السمراء في السنغال.

هتف الليبيون قبل الثورة ضد الملك ادريس وضد بعض افراد حاشيته حكم ابليس ولا حكم ادريس، فجاءهم ابليس نفسه... ليدور الزمان ويعود إلى الواجهة في ظل ثورة الليبيين ضد ابليس سنوسي آخر هو مصطفى عبد الجليل... ولو كان مؤقتاً.

السياسة ما بعد معمر

يبدو الإسلاميون هم المستفيدون الابرز، من انتهاء عصر الجماهير، وسقوط الجماهيرية ومقتل معمر القذافي.

حاربوه وحاربهم، سجنهم ونظم ضدهم واحدة من افظع جرائم العصر، قادها عديله عبد الله السنوسي في سجن أبو سليم.

حاربوه في كل ليبيا، طيلة سنوات قدموا فيها خسائر جسيمة مشهودة، سجن المئات منهم وهم يقولون بل الآلاف، ثم راجع معظمهم افكاره وتراجعوا عن القتال وهم في السجون، ايدهم بعض من في الخارج، وعارضهم البعض دون ان يعيدوا كرة القتال مرة اخرى.

وعندما بدأت الثورة ضده كانوا طلائعها المسلحة، وارتكز الثوار المدنيون في مواجهة آلة قتل معمر الجهنمية على دعامتين كان أعضاء الجماعة الإسلامية المقاتلة في مقدمتها بسبب خبرتهم العميقة في المواجهة، والثأر الشخصي والجماعي من جلاوزته، بينما كانت جموع الجيش والشرطة التي انضمت إلى الثوار هي الدعامة الثانية.

أبلى الإسلاميون ضمن صفوف الثورة المسلحة ضد كتائب العقيد بقيادة ابنائه والمرتزقة الذين جاء بهم من كل ارجاء العالم خاصة من افريقيا البلاء الحسن، وقدموا الوجبات الاولى من الرجال والشباب الذين سقطوا بالمئات في المنطقة الشرقية حتى حرروها من كتائب معمر، فلما تحولت المواجهات إلى جبهات قتال في كل المدن الليبية واحدة بعد الاخرى. تقدم الإسلاميون الصفوف أيضاً بعد هرب معمر وتساقط المدن الليبية في ايدي الثوار واحدة بعد الاخرى، وترك طرابلس العاصمة فسيطروا عليها وكان عبد الكريم بلحاج واحداً من ابرز قياداتهم العسكرية التي برزت انها صورة القيادة الإسلامية الجديدة.

كان عبد الكريم عسكرياً محترفاً مقاتلاً وكان سجيناً ومن الموقعين على المراجعة لمهادنة النظام من داخل السجن، فاذا هو رئيس المجلس العسكري لمدينة طرابلس بعد تحريرها بسبب مشاركة جماعته في القتال منذ اللحظة الاولى حتى تحقيق الانتصار، لم تكن طرابلس وحدها تحت سيطرة مجلس عسكري يحكمه الإسلاميون بل باتت بني غازي عاصمة الشرق والمدينة الثانية كذلك يرأس مجلسها العسكري سليمان أبو خنالة الذي يتهمه البعض بأنه وراء مقتل اللواء عبد الفتاح يونس.

المدينتان يقطنهما ثلثا الشعب الليبي وفيهما مواطنون من كل ارجاء ليبيا. باتوا مواطنيها طرابلسيين وبني غازيين لدى الجمعية الإسلامية المقاتلة واسمها الرسمي الجماعة الليبية المقاتلة 7 كتائب في المنطقة الغربية ومثلها في المنطقة الشرقية واعداد الكتيبة يتراوح بين 200 و300 مقاتل.

والإسلاميون غير مستعجلين لبدء الحياة الديمقراطية بعد إسقاط الجماهيرية، ومعظمهم يلتقي مع معمر القذافي في كراهية الاحزاب.

هو كتب في الكتاب الاخضر من تحزب خان، وهم لا يريدون ان يستمعوا إلى كلمة حزب، لذا تضمن الاعلان الدستوري الذي اصدره المجلس الوطني الانتقالي الليبي كلمة تجمعات ولم يورد كلمة احزاب... ثم جاء رئيس الوزراء الليبي عبد الرحيم الكيب ليعد باصدار قانون انتخابات نيابية ورئاسية، في اشارة إلى بدء مرحلة جديدة في ليبيا.

وتواجه العهد الجديد المؤقت سواء المجلس الوطني الانتقالي أو حكومة الكيب ازمات حقيقية داخل ليبيا في مرحلتها الجديدة.

السلاح أولاً

هو أكثر انواع المشاكل خطورة في ليبيا لأنه نشر بين ايدي الجماعات والمليشيات في كل ليبيا، واعداده بالملايين وقطعه الاساسية جاءت من مخازن كتائب معمر، ثم من طائرات الناتو وتحديداً الفرنسية والبريطانية التي القت كميات هائلة منه ذات نوعيات غير مسبوقة الوجود في ليبيا، ثم من اطنان الاسلحة التي شحنتها قطر إلى ليبيا خلال الصراع مع كتائب معمر... والاخطر هو بعد انتهاء عهده الاسود.

وانتشار السلاح في ليبيا ليس معتمداً على استخدامه من قبل الاحزاب أو الجماعات المختلفة بل ان مشكلته الاساسية في امرين.

الأمر الأول: انه عماد التشكيلات المسلحة للإسلاميين على اختلاف انواعهم، وقد اوردنا حالة الجماعة الليبية المقاتلة وهناك أيضاً الاخوان المسلمون الليبيون ثم الحركات السلفية التي تأتي في المكانة الثالثة من حيث القوة بعد الجماعة والاخوان.

الأمر الثاني: ان السلاح في ليبيا بات جهوياً كما الانتماء كما الجغرافيا.

واذا كان هناك ما يزيد عن 25 فصيلاً مسلحاً مقاتلاً ضد العقيد وابنائه وكتائبهم، فان الخطورة ان هؤلاء عملوا بشكل منفصل عن بعضهم تماماً خلال المواجهات السابقة، والخطورة أيضاً انها تحولت في كثير من الاحيان إلى مواجهات بين بعضهم بعضاً للسيطرة ومحاولة التفرد.

وحدتهم مقاومة العقيد واولاده وكتائبهم، لكن سقوط العقيد جعلهم في مواجهة بعضهم بعضاً، ولا يكاد يمر يوم أو تشرق شمس في ليبيا إلا والناس تسمع عن اشتباك مسلح هنا وهناك، تماماً مثلما كان يحصل في بيروت اثناء سيطرة المنظمات الفلسطينية المسلحة ثم الميليشيات اللبنانية خلال اواخر سبعينات ومعظم ثمانينات القرن الماضي.

والجهوية أولاً أيضاً

والجهوية يعني المناطقية اي المدن، وهذه تشهد تنازعاً بين ابنائها حول السلطة في المدن المعروفة سواء في طرابلس نفسها بين بعض ابنائها والقادمين اليها من الخارج اثناء معركة تحريرها، أو مدينة ضد الاخرى، كما يحصل مع مدن اجدابيا، ومصراته، والزنتان وسرت.

لقد انشأ معمر القذافي ما يسمى بحالة التآخي بين المدن انطلاقاً من سرت، كانت مهمتها ان يمتد نشاطها بين كل المدن وجهويّات ليبيا لتظل تحت إمرته لا تخرج عنه، وصرف عليها ببذخ شديد، لأنها احدى وسائل الاستقرار بتكريس الولاء له.

تسيطر كتائب الزنتان على مطار طرابلس وتتولى كتائب مصراته مسؤولية الأمن والسجون فيها ويتقاسم مقاتلون من مصراته الوجود والنفوذ داخل العاصمة أيضاً مع سكان بلدات اخرى وقبائل مختلفة.

4 – مقاتلون بلا مدنيين

شاركت جموع الشعب الليبي وقواه المختلفة في الثورة ومواجهة نظام العقيد، فكان هناك الطبيب والمهندس والمحامي والمدرس والصيدلي والتاجر البسيط والبائع والمزارع والعامل والموظف وإمام المسجد والعامل اليومي كلهم في جبهات القتال الواسعة، ضحوا وقتل منهم الالاف (رغم ان المجلس الانتقالي تحدث عن 30 الف ضحية خلال الثورة التي بدأت يوم 15\2\2011 إلا ان الارقام الحقيقية لن تظهر إلا بعد احصاءات دقيقة تشمل قتلى الجانبين الثوار ومعمر).

الآن عاد الاطباء والمهندسون والمحامون والمدرسون والصيادلة والتجار والمزارعون والباعة والموظفون وائمة المساجد... كل إلى موقعه لاستعادة دورة الحياة العادية، ولم يبق إلا من أصبحوا ميلشيات أغرتهم السلطة وحمل السلاح واعجاب البعض بنفسه مسلحاً ذا قيمة في المجتمع ولو عن طريق القهر...

هؤلاء جميعاً: الإسلاميون، والميلشيات والراغبون بالسيطرة من مدينة على اخرى، كلهم ضد انتشار جيش وطني في ليبيا وكلما طرح المجلس الانتقالي أو حكومته اسماً لوزارة الدفاع أو قائداً للجيش جرى الاعتراض عليه والتهديد بقتله (اللواء خليفة حفتر نموذجاً حاليا) وقبله مقتل اللواء عبد الفتاح يونس نموذجاً سابقاً.

ونحن نورد اسم عبد الفتاح يونس فلا بد من ذكر الواقعة التالية، فعندما جاء عضو مجلس الشيوخ الاميركي جون ماكين إلى ليبيا اثناء الحرب ضد القذافي، نظم له يونس عرضاً عسكرياً اعجب المسؤول الاميركي فقال ماكين: انني اتعاون مع رجل دولة... ومستقبل ليبيا بين يديه.

ليلاً قال يونس لأولاده... هذا الرجل قتلني والجماعة لن يفوتوا لي هذه السقطة.

وتراوحت اشاعات الاتهام ضد يونس بين تنسيقه مع معمر القذافي للغدر بالثوار لاعادة الامور إلى ما كانت عليه سابقاً، وبين ارتباطه مع الاميركان دون دليل.

والحقيقة التي يعرفها الجميع ان اللواء يونس كان الاكثر انتقاداً لقوات الناتو، وقد كرر أكثر من مرة وللاعلام انهم لا يدعموننا بشكل جيد، وقد هدد في احدى المرات بأنه اذا لم تقدموا لنا الدعم الكافي خلال اجتياحنا لمواقع القذافي.... فاننا لا نريدكم.

قتل إسلاميون اللواء عبد الفتاح يونس وفقأوا عينيه ثم احرقوا جثمانه والتهمة الساقطة هي انه كان يعطي احداثيات مواقع الثوار لكتائب معمر!!

ومع هذا ما زالت ليبيا في مرحلة انتقالية بعد معمر، فهل تطول هذه المرحلة؟ وهل تمر بسلام اذا وصلت إلى المرحلة الدستورية... هذا هو التحدي الذي يقابل قواها المختلفة:

1 - ليبيا محتاجة إلى جيش وطني واحد وقوي يسقط صورة جيشها تحت حكم معمر، ويكون جيش الوطن والمجتمع وليس مجتمع القائد الفرد أو الحزب القائد أو الجبهة الواحدة.

2 - ليبيا محتاجة إلى خلق مؤسسات دستورية تتفرع عنها مؤسسات قانونية.

3 - ليبيا بحاجة إلى استعادة حياتها الحزبية التقليدية ليأخذ الجيل القديم كما الجديد نفساً يرتاح فيه إلى خياراته في تشكيل حياته السياسية كما يريد.

وفي ظل وجود قيادات إسلامية لها منهجها الخاص في التشكيل واطاعة الاوامر واحضار الدين في كل انتماء وتعبير ونقاش وحوار واتفاق ورفض....

فإن التيارات الوطنية والقومية موعودة أن تعيد وجودها الذي مسحه القذافي رعباً أو اغراء تحييداً أو نفياً... سجناً وقتلاً وتعذيباً...

في ليبيا الآن اعادة تشكيل لكل امر خاصة التيار الوطني الليبي، الذي يلتقي مع التيار التحرري (الليبرالي)، ولا يبدأ تحركه بعداء مع التيار الإسلامي في ليبيا ثم التيار القومي العربي الناصري الذي كان ضحية نظام القذافي قبل اي تضحية من اي جهة اخرى، فهو حاول استباعه، ومن قبل انهى وجوده ومن رفضه واجهه بالقتل والابعاد والاهمال....

أولى التباشير

عرفت ليبيا قبل حركة الفاتح في 1969\9\1 ثنائية الحياة السياسية التقليدية، بين حزب الاستقلال الذي كان يناصر الملكية المدعومة من الاستعمار البريطاني وبين حزب المؤتمر الوطني الذي كان يمثل الحركة الشعبية الليبية المناضلة من اجل الحرية.

الآن يعود المؤتمر الوطني بحلّته الجديدة اعتماداً على تاريخ مؤسسة بشير السعداوي وأمينه العام بو عرقوب.

يتولى الاعادة مجموعة من المخضرمين السياسيين والكتّاب والمثقفين والمسؤولين السابقين، ومنهم الاديب علي المصراتي والكاتب احمد ابراهيم الفقيه، والسياسي والمسؤول السابق عبد المنعم الهوني.

اعتمد المؤتمر الوطني طرابلس مركزاً له، وهو يتواصل مع الاجيال السابقة والحالية لاعادة شرح مواقفه السابقة وتقديم صورته الجديدة، ويتهيأ لاصدار مجلته السابقة «شعلة الحرية»، مستعيداً الوثيقة الموقعة من العائلة السنوسية بفروعها الثلاثة: المهدي – صفي الدين – واحمد الشريف.

فليبيا بحاجة إلى اعادة توحيد، كان اسمها عندما استقلت في العهد الملكي المملكة الليبية المتحدة اشارة إلى توحد مناطقها الثلاث: طرابلس – برقة – فزان.

أسماها معمر القذافي بعد حركته عام 1969 الجمهورية العربية الليبية، ثم بعد اختراع الكتاب الاخضر حملت اسم الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، ثم أضاف إليها العظمى بعد عدوان أميركا على ليبيا في 1986\4\15.

الآن يحتاج الليبيون أن تعود إليهم تحت أي إسم، المهم أن يشعروا أن ليبيا وطنهم... وأنهم أبناؤها المواطنون الأحرار على أرضها.

ليبيون هاربون لن تسلمهم مصر

تقدم المجلس الانتقالي الليبي بطلب إلى المجلس العسكري المصري ليسلم عدداً من اركان وعناصر حكم معمر القذافي إلى بلدهم لتقديمهم إلى المحاكمات بتهم مختلفة.

من ابرز الذين طلب المجلس الوطني الليبي تسليمهم هو أحد ابناء عمومة القذافي وحافظه المالية احمد قذاف الدم الذي كان يتولى منصب منسق العلاقات المصرية الليبية،

واقام في مصر شبكة علاقات شخصية وسياسية ومالية، واشترى لليبيا فندق شيراتون القاهرة، ومزارع على طريق مصر - اسكندرية الصحراوي وسعى خلال الثورة ضد معمر لتأليب قبائل ابناء علي التي تتنقل بين مصر وليبيا لمساندة القذافي والهجوم على الثوار في المنطقة الشرقية، كما حاول تجنيد مرتزقة من ابناء الفيوم الذين ينتمي كثيرون منهم إلى اصول ليبية، وحاول مع المجلس العسكري المصري لاقفال الحدود الغربية لمصر مع ليبيا، لخنق الثوار في المنطقة الشرقية من ليبيا، كما سعى لاستعادة تشغيل الآلة الاعلامية التي انشأها في بعض الاعلام المصري الرسمي والخاص، وسرب معلومات واخباراً وتحليلات سياسية مؤيدة لمعمر ومعادية للثوار بحجة ان الثوار استعانوا بالحظر الجوي الدولي لحماية مدنهم وقراهم واولادهم.

فشل احمد قذاف الدم في كل هذا فأعلن انقلابه الشكلي على ابن عمه لكنه اختفى عن الاعلام وظل يتحرك لدعم القذافي والتحريض على الثوار.

الرجل الثاني المطلوب ليبياً من السلطات المصرية هو وزير داخلية معمر خلفاً لعبد الفتاح يونس وهو نصر المبروك، وهو أحد اركان غرفة عمليات القتل التي انشأها معمر القذافي للتخلص من خصومه خاصة رجال المعارضة الوطنية الليبية.

ونصر المبروك في نظر الثوار الليبيين مجرمٌ وقاتل، خاصة في اغتياله للشباب الطلاب في الداخل والخارج الليبي، وآخر انجازاته... السعية هو قيادته لكتيبة في الجبل الغربي ضد الثوار وجرائم عديدة ضد المدنيين الليبيين.

الشخص الثالث المطلوب للثوار هو مسؤول استخبارات ليبيا زميل القذافي في مجلس قيادة الثورة السابق ووزير داخليته الخويلدي الحميدي ونجله خالد والاثنان شاركا في قمع الثوار وقتل العديد منهم خلال انتفاضة 17 فبراير والخويلدي الحميدي هو حمو الساعدي القذافي الذي كان يحل ابنته، ومقرباً من العائلة كثيراً.

الشخص الرابع المطلوب من المجلس الانتقالي الليبي هو علي الكيلاني وهو أحد اركان اللجان الثورية المكلفة بقتل من يريد القذافي التخلص منه، وهو قائد كتيبة استخبارات حرس معمر القذافي وعمل لفترة مديراً للاذاعة، وكان القذافي كلّفه خلال الثورة التوجه إلى مصر لمحاولة رشوة مسؤولين فنيين وسياسيين لاستمرار تشغيل الفضائيات الليبية التي كانت تبث على القمر المصري «نايل سات» وعددها 16 محطة.

وبعض المعارضة بجزم انه هرب مؤخراً إلى المغرب.

الليبي الخامس المطلوب هو مدير مكتب سيف الإسلام القذافي محمد اسماعيل المتهم الرئيسي في محاولة اغتيال (الامير) الملك عبد الله بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية، وقد اعفى عنه الملك بعد سجن عدة سنوات، واطلق سراحه وعاد إلى ليبيا ليشارك في كثير من الجرائم ضد الشعب الليبي وخصوم معمر.

الليبي الآخر المطلوب من مصر تسليمه هو سفير القذافي السابق علي ماريا، الذي كان يتولى التحريض ضد الثوار في ليبيا، وكان ذراع معمر في مصر لمساندة جماعاته من مصريين وليبيين.

سلمى راشد التي كانت عضوة في اللجان الثورية الليبية، وشاركت في جرائم قتل قامت بها هذه اللجان.

عيّنها معمر القذافي مندوبة لليبيا في جامعة الدول العربية، وهي سيدة سمينة جداً كان القذافي يريد من وراء تعيينها اهانة أمين عام جامعة الدول يومها عصمت عبد المجيد، وسلمى راشد هي من الليبيات العائدات من تونس وتلك يعتبرها الليبيون من مستويات أدنى من مستواهم اجتماعياً، لذا ظلت سلمى راشد تشعر بالدونية وحاولت تعويض ذلك بالمزيد من القتل.

حسنة المشاي (اي حسناء) وهي من الراهبات الثوريات اللواتي تولى بعضهن الترفيه عن العقيد.

وحسنة كانت تحضر النساء للعقيد، وقد اقنعت اثناء وجودها في مصر خلال تسعينات القرن الماضي ملكة جمال الشاطئ في مدينة الاسكندرية بالمجيء معها إلى ليبيا لمقابلة العقيد حيث سيكون لها مصلحة معه، واثناء توجهها إلى ليبيا برفقة الملكة تعرضتا لحادث سير قتلت فيه الفتاة المصرية...

وحتى اعداد هذه المادة لم تكن السلطات المصرية وافقت على تسليم اي من هؤلاء المتواجدين على الاراضي المصرية إلى المجلس الوطني الانتقالي الليبي.

غيداء العزيزية هددت القذافي بحرق نفسها وتنوي محاكمة عبد الجليل دولياً

هذه الفتاة كان القذافي يخشاها... طلب لقاءها واجتمع معها لمدة ساعة عندما هددت بحرق نفسها اعتراضاً على حملة التشهير التي كانت تتعرض لها بسبب نشاطها ضده... اعتقلها نظامه قبل يوم واحد من تظاهرة 17 فبراير التي كانت إحدى الدعاة لها ووضعها في سجن أبو سليم لمدة 3 أشهر... وداخل مجمع باب العزيزية المقر السابق لإقامة القذافي الذي اقتحمه الثوار تحدثت غيداء التواتي رئيس اتحاد المدونين الليبيين أشهر ناشطة في طرابلس والتي بدأت حملة لتصحيح مسار الثورة الليبية وانتقاد انضمام بعض أعضاء من النظام السابق للمجلس الانتقالي.

متى وكيف بدأت العمل ضد النظام السابق؟

في 2003 أنشأت مدونة وكتبت ضد النظام السابق لأنه ألحق بي وأهلي والعديد من الأشخاص الذين أعرفهم الأذى بسببه زج بنا في حروب لا نفهمها. حارب خالي في أوغندا وتوفي هناك. أحد أعمامي توفي في تشاد والعديد ممن أعرفهم توفوا في سجن أبو سليم. أكره الظلم وما فعلته هو محاولة التصدي لهذا النظام وكشف وحشيته.

كنت أبث راديو على الإنترنت من منزلي تحدثنا عبر أثيره عن كل الموضوعات الممنوعة، كان لنا مستمعون شجعوني. الراديو بدأ خلال عام 2010 وأوقفوني بعد اندلاع الثورة التونسية.. كنت أعاني منذ العام الماضي لأن نظام القذافي استخدم ضدي سلاح التشهير وهو سلاح مؤلم جداً في المجتمع الليبي. أخذوا صوراً لي بدون حجاب.

ما دور المرأة الليبية في المعارضة؟

هناك العديد من الفتيات اعتقلن ولكن هناك صعوبة في الإقرار بذلك هنا في المجتمع الليبي الذي ربما يعتقد أنها اغتصبت. أنا قصصت شعري في يوم 12 أغسطس لأن من عاداتنا قص شعر المرأة به ذل وعار وعلى الرجال أن يأخذوا حقها.

لماذا استدعاك القذافي لمقابلة خاصة؟

عندما هددت بحرق نفسي وكان الوضع متأزماً... يبدو أنهم خشوا من قبيلة والدي في ترهونة وقبيلة والدتي في الزاوية كانوا سينقلبون عليه. استدعاني عن طريق شخص إعلامي ثم اتصل بي الحرس وأخذوني لمكتبه السياسي هنا في باب العزيزية. وسألني هل حددت موعداً لحرق نفسك فعلاً؟ وسألني لماذا ستفعلين ذلك، قلت بسبب التشهير بي وبناشطة من بني غازي.

فوجئت بطلب مقابلتي وبالطبع لم يكن أحداً يستطيع أن يقول لا للقذافي آنذاك. قضى معي ساعة كاملة وكنا وحدنا وسألني ماذا تريدون؟ قلت له نريد حكومة مدنية وعدالة اجتماعية وفصل السلطات، بالطبع لم أستطع إخباره أن نظريته في إدارة الشعب فاشلة متابعة نظريته لأنها غير مفهومة لديه وأننا لم نختبر طرق الحكم الديمقراطية ولم يكن لدينا أحزاب... كان يستمع بإصغاء وسألني عن مقالاتي فيبدو أنه كان يقرأها وقال لي إنه سيقابلني مرة أخرى وأنه لو لدينا مثلك سنستطيع أن نغيّر المجتمع الليبي... قلت لنفسي لو تخلصنا منك ستتغير بالتأكيد. طلب مني أن أدوّن لصالحه ورفضت لكن بعد أسبوع واحد تم اعتقالي. عندما هددت بحرق نفسي اشتكيت في وزارة العدل الأجهزة الأمنية وبالمناسبة فأنا سأشكو مصطفى عبد الجليل في المحاكم الدولية لأنه عندما كان وزيراً للعدل لم يستجب لشكواي.

هل تعرضت للتعذيب؟

التعذيب الذي تعرضت له كان نفسياً... عرضوا عليّ خلال الاعتقال تزويجي بشخص مهم لأنهم كانوا يعتقدون أن هدف الفتاة الزواج فرفضت وقلت لهم الرجل ليس بمنصبه ولا أمواله ولكن بأفعاله وأنني أريد الحرية لبلادي، وقالوا لي إن قضيتي هي أمن دولة، لأنني أتعامل مع المعارضة رفضت أن أخبرهم أي معلومات عن الأشخاص الذين كنت أتواصل معهم عبر الإنترنت. كانوا يريدون مساومتي لأخرج إلى الإعلام وأؤيد القذافي لكني رفضت... وطبعاً يوم التحقيق قالوا لي إنني المحرضة على موعد الثورة بوضع إشارة سوداء على المعتقلين عام 2006 كانت فكرتي التي أخذوها عني هي وضع شارات سوداء والوقوف في صمت.. محمود همام أعجبته الفكرة وقرر تنفيذها.

كان هناك تنصت على تحركاتي على الإنترنت وعلى هواتفي بالكامل، وبقيت ثلاثة

أشهر لا أحد يعلم عني شيئاً.

ما مصدر حمايتك؟ لأن أي شخص كان يتحدث كان يقتل؟

قبيلتي في ترهونة كبيرة وأبي كان ضابطاً سابقاً لكنه استقال لأنه رفض كثيراً من التجاوزات فتم سجنه بعد رفضه تنفيذ أوامر الأجهزة.

اعتقلت الساعة 6 صباحاً يوم 16 فبراير وظللت حتى 17 مايو، وبهذا أعتبر أول فتاة ليبية تعتقل في الثورة... تكتموا على اعتقالي حتى لا تعرف منظمات عالمية بذلك، وهددوا أهلي بأنهم سيعتقلون جميعاً إذا أفصحوا عما حدث لي. عندما عدت كان أبناء أخي يعتقدون أنني توفيت. (تبكي) كنت أماً ثانية لهم... أخي كان يساندني... عندما كانت تزورني أمي كانت تسألني لماذا تفعلين ذلك بي فكنت أرد قائلة يا أمي أنا أحبك ولكن أحب ليبيا أكثر. خرجت من السجن بعد أن هدد أهلي بفضح رجال القذافي على شاشات الفضائيات... ولما خرجت قالوا لي لا تقولي أنك كنت معتقلة.

ما حلم غيداء اليوم لليبيا الحرة؟

لدي حلم وهو أن أرى انتخابات حرة في ليبيا، ولكنني أخشى من سيطرة رجال العهد القديم الأكثر تمرساً في الشؤون السياسية... إنهم رجال لكل العصور وأتمنى محاكمتهم أيضاً قبل أن يشاركوا في العهد الجديد. حالياً أنشأوا قنوات مسموعة ومرئية وهذا أمر خطير. عضو في الجيش الأخضر الإلكتروني... وقبل وصول الثوار لطرابلس بيوم قال عنا جرذان وناتو إلخ... وأمس يفاجئني أنه متصل ببرنامج استديو العاصمة ومقدم نفسه على أنه أحد الثوار ومدير المركز الإعلامي سوق الجمعة.

وماذا تنوون أنتم فعله حتى تشاركوا سياسياً؟

نحن نفكر في إنشاء حزب لنشطاء الإنترنت الذين أشعلوا الثورة.نحن كشباب قوة كبيرة ونريد أن نشارك في نهضة المجتمع الليبي ولا يمكن أن نهمش. نريد مصلحة بلادنا أولاً.

المـلاحق

ملحق (1)

الكاتب وآخر حوار ساخن مع العقيد القذافي

بدأت علاقتي بليبيا مباشرة عبر زيارة لي إلى طرابلس في شهر آذار/ مارس 1974، لحضور مؤتمر رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين كأحد ممثلي فرع لبنان فيها.

استمرت هذه العلاقة مع قيادتها الرسمية حتى شهر أيار/ مايو 1985.

خلال هذه الفترة الممتدة 11 سنة وشهرين قابلت فيها العقيد معمر القذافي بصفتي السابقة ثم كعضو قيادي في الاتحاد الاشتراكي العربي في لبنان... أكثر من 30 مرة في طرابلس وبني غازي. كما قابلت مسؤولين ليبيين آخرين أبرزهم العميد أبو بكر يونس، ومصطفى الخروبي وعبد السلام جلود وكنت على تواصل دائم مع ممثليهما في لبنان وطرابلس وهما العقيد صالح الدروقي والرائد (يومها) سالم أبو شريدة.

وقد رأيت من المناسب أن يضم هذا الكتاب عن معمر القذافي حاكماً لليبيا، ملخص محضر اجتماعي الأخير معه يوم 12/ 5/ 1985 ليظهر ليس فقط نقاط الافتراق السياسي الحاسم معه، بل المخاطر التي يمكن أن يتحملها الصحافي إذا أراد التعبير عن رأيه أمام حاكم كان حتى تاريخ الخلاف صديقاً له مكانته عند الصحافي.

وأعترف أن خلافي مع معمر القذافي حينها كان حول سلوكه في لبنان، وامتد ليشمل سياسته في مواقف عدة في المغرب العربي... كنت متشدداً في معارضتها.

وأعترف أكثر أنني ورغم قربي من العقيد... وربما بسبب هذا القرب الشديد لم أتمكن من جعل حس الصحفي حاضراً في ليبيا خلال هذه السنوات، كي أكتشف حجم الدمار الثقافي والانحراف الفكري، والممارسات القمعية التي عانى منها الشعب الليبي من معمر وقد أتيح لي ما لم يتح لغيري من معرفة بليبيا ولكن مع جهل بأحوال الليبيين.

وعندما بدأت بجمع مادة هذا الكتاب من مصادره الأساسية وهم بشر ليبيون عرفوا أو عانوا... أحسست أنني كنت خلال زياراتي إلى ليبيا التي تجاوزت عشرات المرات خلال أكثر من 11 سنة، كنت حبيس الهم السياسي في علاقة مع نظام في أعلى قمته، بل

كنت أسير قفص ربما كانت قضبانه مذهبة، ومجالسه مغطاة بريش نعام، وتعامل إنساني راق، بل ومودة لم يعرفها الليبيون مع معمر ومن معه.

وكنت أعددت لهذا الكتاب منذ سنوات حين كان معمر في ذروة قوته، ووضعت عنوانه في ذاكرتي منذ تلك الفترة، وآثرت أن أحتفظ وقائعه بلقاءات مع ليبيين موثوقين ومستعدين للكلام وهم طبعاً خارج بلادهم مطاردين مطلوبين للقتل، فلما قامت ثورة 17 أو 15 فبراير، وجدت دافعاً أخلاقياً - مهنياً يحفزني نحو جمع المزيد من مادته...

وأعترف أخيراً أن جزءاً عظيماً من وقائع هذا الكتاب كتبت بعد بدء الثورة، وإن كانت أساساته وضعت تحديداً منذ العام 1990 بلقاءات مباشرة لم تزد عن أصابع اليدين مع الرائد عبد المنعم الهوني المنفي قهراً في القاهرة منذ العام 1975، وهو كان شريكاً أساسياً لمعمر القذافي ورفاقه من الضباط الأحرار في ثورة الفاتح عام 1969.

فإلى وقائع اللقاء الأخير...

بعد تردد استمر سنة في الاستجابة لدعوة من العميد أبو بكر يونس، توجهت إلى ليبيا من أثينا وركبت طائرة يونانية (Olympic) دون بطاقة سفر، بل فقط ببطاقة مرور، ووصلت مطار طرابلس يوم 11/ 5/ 1985 لأجد أن حقيبة ثيابي ضاعت، فنزلت إلى أسواق طرابلس لأبحث فيها عن معجون أسنان وفرشاة وأدوات الحلاقة لأكون حاضراً للقاء العقيد في اليوم التالي...

قابلت العميد أبو بكر يونس صبيحة اليوم التالي لمدة ساعة سبقه تصوير عبر مندوبي التلفزيون الليبي وصحيفتي الجماهيرية والزحف الأخضر.

استمر لقائي مع يونس أكثر من ساعة استأذنت بعدها للسفر... بعد أن شعرت أن شحنة الغضب التي كانت لديّ من سياسة ليبيا في لبنان وكانت تمنعني من تلبية عدة دعوات منه للقائه في طرابلس قد أفرغت، لكن العميد الطيب أصر على بقائي للعشاء في منزله مساء...

وأمر الضابط المرافق واسمه إبراهيم أن يصطحبني إلى الفندق ثم إلى الدعوة في الليل.

في الفندق، باب البحر، تحايلت على إبراهيم وأخبرته أني اتصلت من غرفتي بالعميد وأنه أذن لي بالسفر، وحار الرجل في أمره... هل يكذبني، أم يخالف أمر قائده؟

فاصطحبني إلى المطار كتعبير عن ثقته بكلامي.

وفي المراسم العسكرية في مطار طرابلس الدولي تبلغت أن طائرة أثينا غادرت وأن موعد طائرة القاهرة بعد عدة ساعات لكن هناك طائرة متوجهة إلى دمشق وهي تدير محركاتها فهل أنا مستعد لاعتمادها للوصول إلى بيروت عبر سوريا، فوافقت، وهممت بتحيته للمغادرة، وبعد أن أمر بإيقاف الطائرة المتوجهة إلى دمشق خاصة وأنني لا أملك حقيبة أو وزناً... رن جرس الهاتف ليكون الطالب أحد أعوان القائد (معمر) ليدعوني إلى لقائه وكانت الساعة تجاوزت العاشرة والنصف صباح 12/ 5/ 1985.

توجهت مع المرافق والسائق إلى ثكنة العزيزية لألتقي معمر القذافي في الحادية عشرة لينتهي اللقاء في الثانية عشرة والنصف تصبب خلاله عرق العقيد مرات عدة، وكان في كل مرة فيها يستدعي مرافقه النحيل قصير الجسم حامل الملف الشهير بقبعته الصيفية كي يوسع فتحة الخيمة، ويناوله منشفة كي يجفف عرقه.

سألني العقيد في بداية اللقاء: لماذا لم تنشر في «الشراع» أي خبر عن مؤتمر القيادة القومية للثورة العربية الذي عقد في طرابلس برئاسته، فرددت: حسناً سأنشر عن الاجتماعات القادمة... إذا حصلت!

فردّ باستغراب: وهل تظن أنها لن تعقد اجتماعات أخرى؟ فقلت له: قياساً بتشكيلات سابقة – لا أظن أنه سيكون هناك اجتماع آخر.

فقال مستغرباً: (ليش) لماذا؟

أجبت: يا أخ العقيد منذ الاجتماع الأول بدا أن هدف اللقاء تحقق، ففتح معمر أطراف عينيه وأرجع رأسه إلى الخلف قائلاً متسائلاً: كيف؟

قلت يا أخ العقيد: حضر المؤتمر ممثلون عن فصائل صومالية معارضة لسياد بري، وأنت استقبلت بعد يومين سياد بري كرئيس الصومال... وقد وصلته الرسالة، ولن يكون هناك بعد اليوم حاجة لوجود المعارضين الصوماليين، وقد وضع بري الطاعة بين يديك.

فردّ بمطالعة معروفة أنه قائد ثورة، وليس رئيساً وأنه لا علاقة له بسياسة الدول، واستقبالاته هذه مفروضة عليه.

تحدثت وهو يعرف أنني غير مقتنع... لكنني أرضيت غروره وأبديت تراجعاً بالقول على كل إن شاء الله في الاجتماع المقبل للقيادة القومية للثورة العربية، سأكون حاضراً وسأكتب عن مؤتمرها.

بعد هذا التراجع سألني عن أوضاع لبنان... لأصل معه إلى حقل الألغام الذي نصبه لي بيني وبينه لأفجرها واحداً بعد الآخر.

قلت له في اللغم الأول: يا أخ العقيد أنتم في لبنان لا تريدون التعامل إلا مع العملاء والانتهازيين.

فردّ مستغرباً: كيف؟

قلت له بثقة العارف: هل تسمع عن شخص اسمه محمد أحمد عبادي؟

تناول العقيد منشفة ليمسح بها عرقه وردّ: ما له - أي ما به - ؟

قلت له وقد أدركت أنني فجرت اللغم الأول: يا أخ العقيد هذا الرجل خرج إلى الإعلام عبر تسجيل مرئي لمقول تحت صورة لك وأخرى لحافظ الأسد أنه من اللجان الثورية (الليبية) وإنه سيفجر نفسه في قافلة عسكرية صهيونية (في جنوب لبنان حيث كانت إسرائيل احتلته ضمن اجتياحها للبنان صيف 1982).

ثم تبيّن يا أخ العقيد أنه اشترى أحد مخبري حركة أمل بخمسين ألف دولار ليفجّر نفسه مكانه، لكن المخبر قبض المال وسلّم نفسه للحركة كي تذيع بياناً يفضح فيه سياستك وأسلوبك في لبنان بسبب العداء الناجم عن قضية الإمام موسى الصدر.

علماً بأن إسرائيل نفت حدوث أي عملية ضدها في المنطقة التي حددها الانتحاري المزعوم وهي منطقة الحنيّة جنوبي مدينة صور.

لقد قبض عبادي هذا من لجانك الثورية في لبنان مبلغاً مجزياً من المال لقاء هذا العمل المزعوم وسبّب لليبيا هذه الفضيحة المدوية.

ردّ العقيد: أنا لم أسمع عن هذه القصة أبداً. ثم تناول ورقة من أمامه وخطّ فيها بقلمه عبارات لم أقرأها وإن كنت ظننت حينها أنها للتذكير بهذه الواقعة.

اللغم الثاني... قلت لمعمر: يا أخ العقيد، هل يجوز أن تتناول في خطابك الأخير موضوع لبنان بالقول أن نبيه بري هو بطل وطني مقاوم، وأن موسى الصدر هو عميل أميركي - صهيوني؟

هل تريد أن تخرب بيت بري وهو الذي يقاوم إسرائيل، ويخوض معركة وطنية في الداخل اللبناني منذ تفجيره لانتفاضة 6 شباط 1984؟

ولماذا الهجوم على الإمام الصدر وأنت متهم بخطفه - هنا بالغت بتحدي معمر القذافي مستغلاً ما كنت أعتقده من رصيد كبير لي عنده من الحب والاحترام رغم

الخلافات السابقة الدائمة في الرأي فقلت ما جعله يستدعي مرافقه لمزيد من اتساع الخيمة:

يا أخ العقيد يرضى القتيل وليس يرضى القاتل!!

وأقسم بالله العظيم... أنني وأنا أكتب الآن لأضمه في الكتاب، أن خيالي شطح إلى تقييم كلامي هذا يومها بأنه ضرب من الجنون أو هو الجنون نفسه... فقد كان معمر القذافي يقتل أياً كان لأقل كثيراً من هذا التحدي... لكني الآن أفسر لنفسي صمته وتحمله لي... بأن ما أقوله هو بيني وبينه فقط لم ولن يسمعه أحد غيرنا إلا الله سبحانه وتعالى... وهذا ما أنجاني بفضله.

اللغم الثالث... وكنت أنا المبادر أيضاً فقلت له:

كيف يا أخ العقيد تسمح بأن تفكر ليبيا بإنشاء منظمة سنية في بيروت ولبنان لمحاربة الشيعة الممثلين بحركة أمل، ومحاربة الدروز الممثلين بالحزب التقدمي الاشتراكي، وتريد من الناصريين أن يمثلوا السنّة؟

نحن يا أخ العقيد ناصريون، يعني قوميون عرب حدودنا من المحيط إلى الخليج، متجاوزين كل الاعتبارات المذهبية والطائفية، هل تريد لنا في هذا الزمان أن ننزلق إلى مستنقع المذهبية.

كانت بيروت تعيش واحدة من أسوأ مراحلها خلال تلك الفترة، بسبب الصدامات المذهبية في شوارعها، وكان القذافي يرى أن السنّة فيها مغلوبون على أمرهم بعد خروج منظمة التحرير الفلسطينية منها إثر اجتياح إسرائيل عام 1982، وأنه يريد من الناصريين أن يحلوا محل الفلسطينيين في الإمساك بالسلطة لمواجهة أمل والحزب الاشتراكي.

كان مرافق العقيد يقاطعنا في كل مرة بين اللغم والآخر، ليلفت قائده إلى أن وفد ثوار السودان ضد جعفر نميري موجودون في طرف الحديقة تحت الأشجار وهم جاؤوا على موعد للقائد بعد الإطاحة بغريمه... وكان معمر يشير في كل مرة إلى أن ينتظروا.

شعرت بعد اللغم الأخير أنني أفرغت ما في جعبتي وشكرته على سعة صدره وحسن استقباله مستأذناً إياه بالسفر، فوقف متوجهاً نحو باب الخيمة المحترقة من حرارة ولهيب الألغام المتفجرة... وتبعته للسلام والانصراف.

فإذا به يقول لي: اسمع... ألم تكن أنت دائماً ضد البوليساريو (الحركة التي تقاتل لفصل جزء من المغرب لإقامة دويلة فوقه وكنت دائماً وما زلت ضد نهجها الانفصالي).

فرددت: طبعاً، ففاجأني ونحن واقفان للوداع... إذن لماذا كتبت ضد الوحدة بيننا وبين المغرب.

كنت قد كتبت في «الشراع» مقالة في باب «من هنا نبدأ» تحت عنوان خدمة الوحدة أم وحدة الخدمات، انتقدت فيها هذه الوحدة بين العقيد والملك الحسن الثاني.

قلت: يا أخ العقيد سأقول لك ما قلته لعبد الرحمان اليوسفي وعبد الرحيم بو عبيد وهما من أبرز قيادات الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية حين التقيتهما في باريس بعد هذا المقال، وهما عاتباني أيضاً حوله: إذا قامت هذه الوحدة فعلاً فإنني سأكتب مقالاً أعتذر فيه عن مقالتي السابقة وسأكون من أشد المتحمسين لها إن شاء الله... المهم أن تقوم... وأن تستمر.

لم ييأس القذافي وقال لي: علاقتي مع الحسن الثاني جيدة، وقد توسطت له مع السوفيات ليبيعوا له دبابات يحتاجها لجيشه في الصحراء، ودفعت الجماهيرية القسط الأول من ثمن هذه الأسلحة...

هنا رددت بتهكم ويدي امتدت لمصافحته (وهي قلة أدب مني، لأن الأصول أن صاحب المقام هو الذي يملك حق إنهاء اللقاء وأنا ما زلت ضيفه).

عظيم أنت اشتريت للحسن الثاني الدبابات، والشاذلي بن جديد (حاكم الجزائر) ذهب إلى أميركا لشراء طائرات عامودية أميركية ولديه صواريخ فرنسية تطلق منها، على دبابات المغرب السوفياتية والشعب العربي في المغرب والجزائر سيدفع الثمن.

بلغ السيل الزبى وكانت يد العقيد أصبحت في يدي وهو يودعني متجهماً متصبباً بالعرق ويردد كلمة واحدة لعدة مرات: باهي باهي... باهي.

خلال الحوار سألني العقيد القذافي... لقد كتبت في «الشراع» أن حليمة تحكم الجزائر، وماذا يفعل الشاذلي بن جديد (رئيس الجمهورية وبعل حليمة). قلت ضاحكاً: إنه يهتم بشيوبيته، فهو يطلق لحيته البيضاء ويذهب إلى «كان» ليحمّل جسده سمرة الشمس... وكانت أساريره بعد هذا الجواب قد انفرجت لمرة واحدة في هذا اللقاء الغريب.

عدت إلى الفندق لأقابل (المرحوم) فضل شرورو من الجبهة الشعبية - القيادة العامة - وأنقل له بعضاً من هذا الحوار ولأسمع منه رداً واحداً تردد عدة مرات: يخرب بيتك يخرب بيتك... معقول أبو أحمد تقول هذا الكلام للعقيد؟ للعقيد يا حسن؟ قلت له واثقاً: يا أخي صديقك من صدقك لا من صدقك.

أبو أحمد... أوعى تقول هذا الكلام لحدا... (كنا نتمشى في ردهة فندق باب البحر) وكان يتلفت حوله وينظر أمامه وخلفه وهو يخفض صوته ويمسك يدي قائلاً بمودة: حبيبي أبو أحمد أبوس راسك أوعى تجيب سيرة لحدا أنك قلت هذا الكلام للعقيد... للعقيد يا حسن؟ للعقيد؟

انتظرت في غرفتي لأسمع أو أشاهد في نشرة أخبار بعد الظهر على المرئية الليبية خبر استقبال العميد أبو بكر لي في الصباح فلم تبث المرئية الخبر...

في المساء انتظرت من يأتيني ليصحبني إلى عشاء العميد فلم يحضر أحدٌ.

غادرت إلى القاهرة في طريقي إلى بيروت، ليقابلني بعد عدة أيام زميلي في «الشراع» ضاهر شحادة ليخبرني أن جريدتي الجماهيرية والزحف الأخضر كتبتا مقالتين ضدي، وأن الأول تحت عنوان «شراع بلا أشرعة»، والثاني تحت عنوان «على ذات النغمة هم راقصون».

وأن إذاعة الوطن العربي بث تعليقاً يتناولني بالنقد الشديد.

أعطاني ضاهر المقالتين فنسخت من كل واحدة منها مائة نسخة تحسباً لما سأفعله بعد ذلك.

جاءني وفد من ناصريي اليمن ليبلغني أعضاؤه أنهم قابلوا العقيد بعد يوم واحد من لقائي العاصف معه، وأنهم سمعوا منه كلاماً اعتبروه تحذيراً شديداً لي، حيث قال متحمساً: «خسارة هذا الشاب كان كويس».

وقد اعتبر اليمنيون أن القذافي لن يرحمني.

بادرت بعد ذلك إلى تسجيل حديث سريع بأسمي مختصره أنني مهدد من القذافي وأنه إذا حصل لي مكروه فهو المسؤول عنه وحفظته في مغلف ضمنته رسالة بخط يدي حول مضمون الشريط ووضعته في حقيبة يدي وتركته في درج مكتبي يسهل على من يراه أن يطلع على كل شيء فيها.

أرسلت نسخاً من المقالتين المصورتين إلى الآتية أسماؤهم: الرئيس أحمد بن بلة، الشيخ سلطان القاسمي في الشارقة، جاسم القطامي (رحمه الله)، ود. سعاد الصباح في الكويت، المرحومان الإمام محمد مهدي شمس الدين والشيخ حسن خالد في لبنان، وسلمت المقالتين باليد للمرحوم علي صبري في القاهرة، وقد رويت له تفاصيل لقائي مع العقيد فقال لي مستغرباً: إيه ده يا بو علي... الكلام ده ما يقبلوش معمر من رئيس

جمهورية، وأنت حيا الله صحافي... لا لا ده مش معقول، فرددت: يا أستاذ علي، لقد حدثه كصديق أريد مصلحته... وصديقك من صدقك...

اتصل بي الرئيس أحمد بن بلة هاتفياً من جنيف إلى بيروت ليقول لي إنه اتصل بالجماعة في طرابلس وهم بالتأكيد لن يفعلوا شيئاً ضدك... ولكن أرجوك يا أخي حسن ألاّ تستفز...

وأرسل لي العميد أبو بكر العبارة نفسها مع العقيد الدروقي أرجو من صبرا ألاّ يستفز.

فيما بعد قال لي أصدقاء يعرفون طبائع العقيد... أن الرجل كان قرر قطع العلاقة معك، وكان يريد أن تأتي المبادرة منك، فقد كان أمام إلحاح العميد أبو بكر الذي يحبك وتحبه وافق أن يستقبلك لأنه يعرف طباعك وصراحتك، وهو يريد أن يثبت للعميد في ليبيا من حوله، خاصة أبو بكر يونس والخروبي وعبد السلام جلود... أنك خارج المنظومة الثورية التي يريدها، وأنك ناصري صميم، لم تكتب حرفاً عن الكتاب الأخضر، ولم تمدح يوماً النظرية العالمية الثالثة، وأنت شديد المراس في مواجهة جماعته في اللجان الثورية في ليبيا، كأحمد إبراهيم، وفوزية شلابي، وموسى كوسى... وهؤلاء رجاله يشكون أمامه دائماً من مواجهاتك الحادة معهم... خاصة بعد أن افتتحت مكتباً لـ«الشراع» في القاهرة التي كانت عقدت اتفاقية كامب ديفيد مع إسرائيل عام 1979...

خلاصة القول:

أنني حققت للعقيد في هذا اللقاء العاصف ما أراد، وقد تخلص مني أدبياً ومعنوياً... وليس كما حصل مع الإمام موسى الصدر ورفيقيه... فحمداً لله على السلامة.

ملحق (2)

الكاتبة الإيطالية أوريانا فالاتشي تصدم معمر: هل تؤمن بالله؟

أجرت الصحافية الإيطالية أوريانا فالاتشي مقابلة مع العقيد معمر القذافي انعكست فيها شخصية القذافي كما برزت فيها نوعية المفهوم الصحفي لأوريانا فالاتشي. وقد نشرت هذه المقابلة في مجلة «در شبيغل» الألمانية و«نيويورك تايمز» الأميركية و«كورييرا دي لاسييرا» الإيطالية. المحللون السياسيون في أوروبا وأميركا اعتبروه وثيقة لشخصية القذافي وتفكيره.

وجاءت كالآتي:

فالاتشي: من المعروف تماماً أن أموالاً ليبية طائلة تفوق الأموال الإيرانية مودعة في المصارف الأميركية فماذا يحدث لو أن هذه المصارف جمدت هذه الأرصدة الليبية كما فعلت بالأرصدة الإيرانية؟

القذافي: ليس من حقهم فعل ذلك، لا يستطيعون فعل ذلك.

فالاتشي: نعم يستطيعون، وإذا حاولت سحب هذه الأرصدة فسيجمدونها لقد صرحوا بذلك.

القذافي: سيكون ذلك عملاً عدوانياً لا مبرر له وسيقلل من سمعة أميركا وسيزيد الحقد ضد أميركا. وفي هذه الحالة سنرد بكل شدة لأننا نحن أيضاً قادرون على أن نخلق لأميركا متاعب خطيرة.

فالاتشي: كيف؟ هل بمنع نفطكم عن أميركا حيث تزودونها بحوالى 10٪ من استهلاكها النفطي؟

القذافي: نعم بكل تأكيد يمكن أن يحدث هذا وفي النهاية سيحدث.

فالاتشي: دعك من هذا أيها العقيد. الجميع يعلم أن أميركا هي واحدة من أحسن زبائنكم وربما أحسنهم. خاصة وأن جميع الإنتاج والمعدات النفطية تقريباً تحت إدارة وبيد الأميركيين الموجودين في ليبيا. متى سيحدث قطع النفط عن أميركا خلال أيام،

أسابيع، شهور؟

القذافي: ليس لدينا موعد محدد. هذا يتوقف على الفنيين الفطنين، والخبراء الاقتصاديين، وعلى الشعب الليبي الذي عليه أن يبحث هذا الأمر في مؤتمراته الشعبية. ولكننا الآن في هذه اللحظة سائرون في ذلك الاتجاه.

فالانشي: أريد أن أخرج بتصور كامل عنك أيها العقيد وأود القيام بذلك بإجراء نوع من المحاكمة، لائحة اتهامات لتساعدني على فهم لماذا أنت غير محبوب مطلقاً في العالم وبالمناسبة هل تعلم كم أنت غير محبوب؟

القذافي: أنا لست محبوباً من أولئك الذين يعارضون الجماهير، ومن الذين ضد الحرية. وأنا محبوبٌ من قبل الذين يناضلون من أجل الجماهير، ومن أجل الحرية دائماً وفي كل مكان.

فالانشي: إن التهم ضدك كثيرة. من أين سنبدأ؟ ربما من صداقتك لذلك المجرم الدموي عيدي أمين.

القذافي: إن جميع الاتهامات ضد أمين ملفقة ومصطنعة،إنها دعاية صهيونية.

فالانشي: لعلي لم أوضح سؤالي تماماً أيها العقيد لماذا وأنت الذي تصف نفسك مدافعاً عن العدالة والحرية والثورة من أجل المظلومين... تقدم الضيافة والحماية لعيدي أمين؟

القذافي: أنا لا أتدخل في الشؤون الداخلية للأنظمة الأخرى.

فالانشي: بل تدخلت مراراً وتدخلاً كبيراً كما حدث في تشاد مثلاً.

القذافي: إن شعب تشاد ضد القوات الفرنسية ولنا الحق في التدخل في تشاد لمساعدة الشعب في حربه ضد القوات الفرنسية.

فالانشي: ولقد كنتم متواجدين في أوغندا أيام حكم أمين؟

القذافي: لأن أمين كان وما زال ضد إسرائيل.

فالانشي: إذا كل طاغية كأمين يذبح شعبه يستحق صداقة العقيد القذافي فقط أنه يكره اليهود... وماذا عن بوكاسا، هل توافق أيضاً على تصرفاته؟

القذافي: بوكاسا موضوعه كموضوع عيدي أمين، أي أن شخصية بوكاسا وأمين قد لا تعجبني. ولكن أكره تدخل فرنسا وتنزانيا في أفريقيا الوسطى وفي أوغندا وأكره أكثر الدعم الذي تقدمونه أنتم الغربيين لإسرائيل...

فالاتشي:... ولكنك لم تجب على اتهامي لك بمساعدة (الألوية الحمراء).

القذافي: لقد قلت أن ذلك دعاية صهيونية تعود إلى الزمن الذي كنا فيه جمهورية والعالم لم يكن يفهمنا. أما الآن فنحن (جماهيرية) أي مؤتمر الشعب...

فالاتشي (مقاطعة): ما هي علاقة سؤالي (بالجماهيرية)؟ أنا أتهمك بمساعدة الإرهابيين في بلدي وأنت تتكلم عن الجماهيرية... أيها العقيد إنك لم تجب على سؤالي. أنا سألتك...

القذافي (مقاطعاً): أنا لا أهتم مطلقاً بهذا. لقد اعتقدت أنك أتيت إلى هنا لنتحدث عن كتابي الأخضر، وبدلاً من ذلك ومنذ بداية حضورك سألت عن إيران والسفارات والدبلوماسيين الرهائن وأمين و... وقد أجبت على أسئلتك من قبيل اللياقة. ولكن بصراحة إن هذه الأمور تسبب لي مللاً وضيقاً كثيرين.

فالاتشي: أيها العقيد. هل تعتقد أن هذه الموضوعات هي أقل أهمية لك من كتابك الأخضر.

القذافي: بكل تأكيد. إذا أردت أن تخرجي بتصور كامل لا بد من السؤال عن كتابي الأخضر.

فالاتشي: سأفعل ذلك فيما بعد وسترى، ولكن أولاً أخبرني ما الذي تفعله بكل تلك الأموال التي تحصل عليها من النفط عدا عن تمويل الإرهاب الدولي...

القذافي: لقد سبق أن أخبرتك بذلك... إن أسئلتك تبدو غريبة.

فالاتشي: لا أيها العقيد إنها أسئلة مشروعة. لقد بدأت بالحديث عن الحرب العالمية الثالثة، هل تذكر؟

القذافي: إني أفضل التحدث عن كتابي الأخضر، عن الثورة.

فالاتشي: ولكن ما حدث في ليبيا في أول سبتمبر 69 لم يكن ثورة بل كان انقلاباً.

القذافي: نعم، ولكنها كانت ثورة. لقد سددت الضربة الأولى والعمال قاموا بالثورة باحتلالهم للمصانع وبأن أصبحوا شركاء بدلاً من أجراء وبالقضاء على الإدارة الملكية وتشكيل لجان شعبية. وبإيجاز بتحرير أنفسهم، الشيء نفسه قام به الطلاب، وفي الواقع فإن الشعب وحده هو المهم في ليبيا اليوم.

فالاتشي: أيها العقيد حيث أنك لا تعتبر نفسك ديكتاتوراً ولا حتى رئيساً أو وزيراً أخبرني ماذا أنت؟

القذافي: أنا قائد الثورة. كم هو واضح أنك لم تقرأي الكتاب الأخضر.

فالاتشي: بالعكس... قرأته. إن قراءته لا تستغرق وقتاً كما تعلم... 15 دقيقة على الأكثر. إنه صغير جداً علبة البودرة الخاصة بي أكبر من كتيك الأخضر الصغير. ألا تعتقد أن كتيك الأخضر ضئيل الحجم... أخبرني هل كتبته كله بمفردك؟

القذافي: نعم نعم.

فالاتشي: وكم استمر من الوقت؟

القذافي: سنوات عديدة، قبل أن أجد الحل الجذري كان عليّ أن أمعن النظر وأفكر كثيراً في تاريخ الإنسانية والصراعات في الماضي والحاضر...

فالاتشي: وكيف وصلت إلى نتيجة أن الديمقراطية هي دكتاتورية وأن المجلس النيابي هو غش وتدجيل وأن الانتخابات مهزلة؟ هناك أشياء كثيرة في ذلك الكتاب الصغير لا أفهمها.

القذافي: ذلك لأنك لم تدرسي الكتاب الأخضر جيداً وأنك لم تحاولي فهم ما هي (الجماهيرية)، يجب أن تبقي في ليبيا لتدرسي كيف تسير البلاد بدون حكومة ولا مجلس نواب ولا تمثيل ولا إضرابات وكل شيء هو (جماهيرية).

فالاتشي: ولكن ما معنى هذه الكلمة؟

القذافي: حكم الشعب، مؤتمر الشعب، إنك جاهلة حقاً، جاهلة جداً.

فالاتشي: أنا هنا لأتعلم أيها العقيد لأتعلم بتواضع.

القذافي: إن الحكومة لا وجود لها. مؤتمرات الشعب تقرر كل شيء. مؤتمر الشعب العام يجتمع مرة واحدة في السنة ليناقش قرارات المؤتمرات الشعبية. ليناقشها فقط ولا شيء أكثر. لا يستطيع تقرير أي شيء، أنه يستطيع الإحالة إلى مؤتمرات الشعب واللجان الشعبية هل تفهمين الآن؟

فالاتشي: لا، من ينتخب ممثلي الشعب هؤلاء؟

القذافي: لا أحد، في (الجماهيرية) لا أحد منتخب. ليس هناك انتخابات. ليس هناك تمثيل. كم أنتم تقليديون أيها الغربيون. أنتم تفهمون فقط الديمقراطية، الجمهورية وما يشبه ذلك من المفاهيم القديمة. أنتم لستم مهيئين بعد لفهم العصر الجديد. عصر الجماهير. أولاً كانت هناك الملكية أليس كذلك؟ ثم تضال الإنسان إلى الجمهورية بحكوماتها ورؤسائها أليس كذلك؟ الآن الإنسانية قد انتقلت إلى مرحلة أخرى وخلقت

(الجماهيرية) التي هي الحل النهائي.

فالاتشي: وأين المعارضة؟

القذافي: أية معارضة؟ ما دخل المعارضة في هذا كله؟ عندما يشارك كل إنسان مؤتمر الشعب، فما هي الحاجة إلى معارضة. معارضة ماذا؟ إن المعارضة هي ضد الحكومة. فإذا كانت غير موجودة والشعب يحمي نفسه بنفسه فماذا يعارض المرء؟ هل يعارض شيئاً غير موجود؟

فالاتشي: إني أعارض على أية حال.

القذافي: مَن تعارضين؟

فالاتشي: أعارضك أنت لأن ما قلته لا يقنعني ولهذا أعارض. وحيث أنني من المعارضة فماذا ستفعله بي، تقبض عليّ، تطلق النار عليّ؟

القذافي: انظري خلال تاريخ الإنسان كله كان هناك تحرك من أجل الوصول إلى السلطة النهائية، صحيح أم لا؟ وبقدوم (الجماهيرية) فإن سلطة الشعب قد تحققت، لقد تحقق الحلم وانتهى النضال والصراع.

فالاتشي: ربما انتهى بالنسبة لك ولكن ليس بالنسبة لي. أريد أن أعرف ما الذي يحدث لي إذا رفضت (الجماهيرية)؟

القذافي: ولكنك لا تستطيعين رفض (الجماهيرية). الجماهيرية هي قدر العالم. إن سلطة الشعب هي المرحلة النهائية. لقد حان يوم الثورة بدون شك بفضل الكتاب الأخضر في العالم بأجمعه. والجماهير ستستولي على السلطة وسيكون دليلها الكتاب الأخضر. وسيصبح العمال شركاء وسيكون دليلهم الكتاب الأخضر وسيشترك كل فرد في الإنتاج وسيكون دليلهم الكتاب الأخضر.

فالاتشي: أيها العقيد، أخبرني هل هناك أي مكان للحرية في كل هذا؟

القذافي: حرية؟ أية حرية؟ هذه هي الحرية. الحرية الوحيدة الحقيقية لماذا تسألين هذا السؤال؟

فالاتشي: لأني قرأت أنك في العام الماضي أعدمت رمياً بالرصاص 40 ضابطاً ممن لم تعجبهم جماهيريتك. كما قرأت أنه في 1977، أعدمت رمياً بالرصاص 55 ضابطاً آخر لم تعجبهم جماهيرتك. كما قرأت أنك منذ شهور شنقت في الساحة العامة في بني غازي عدداً من الطلاب لأنهم ضد الكتاب الأخضر.

القذافي: هذه هي الأمور التي تجعلني أفقد الثقة في الغرب. ولكن لماذا يكتبون هذه الأمور غير الصحيحة. ماذا وراء هذا كله؟

فالاتشي: من يدري، أناس يغارون ربما. أخبرني أيها العقيد هل تعتقد حقاً أن فلسفتك هذه، هذا الكتاب الأخضر الضئيل سوف يغير العالم؟

القذافي: بدون أي شك. نعم، بدون أي شك إن الكتاب الأخضر هو نتاج نضال الجنس البشري. إن الكتاب الأخضر هو الدليل والمرشد لتحرر الإنسان. إن الكتاب الأخضر هو الكتاب المقدس. الكتاب المقدس الجديد. الكتاب المقدس للعصر الجديد (عصر الجماهير).

فالاتشي: أنت لست متواضعاً؟ هل أنت متواضع؟

القذافي: لا، أنا لست متواضعاً، لأني أستطيع مقاومة هجوم العالم كله، ولأن الكتاب الأخضر قد حل المشاكل البشرية والمجتمع.

فالاتشي: إذن أنت مسيح، المسيح الجديد؟

القذافي: أنا لا أرى نفسي ضمن هذه الاصطلاحات والمفاهيم. ولكن الكتاب الأخضر هو الكتاب المقدس الجديد. أكرر في كتبكم المقدسة مكتوب (في البدء كان الكلمة) إن الكتاب الأخضر هو الكلمة. كلمة واحدة من كلمات الكتاب الأخضر يمكن أن تدمر العالم، أو تنقذه. كارتر يستطيع إعلان الحرب ضدنا ولكي ندافع عن أنفسنا فإن العالم الثالث لا يحتاج إلا للكتاب الأخضر الذي هو كلمتي. كلمة واحدة ويمكن أن ينفجر العالم، إن قيم الأشياء وكذلك ثوراتها قد تغير أحجامها في كل مكان وإلى الأبد.

فالاتشي: أيها العقيد هل لي أن أسأل سؤالا أخيراً؟

القذافي: بكل تأكيد وأوجزي فإن الوفد الإيراني ينتظرني، ويجب أن أعمل لتنظيم موضوع إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين المحتجزين في طهران.

فالاتشي: هل تؤمن بالله؟

القذافي: طبعاً، ولكن لماذا تسألين سؤالاً كهذا؟

فالاتشي: لأنني ظننت أنك أنت الله!... (انتهى)

ملحق (3)

من كتاب جرائم اللجان الثورية في ليبيا ومن المسؤول عنها؟

المؤلف: محمد يوسف المقريف

من مركز الدراسات الليبية – أوكسفورد

واقعة استشهاد أحمد إسماعيل مخلوف (كلية الحقوق – بني غازي)

«اعتقل الشهيد أحمد إسماعيل مخلوف إثر اكتشاف وجود عبارات تندد بنظام القذافي في مدرجات كلية التجارة بجامعة بني غازي أثناء فترة الامتحانات، حيث تم اعتقال مجموعة من الطلبة والطالبات من قبل اللجان الثورية بالجامعة التي يمثلها كل من: أحمد مصباد الورفلي، وراقي مصطفى الشهيبي، وناصر أبحور، ووتيس الخمسي. وكان من بين الطلبة الذين جرى اعتقالهم هذه المرة الطالبان أحمد إسماعيل مخلوف وناجي بوحوية اللذان سبق اعتقالهما عقب أحداث عام 1976.

«جرى وضع الطلبة المعتقلين في معسكر 7 أبريل بني غازي وأخضعوا لتحقيقات أولية بواسطة اللجنة الثورية بالجامعة ثم تولّت التحقيق معهم لجنة تشكلت لهذا الغرض برئاسة العقيد حسن إشكال، وعضوية الرائد عبد الله السنوسي، والرائد سالم المقروس، وكانت التهمة الموجهة للطلبة المعتقلين هي معارضة النظام وتشكيل تنظيم سري، وكما هي العادة فقد كان التحقيق مصحوباً بشتى أنواع التعذيب من أجل انتزاع الاعترافات من المعتقلين. وإثر هذا التعذيب تدهورت الحالة الصحية للطالب أحمد مخلوف مما أدى إلى نقله إلى مستشفى السابع من أبريل بني غازي يوم 2 شوال 1304هـ (أغسطس 1982)، وتم إدخاله المستشفى عند الساعة الثامنة مساءً تحت اسم مستعار هو «فرج إبراهيم» ووضع في جناح خاص بالدور الثاني إشراف الطبيب «عبد الهادي موسى القذافي» المكلف بالإشراف على مثل هذه الحالات. وعند الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل فارق الشهيد أحمد مخلوف الحياة، وتم تحرير شهادة وفاة

له بالاسم المستعار «فرج إبراهيم»، وقدم الطبيب عبد الهادي القذافي تقريراً عن أسباب الوفاة بأن المتوفى كان يعاني من هبوط في الدورة الدموية والجهاز التنفسي ومرض مزمن. ولم يقم النظام بتسليم جثة الشهيد إلى ذويه خشية اكتشاف آثار التعذيب، وجرى الاكتفاء بإبلاغهم أنه بإمكانهم حضور عملية الدفن التي تمت تحت إشراف عناصر اللجان الثورية».

واقعة استشهاد ناجي بوحوية خليف (كلية الحقوق - بني غازي)

«اعتُقل الشهيد سنة 1976 في ظروف اعتقال الشهيد أحمد مخلوف نفسها والتهمة نفسها. ولكن بوحوية رفض التهمة، ولذلك مورست معه وسائل تعذيب أشد من أجل نزع الاعتراف منه، ولكن فشل كل الوسائل التي استعملت في التعذيب جعل أجهزة النظام تتبع أسلوب القتل، حيث تم إحضار سلك كهربائي بواسطة عضو اللجان الثورية ناصر أبحور، وتم توصيل هذا السلك بتيار كهربائي 220 فولت، وتوصيله بجسم بوحوية لعدة مرات متتالية انتفض على إثرها وفارق الحياة.

وبعد إبلاغ حسن إشكال بالحادث أبلغهم بأنه لم يمت الآن نحن أيضاً كنا سنقتله في وقت لاحق، وأمرهم بلفّه في بطانية عسكرية ورميه في آخر معسكر 7 أبريل، بعدها حضر الطبيب عبد الهادي موسى القذافي فأمر بنقله إلى ثلاجة مستشفى 7 أبريل، وتم إعداد تقرير طبي وإبلاغ ذويه بوفاته وتسليمه لهم عند المقبرة، وتم دفنه تحت إشراف اللجان الثورية».

واقعة إعدام الشهيد محمد مهذب إحفاف (كلية الهندسة – طرابلس)

«اعتُقل الشهيد محمد مهذب إحفاف مع زملائه سنة 1973 عقب خطاب زوارة المشؤوم الذي عطل بموجبه القذافي جميع القوانين، وقدم إلى محكمة خاصة «محكمة الشعب» مع آخرين في سنة 1976 حكمت عليه بالسجن لمدة 15 عاماً، ولكن القذافي لم يرضه ذلك الحكم فقام بتعديله ورفعه إلى السجن المؤبد. وعقب اعتقالات أبريل 1981 أعيدت محاكمته، وأصدرت محكمة ثورية شكّلها القذافي حكمها بالإعدام على الشهيد، وعلى مجموعة أخرى معه تمّ إعدامهم فيما بعد سراً داخل المعتقل. وفي كلية الهندسة بطرابلس، وبحضور جمع من الطلاب والطالبات وأعضاء هيئة التدريس وعدد كبير من طلاب وطالبات المدارس الإعدادية والثانوية الذين أُحضروا من مدارسهم

خصيصاً لمشاهدة عملية الشنق. وقد تمت عملية الشنق بطريقة بشعة واتضح من الذهول وعلامات الاستغراب التي ظهرت على وجه الشهيد أنه فوجئ بما يحدث وأنه على الأقل لم يبلّغ بقرار الشنق قبل إحضاره، وقد أنزله أعضاء اللجان الثورية من السيارة باللكم والضرب والركل والهتافات والصراخ وكانت الأيدي والعصي تنهال عليه حتى سالت الدماء من جسده ورأسه بغزارة، ثم عُلّق بالقوة بحبل المشنقة بطريقة بدائية جداً، وقد استمر أعضاء اللجان في ضربه وتعلّق أحدهم برجليه متأرجحاً، ثم تركت جثته معلقة عدة ساعات عارية تماماً من الملابس وسط حشود اللجان الثورية وهم يصرخون. وقد احتشد الطلاب والأسى بادٍ على وجوههم لإلقاء نظرة على مصير أحد الشباب الوطني الرافضين لحكم القذافي الهمجي».

واقعة إعدام الشهيد رشيد منصور كعبار (كلية الصيدلة – طرابلس)

ما كان لسادية القذافي المزمنة أن تتراجع أو تختفي في شهر أبريل من هذا العام على غير عادته في السنين الماضية. لذلك فرغم أن اليوم السابع من أبريل قد مرّ داخل البلاد بسلام بسبب زيارة أنديرا غاندي، إلا أن «شرّاب الدم» قد اشتدّ به العطش بُعيد سفر ضيفته، فقرّر لقاء طلاب جامعة طرابلس «الفاتح» والتحدث معهم، ولكن طلاب الجامعة اختفوا وخلت منهم ساحات الكليات والشوارع على السواء مما اضطر الإرهابي «محمد المجذوب» إلى إحضار طلاب المدارس الثانوية لملء الفراغ وسماع «القائد». ولكن الطاغية اكتشف اللعبة حال دخول صالة الاجتماع، فلم يتمالك نفسه حتى صفع المجذوب وولى راجعاً لسيارته في نفس الليلة، طلب القذافي الاجتماع بأعوانه من الطلبة «الثوريين» وصرخ فيهم طالباً منهم تنحية صورته من الجامعة وإلغاء اسم الفاتح منها، مقترحاً عليهم تسميتها بجامعة الفرناج أو جامعة الخنافيش. فطغت «الثورية» على أعوانه الطلبة فبكوا وتشنجوا وأقسموا أن الصورة لن تُمحى إلا فوق جثثهم، ووعدوا «القائد» بالتكفير عن غلطة زملائهم الطلبة الذين عادوا أدراجهم معتقدين استئناف الدراسة، وأجبروهم على الخروج في مسيرة إلى مكتب القذافي، كما أجبروا الطالبات بطريقة غير لائقة على الانضمام إلى مسيرتهم، حيث توجهوا إلى «سيدهم»، وألقى أحدهم خطبة «ثورية» عاهد فيها «شرّاب الدم» على إهراق الدماء في اليوم التالي مباشرة في ساحات الجامعة التي ستبرهن بأنها تستحق اسم «الفاتح».

وبالفعل في اليوم التالي (16 أبريل 1984) أحضر الإرهابيون الطالب رشيد منصور كعبار الذي قُبض عليه العام الماضي بتهمة معارضته وتهديده بقتل القذافي، والذي أمر القذافي بإعدامه، ثم عدّل الحكم، بعد توسط أسرته ورجالها، إلى مؤبد... ويظهر أنه في الحقيقة قد أُجّل إعدامه لابريل آخر هو أبريل هذا العام. أُحضر رشيد كعبار إلى ساحة كلية الصيدلة التي كان طالباً بها، حيث تجمع حوله الطلبة، وقد صُعد به على الكرسي، وبدا أحدهم في تلاوة عنقه، ثم وضعوا على رأسه كيس قمامة أسود وسحبوا الكرسي من تحت رجليه... وبعد أن تأكدوا من موته رموا به إلى الأرض وركلوه بأرجلهم، مما أدى ببعض زملائه إلى الصراخ: هذا حرام... حرام.

رواية شاهد عيان

واقعة إعدام الشهيد عثمان زرتي (رجل أعمال – طرابلس)

«في منتصف شهر مايو من عام 1984 (وفي أعقاب عملية معسكر باب العزيزية 8 مايو 1984) حضرت عدة سيارات من نوع (رنج روفر) و(تايوتا لاند كروزر) تابعة لأجهزة الأمن وحاصرت منزل الحاج عثمان زرتي في سوق الجمعة بطرابلس وألقوا القبض عليه. وبعد بضعة أيام من عملية إلقاء القبض، سمعت أصوات الميكروفونات في مدرسة سعد خليفة الحجاجي القريبة من منزلي، وعند خروجي إلى الشارع وجدت الناس متجمعين أمام باب المدرسة، وبعد أن استفسرت من أحد المواطنين عرفت أنهم يريدون تهديم منزل الحاج عثمان، وفعلاً تم تهديم المنزل من قبل اللجنة الثورية بسوق الجمعة. وأثناء عملية التهديم ألقى عضو اللجنة الثورية المدعو يوسف الشقة كلمة سب فيها الحاج عثمان زرتي ووصفه بالعمالة والخيانة».

وفي يوم 5 يونيو 1984 الموافق الثاني من شهر رمضان 1404هـ جرى إحضار الحاج عثمان زرتي إلى معهد المعلمات (جامع الزيتون) لتنفيذ الإعدام شنقاً به. وبعد إحضار الشهيد إلى مكان التنفيذ ألقى أحد أعضاء اللجنة الثورية كلمة، ثم جرى وضع حبل المشنقة حول رقبة الشهيد وسحب الكرسي من تحت قدميه وقام عضو اللجنة الثورية المدعو مفتاح الحطاب بالتدلي من قدمي الشهيد وبصفعه على خدّه وهو ما يزال معلقاً بحبل المشنقة، وبعد مفارقة الشهيد للحياة تقدم عضوا اللجنة الثورية أحمد عياد حمدي وسالم خشخوشة وبعض طالبات المعهد اللاتي يدعين الثورية وأنزلوا الشهيد من

المشنقة ووضعوه في سيارة قمامة، حيث كان نصف جثته داخل السيارة والنصف الآخر خارج السيارة، وتجولا به في شوارع منطقة سوق الجمعة».

رواية شاهد عيان

واقعة إعدام الشهيد الصادق حامد الشويهدي (مهندس - بني غازي)

«أحضر الشهيد الصادق حامد الشويهدي عند تمام الساعة الثالثة ظهراً يوم 2 من رمضان 1404هـ الموافق 5 من يونيو 1984 إلى مجمع سليمان الضراط الرياضي بالمدينة الرياضية ببني غازي، وكان برفقته الرائد عمران حميدة السوداني التابع لإدارة المباحث العامة، والمقدم سالم مصباح آمر البحث الجنائي في ذلك الوقت، ومجموعة من أجهزة الأمن وعدد من عناصر اللجان الثورية، وفي داخل المجمع كانت المشنقة معدّة من الساعات الأولى من الصباح، وكانت مغطاة بقطعة من القماش وأجلسوا الشهيد على الأرض وهو مكبّل الأيدي خلفه، وقرأ عليه أمين مؤتمر البركة عبد الرازق الصوصاع ومعه أمين العدل مفتاح بوكر، ومجموعة أخرى، مذكرة الاتهام. وبعد قراءة الإعدام نقلوا المشنقة إلى منتصف ساحة المجمع. واقتيد الشهيد إلى المشنقة ووضع الحبل في رقبته أحد أفراد اللجان الثورية، وكان يرتدي بدلة عربية ولثاماً، وفي هذه اللحظة قفز أحد المواطنين من المدرّج إلى سحب الكرسي من تحت قدمي الشهيد جذبه صالح الزوبيك من قدميه وباقي أعضاء الحرس الثوري، ومن بينهم المدعوّة هدى بن عامر. ثم بدأوا يهتفون وهم ملتفون حول الشهيد. وعندما تم إنزال الشهيد من على حبل المشنقة قام أحد الأطباء بفحصه للتأكد من وفاته، وكانت المفاجأة أن الصادق لا زال حياً، فتم نقله بسرعة إلى المستشفى حيث أجرى له الأطباء عملية تنفس صناعي، وأخذت أنفاس الشهيد في الانتظام، وتم الاتصال بالقذافي وإبلاغه بالأمر، فأصدر تعليمات مشدّدة بوجوب الإجهاز عليه، وحينما رفض الأطباء القيام بذلك، قام «الثوريون» بتنفيذ المهمة القذرة، وقتلوا الصادق، وبعد إعدام الشهيد كلفت سيارة تابعة لشرطة النجدة بحراسة منزل الشهيد ومنع أهله من إقامة ليالي المأتم وتقبل العزاء من المواطنين».

رواية شاهد عيان

واقعة إعدام الشهيد عبد الباري فنوش (مهندس - بني غازي)

«أُحضر الشهيد عبد الباري فنوش يوم 4 من رمضان 1404هـ الموافق 7 من يونيو 1984 من مدينة بني غازي إلى منطقة (جالو) بطائرة فوكر هبطت في مهبط حقل النافورة النفطي التابع لشركة الخليج، وتم حجز الشهيد في مركز جالو تحت حراسة مشدّدة، وفي المساء جرى إحضاره إلى الساحة الواقعة أمام الفرع البلدي بجالو. وبعد إحضار الشهيد محاطاً بمجموعة من الحرس الثوري وبعض أفراد عصابات اللجان الثورية بقيادة المجرم نجيب على الأوجلي، وبعد انتهاء أمين المؤتمر من تلاوة قراره الصوري تكلم الشهيد مخاطباً الحاضرين. قال لهم: الظالم مهما طال أو قصر به الزمن لا بد أن يتحطم، فوضع له «الحاج» نجيب حبل المشنقة فقام أحد العملاء بسحب الكرسي بوحشية، وفي هذه اللحظة قام المجرم نجيب بصفع الشهيد على وجهه وأخذ يتعلق برجليه إلى أن فارق الحياة، ولم يدفن جثمانه في جالو، بل نقلته نفس الطائرة التي أُحضر فيها، وتبين فيما بعد أن المجرم الأوجلي وضع جثمان الشهيد في رافعة ورماه في الصحراء بعيداً عن الواحة، وعندما طلب منه بعض المواطنين دفنه في اتجاه القبلة، رد عليهم بكل غطرسة ووقاحة (هذا جيفة، والجيفة لا تدفن ولا تُقبَل).

رواية شاهد عيان

واقعة إعدام الشهيد فرحات عمار حلب (مهندس - زوارة)

«في يوم 7 من رمضان 1404 الموافق 10 يونيو من عام 1984م. وفي تمام الساعة الواحدة ظهراً قامت مجموعة من عصابات اللجان الغوغائية من الحرس الثوري بإحضار الشهيد فرحات عمار حلب من مدينة طرابلس إلى مدينة زوارة، وتم حجزه في مركز الشرطة تحت حراسة مشدّدة، وبعد الظهر تم إحضار الشهيد إلى رقاعة ما يسمى بالمؤتمر الشعبي، وفي هذه الأثناء تم عزل مدينة زوارة عن باقي المدن، إذ منع الخروج منها والدخول إليها، وتم تجمع أسرة وأقارب الشهيد ونفيهم خارج مدينة زوارة. وفي تمام الساعة الرابعة من نفس اليوم المذكور أخرج الشهيد إلى كرسي الإعدام، ووضع الحبل في رقبته وسط موجة من الاحتجاجات العارمة من المواطنين، لأن المؤتمر لم يقرر إعدامه، سقط الحبل من المشنقة ولم يتمكن أزلام القذافي من إعدامه فقاموا بمحاولة ثانية فسقط الحبل مرة أخرى، وعندما حاولوا القيام بمحاولتهم

الثالثة بدأ الحاضرون بقذف الحجارة على عصابات اللجان الفوغائية وعلى آلات تصوير التلفزيون التي كانت تنقل هذا الحادث المأساوي، وفي هذه اللحظات بدأت عصابات اللجان الثورية وأفراد أجهزة الأمن برمي الرصاص فوق رؤوس الحاضرين ليسيطروا على الموقف حتى تتم عملية إعدام الشهيد... وقامت هذه العصابات بإعدام الشهيد رغم أنف المواطنين».

رواية شاهد عيان

واقعة إعدام الشهيد المهدي رجب لياس (مهندس – طبرق)

في يوم 11 من رمضان 1404هـ الموافق 14 من يونيو 1984م، وعند منتصف النهار أُحضر الشهيد المهدي لياس إلى ساحة ميدان البلدية بمدينة طبرق في سيارة بيجو (404 غيمة) تابعة لسجن البحث الجنائي. وكان يرافق السيارة المقدم ونيس العبيدي آمر هيئة الجماهيرية، و«الراهبة» زاهية محمد علي الروبي، وهي عضو بالحرس الثوري ببني غازي، ومجموعة أخرى من قبل مجموعة اللجان الثورية والحرس الثوري بالساحة المذكورة قبل إحضار الشهيد. وعند حضور السيارة إلى الساحة قامت الراهبة، والعريف محمد أبو بكر، التابع لكتيبة الفضيل بو عمر، وآمر مكتب الحرس الثوري في ذلك الوقت بإنزال الشهيد من السيارة وهو مقيد بقيد حديدي ويداه خلفه، وأوقفوه بجانب المشنقة، وتلا عليه أمين المؤتمر قرار الإعدام، وفي هذه الأثناء التفّ المواطنون حول الشهيد محاولين منع إعدامه، وحاولت الراهبة والعريف محمد أبو بكر انتزاعه من وسط المواطنين، ولكنهما لم يستطيعا إلا بعد تدخل أفراد الشرطة العسكرية وأجهزة الأمن، مما اضطر هذه الأجهزة إلى سحب أسلحتهم وتهديد المواطنين لكي تتم السيطرة على الموقف. وقامت الراهبة والعريف المذكور بوضع حبل المشنقة في رقبة الشهيد وسحب كرسي الإعدام من تحت قدميه، ولكن بعد سحب الكرسي انقطع الحبل من الأعلى، وفي تلك اللحظة بالضبط ارتفع صوت الحق منادياً لصلاة الظهر، ولكن هذه العصابات المجرمة ربطت الحبل من جديد، وابتسم الشهيد وهو يتأمل المواطنين عند وضع الحبل في رقبته، وعند سحب الكرسي انقطع الحبل للمرة الثانية، وكانت تصرفاتهم هذه المرة تصرفات وحشية

تدل على الإجرام وحب قتل الأبرياء، حيث جلس العريف المذكور فوق المشنقة يجذب الحبل إلى الأعلى، وأخذت الراهبة مع بقية المجرمين تتعلق بقدمي الشهيد إلى أن فارق الحياة بين أيديهم. وكان إخوة الشهيد الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين 6 و7 سنوات على مقربة من هذا المنظر المؤلم يشاهدون هذا الموقف الوحشي وأعينهم دامعة.

بعد إعدام الشهيد ونقله من الساحة حضرت والدته إلى مكان إعدامه وهي تبكي، حيث كان مكان الإعدام على مقربة من البيت، وكان باقي أخوته الكبار معتقلين رهن التحقيق.

رواية شاهد عيان

اغتيال الشهيدين عبد المنعم الزاوي وصالح القرطاس (طاليان - أثينا)

ورد بتقرير الطبيب الشرعي الذي قام بفحص جثة الشهيد عبد المنعم الزاوي الذي اغتاله عملاء القذافي في أثينا يوم 3 من يونيو 1983 ما يلي:

«القتيل وضعت له قطعة قماش في فمه حتى لا يصرخ وظهرت على وجهه بعض آثار التعذيب، كما ظهرت على رقبته آثار خنق، إما رفيع جداً، وإما بسلك معدني رفيع. ثم تم الإجهاز عليه بإطلاق رصاصتين في كتفه من الخلف».

اغتيال الشهيد الدكتور المبروك غيث المدهون الترهوني (جدة - المملكة العربية السعودية)

خلال موسم الحج لعام 1405هـ وتحديداً في اليوم التالي عرفه (أي يوم عيد الأضحى) 1 من ذي الحجة من عام 1405هـ الموافق لشهر سبتمبر 1985م، قام عملاء القذافي في السعودية باختطاف الشهيد الدكتور المبروك غيث الذي كان يؤدي مناسك الحج من ذلك العام، وبعد عدة أيام عثرت السلطات السعودية على جثة الشهيد داخل حقيبة سفر ملقاة بإحدى ضواحي مدينة جدة السعودية، وقد كانت الجثة مقطعة الأوصال، وممثلاً بها أبشع تمثيل.

واقعة إعدام شهداء 17 فبراير 1987 (بني غازي)

في 12 ربيع الأول سنة 1407هـ (عيد المولد النبوي) الموافق 17 فبراير 1987م أمر أزلامه باللجان الثورية بتنفيذ حكم الإعدام في تسعة من شباب ليبيا الوطنيين، الذين اعتقلوا بعد مقتل المجرم أحمد مصباح الورفلي (عضو اللجان الثورية) في أغسطس 1986.

نُفذ حكم الإعدام في ستة من الشهداء في المدينة الرياضية ببني غازي وهم:

1- سعد خليفة الترهوني

2- المحجوب السنوسي محجوب

3- علي عبد العزيز البرعصي

4- سامي عبد الله الزيداني

5- أحمد محمد الفلاح

6- عصام عبد القادر البدري

اقتيد الشهداء الأبطال مكبلين بالسلاسل وسط هتافات مرتزقة النظام اللجان الثورية، الذين كانوا وضعوا الحبال حول رقابهم، ثم قاموا بوضعهم فوق كراسي المشانق، وهم يتصايحون كالمجانين. وحينما حانت ساعة التنفيذ سحبت الكراسي وبقي المجرمون يمسكون بأرجلهم المتدلية وهم يهتفون بالهتافات الثورية بطريقة هستيرية.

أما الشهداء الثلاثة الآخرون وهم:

1- علي أحمد عبد الرازق الحشيي

2- منير محمد عبد الرازق مناع

3- صالح عبد النبي العبار

فقد تم تنفيذ حكم الإعدام فيهم في معسكرات الجيش التابعين لها، حيث اصطف طابور من اللجان الثورية أمروا بإطلاق الرصاص في لحظة واحدة، استشهد بعدها الشهداء الأبطال.

ثم نقلت مشاهد تنفيذ الإعدام بالتلفزيون الليبي ليشاهدها المواطنون الذين اعتبروا هذا اليوم أكبر الأيام حزناً.

تقرير من أحد المواطنين

واقعة اغتيال المواطن الهمالي العمامي (بني غازي)

في إحدى ليالي شهر أبريل عام 1987 قامت إحدى دوريات الأمن بمدينة بني غازي بإطلاق الرصاص على المواطن الهمالي العمامي (يقيم بمنطقة المحيشي) مما أدى إلى مقتله.

جرى ذلك بالقرب من معسكر تجييش العروبة، والمعروف أيضاً بسوق الفحم. قام الجناة بعد ذلك بحمل الجثة ونقلها من مكان الحادث إلى منطقة «سيدي يونس» ووضعوها خلف سور ثكنة (مدرسة أول سبتمبر) الثانوية للبنين، في شارع بين المدرسة وبين السوق العام وبالقرب من مقبرة سيدي يونس، وقاموا بكتابة عبارات مضادة للقذافي ونظامه على سور المدرسة والباب الخلفي للسوق، بعد ذلك ذهبوا إلى الباب الرئيسي للمدرسة حيث كان تتواجد مجموعة من الطلبة المكلفين بالحراسة الليلية، وطلبوا منهم عدم الإفصاح عن حقيقة ما جرى إذا ما سُئلوا، وأن يقولوا إن العبارات قام بكتابتها الشخص المقتول، وإنه حضر في سيارة من نوع «داتسون 120» صفراء اللون، وقد طاردته سيارة الأمن وأطلقوا عليه الرصاص فأردوه قتيلاً. في تلك الأثناء حضر ضابط الخفر، وهو عريف عبد الغني مراجع البرغثي التابع لصنف المخابرة، وعندما استفسر عن الأمر أخبره الجناة بروايتهم وطلبوا منه تكليف اثنين من الطلبة بحراسة الجثة إلى حين حضور الأجهزة المختصة، ولكن ضابط الخفر رفض بحجة أن ذلك خارج دائرة اختصاصه، والتي تنحصر في حراسة المدرسة من الداخل فقط، هنالك أخذ الجناة في اتهامه بالرجعية والعمل ضد الثورة وهددوه بتوريطه فيما حدث، عندئذ رضخ ضابط الخفر لمطلبهم إلى أن حضرت الأجهزة المختصة لإجراء التحقيقات اللازمة.

في صباح اليوم التالي قام ضابط الخفر بكتابة تقرير عما جرى بينه وبين دورية الأمن، ودوّن فيه أقوال الطلبة حول ما دار بينهم وبين الدورية، وأثبت فيه أن الرماية لم تقع في المكان الموجودة به الجثة، وذهب برفقة آمر الثكنة، وهو ملازم أول شحاته العمامي، إلى ركن الاستخبارات العسكرية للمنطقة الشرقية حيث سلما التقرير إلى آمر الركن وهو المقدم عوض إبراهيم السعيطي، الذي احتفظ بالتقرير ولم يتخذ أي إجراء

بشأن الحادثة. وقد ارتكب الجناة خطأ غبياً عندما حاولوا تلفيق تهمة كتابة عبارات مضادة للنظام لهذا المواطن لأنه - وكما هو معروف لدى كل من تربطه علاقة به - شخص أمي لا يستطيع حتى كتابة اسمه.

رواية شاهد عيان

واقعة اغتيال الشهيد يوسف صالح خريبيش (روما)

بينما كان المناضل يوسف خريبيش، عضو اللجنة التنفيذية للجبهة لإنقاذ ليبيا، في مدينة روما بإيطاليا، ترتّص له عدد من أعوان القذافي بالقرب من ميدان «كافور» وأطلقوا عليه الرصاص، فأصابوه بأربع عشرة طلقة في أنحاء متفرقة من جسمه: في الرأس، والرقبة، والظهر، والبطن، أدّت إلى استشهاده على الفور، وذلك في يوم الجمعة 30 شوال 1407هـ الموافق 26 يونيو 1987، وقد ألقت الشرطة الإيطالية القبض على اثنين من القتلة هما: سعيد علي رمضان الترهوني، ومحمد المبروك القمودي. واعترف المجرمان بعضويتهما في حركة «اللجان الثورية - المفارز الانتحارية» وأنهما تلقيا الأوامر من قيادة الحركة باغتيال الشهيد، كما اعترفا بأن لهما شريكاً ثالثاً استطاع الهروب إلى خارج إيطاليا بعد ارتكاب حادث الاغتيال مباشرة، وهو المجرم جابر محمد ساسي زغدود.

وقد تحفظت سلطات التحقيق على اسم شخص رابع يبدو أنه من كبار المسؤولين في جهاز المخابرات الليبية، وأنه المخطط الرئيسي لعملية الاغتيال. وقد أدان القضاء الإيطالي المجرمين اللذين تم القبض عليهما وحكم عليهما بالسجن.

ملحق (4)
معمر القذافي هل هو مسلم؟

تحت هذا العنوان نشر الباحث والكاتب الإسلامي السلفي في ليبيا محمد خليفة الرباح دراسة تتهم القذافي بالكفر، ننشرها في ملاحق هذا الكتاب دون تبنٍّ أو رفض من وقائعها... فالقارئ وحده وكل وفق خلفيته الثقافية وربما السياسية والدينية يحدد موقفه منها ومن معمر القذافي نفسه... سواء كان ضده سياسياً وأخلاقياً أو مؤيداً لأفكار له في الكتاب الأخضر أو خطاباته العلنية.

معمر القذافي هل هو مسلم؟

معمر القذافي كان حاكماً لليبيا منذ اثنين وأربعين سنة، وهو رجل ينتسب للإسلام في الظاهر وقد نقض بعدَّة نواقض، كَفَّره لأجلها علماء الأمة ولا أعلم حاكماً منتسباً للإسلام اجتمعت في حقه فتاوى العلماء بالتكفير كما اجتمعت في القذافي، فقد كَفَّره جماعةٌ من كبار العلماء: كالعلامة ابن باز والعلامة الألباني والعلامة مقبل بن هادي وغيرهم كثير من أعضاء هيئة كبار العلماء ومن غيرهم.

وكفره ظاهر لأمور (ومن كان كفره ظاهراً له فليتنقل إلى الفقرة (3) من المعطيات) فمن مُكفِرِه أنه:

- اشتمل كتابه الأخضر على تقرير مبادئ تصادم أحكام الإسلام وتنقضها وهي كثيرة، ومنها على سبيل المثال قوانين الملكية وهي متعددة، تُملك من لا يملك وتنزع الملك من المالك مدعياً صاحبها أنها أرقى ما وصلت إليه النُّظُم من العدل!! وغيرها من أحكام تصادم الإسلام ويقررها على أنها أرفع صور العدل والخير!

والمصيبة أنه يُدرِّسها لصغار المسلمين في المدارس، ويلقنهم إياها على أنها عقيدة، أدل على هذا من عبارة: (الفاتح عقيدة الفاتح إيمان) التي يرددها الأطفال في مدارسهم.

- يفضل نظام الحكم المقرر في الكتاب الأخضر على حكم سابق في الأرض بصريح كلامه المتكرر، بما في ذلك الحكم النبوي! ويُمثل عنده الحل الأمثل المقدم على النظام النبوي!

فانظر إليه وهو يقول عن كتابه الأخضر:

«هو دليل الانعتاق النهائي من العنف والاستغلال وصولاً إلى الحرية وتحقيقاً للسعادة، وجدت أن غاية الناس السعادة، وأن الجنة الموعودة أو المفقودة هي السعادة» ا. هـ.

ويكفي في هذا أنه في المقابل ينكر الخلافة الإسلامية ويعتبرها نظاماً باطلاً في الحكم فانظر إليه وهو يقول عن نظام الخلافة:

«عندما تحوّل أصحاب رسول الله إلى حكّام، ديس عليهم بالأقدام باعتبارهم حكاماً مدنيين، عثمان باعتباره رئيس جمهورية أو ملكاً، وعمر بعدالته تحول إلى أمير، وقلد الفرس والروم، وعلي قاتله المسلمون وانشقوا عليه من أقرب الناس إليه ومن أتباعه وأصحابه... لماذا؟

لأنه طمع في السلطة وأراد أن يكون رئيس جمهورية، ولو محمد (صلى الله عليه وسلم) تحول إلى رئيس جمهورية لتخلت عنه الناس» ا. هـ.

بل صرّح بتفضيل نظامه الذي يصفه بالجماهيري على نظام الإسلام المتمثل في الخلافة حيث قال:

«واحد يُنصّب نفسه أميراً أو خليفة، هذه سنقاتل دونها، ولا يمكن نمد رقابنا مرة ثانية لأي خليفة بعدما القوافل منا ذهبت ضحية سيف الخليفة الظالم اللي ما أنزل الله به من سلطان... الله ما قالش، فيه خليفة أبداً»...

تأمل فالقذافي قال مستنكراً:

«لا زلنا في عصر الخليفة بعد عصر الجماهيرية؟!

ويعني بعصر الجماهيرية عصرَ نظامه هو، المقرر في الكتاب الأخضر الذي يسميه النظام الجماهيري. بل زعم أن كتابه الأخضر كبشارة عيسى وألواح موسى».

ومما يحضرني قوله:

«أقدم لكم كتابي الأخضر بفصوله الثلاثة، الذي يشبه بشارة عيسى أو ألواح موسى، أو خطبة راكب الجمل القصيرة [يعني النبي فتأمل التجاهل]» ا. هـ.

ثم عاد وجعل نظامه الذي ينادي به متمماً للدين فقال:

«النظرية العالمية الثالثة»: (هذه النظرية سوف تجعل لنا أخلاقاً وتجعل لنا علاقات جديدة نتعامل بها» ا. هـ.

بل ادعى بصراحة أن الحكم بالشريعة هو حكم وضعي لا ديني وشأنه شأن الحكم بالقانون الوضعي فقال:

«لهذا تعتبر الشريعة الإسلامية مذهباً فقهياً وضعياً شأنه شأن القانون الروماني أو قانون نابليون، وكل القوانين الأخرى التي وضعها الفقهاء الفرنسيون أو الطليان أو المسلمون... فالذي يدرس القوانين الرومانية يعتبر أن علماء الإسلام يحملون قانوناً وضعياً يضاهي القانون الروماني، لكن لا تقول، هذا دين» ا. هـ.

وقال بعبارة أوضح:

«إن ما يسمى بالشريعة الإسلامية عبارة عن كتب وضعية واجتهادات وتأليفات قام بها بعض الناس، أمثال الغزالي وابن سينا والفارابي وأهل الصفا والمعتزلة، كل واحد منهم ألف، وجميعهم أخذوا من اليونانية».

وهذا منه إنزال للحكم النبوي عن مستواه إلى مستوى تلك القوانين ليخدم بذلك تفضيل حكمه الجماهيري على حكم الله!

بل رأى أنه لا مجال أن يحكمنا وحي! وسلب الوحي صلاحية الحكم وذلك في قوله في خطاب بتاريخ، 17/12/1990:

«الشعب هو السيد فوق الأرض يقرر فيها ما يشاء، والله في السماء، ما فيش - لا يوجد - وسيط بينا وبين الله».

ثم وضح القذافي [من الآخر كما يقولون] مبيناً أن تحكيم الشعب إنما هو لاستحقاقه الحاكمية والإلهية في هذا الجانب، فقرر أن الشعب مثل الله، وأنه لا بد للشعب أن يكون إلهاً على الأرض قائلاً:

«الشعب مثل الله... الله في السماء والشعب في الأرض، ليس معه شريك، الله لو معه شريك، قال، لاتخذوا إلى ذي العرش سبيلاً، لو كان معه آلهة كان واحد منهم يقول، أنا أريد أكون إلهاً، الذي يقى في العرش الآخرين يحاولوا أن يقوموا بانقلاب عليه... الشعب فوق الأرض لازم أن يكون هكذا، مثاله فوق أرضه» ا. هـ.

من حوار مع بعض حفظة القرآن الكريم بتاريخ، 3/ 7/ 1978.

- السنّة كلها بما فيها الثابتة عنده والتي لا ينكرها فإن القذافي يرى أن العمل بها شرك!! وأنها غير مقدسة فقد قال:

«إذا أتى واحد وقال لنا، إن حديث النبي لا بد أن تقدسوه وتعملوا به مثل القرآن، وهذا كلام ربما يكون غريباً، والسبب أننا في هذه المرحلة ابتعدنا كثيراً عن الإسلام، ونحن في طريقنا إلى عبادة الأوثان والابتعاد عن القرآن وعن الله، ولا يوجد طريق يجعلنا نبتعد عن عبادة الأوثان وعن الانحراف الخطير إلا طريق التمسك بالقرآن وعبادة

الله فقط» ا. هـ.

– ظهر منه إنكار لثوابت شرعية كثيرة كإنكار الحجاب وإباحة التبرج حتى بلغ به الأمر أنه ادعى أن الشيطان هو الذي اخترع الحجاب فقال:

«حواء لم يكن عندها ملابس بالمرة...

تفهم خير من ربنا؟!

ربنا خلقنا كِدَه – هكذا – من الأول، هذه هي الطبيعة، احنا – نحن – لولا الشيطان ما عملنا حتى ورقة التوت، الشيطان هو الذي جعلنا نرتدي هذه الملابس، أما قبل فكانت الطبيعة هكذا، الحجاب نفسه من عمل الشيطان، لأن الحجاب تعبير عن ورقة التوت، وورقة التوت هي من عمل الشيطان، بدل أن نتحرر ونمشي إلى الأمام...

لا... المرأة تحتجب وتقعد في البيت... حرام... الحجاب، حجاب معنوي» ا. هـ.

وأنكر جواز الخلافة من أصلها بما فيها التي حصلت لأبي بكر وعمر وعلي وعثمان كما أنكر تعدد الأزواج، بل أنكر الجهاد ضد أهل الكتاب وادّعى أنه لا جهاد ضد أهل الكتاب وفي هذا يقول:

«المصدر الصحيح في الجانب الإسلامي هو القرآن، وأكد أن علاقات المسلمين لا تنطبق مع القرآن الآن، فهناك عدد كبير جداً من المسلمين يعتقد أن الحرب بين المسلمين والمسيحيين، أو بين المسلمين واليهود، هي جهاد مقدس، وهذا ليس صحيحاً – كما يقول القرآن – ذلك أن الجهاد يكون بين المؤمنين وبين الكافرين، أما بين مؤمن ومؤمن، فليس هناك شيء اسمه جهاد... وما دام المرجع الصحيح هو القرآن، فإن أول حقيقة نستطيع أن نؤكدها هنا، أن الجهاد ضد أهل الكتاب مفهوم خاطئ» ا. هـ.

وأنكر تحريم الربا، وفي هذا يقول:

«النظام المصرفي، نظام عالمي... العالم الإسلامي كله يتعامل فيه... إذا جربوه إحنا معاهم... مين اللي – الذي – قال،حرام؟ مش حرام، والنظام المصرفي لا يصدق أنه حرام» ا. هـ.

وأنكر صلاة الاستسقاء والاستخارة واستخف بهما كما سمعته بنفسي إلى أمور كثيرة يتعذر إحصاؤها.

– صدر منه تعريض وتنقص لمقام النبوة ولبعض الأنبياء، كتنقصه بنبينا (صلوات الله عليه) ووصفه له بأنه مجرد ساعي بريد وله عدة عبارات في ذلك وبنبي الله يعقوب.

- وصدر منه استهزاء بتعاليم الإسلام ومنها الحج والوقوف بعرفة كما جاء نقله في فتوى هيئة كبار العلماء التي شارك في إصدارها العلامة ابن باز وباقي كبار العلماء بل نقلوا استهزاءه برب العالمين كما في الفتوى نفسها.

بل قال القذافي عن الكعبة بالحرف:

«إن الكعبة هذه، هي آخر صنم ما زال باقياً من الأصنام».

وذلك في افتتاح مجلس اتحاد الجامعات العربية، بمدينة بني غازي، 17/ 2/ 1990.

- وتلاعب بالدين تلاعباً ينقض تعظيمه له:

عندما كفَّر من يشتري البضائع من سويسرا بسبب ما حصل مع ابنه منها!

وعندما أعلن الجهاد ضد سويسرا لأنها أوقفت ابنه هنيبعل!

وعندما كفَّر من يمنع الكفار من الطواف حول الكعبة!

وعندما ادَّعى أن اليهود لهم حق في الطواف حول الكعبة وقال:

«بأن الكعبة مبنى غير مقدس! وليست لأتباع محمد فقط، كل من في الأرض له الحق في الطواف بها».

وكرّره في أكثر من خطاب!

وعندما وصف بالوثنية من يصلي على النبي عند سماع اسمه (صلى الله عليه وسلم) حيث قال في كلمة له:

«لو قلت لكم، رسول الله، لقلتم كلكم، صلى الله عليه وسلم، ولو قلت لكم الله، لما تكلم أحدٌ، وهذا نوع من الاستعباد والوثنية التي تسير فيها» ا. هـ.

وعندما حرَّم الحج عام 1400 هـ وقال بأنه لا يشرع الحج هذا العام.

وعندما نادى بالحج إلى القدس مطلع التسعينات وأرسل بعثة من ليبيا إلى القدس في أيام الحج!!

ناهيك عن تلاعبه بمواسم العيد وشهر رمضان.

سبحان الله، تلاعب متكرر بثوابت شرعية ظاهرة!!

- ادَّعى بأن دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) محصورة في العرب فقط وليست هي عامة لعموم الإنس والجن، واعتبر مَنْ أسْلم من غير العرب فهو متطوع ولا يجب عليه أن يُسلم.

فقال: «العرب جسدهم القومية العربية وروحهم الإسلام، لأن محمد مرسل للعرب فقط!! والقرآن جاء من أجل العرب وبلغة عربية، موجه للعرب فقط، وأي واحد غير

عربي اعتنق الإسلام هذا متطوع في الحقيقة، أمره عند الله لكنه غير معني» ا. هـ.

وكرّر هذا الاعتقاد مراراً في عدة مناسبات.

- وادّعى النبوة لنفسه في مقامات متنوعة وبعبارات تدل على أنه يريد بها نبوة خاصة وما تلقيه نفسه بأنه رسول الصحراء إلا صورة عنه!

وزعم أن كتابه الأخضر بمثابة التوراة والإنجيل.

وفي لقائه بالصحافية الإيطالية «ميريلا بيانكو»، التي سألته:

«يا رسول الله... أكنت راعي غنم؟».

أجاب القذافي، «بلى، فلم يكن هناك نبي لم يفعل ذلك».

وانظر إليه وهو يقول:

«أقدم لكم أنا الإنسان البدوي البسيط الذي ركبت الحمار، ورعيت الغنم، ومشيت حافياً، وعشت عمري بين الناس العاديين البسطاء، أقدم لكم كتابي الأخضر بفصوله الثلاثة، الذي يشبه بشارة عيسى أو ألواح موسى، أو خطبة راكب الجمل القصيرة [يعني النبي فتأمل التجاهل]، الذي كتبته من داخل خيمتي التي يعرفها العالم، بعد أن هجمت عليها 170 طائرة وقصفتها بقصد حرق مسودة كتابي الأخضر التي هي بخط يدي، وجمعت المأثورات والحكم والبدهيات ودرست التاريخ، ووجدت أن البشرية قد ألفت الكتاب الأخضر، الذي هو دليل الانعتاق النهائي من العنف والاستغلال وصولاً إلى الحرية وتحقيقاً للسعادة، وجدت أن غاية الناس، السعادة، وأن الجنة الموعودة أو المفقودة هي السعادة» ا. هـ.

وزعم أن لجانه الثورية هي نبي هذا العصر... فقال:

«حركة اللجان الثورية»، هي نبي هذا العصر، عصر الجماهير، وهي بالفعل النبي، نبي عصر الجماهير، هو «حركة اللجان الثورية» ا. هـ.

- وكل من يعرفه جيداً يعلم أنه مُؤَلِّه لنفسه، حتى وصفه بهذا كثير من الإعلاميين وغيرهم ممن تعرضوا لنقده، وقد كان رضي بتنصيبه معبوداً مع الله كما جاء في ذلك الموقف المعروف عندنا الذي قيل له فيه بالحرف الواحد:

«أنت من حقك أن تُعبَد!!».

ولم يعترض القذافي على هذا التأليه والغلو الشركي! مع أنه قيل له هذا بصراحة، ومع تردده في أوساط الليبيين بعد ذلك مستنكرين. بل هو يرحب بكل موقف يحمل تعظيماً له.

وقد حصل من الموالين له مراراً أنهم سجدوا لصورته في هذه الأيام في أكثر من مشهد! ونقلت ذلك بعض القنوات ولم يعترض القذافي!

لا من قبلُ عندما قيل له: من حقك أن تعبد، ولا من بعدُ عندما سُجد له!

وهذا يتفق مع تعظيمه لنفسه وإصداره لعبارات تدل على هذا.

ولعل مما يحضرني الآن وليس أوضحها قوله:

«(كن فيكون) كلمة، (فيكون) قد تحصل بعد مليون سنة، مثلاً:

أيتها السحابة الكونية كوني كواكب سيارة من الشمس إلى الأرض... بعد 400 مليون سنة...

ما دام الله قرر هكذا فعلاً بعد 400 مليون سنة ستكون بهذا الشكل...

كن فيكون، يعني، كوني هكذا، فكانت حسب المدة...

أنا قلت، ثورة بعد عشرين سنة، وعملت من أجلها... قامت... نعم فلتكن ثورة، فكانت ثورة» ا. هـ.

- وكان يوالي أهل الإشراك ممن يصرفون العبادة لغير الله ويدعمهم ضد المسلمين ويفتح المجالات لهم لنشر الشرك من جديد بعد انحساره من ليبيا، حتى إن آخر خطاب له قبل الأحداث الأخيرة اشتمل على تبني هذه الموالاة بالصريح.

وفي السنوات الأخيرة ظهر بوضوح سعيه لتشييد القبور وتجديد الزوايا والمنارات القائمة على نشر الشرك وإحيائه.

كل هذا وغيره كثير مما صدر من العقيد القذافي وكفّره مَن كفّره من العلماء لأجله أكتفي به في هذه الفرصة لأدع الجواب والحكم للقارئ المؤمن والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل.

شبهة كون البديل عن القذافي هو الديمقراطية

الباحث والكاتب الإسلامي السلفي نفسه محمد خليفة الرباح كتب ونشر هذا الموقف رداً على ما أعلنه عدد من علماء الدين الليبيين دفاعاً عن حكم معمر القذافي خلال الثورة ضده، تضمنه هذا الكتاب أيضاً دون تبنٍّ، وهو يخص تحديداً الجماعات الإسلامية التي تختلف مع بعضها في الموقف من القذافي وفي الحكم الذي يتطلع إليه الليبيون ومنهم إسلاميون بعد سقوطه.

إن فقه بعض من يستنكر القتال ضد القذافي يسلط الضوء على مسألة احتمال أن

تؤول إزالة القذافي إلى حكومة تحكم بحكم ديمقراطي!

طبعاً قبل الجواب أحب أن أبيّن أن هذا الفقه لا يَحْمل للمسلمين في ليبيا حلاً سوى أن يُسْلِموا أنفسهم للمتحقق على الأرض من ديمقراطية القذافي الدموية التي هي من شر الديمقراطيات في العالم وكلها شر، وأن يُسْلِموا شؤونهم لفِكْره المظلم المناقض للإسلام علاوةً على تلك الديمقراطية، وأن يُسْلِموا أنفسهم وبلادهم لجنونه اللامحدود ولكفره الصراح!

وكل هذا حتى لا نصل إلى ديمقراطية المجلس الانتقالي المسلم والتي هي ديمقراطية مظنونة حتى الآن!

نعم هي مظنونة، فكما أن هناك مَن ينادي بالديمقراطية فهناك من ينادي بالحرية المنضبطة بالدين وهؤلاء لهم مكانة عند أعضاء المجلس، وهناك من البارزين في الساحة مَن صرح بأن ليبيا ستكون دولة تنضبط بدينها وتراعي إسلامها، وهناك من يُعبِّر بلفظ الديمقراطية ولا يريد بها المعنى الظاهر من العبارة وإنما يريد حرية منضبطة بالدين، بل هناك من ينادي بما هو أصرح مما ذكرنا، وهناك من ينادي بحكم على غرار نظام المملكة السعودية، كما أن هناك من يؤجل الكلام عن هذا الآن.

وأنا لا أنفي وجود من ينادي بها بالمعنى المخالف للشرع الذي هو الأصل في هذه العبارة، ولذلك أشرت إلى هذا بقولي عن رايتهم:

وضوح الراية بالقدر الذي لا يمنع من صحة الموازنة.

لأن الموازنة تقتضي مراعاة كامل المعطيات.

ولا أريد أن أتدخل فيمن هم أكثر أو من هم الأقرب لفرض ما ينادون به.

وسبحان الله يبدو أن التحالف بين الفقه الديكتاتوري والحكم الديكتاتوري تقاسم هذه النقطة!

فالديكتاتوريون في الحكم يُبرزون من الثوار مَن ينادي بحكم الإسلام تخويفاً للغرب على أن هؤلاء إسلاميون!

وديكتاتوريو الفقه يُبرزون مَن ينادي بالديمقراطية تخويفاً للعلماء على أنهم طواغيت!

والهدف واحد وهو التحالف ضد الجيش المسلم المعارض للقذافي! وحتى تعود

ديمقراطية القذافي الدموية للحكم.

ولو سلمنا جدلاً بأن النتيجة يقيناً بعد سقوط القذافي هي قيام حكم ديمقراطي، فالجواب من وجوه:

أولاً: نحن أمام صائل كافر يستطيل في دماء المسلمين ويريقها بما استطاع من قوة ويجب علينا شرعاً دفعه عن هذه الدماء وقتاله دونها، ولسنا في حالة اختيار حتى ندرس أمر قيام حكم ديمقراطي، إذ هذا لا يُقدّم ولا يُؤخر في شأن دفع هذا التقتيل الحاصل!

وخاصة أن الحكم السابق ديمقراطي دموي فليس ثمة شيء نخاف على زواله أو شيء نخاف من مجيئه ولم يكن موجوداً، بل الديمقراطية التي سنزيلها أسوأ وأشر من التي ستأتي لو سلمنا بإتيانها؟

فالذي سنزيله:

- كافر مرتد عند أكثر العلماء ولا ولاية له شرعية.
- وديمقراطي دموي.
- ونظامه قائم على فكر كفري يمثله كتابه الأخضر المليء بمناقضة الإسلام والذي لا زال ينادي به.
- وجيشه مليء بالكفار المتواجدين على التراب الليبي منذ سنين وهم الآن أكثر.
- وهو الآن يقتل ويذبح المسلمين ويدمر مساجدهم ومدارسهم ومنشآتهم ومصانعهم وكل ممتلكاتهم.

وبالتالي فقتاله لأسباب:

- لدفع بأسه وكفه عن دماء المسلمين الليبيين ولا يتم هذا إلا بإزالته.
- ولإزالته من ولاية المسلمين في أي منطقة بليبيا باعتباره كافراً عند أكثر العلماء ليتم تنصيب حاكم مسلم.
- ولإزالة ديمقراطيته الدموية التي هي أشر الديمقراطيات حتى ولو آل الأمر إلى تغلب حكم ديمقراطي على يد حاكم مسلم لأنه من باب ارتكاب أدنى المفسدتين.

ونحن من عندنا لن نُنصّب حاكماً ديمقراطياً، لكن لو تغلّب ديمقراطي مسلم بأي صور التغلب فسنعامله معاملة المتغلب كما هو في كتب الفقه الإسلامي.

ثم لماذا يا إخواننا نطالب الليبيين بما لا نطالب به غيرهم ممن أُفتوا بالجهاد؟

لماذا تحرص على تضييع قضية المسلمين في ليبيا؟ وعلى عرقلة الفتاوى التي قد تخدم قضيتهم في حين أن ما تعترضون به قائم في عدة نماذج صدرت في حقها فتاوى وبوركت؟

ألم يكن قادة الجهاد الأفغاني ينادون بالديمقراطية في فترة جهادهم ضد حاكمهم الشيوعي نجيب الله؟!

ألم تتفق فتاوى العلماء على مشروعية الجهاد رغم تلك الأصوات؟

ألم يحكم قائدهم القبوري المدعو (مجددي) بحكم ديمقراطي في أول مرحلة حكم بعد نجاح الجهاد؟

ثم تبعه رباني على المبدأ نفسه؟

بل ما شرعوا في ديمقراطيتهم إلا بعد أن ذبحوا شيخ السلفيين جميل الرحمن رحمه الله وبعد أن قصفوا ولاية كنر لأنها سلفية؟

بل لم تقم ديمقراطيتهم إلا على أشلاء الشعب الأفغاني فقدْ قُتل قرابة الأربعين ألفاً إثر النزاعات على الحكم بعد انتهاء الجهاد ضد نجيب الله؟

فهل حلال على الشعب الأفغاني أن يقاتل نجيب الله رغم تعالي الأصوات بالديمقراطية وحرام على الليبيين؟

ألم يكن علي صالح يحكم بالديمقراطية عندما أفتى الشيخ العلامة مقبل بالجهاد معه ضد الاشتراكيين سنة 1994م؟!

أتحرّم الجهاد في فلسطين ضد اليهود لأن الحكومتين فتح وحماس تناديان بالديمقراطية؟

أم نبطل جهاد الشعب الجزائري وجهاد الليبي بقيادة عمر المختار لأنهما تُوّجا بتحكيم القوانين؟

بصراحة هذا منطق تشويشي ليس إلا!

يا إخواننا نحن أمام دفع صائل ولا يمكن أن نترك القذافي يذبح الليبيين بحجة أن أعضاء في الصف الآخر ينادون بالديمقراطية؟

انتهت دراسة الرياح.. فلنقرأ بعض آخر استفزازات العقيد لثقافة الشعب الليبي الدينية... أولاً.

ملحق (5)

كشف بمحاولات الاغتيال التي فشلت اللجان الثورية في تنفيذها بحق مواطنين ليبيين خارج ليبيا

1- محاولة اغتيال المرحوم الرائد عمر عبد الله المحيشي عضو مجلس قيادة الانقلاب أكثر من مرة خلال وجوده في مصر (ما بين السنوات 1976- 1979).

2- محاولة اغتيال الدكتور محمود سليمان المغربي (رئيس وزراء ليبيا الأسبق) في لندن 23/ 6/ 1978.

3- محاولة اغتيال المواطن سالم محمد القواني في مدينة روما بإيطاليا يوم 21 مايو 1980.

4- محاولة اغتيال رجل الأعمال الليبي سليمان دهان في روما خلال عام 1980.

5- محاولة اغتيال المواطن محمد سعد البرغثي في مدينة روما بإيطاليا يوم 11 يونيو 1980.

6- محاولة اغتيال الدكتور فيصل الزقلعي في الولايات المتحدة الأمريكية يوم 14 أكتوبر 1980.

7- محاولة اغتيال الرائد عبد المنعم الطاهر الهوني (عضو مجلس قيادة الانقلاب السابق) في روما بإيطاليا، يونيو 1980.

8- محاولة اغتيال الدكتور محمد يوسف المقريف سفير ليبيا السابق بالهند وأمين عام الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا أكثر من مرة، جرت إحداها في روما (فبراير 1981)، وأخرى في مدريد (سبتمبر 1985).

9- محاولة اغتيال الطفلين سعاد فؤاد قصودة (8 سنوات)، وكريم فؤاد قصودة (7 سنوات) عن طريق تسميمها في نوفمبر 1980 في مدينة بورتسموث ببريطانيا (وقد قبض على الجاني وحكم عليه عام 1981 بالسجن المؤبد).

10- محاولة اغتيال عدد من المتظاهرين الليبيين أمام السفارة الليبية بلندن خلال شهر أبريل 1984 بإطلاق الرصاص عليهم من داخل مبنى السفارة، الأمر الذي أدّى إلى اغتيال الشرطية البريطانية «إيفون فليتشر» وجرح أحد عشر متظاهراً.

11- محاولة اغتيال المواطن الليبي فريد مصطفى القريتلي بأثينا، اليونان يوم 13 يونيو 1984.

12- محاولة اغتيال الأستاذ عبد البكوش المحامي، رئيس وزراء ليبيا الأسبق، في مصر خلال شهر نوفمبر 1984.

13- محاولة اغتيال عز الدين الغدامسي سفير ليبيا السابق بالنمسا مرتين، الأولى يوم 28/ 2/ 1985، والثانية يوم 20/ 5/ 1987.

14- محاولة اغتيال المواطن غيث سعيد المبروك الترهوني (رجل أعمال) بمدينة الإسكندرية خلال شهر أغسطس 1985.

15- محاولة اغتيال المواطن يوسف إبراهيم عقيلة (رجل أعمال) بمدينة أثينا – اليونان، خلال شهر أكتوبر 1985.

16- محاولة اغتيال عدد من أعضاء الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا أثناء اجتماع لهم في مدينة الإسكندرية خلال شهر نوفمبر 1985.

17- محاولة استدراج ثلاثة من أعضاء الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا الأمازيغ لاغتيالهم في روما خلال شهر يونيو 1987، وهم: يوسف خربيش، ومحمد علي يحيى، وسالم قنان، وقد تمكن النظام فيما بعد من اغتيال الأول في المدينة نفسها وخلال الشهر ذاته.

18- محاولة استدراج سالم قنان القيادي في الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا مرة ثانية لاغتياله بتشيكوسلوفاكيا خلال شهر أغسطس من العام نفسه 1987.

كشف بأسماء الليبيين الذين اغتالهم
عناصر اللجان الثورية خارج ليبيا

1- عيسى عبد القادر آدم الدرسي، طالب طيران عسكري، أثينا 1976.

2- سالم الرتيمي، رجل أعمال، روما، 21 مارس 1980.

3- محمد مصطفى رمضان، إذاعي، لندن، أبريل 1980.

4- عبد الجليل العارف، رجل أعمال، روما، 19 أبريل 1980.

5- عبد اللطيف المنتصر، رجل أعمال، بيروت، 21 أبريل 1980.

6- محمود عبد السلام نافع، محام، لندن، أبريل 1980.

7- عبد الله محمد الخازمي، رجل أعمال، روما 1980.

8- عمران المهداوي، دبلوماسي سابق، بون، 8 مايو 1980.

9- محمد فؤاد بو حجر، رجل أعمال، روما، 20 مايو 1980.

10- أبو بكر عبد الرحمن، ضابط سابق، أثينا، 21 مايو 1980.

11- عز الدين الحضيري، رجل أعمال، ميلانو، 11 يونيو 1980.

12- أحمد عبد السلام أبو رقيعة، طالب، مانشستر، 29 نوفمبر 1980.

13- السنوسي لطيوش، رئيس أركان الجيش الأسبق، أثينا، 30 يناير 1981.

14- عبد الحميد عبد السلام الريشي، نقيب بالجيش، روما، 28 مايو 1981.

15- عمران عيسى لبفيتوري، أستاذ جامعي، أنقرة، نوفمبر 1981.

16- صالح أبو فروة، مقدم بالجيش، رومانيا، يناير 1983.

17- صالح أبو زيد الشطيطي، رجل أعمال، أثينا، 21 يونيو 1984.

18- عطية صالح القرطاس، طالب، أثينا، 3 يوليو 1984.

19- عبد المنعم الزاوي، طالب، أثينا، 3 يوليو 1984.

20- محمد الخمسي، رجل أعمال، روما، 19 سبتمبر 1984.

21- أحمد رفيق البراني، رجل أعمال، قبرص، 2 أبريل 1985.

22- جبريل عبد الرازق الديناني، ضابط شرطة سابق، بون، 6 أبريل 1985.

23- المهدي بوزو، رجل أعمال، باريس، 1 يوليو 1985.

24- الشيخ الدكتور المبروك غيث الزهوني، الأراضي المقدسة أثناء تأدية فريضة الحج سبتمبر 1985.

25- مصطفى ميلود السويحلي، طالب، مدريد، أكتوبر 1985.

26- حسين التمر العبيدي، رجل أعمال بولندا عام 1985.

27- محمد عاشور، دبلوماسي سابق، برلين الغربية، مايو 1986.

28- محمد عاشور أقحمية، رجل أعمال، أثينا، 7 يناير 1987.

29- محمد المثاني، موظف حكومي، مالطا، أبريل 1987.

30- يوسف صالح خلايش، أعمال حرة، روما، 26 يونيو 1987.

31- الرضا عبد الله عابد السنوسي، أعمال حرة، القاهرة، مايو 1995.

32- محمد عراب، طالب، القاهرة، مايو 1995.

33- علي محمد أبو زيد، رجل أعمال، لندن، نوفمبر 1995.

34- الشيخ محمد بن غالي، رجل أعمال، لوس أنجلوس - أميركا، 20 فبراير 1996.

35- عامر هشام علي محمد، أعمال حرة، سليما - مالطا، 21 أغسطس 1996.

ملحق (6)

أبو نضال في خدمة معمر القذافي... أيضاً

في كتاب أبو نضال الجديد: «الموساد الفلسطيني» حوارات مع مساعده الأول عاطف أبو بكر أجراها المؤلف حسن صبرا، يورد فيها أن اللقاء بين معمر القذافي وصبري البنا (أبو نضال) كان نتيجة حاجة كل منهما للآخر.

أبو نضال كان يبحث عن مكان آمن وجده في ليبيا، والقذافي كان يبحث عمن يساعده للرد على الذين فرضوا عليه الحصار.

احتلت قوات أبو نضال في ليبيا مكاتب ياسر عرفات فيها، وهذه المكاتب كانت أساساً لأبي نضال، لكنه بعد أن اغتال ممثل منظمة التحرير الفلسطينية، في الكويت علي ناصر ياسين هاجمت مجموعات من فتح مكاتب أبو نضال في ليبيا واحتلتها وقتلت اثنين منهم، وقد أعفى وزير الداخلية الليبي يومها الخويلدي الحميدي عن المهاجمين.

ترتيبات زيارة أبو نضال إلى ليبيا بدأت حين زار مسؤول أمن الجماهيرية (الاستخبارات الليبية) ابراهيم البشاري صوفيا حين التقى فيها أبو نضال، ودعاه لزيارة طرابلس ولقاء العقيد، وهذا ما تم حيث التقى الرجلان في باب العزيزية في شهر أيار/ مايو 1984 مكثا خلالها عدة أيام وضعا فيها حجر الأساس لعلاقة قوية بين الطرفين.

الحاجة المتبادلة بين القذافي وأبو نضال توسعت وتعددت، فقد أراد معمر ضرب معارضيه في الخارج الذين أطلق عليهم إعلامه تسمية الكلاب الضالة، وكان أبو نضال في أمس الحاجة لأن يعيد سيطرته على تنظيمه المشتت بين لبنان وسوريا والعراق... فكانت ليبيا هي الملاذ الآمن لجماعاته، ليتخلص من سيطرة الاستخبارات السورية والعراقية عليها في دمشق وسهل البقاع وبغداد.

كان أبو نضال يدير جهازه بالريموت كونترول وكان يشعر أن السوريين الذين استخدموه ضد الأردن دخلوا في مرحلة تهدئة مع عمان وفرضوا عليه الجمود، بل إنهم بعد أن ينتهوا من هذه الخدمات سيرمونه كالليمونة المعصورة.

النسبة التي جمعت الرجلين كانت كالعادة براقة وهي تحالف القوى الثورية... من

أجل فلسطين والعقل والفعل هو جهاز استخباراتي أمني يوفر المال والسلاح والتسهيلات اللوجستية، جوازات سفر، زراعة أسلحة في مخابئ، تأشيرات إلى بلدان مختلفة هو الجهاز الليبي، وجهاز آخر ينفذ ما يطلب منه من جرائم ضد الليبيين المعارضين والدول التي تشهد علاقاتها مع معمر تعقيدات ومشاكل هو جهاز أبو نضال... موساد فلسطين؟؟

دائرة معلومات أبو نضال التي كانت تتولى كل عمليات القتل شكلت من عبد الرحمان عيسى (نائبه لفترة) يوسف علي القرا (د. كمال) ومساعده حمدان عبد السلام أبو عصبة (عزمي حسين).

وعن استخبارات ليبيا كان رئيس هيئة أمن الجماهيرية نظرياً ابراهيم البشاري والقيادة الفعلية كانت لعديل القذافي عبد الله السنوسي، وحتى عندما تولى يوسف الدبري (متزوج من لبنانية) مسؤولية الهيئة كانت القيادة الفعلية للسنوسي أيضاً.

والامر نفسه أيضاً عندما تولى أبو زيد دورده مسؤولية الهيئة وكان عبد السلام هندي أيضاً ضمن الحلقة الاساسية الليبية التي تولت العلاقة مع جماعة أبو نضال.

قتل عبد الله السنوسي ابراهيم البشاري لأنه كان يعرف كثيراً ولم يكن من الدائرة المغلقة ثم قتل مدير مكتبه محمد نعامة.

وعندما قتلت الاستخبارات الليبية من داخل سفارة بلادها في لندن شرطية بريطانية كانت تحفظ الأمن حول السفارة مع خروج تظاهرة ليبية معارضة للعقيد، فإن جماعة أبو نضال وجدت ضالتها في الانتقام من بريطانيا التي كانت تسجن ثلاثة من عناصر أبو نضال حاولوا اغتيال السفير الصهيوني في لندن عام 1982 شلومو ارجوف (هذه المحاولة اعتمدتها اسرائيل ذريعة لاجتياحها لبنان صيف ذلك العام).

أرسل أبو نضال أحد عناصره الأمنية عوض واسمه الحركي رسمي عبد الحافظ لتخزين اسلحة في لندن للقيام بعملية ضد مصالح بريطانية، وقد تم كشفه لأن الشخص الذي سلمه السلاح وهو من الأمن الليبي كان مخترقاً من الأمن البريطاني فاعتقل.

باع أبو نضال هذه المحاولة لليبيين، وهو يقصد إرهاب البريطانيين الذين تمنعوا عن الاستجابة لابتزازه، فلجأ إلى إيطاليا حيث نسف مقهى café de paris في روما يرتاده بريطانيون فجرح منهم 38 إنساناً، وهاجم شركات طيران بريطانية في مدريد وبيروت وأثينا وروما، وكذلك مكاتب سياحية بريطانية واغتال ديلوماسياً بريطانياً في الهند وآخر أيضاً في الهند وحاول خطف مراسل وكالة أنباء رويترز جونسون رايت في البقاع اللبنانية.

عندما أغارت الطائرات الأميركية على طرابلس في 1986\4\15 انتقم أبو نضال من بريطانيا التي اعتبرها قاعدة أميركية في أوروبا بقتل الصحافي إليك كولت الذي كان خطف في خلدة جنوبي بيروت عام 1985 وظل محتفظاً به إلى أن قتله انتقاماً كما قال لليبيا.

وتابع أبو نضال عملياته ضد البريطانيين خدمة للقذافي ومحاولة ضغط على لندن لإطلاق سراح العناصر التي حاولت قتل السفير الصهيوني، حيث قصفت مجموعة تابعة له قاعدة اكروتيري البريطانية في قبرص، واطلقت مجموعة اخرى النار على سيارة بريطانية في ليماسول في قبرص، ثم تم خطف طائرة بريطانية أنزلت في مطار مالطة.

لكن أخطر عملية جاءت بعد 5 أشهر تقريباً على الغارة الاميركية على طرابلس وهي محاولة خطف طائرة 747 جمبو أميركية في مطار كراتشي كانت قادمة من بومباي في الهند وعلى متنها 400 راكب معظمهم أميركيون متجهة إلى نيورك.

فشلت العملية رغم مشاركة 4 مسلحين من جماعة أبو نضال فيها، واستقل منهم اثنان الطائرة للسيطرة عليها بعد اكتمال عدد الركاب واثنان بقيا عند سلم الطائرة، بعد أن هاجمت الشرطة الطائرة إثر نجاح قائدها بالهرب من قمرتها. هذه العملية أشرف عليها أحد رجال أبو نضال من حاملي الجنسية الليبية ودود الترك وقد اعتقل في اليوم التالي، إثر توجهه إلى المطار نفسه للمغادرة حيث كان المعتقلون الأربعة الذين لم يفجر أيٌّ منهم حزامه الناسف قد أرشدوا الشرطة إلى دوره.

عملية يوتاه

فجّر أبو نضال طائرة utoh الفرنسية فوق النيجر خدمة لمعمر القذافي الذي قيل أنه كان يريد الخلاص من أحد أبرز معارضيه وزير خارجيته السابق د. منصور الكيخيا، الذي ظن أنه كان يركب هذه الطائرة.

يروي عاطف أبو بكر في كتاب أبو نضال: الموساد الفلسطيني، أن وليد خالد توجه إلى برازافيل - الكونغو تحت ستار سياسي هو لقاء ابن الزعيم الكونغولي الراحل باتريس لومومبا، وكان الغرض منه ايصال العبوة الناسفة التي فجرت في الطائرة الفرنسية.

محاولة اغتيال قيادات لبنانية

يكشف أبو فرج (عاطف أبو بكر) أن معمر القذافي طلب من أبو نضال اغتيال شخصيات لبنانية أبرزها الرئيس نبيه بري (رئيس حركة أمل) محسن ابراهيم، مصطفى سعد وتفجير مواقع للاستخبارات السورية قريبة من مواقع لحزب الله للايقاع بين الاثنين.

وقتل عنصر عند أبو نضال اسمه موسى علاوي (لقبه الدكتور صادق) المعارض الليبي في قبرص أحمد البراني.

وقتل أبو نضال المذيع الليبي في إذاعة روما باللغة العربية محمد البورقيتي.

وقتل المذيع الليبي الأشهر في إذاعة لندن العربية مصطفى رمضان في لندن.

كان رمضان زميلاً لمعمر القذافي في المدرسة وكان يعرفه جيداً، فلما انحرف العقيد بعد سنوات من الثورة كتب له زميله السابق رسالة دعاه فيها إلى أن يتقي الله وأن يعتمد الأخلاق في حكمه فأرسل له من قتله وهو متجه للصلاة في مسجد لندن.

أرسل جثمان رمضان ليدفن في ليبيا، لكن القذافي أمر بنبش قبر الراحل وإخراج جثته وأعادها إلى بريطانيا لتدفن فيها، حتى لا يلوث التراب الليبي بجثة خائن!!

وعندما اختلف القذافي مع الصادق المهدي وكان رئيساً لحكومة السودان بعد الانتخابات التي جرت إثر الإطاحة بجعفر نميري عدو القذافي اللدود، أرسل أبو نضال مجموعة مسلحة إلى الخرطوم اقتحمت فندق اكروبول الخرطوم ودخلت مطعم السودان وأطلقت النار عشوائياً لقتل الناس وإحداث الفوضى وهز السودان، وحجته جاهزة، أن هذا الفندق هو مقر ترتيب نقل الفالاشا اليهود الاثيوبيين إلى فلسطين المحتلة.

أسقط الليبيون نظاماً لم يعرف التاريخ مثله في غرابته (جماهيرية) وفي قيادته (معمر القذافي) وفي انقساماته بين قبائل وجهات... لكنهم لم يظهروا قدرة بعد على إسقاط ما أقاموا بين بعضهم البعض من حواجز وعقبات.

ساعدهم الحلف الاطلسي على نجاح ثورتهم ويخشى كثيرون أن يكون ما يريده الحلف نفسه عقبة أخرى أمام توحدهم من جديد.

نجحوا في الجهاد الأصغر... والتحديات في الجهاد الأكبر هي المقياس الأهم في الوصول إلى ما قاموا من أجله بالثورة.

هل تنبأ القذافي بمصيره؟

ربما تلقى مقالة أو سيرة أو نبذة معمر القذافي «الفرار إلى جهنم».. في مجموعته القصصية القرية القرية.. الأرض الأرض.. وانتحار رائد فضاء اهتماماً كبيراً بعد قتله يوم الخميس في 20/ 10/ 2011 أكثر بكثير من ذلك الذي لاقته حين أصدرها مؤسس الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى قبل حوالى 20 عاماً، لقارئها من جديد أن يسقطها أو يستحضرها ليستنتج أن العقيد كان يتنبأ بمصيره الأسود، أو كان كما كتب البعض أنها رسالة أخيرة منه من الآخرة، إلى كارهيه الذين وصفهم حياً، ولا يدري مشاعرهم الحقيقية ميتاً.

المقالة أو النبذة: الفرار إلى جهنم تحمل إلى تنبؤ العقيد بمصيره إشارات الزهو بنفسه كما في حياته، ويذهب ليحشر نفسه بين جلادين وثوار وطغاة: روبسبير، هانيبال، موسوليني، دانتون، مثلما يحشر والده بين شهداء.. وطنه الكبار من عمر المختار إلى المعيتقة وسعدون والجالط... علماً بأن والده محمد عبد السلام منيار... كان جندياً في الجيش الفاشي الذي أعدم عمر المختار وقتل الطفلة معيتقة..

ويسقط الكاتب معمر القذافي الكثير من آرائه على وقائع متخيلة، فيستحضر أنور السادات في مصر، كما جمال عبد الناصر دون أن يسميه، مثلما يسقط الجرائم التي ارتكبها ضد الشعب الليبي دون أن يعترف بها... فقط هو يسجل أنه ضحية.. وهو كان طيلة 42 عاماً جلاداً أسقط عشرات الآلاف من الضحايا.

فلنقرأ الفرار إلى جهنم... سواء كنبوءة للعقيد أو أنها آخر رسائله.

الفرار إلى جهنم

ما أقسى البشر عندما يطغون جماعياً..!! يا له من سيل عرم لا يرحم من أمامه!! فلا يسمع صراخه.. ولا يمد له يده عندما يستجديه وهو يستغيث.. بل يدفعه أمامه في غير اكتراث! إن طغيان الفرد أهون أنواع الطغيان، فهو فرد في كل حال.. تزيله الجماعة، ويزيله حتى فرد تافه بوسيلة ما.. أما طغيان الجموع، فهو أشد صنوف الطغيان، فمن يقف أمام التيار الجارف!؟.. والقوة الشاملة العمياء!؟.

كم أحب حرية الجموع، وانطلاقها بلا سيد وقد كسرت أصفادها، وزغردت وغنت بعد التأوه والعناء، ولكني كم أخشاها وأتوجس منها!! إني أحب الجموع كما

أحب أبي، وأخشاها كما أخشاه، من يستطيع في مجتمع بدوي بلا حكومة أن يمنع انتقام أب من أحد أبنائه؟.. نعم كم يحبونه..!! وكم يخشونه في ذات الوقت..!! هكذا أحب الجموع وأخشاها كما أحب أبي وأخشاه. كم هي عطوفة في لحظة السرور، فتحمل أبناءها على أعناقها..!! فقد حملت (هانيبال) و(باركليز).. و(سافونارولا) و(دانتون).. و(روبسبير).. و(موسيليني) و(نيكسون) وكم هي قاسية في لحظة الغضب!! فتآمرت على (هانيبال) وجرعته السم، وأحرقت (سافونارولا) على السفود.. وقدمت بطلها (دانتون) للمقصلة.. وحطمت فكي (روبسبير) خطيبها المحبوب.. وجرجرت جثة (موسيليني) في الشوارع.. وتفت على وجه (نيكسون) وهو يغادر البيت الأبيض بعد أن أدخلته فيه وهي تصفق!!

يا للهول!! من يخاطب الذات اللاشاعرة كي تشعر!؟.. من يناقش عقلاً جماعياً غير مجسّد في أي فرد؟ من يمسك يد الملايين!؟ من يسمع مليون كلمة من مليون فم في وقت واحد!؟.. من في هذا الطغيان الشامل يتفاهم مع من!؟.. ومن يلوم من!؟.. ومن المن ذاته!!؟ أمام هذا اللهيب الاجتماعي الذي يحرق ظهري.. أمام مجتمع يحبّك ولا يرحمك.. أمام أناس يعرفون ما يريدون من الفرد، ولا يأبهون لما يريده الفرد منهم.. يفهمون حقوقهم عليك.. ولا يفهمون واجبهم نحوك.. أمام نفس الجموع التي سممت (هانيبال)، وأحرقت (سافونارولا)، وهشمت رأس (روبسبير)، والتي أحبتك دون أن تخصص لك حتى كرسياً في دار خيالة، أو منضدة في مقهى.. تحبّك دون أن تعبّر عن ذلك بشيء مادي بسيط ككرسي، أو منضدة في مقهى.. هذا ما فعلته وتفعله الجموع بمثل هؤلاء. فبماذا أطمع أنا - البدوي الفقير التائه - في مدينة عصرية مجنونة.. أهلها ينهشونني كلما وجدوني: ابن لنا بيتاً غير هذا.. امدد لنا خطاً أرفع من ذلك.. ارصف لنا طريقاً في البحر.. ازرع لنا حديقة.. اصطد لنا حوتاً.. اكتب لنا تعويذة.. اعقد لنا قراناً.. اقتل لنا كلباً.. اشتر لنا حراً!!. بدوي فقير تائه لا يحمل حتى شهادة الميلاد.. عصاه على كتفيه.. لا يقف أمام الإشارة الحمراء.. ويخاصم الشرطي ولا يخشاه، ويأكل بلا غسل يديه.. ويلبط ما يعوقه في سيره برجله حتى ولو أصاب به واجهة متجر زجاج.. أو وقع على وجه عجوز شمطاء.. أو حطم نافذة بيت أبيض جميل، لا يعرف طعم الكحول ولا حتى (البيبسي كولا) أو (الصودا).. يبحث عن ناقة في ميدان الشهداء.. وفرس في الساحة الخضراء.. ويحوش الغنم من ميدان الشجرة.

هذه الجموع التي لا ترحم حتى منقذيها، أحس أنها تلاحقني.. تحرقني.. حتى

وهي تصفق أحس أنها تطرق.. أنا بدوي أمي، لا أعرف حتى صنعة الزواق، ولا أعرف حتى معنى المجاري.. وأشرب ماء المطر وماء البئر بكلتا يدي.. وأصفي برقات الضفادع بطرف عباءتي، ولا أتقن السباحة، لا على بطني، ولا على ظهري، ولا أعرف شكل النقود.. ولكن كل من يقابلني يطلب مني شيئاً من تلك الأشياء.. فأنا لا أملكها في الحقيقة، ولكن خطفتها من أيدي اللصوص، ومن أفواه الفئران، ومن أنياب الكلاب، ووزعتها على أهل المدينة باسم فاعل خير قادم من الصحراء، بوصفي محرر عقود وأصفاد.

إن ما سرقته المخالب وأفسدته- أحدهم رفيق أهل الكهف والجرذان - يحتاج إلى وقت طويل، وجهد أكثر من فرد.. ولكن أهل المدينة العصرية المجنونة يطلبونه مني في الحال، وشعرت بأني أنا الوحيد الذي لا أملك شيئاً، ولهذا لم أطلب مثلهم «سمكرياً» و«سطى» وزواقاً.. وحلاقاً.. الخ، وحيث أني لم أطلب ؛لأني لا أملك، فصار وضعي متميزاً.. بل شاذاً، ولهذا تعرضت وأتعرض في كل ساعة تقريباً لهذه المضايقات، ولكن لا أنكر أني أنا أيضاً ساهمت في ذلك.. وظلمت نفسي، فأنا سرقت عصا موسى، وضربت بها الصحراء، فانفجر نبع، لأني لا أعرف - كما قلت المجاري، و(السكرة)، والشبكات الضيقة، وطالبت بأن يريحني هذا النبع من هذه الطلبات وأسبابها، فحتى تعدي على الشرطي نشر موجة من الاستهتار في المدينة كلها، وسمعوا باسمي، وبعضهم صفق لي، وبعضهم شتمني، وشرطة النجدة تريد أن تتخلص مني.. وعجوز كانت أماً للشرطي تصابت، وطمعت فيّ، وعندما رفضت حاولت أن تخلق لي مشاكل.. وقد يحاربونني بكلاب الشرطة الغبية.. وأنا الذي شجعتهم على أكل الحوت وصيده، حتى يتركوا لي شاهي.. إنسان بسيط.. وفقير.. لست من سلالة ملكية، بل من سلالة بدوية، ولا أحمل شهادة دكتوراه.. فلا أحب الطبيب، لأنهم يسمونه دكتوراً!! ولهذا لم يتمكن من تطعيمي ضد الحساسية، فأنا حساس جداً خلافاً لأهل المدينة الذين تم تطعيمهم منذ زمان بعيد، وعلى جرعات تاريخية من أيام الرومان إلى الترك وأخيراً (الميلكان).

وأنا كما تعرفون وتضحكون، لا أنطق مثلكم كلمة (الأمريكان) أو (الأمريكيين) (بالراء)، بل أنطقها باللام لأنني لا أعرف معنى أميركا، فالذي اكتشفها ليس (كولومبوس)، بل أمير عربي، ولكن هي تملك القوة.. وتملك العملاء.. وتملك القواعد في مناطق النفوذ.. وتملك حق النقض لمصلحة الإسرائيليين، وملكت أخيراً بيتاً عند نقطة تفرع

فرعي دمياط ورشيد .. وحوله مزرعة جاموس فهي إمبريالية، إذن هي (أميلكا)، هكذا قال الحاج مجاهد، ولد عمتي عزة بنت جدتي غنيمة أخت (الكونتيسا ماريا). عموماً، أنا جنيت على نفسي بدخولي المدينة طواعية، ولا وقت لذكر السبب، المهم، كان ظرف تحد فحسب، إذن، أرجوكم أن تتركوني أرعى شياهي، التي تركتها في الوادي، تحت رعاية أمي.. ولكن أمي ماتت وكذلك أختي الكبيرة.

وقيل: إن لي أخوة ذكوراً وإناثاً قد قتلهم (البعوض).. اتركوني وهمومي.. لماذا تطاردونني وتعرّفونني على صبيانكم؟ حتى أصبحوا هم أيضاً يضايقونني في كل مكان.. ويجرون ورائي.. ويقسمون أنه هو.. لماذا تحرمونني من الراحة؟..بل حتى من المشي في شوارعكم؟ أنا بشر مثلكم، أحب التفاح، لماذا تمنعونني من السوق؟.. ثم على فكرة، لماذا لا تعطونني جواز سفر؟.. ولكن ماذا أعمل به؟ فأنا ممنوع من الخروج لغرض السياحة، أو العلاج إلا إذا كنت مكلّفاً بمهمة فقط، لذا قررت أن أفر بنفسي إلى جهنم.

وسوف أروي لكم قصة فراري إلى جهنم، وأصف لكم الطريق الذي يؤدي إليها، ثم أصف لكم جهنم ذاتها، وكيف رجعت منها مع نفس الطريق.. إنها مغامرة حقاً، ومن أغرب القصص الواقعية، وأقسم لكم أنها ليست من صنع الخيال.. إني هربت بالفعل إلى جهنم مرتين؟ فراراً منكم، ولكي أنجو بنفسي فقط، إن أنفاسكم تضايقني.. وتقتحم عليّ خلوتي.. وتغتصب ذاتي.. وترغب بنهم وشراهة شرسة في عصري، وشرب عصارتي، ولعق عرقي، ورشف أنفاسي.. ثم تغفلني مودعة لتعاود الكرة.. أنفاسكم تلاحقني كالكلاب المسعورة، وتسيل لعابها في شوارع مدينتكم العصرية المجنونة، وعندما أهرب منها تتعقبني عبر خيوط العنكبوت وورق الحلفاء، لذلك فررت إلى جهنم بنفسي فقط.

الطريق إلى جهنم ليست كما تتوقعون.. وكما وصفها لنا الدجالون الذين يصورونها لنا من خيالهم المريض، أصفها لكم أنا الذي سلكتها بنفسي مرتين، وتمكنت من المنام والراحة في قلب جهنم، وأقول لكم إني جربت ذلك، وكانت أجمل ليلتين في حياتي تقريباً هما اللتان قضيتهما في قلب جهنم بنفسي فقط.. إن ذلك أفضل عندي ألف مرة من معيشتي معكم.. أنتم تطاردونني، وتحرمونني من الراحة مع نفسي، فاضطررت إلى الهروب لجهنم.. إن الطريق إلى جهنم مفروشة بالبساط الطبيعي على امتداد الأفق، وأنا أشق طريقي نحوها بفرح وغبطة.. وبعد انحسار البساط وجدتها

مفروشة بالرمل الناعم.. وصادفتني أسراب من الطيور البرية من نفس الأنواع التي تعرفونها، بل وجدت حتى بعض الحيوانات المستأنسة ترتع وتغلي!! ولكني فوجئت بانحدارات شديدة أمامي، وأرض منخفضة حتى توقفت بتردد وإذا بجهنم تطل من الأفق.. ليست حمراء كالنار.. وليست ملتهبة كالجمر.. وقفت - لا خوفاً من التقدم نحوها، فأنا أحبها، وأرغب في وصالها، فهي الملاذ عندما تطاردونني في مدينتكم المثلثة.. وعندما تراءت لي من الأفق أمامي كدت أطير من الفرح.. وقفت لأسلك أقصر الطرق إليها.. واختار أقربها إلى قلبها.. ولعلي أسمع لها زفيراً، ولكن جهنم ساكنة تماماً وهادئة للغاية.. وثابتة كالجبال التي حولها.. ويحوطها سكون عجيب.. ويلفها وجوم رهيب.. لم أر لهباً.. ولكن الدخان فقط يخيم فوقها.. انحدرت نحوها بشوق.. مسرعاً في الخطى قبل مغيب الشمس؛ أملاً في الحصول على مرقد دافئ في قلبها قبل محاصرتي بحراسة جحيمكم التي انطلقت ورائي دون وعي، مستخدمة أحدث وسيلة وأقدم استعمالاً.. أخيراً اقتربت جداً من جهنم.. واستطعت مشاهدتها عن كثب.. وأستطيع الآن أن أصفها لكم كما شاهدتها... وأستطيع أن أجيب عن أي استفسار يتعلق بجهنم التي اقتربت منها:

أولاً: لجهنم شعاب مظلمة ووعرة.. يخيم عليها الضباب، وحجارتها سوداء محروقة منذ أقدم الزمان، والعجيب حقا هو أن الحيوانات البرية وجدتها تأخذ طريقها إلى جهنم قبلي؛ فراراً منكم، فحياتها في جهنم، وموتها فيكم.. تلاشى كل شيء من حولي عدا نفسي التي أحسست بوجودها أكثر من أي مكان وزمان آخر. تقزمت الجبال.. وبيست الأشجار.. وجفلت الحيوانات، وغاصت في أدغال جهنم؟ طلباً للنجاة، وفراراً من الإنسان، حتى الشمس حجبتها عني جهنم، وأصبحت لا شيء.. لم يبق بارزاً إلا جهنم، وأبرز ما فيها قلبها، فاتجهت إليه دون صعوبة تذكر.. أنا أيضاً ذبت في نفسي، ونفسي ذابت فيّ، واحتمى كل منا بالآخر وعانق كل منا الثاني، وأصبحنا شيئاً واحداً لأول مرة، لا لأن نفسي كانت خارجي، ولكن جحيمكم لم يعطني فرصة لأخلو بنفسي، وأتأمل معها، وأناجيها، وتناجيني.. فنحن- أقصد أنا ونفسي - كمجرمين خطرين في مدينتكم، تخضعوننا للتفتيش والمساءلة، وحتى بعد أن تثبت براءتنا، وتعرف هويتنا، تودعوننا السجن، وتطوقوننا بحرس شديد، ومرادكم دائماً أن تحولوا حتى بيني وبين نفسي؟ لأن ذلك يساعد في راحتكم أنتم واطمئنانكم. ما أحلى جهنم عن مدينتكم!! لماذا رددتموني مرة أخرى؟.. أريد أن أعود إليها.. بل

أرغب في أن أسكن فيها! الذهاب إليها دون جواز سفر، اعطوني نفسي فقط.. نفسي التي اكتشفت أنكم شوهتموها، وحاولتم إفساد طبعها الحميد!!

حاولتم الحيلولة بيني وبين نفسي، ولكن بفراري إلى جهنم انتزعت نفسي منكم. لا أطمع منكم في شيء، احتفظوا لأنفسكم بورق صناديق القمامة.. وتركت لكم خوذتي الذهبية في القاهرة.. تلك الخوذة الصولجانية التي انتزعتها من الوكيل بعد أن سمعت وقرأت عنها.. وأن خاتم (شيك ليك) يصنع من الذهب المرصعة به.. وأن الذي يلبسها يصبح سلطاناً في الثو والحين.. ويستطيع الجلوس على كرسي الملك دون إخفاء.. تنتحى من أمامه الملوك والرؤساء والأمراء؛ غصباً.. ويستطيع إحياء الطفلة (معيتيقة) بعد موتها.. وإحياء كل الشهداء حتى عمر المختار، وسعدون، وعبد السلام أبو منيار، والجالط، والذين استشهدوا جنوداً مجهولين.

والذي يلبسها تصبح بين يديه أربعة آلاف مليون دينار أو أكثر أو أقل بقليل، ويمكنه التصرف فيها كما يريد!! عموماً، يصبح في يديه خاتم (شيك ليك) الذي تريده يأتيك.. إذا طلبت سلاحاً يصير بين يديك: من البندقية إلى الصاروخ عابر الحدود.. وحتى السراب، يكون رهن إشارتك، ناهيك عن الميج والسيخوي، وتقدر أن تحبس وتطلق من تشاء من الإنجليز برغم أنف تاتشر.. وفي نفس الوقت إذا لبست هذه الخوذة الصولجانية السحرية، تستطيع النوم بكل كسل، حتى ولو رأيت الذئب يفترس غنمك أمام عينيك المفتوحتين، يمكنكم إذن النوم وعيونكم مفتوحة عدة سنوات حتى ولو كنتم بين أكوام من الكناسة والأوساخ، لقد سمعت من صوت العرب أنكم محرومون من هذه الإمكانية الخلاقة، وقرأت عن الخوذة الفولاذية.. عفواً.. الصولجانية السحرية.. وسمعت أن إبليس يحمل رقم «صفر زائد واحد» قد استحوذ عليها مدعياً أنه ملاك وشهد له بذلك (تشرشل وترومان).

وصدقتم أنتم تلك الأكذوبة وانطلت عليكم الخدعة.. وكانت عاقبة أمركم خسراً، إلى أن أحسست بحالكم، وسمعت خطيب الجمعة في مساجدكم يقول: إن حالنا لايخفى عليك، وعجزنا واضح بين يديك.. ولاملجأ إلا إليك.. لبيك.. لبيك.

خاتمة

نختم هذا الكتاب بعد وقائعه المرعبة، الغريبة، التي تبدو للبعض غير قابلة للتصديق. بأن نقترح اسماً جديداً لمرض أو أمراض قديمة تعرفها البشرية، واستحدثت لها أسماء مع تقدم دراسة العلم النفسي واعتمادها في الجامعات والثانويات والمؤسسات الاجتماعية والعيادات.

قدم الأطباء بعد اختبارات علمية لعقود أسماء عديدة للأمراض النفسية منها، البارانويا، والسيكوباتيك، وانفصام الشخصية والشذوذ...

بعد أن انتشرت وقائع الجرائم الغريبة والوحشية غير المصدقة، التي أمر بها معمر القذافي، يمكن أن يضاف إلى هذه الأمراض اسم جديد، هو مرض القذافية، فهو مزيج من كل الأمراض التي تصيب عقول البعض.

القذافية... إذا قدمت كمرض جديد... ستكون ربما آخر خدمة يحصل عليها معمر القذافي في هذه الدنيا. فهو كان مهووساً بالألقاب ونسب العجائب له وها هو سيخلد في التاريخ كمرض قد يعجز الطب عن إيجاد دواء له رغم قفزات التقدم العلمي في مجاله... ولن يخلد القذافي وحده... وللأسف بل سيخلد معه مرضه، وهو سيظل مستعصياً على العلاج وسيكون أشد خطراً واستدامة من أمراض نجح العلم في الطب في استئصالها وعلاجها أو اكتشاف ووضع أدوية لها، مثل الطاعون والجذام والسل والملاريا...

القذافية تجاوزت هذا كله، بعد أن تجاوز معمر القذافي في سلوكه كل الحالات المرضية الشاذة التي عرفتها البشرية من أيام كاليغولا وربما قبل، وصولا إلى هتلر وموسوليني وتشاوشيسكو وحافظ وبشار وماهر الأسد.